الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية أصول الدين

الشيخ عبد الرحمن الثعالبي
وآراؤه الاعتقادية
من خلال تفسيره
الجواهر الحسان في تفسير القرآن

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية
تخصص أصول الدين

إعداد الطالب
عبد الرزاق دحمون

إشراف الدكتور
عمار جيدل

1422هـ - 2001م

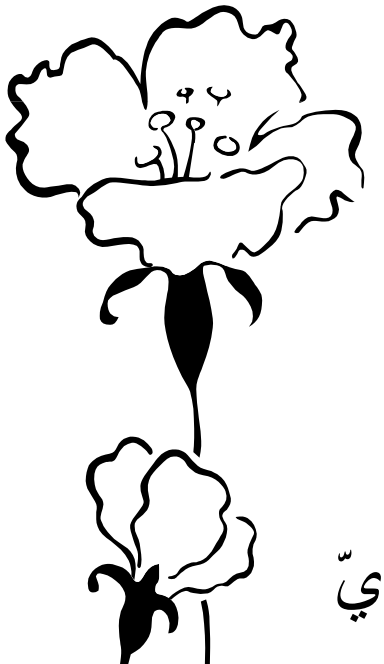

الإهداء

إلى والديّ العزيزين
- ابي وأمي - أقدم حصيلة جهدي المتواضع، شكرا ووفاء وعرفانا، لعلي أكون قد حققت بعض أملهما في.

وأسأل الله تعالى أن يجزيهما أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة، إنه جواد كريم، بر، رحيم

شكـر وتـقـديــر

من لم يشكر الناس لم يشكر الله».حديث صحيح.

بعد حمد الله تعالى وشكره أرى لزامًا عليّ أن أعترف بالفضل لأهله، وأن أشكر كلّ من مدّ إليّ يد العون من قريب أو بعيد، مع اعترافي بالعجز عن تقديم الشكر الذي أكنّه في قلبي وضميري لهؤلاء من خلال هذه العبارات البسيطة التي لا توفّيهم بعض حقّهم.

فأتقدّم بالشكر الجزيل إلى فضيلة أستاذي الدكتور عمّار جيدل الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة، فلقد حضيت بنصحه وإرشاده طوال فترة إعدادها، وقد فتح لي بيته وقلبه فاستفدت الكثير منه، فالله أسأل أن يجزيه عنّي أحسن الجزاء، وأن يبارك في وقته وعمله،ويجعله في خدمة طلبة العلم.

كما لا يفوتني أن أتوجّه بالشكر الجزيل لكلّ أساتذتي الأفاضل الذين شجّعوني باستمرار، وكذا القائمين على معهدنا الوطني العالي لأصول الدين-بالخروبة جامعة الجزائر.

وأخيرًا أقدّم عظيم شكري وفائق احترامي وتقديري لجميع الإخوة الذين ساعدوني وتعاونوا معي في إخراج هذا البحث إلى حيّز الوجود، وأخصّ منهم الأخ الفاضل الأستاذ مشنان محند اويدير، وعثمان واجعوط، وطاهر حاوة، وكذا الأخ جمال كموش الذي تعب معي كثيرًا في طبع هذا البحث وإخراجه على هذه الصورة البهيّة.

فالله تعالى أسأل أن يتقبّل من الجميع تعاونهم، وأن يوفّقنا وإيّاهم إلى كلّ خير، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

{ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** }(1) .

{ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**}(2) .

{ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** }(3) (4).

أمّا بعد : فإنّ علم العقيدة الإسلامية من أشرف العلوم(5) وأجلّها ، لأنّها العلم بالله تعالى ، وآياته ، وأسمائه ، وصفاته ، وكذلك النبوّات ، وكلّ ما يتعلّق بأمور الآخرة من حشر ونشر ووزن للأعمال وصراط وجنّة ونار...إلخ.

لذلك بعث الله الأنبياء والرسل تحقيقًا لهذه الغاية، بدعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والاستمساك بذلك، ونبذ الكفر وعبادة الأوثان والأصنام وجميع أنواع الشرك بالله تعالى.

وهذه هي المقاصد التي نزلت بها الكتب السماوية، وأجمعت الأنبياء والرسل على الدعوة إليها، حيث يقول الله تعالى :{ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** }(6).

---

(1) سورة آل عمران : 102
(2) سورة النساء : 1
(3) سورة الأحزاب : 70، 71
(4) هذه الخطبة تسمّى خطبة الحاجة ، وهي تشرع بين يدي كلّ حاجة ، وهي مأثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أخرجها مسلم في صحيحه : كناب الجمعة -باب : تخفيف الصلاة والخطبة 593/2 برقم(868)، تحقيق : محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر 1403هـ.
(5) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الدمشقي 5/1 حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وقدّم له : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي- شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة ط(8) 1416هـ-1995م.
(6) سورة الأنبياء : 25

ويقول : { **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** }[1].

ويقول تعالى-إشارة إلى اتّفاق الرسل والكتب السماوية على إثبات اليوم الآخر- : {**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** }[2].

ويقول تعالى : { **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى(18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** }[3].

يقول الإمام الشوكاني[4] -رحمه الله تعالى- : « وأمّا مقاصد القرآن الكريم التي يكرّرها، ويورد الأدلة الحسّية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله فهي ثلاثة مقاصد، يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبّر وجودة تصوّر وفضل تفكّر : المقصد الأوّل: إثبات التوحيد، والمقصد الثاني : إثبات المعاد، والمقصد الثالث : إثبات النبوّات...ولا ريب أنّ من آمن بالله، وبما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، فإنّ إيمانه بهذه الثلاثة المقاصد هو أهمّ ما يجب الإيمان به، وأقدم ما يتحتّم عليه اعتقاده، لأنّ الكتب قد نطقت بها، والرسل قد اتّفقت عليها اتّفاقًا يقطع كلّ ريب، وينفي كلّ شبهة، ويذهب كلّ شكّ »[5].

وعليه فالمنهج الصحيح في فهم العقيدة الإسلامية هو المنهج الذي جاء به نبيّنا صلى الله عليه وسلّم، حيث قام بتبليغ دعوة ربّه إلى الناس كافة، ودعاهم

---

(1) سورة النحل : 36
(2) سورة الزمر : 71
(3) سورة الأعلى : 16-19
(4) هو : محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني : إمام، مفسّر، أصوليّ، فقيه، ولد سنة 1173هـ، تولّى القضاء وهو في سنّ 36 من عمره، من تآليفه : فتح القدير، إرشاد الثقات..، توفي سنة 1250هـ. أنظر : البدر الطالع : الشوكاني، دار المعرفة-بيروت ط(1) 1348هـ. 2/204-225 ؛ التاج المكلّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل لأبي الطيب الحسيني القنوجي ص : 443-458 تصحيح وتعليق : عبد الحكيم شرف الدين، دار اقرأ-بيروت ط(2) 1404هـ-1983م ؛ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين -بيروت لبنان ط(7) : 1986م. 6/298 ؛ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحيّ بن عبد الكبير بن أبي المفاخر محمّد الحسني الإدريسي الكتّاني الفاسي 2/408 المطبعة الجديدة بالطالعة 1347.
(5) إرشاد الثقات إلى اتّفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات ص : 03 ، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1404هـ-1984م. منهج الإمام الشوكاني في العقيدة للدكتور عبد الله نومسوك 1/9 مؤسسة الرسالة ط(2) 1414هـ-1994م.

إلى توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإفراده بالعبادة والطاعة وحده دون غيره من المعبودات الباطلة التي لا تملك نفعًا ولا ضرًّا، لا لنفسها ولا لغيرها؛ فوفّق الله تعالى لإجابة دعوته المباركة من شرح صدره للإسلام.

وقد مضى زمن الرسول صلى الله عليه و سلم والمسلمون على عقيدة واحدة، ظلّت بفضل الله-في صفائها ونقائها-كما جاءت في كتاب الله وسنّة رسوله، وهكذا عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والتابعين وتابعيهم.

وفي هذه الصورة البهيّة المشرقة من القرون الخيرية من زمن الإسلام عاش المسلمون الأوائل في ظلّ الدين الحنيف سعداء، وضربوا أروع الأمثلة في مجالات كثيرة، إلاّ أنّ مجريات التاريخ أحدثت أمورًا تشقّقت بها جدران تلك الوحدة لاسيما بعد نشوب الخلاف في صفوف المسلمين وظهور كثير من الفرق والمذاهب التي كانت لها آراء غريبة، فكثر القول فيما يتعلّق بقضايا العقيدة ومسائلها الفرعية المندرجة تحتها.

وبجانب هذا، كان لترجمة كتب المنطق والفلسفة اليونانية أكبر الأثر في زعزعة المفاهيم والأفكار، وذلك لمنافاتها لعقائد دين الإسلام، وهو الأمر الذي أدّى بكثير من أتباع تلك الآراء الفاسدة أن يلبسوا أقنعة مزخرفة-تحت ستار العقل-فضلّ بسببهم كثيرًا من الناس عن جادّة الصواب، فابتعدوا بذلك عن المصدر الأصيل كتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلى الله عليه و سلم (1).

إلاّ أنّ الله قيّض للأمّة الإسلامية علماء أتقياء مخلصين كان لهم دور بارز في الدفاع عن العقائد، وردّ الشبه عنها، وإبطال مزاعم الخصوم، ومن هؤلاء الشيخ عبد الرحمان الثعالبي-رحمه الله- ولهذا اخترته موضوعًا لرسالتي للحصول على درجة الماجستير، وسمّيتها : « الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وآراؤه الاعتقادية من خلال تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن ».وهي محاولة قدر الطاقة ولعلّها تضع بعض المعالم في الطريق لغيري من الباحثين المختصّين، وعزائي أنّ من فقد الماء تيمّم بالتراب، ولكن أرجو الله تعالى ألاّ يخرج هذا البحث عن بعض أغراض العلماء من التصنيف وهي :

استخراج شيء لم يسبق إليه، أو جمع متفرّق، أو تكميل ناقص، أو تهذيب مطوّل، بدون حذف يخلّ بغرضه، أو ترتيب مخلط، أو شرح مبهم، أو تبيين خطأ، أو تفصيل مجمل(2).

---

(1) السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف د. أختر جمال لقمان ص : 07 ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ط(1) 1417هـ-1996م.

(2) أنظر : إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليمني ص : 23 دار الكتب العلمية -بيروت (د.ت.ط) ؛ ابن الوزير اليمني وآراؤه الإعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنّة النبوية لعليّ بن عليّ جابر الحربي 9/1 توزيع عالم الكتب ط(1) 1417هـ-1996م.

إشكالية البحث

يعد القرآن مصدرا رئيسا في التأسيس للعقائد الإسلامية، والكشفُ عنها منهاجا وموضوعا يقتضي التركيز على جهود المفسرين في التعامل مع النص القرآني في موضوع العقائد.

وبهذا الصدد يتساءل الباحث عن مدى حقيقة مذهب الثعالبي بصفته مفسرا في مسائل الاعتقاد؟ وهل كان وفق مسالك السلف ؟ أم أنه أسس منهجا جديدا؟

وهذا الإشكالية تقوم على دعامتين أساسيتين هما:

1.معرفة مدى تطابق آرائه العقدية مع مذهبه الكلامي ، ومن ثمّ التأكّد من مساهمته في هذا العلم؛ وأخذ نظرة عميقة عن أهمية علم العقائد عند المفسّرين، واهتمامهم بتلك المسائل و القضايا في تفاسيرهم.

2.معرفة المنهج العقدي المتّبع من قبل الشيخ، واهتمامه بالدفاع عن العقائد الإسلامية نفسها، وردّ الشبه المتعلّقة بها.

أسباب اختياري لهذا الموضوع:

واختياري لهذا الموضوع ناشئ عن أسباب ودوافع مهمّة، يمكن أن أجملها فيما يلي :

1.أهمية علم العقيدة الإسلامية في حياة الإنسان، ذلك أنّه من الضروري عليه أن يحصّل لوازم هذا العلم، ومن ثمّ تصحيح عقيدته إن أصابها خدش أو تشويش..، فالعقيدة النقية هي الغذاء الروحي له لأنّ مقصودها صيانة حقائق الإيمان كما جاءت في القرآن والسنّة.

2.محاولة كشف وإبراز-ولو جزء بسيط- من جهود علماء المغرب العربي، وعلى رأس ذلك علماء الجزائر، ودورهم الفعّال في كثير من التخصّصات والعلوم والفنون.

3.ترسيخ المكانة العلمية والدينية المعروفة عن الشيخ، والمتوارثة إلى يومنا هذا.

4.محاولة إبراز الجانب المغمور من حياة الثعالبي، وأقصد بذلك بيان آرائه العقدية، ومنهجه وطريقته في الاستدلال عليها، ممّا دفعني إلى إثراء هذه الناحية.

لهذه الأسباب والدوافع، ولأسباب أخرى اخترت هذا الموضوع، وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

صعوبات البحث :

وأهمّ الصعوبات التي اعترضتني أثناء القيام بهذا البحث: قلّة الدراسات والبحوث العلمية حول الثعالبي، وممّا وقفت عليها-حسب علمي واطّلاعي-ما يلي :

•(عبد الرحمان الثعالبي والتصوّف) ، وهي دراسة للجانب الصوفي من حياته، للدكتور عبد الرزّاق قسّوم-مدير المعهد الوطني العالي لكلّية أصول الدين سابقًا -الخروبة جامعة الجزائر.

•(عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير)، وهي دراسة أكاديمية للأستاذ رمضان يخلف، نال بها درجة الماجستير سنة 1992م؛ وهو نفس العنوان الذي اعتزمت القيام به، ثمّ تراجعت عنه بعد علمي به.

•ويضاف إلى هذا : دراسة الدكتور عمّار طالبي لمنهج الثعالبي في مقدّمة تفسير الجواهر الحسان.

•ومؤخّرًا تحقيق كتاب في السيرة للثعالبي المسمّىبـ (الأنوار في آيات ومعجزات النبي المختار) للدكتور محمّد شريف قاهر.

•وأمّا ما كتب عنه في كتب التراجم والسير فيبقى غير كاف، لأنّها لم تشر إلى كلّ تفاصيل حياته التي تحتاج إلى ترتيب وتدقيق وتكميل.

تقسيم البحث :

واتبعت في تقسيم موضوع الرسالة خطّة علمية تشتمل على مقدّمة، وثلاثة أبواب وخاتمة.

أمّا **المقدّمة :** فقد تناولت فيها افتتاحية البحث و الأسباب التي حملتني على اختيار هذا الموضوع، وخطّة البحث، والمنهج الذي اتّبعته فيه..إلخ.

الباب الأول
الثعالبي: تفسيره ومنهجه في العقيدة

وفيه فصلان:

الفصل الأوّل: الثعالبي وترجمته

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأوّل : عصر الثعالبي والتعريف به**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: عصر الثعالبي** وفيه:
  1 ـ الحالة السياسية
  2 ـ الحالة الثقافية
  3 ـ الحالة الدينية والاجتماعية
- **المطلب الثاني: ترجمته وحياته الشخصية** وفيه:
  1 ـ الاسم.
  2 ـ النسب
  3 ـ المولد.
  4 ـ أولاده وأحفاده

- **المبحث الثاني: حياته العلمية**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: الرحلة في طلب العلم** وفيه:
  1 ـ رحلته.
  2 ـ شيوخه
- **المطلب الثاني: مؤلفاته وتلاميذه ومكانته، ووفاته،** وفيه:
  1 ـ مؤلفاته.
  2 ـ تلاميذه
  3 ـ وفاته ومدفنه ورثاؤه.
  4 ـ ثناء العلماء عليه ومدحهم له.

الفصل الثاني: تفسيره ومنهجه في عرض العقيدة

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: تفسير "الجواهر الحسان" المصادر والمنهج**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: وصف عام تفسير الثعالبي،** وفيه:
  1 ـ ميزات الكتاب وتاريخ تأليفه.
  2 ـ أمانته العلمية.

3 ـ إعجاب العلماء بهذا المختصر.

• **المطلب الثاني: المصادر التي اعتمد عليها في التفسير.** وفيه:

1 ـ القرآن وعلومه.
2 ـ كتب التراجم والسير.
3 ـ كتب الفقه وأصوله.
4 ـ كتب الحديث وعلومه.
5 ـ كتب الزهد (التصوف).
6 ـ كتب العقيدة.
7 ـ كتب اللغة وفروعها.

▫ **المبحث الثاني: منهجه في عرض العقيدة**

وفيه مطلبان:

• **المطلب الأول: المنهج ومصادره الرئيسة في العقيدة،** وفيه:

ـ معنى المنهج، والعقيدة في اللغة والاصطلاح.
ـ عقيدة الثعالبي.
ـ مصادره الرئيسة في العقيدة.

1 ـ القرآن الكريم.
2 ـ السنة النبوية.
3 ـ الإجماع:
4 ـ أقوال السلف والخلف.
5 ـ العقل.

• **المطلب الثاني: طريقته في عرض مسائل العقيدة،** وفيه

1 ـ جمع الآراء وعرضها.
2 ـ المقابلة بين الآراء.
3 ـ التعليق على الآراء.
4 ـ الفرق المنحرفة والردّ عليها.

الباب الثاني
الإلـهـيـات والنـبـوات

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الاستدلال على وجود الله ووحدانيته

وفيه مبحثان:

▫ **المبحث الأول: أدلة الثعالبي في الاستدلال على وجود الله ووحدانيته**

وفيه مطلبان:

• **المطلب الأول: دليل الخلق وبعض نماذجه،** وفيه:

1 ـ دليل الحدوث.
2 ـ دليل الأفعال.
3 ـ دليل الآفاق.
4 ـ دليل الأنفس

• **المطلب الثاني: نماذج من الأدلة العقلية،** وفيه

1 ـ دليل الفطرة
2 ـ قياس الغائب على الشاهد
3 ـ دليل التمانع

- **المبحث الثاني: الشرك والعبادات الوثنية**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: معنى الشرك، وأسبابه، وأنواعه،** وفيه:

1 ـ معنى الشرك لغة وشرعا.
2 ـ أنواعه.
3 ـ أسبابه.

- **المطلب الثاني: إبطال الشرك،** وفيه:

1 ـ إبطال عبادة الأصنام والأوثان.
2 ـ إبطال عبادة الملائكة والجن
3 ـ إبطال تأليه عيسى عليه السلام وغيره
4 ـ إبطال عبادة الكواكب.

الفصل الثاني: الصفات الإلهية والأسماء

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: صفات الله تعالى**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: أهمية مسألة الصفات وطريقة عرضها.** وفيه:

1 ـ آراء الفرق والمذاهب في المسألة.
2 ـ موقف الثعالبي منها.

- **المطلب الثاني: الصفات الخبرية.** وفيه:

1 ـ موقف السلف والخلف من المسألة
2 ـ موقف الثعالبي منها.
3 ـ نماذج لموقفه من آيات الصفات.

- **المبحث الثاني: أسماء الله الحسنى**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: الأسماء ومصادر التعريف بها.** وفيه:

1 ـ بيان لتقرير القرآن والسنة لأسماء الله الحسنى
2 ـ عرض لنماذج من تفسير الثعالبي حول أسماء الله الحسنى

- **المطلب الثاني: الأسماء والتوقيف،** وفيه:

1 ـ اسم الله الأعظم.
2 ـ أسماء الله غير محدودة في عدد معين.
3 ـ هل الاسم عين المسمى أو غيره؟

الفصل الثالث: النـــبـــــوات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النبي ومهمته

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: النبوة وأهميتها.** وفيه
  1 ـ تعريف النبوة، والنبي، والرسول، لغة واصطلاحا.
  2 ـ أهمية النبوة والرسالة.
- **المطلب الثاني: الإيمان بالأنبياء والرسل،** وفيه:
  1 ـ الإيمان بالأنبياء والرسل
  2 ـ المفاضلة بين الأنبياء والرسل.
  3 ـ مهمة الأنبياء والرسل.

المبحث الثاني: المبحث الثاني: صفات الأنبياء ووظائفهم والإيمان بنبوة محمد ﷺ والملائكة

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: الصفات والوظائف.** وفيه:
  1 ـ أهم صفاتهم.
  2 ـ بعض وظائفهم.
- **المطلب الثاني: الإيمان بنبوة محمد ﷺ والملائكة،** وفيه:
  1 ـ الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
  2 ـ الوحي وصوره.
  3 ـ الإيمان بالملائكة.

الباب الثالث

السمعيات الصرف

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الأسماء والأحكام والقضاء والقدر

وفيه مبحثان

المبحث الأول: الإيمان ومتعلّقاته

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: الإيمان: حقيقته، زيادته ونقصانه، الاستثناء فيه.** وفيه:
  1 ـ حقيقة الإيمان
  2 ـ زيادته ونقصانه
  3 ـ الاستثناء فيه.
- **المطلب الثاني: مرتكبُ الكبيرة، والتوبةُ** وفيه:
  1 ـ حكم مرتكب الكبيرة.
  2 ـ التوبة.

المبحث الثاني: القضاء والقدر

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: خلق أفعال العباد، والهدي والإضلال، والحسن والقبح، والتعليل**

وفيه:

1 ـ معنى القضاء والقدر.
2 ـ مسألة خلق أفعال العباد.

3 ـ الهدي والإضلال.
4 ـ الحسن والقبح.
5 ـ الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى.

- **المطلب الثاني: التكليف بما لا يطاق ومسائل أخرى**

1 ـ اللطف والأصلح.
2 ـ مصير أولاد المشركين.
3 ـ التكليف بما لا يطاق.
4 ـ النسخ.
5 ـ الرزق.

الفصل الثاني: الإيمان بالمعاد

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: الروح، والقبر، والبعث.**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: حقيقة الروح ومستقر الأرواح** وفيه:

1 ـ حقيقة الروح
2 ـ مستقر الأرواح

- **المطلب الثاني: القبر والبعث،** وفيه

1 ـ القبر
2 ـ البعث

- **المبحث الثاني: الساعة وأشراطها**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: أشراط الساعة والنفخ في الصور والقيامة والشفاعة والميزان**

1 ـ أشراط الساعة
2 ـ النفخ في الصور
3 ـ القيامة
4 ـ الشفاعة
5 ـ الميزان.

- **المطلب الثاني: الحوض والصراط والجنة والنار**

1 ـ الحوض
2 ـ الصراط
3 ـ الجنة
4 ـ النار

الخاتمة

الفهارس.

1 ـ فهرس الآيات القرآنية.
2 ـ فهرس الأحاديث النبوية.
3 ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.
4 ـ فهرس الفرق والمذاهب.
5 ـ فهرس المصادر والمراجع
6 ـ فهرس الموضوعات.

المنهج المتّبع في البحث :

إنّ طبيعة الموضوع الذي قمت به تطلّب منّي أن أستخدم المنهج الوصفي الاستقرائي ، بالإضافة إلى المنهج التحليلي النقدي ؛ فبعد جمعي لأغلب المسائل العقدية في تفسير الشيخ ، قمت بترتيبها وتصنيفها وتحليليها ودراستها للوصول إلى منهجه العام في العقيدة.

هذا، وقد كانت طريقتي التي اتّبعتها في إعداد هذه الرسالة كما يلي :

1.قراءة مؤلّفات الثعالبي التي أمكنني الوقوف عليها المطبوعة والمخطوطة.

2.حصر مباحث العقيدة التي اشتمل عليها تفسيره وغيره، ثمّ جمع الأقوال التي تتعلّق بكلّ مبحث على حدة ، وجعلت لها عنوانًا يتناسب وما تدلّ عليه.

3.تناولت الحديث عن رأي الثعالبي في كلّ مسألة من المسائل بالتفصيل الذي يليق بها، مع ذكر موافقته للسلف أو الخلف من أهل السنّة والجماعة.

4.أحيانًا أكرّر الكلام الواحد للثعالبي في أكثر من موضع، وذلك لاشتماله على أكثر من مسألة من مسائل العقيدة، فأضطّر إلى إعادة الكلام وتكراره بما يقتضيه المقام.

5.الإشارة عند النقل من أيّ مصدر أو مرجع إلى اسم الكتاب ومؤلّفه، وإلى جزئه وصفحته، بالإضافة إلى ذكر المحقّقين أو الطبعات لهذه المصادر والمراجع-في الغالب-في أوّل ورودها، وفي فهرس المصادر والمراجع آخر الرسالة، هذا بالنسبة للمطبوعات، ورمزت للكتب التي لم يرد فيها تاريخ الطبع بـ(د.ت.ط)، وربّما اختلطت عليّ بعض الطبعات حين الإشارة إليها؛ أمّا المخطوطات فالتزمت-قدر الإمكان-الإشارة إلى مؤلّفها، وإلى رقم ورقتها، أو صفحتها، بالإضافة إلى ذكر مكان وجودها ورقمها في التصنيف، في أوّل ورودها، وفي فهرس المصادر آخر الرسالة. ورمزت للمكتبة الوطنية الجزائرية بـ(م.و.ج) اختصاراً للكلام وقد أشير إلى المخطوطات بالواسطة (نقلاً عن مصدر أو مرجع معيّن).

6.ضبطت الآيات القرآنية التي وردت في الرسالة، وبيّنت مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

7.عزوت الأحاديث التي وردت في الرسالة إلى مصادرها من كتب السنّة بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، مع الإشارة أحيانًا إلى درجة الحديث من خلال أقوال المحدّثين، إذا كان الحديث في غير الصحيحين أو أحدهما، لأنّ مجرّد العزو إلى الصحيحين أو أحدهما معلم بالصحّة مع الاعتراف هنا بقلّة زادي في علم الحديث.

8.ترجمت لأغلب الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة بما في ذلك الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأهل العلم، اللهمّ إلاّ من لم أجد له ترجمة فأصرّح حينها بعدم الوقوف عليه.

9.عرّفت بالفرق والمذاهب التي ورد ذكرها في الرسالة تعريفًا موجزًا.

10.شرحت أهمّ المفردات اللغوية والمصطلحات العلمية مستعينًا في ذلك بالمعاجم اللغوية وكتب الاصطلاح.

11.قمت بوضع فهارس علمية عامّة للرسالة تعين القارئ على الرجوع إلى المراد منها بيسر وسهولة، وهي تشمل ما يلي :

- فهرس الآيات القرآنية مرتّبًا حسب سور القرآن الكريم.
- فهرس الأحاديث النبوية مرتّبًا حسب الحروف الهجائية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم مرتّبًا حسب الحروف الهجائية.
- فهرس الفرق والمذاهب مرتّبًا حسب الحروف الهجائية.
- فهرس المصادر والمراجع مرتّبًا حسب الحروف الهجائية.
- فهرس الموضوعات. وقد بيّنت فيه أبواب الرسالة، وفصولها، ومباحثها، وما تضمّنته من فروع وجزئيات.

وبعد : فإنّي أحمد الله تعالى على توفيقه لي في إتمام هذا البحث الذي شعرت بفائدته الكبيرة منذ أن بدأت فيه، فبفضله قرأت وعرفت كثيرًا من كتب العقيدة ومسائلها وغيرها من الكتب بعد أن كنت جاهلاً بها.

الباب الأول
الثعالبي
تفسيره ومنهجه
في العقيدة

الفصل الأول
الثعالبي
عصره وحياتـه

المبحث الأول
عصر الثعالبي والتعريف به

من مسلمات البحث العلمي أن يتأثر الشخص بالأحوال والظروف المحيطة به ويكون لها دخل كبير في حياته بداية من التربية والتكوين اللذان يتلقاهما في البيت والمسجد إلى الروح العامة السائدة، والكتب التي يقرأها والأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. كل ذلك عوامل أساسية في تكوين شخصيته وتعيين منهجه، ومن هنا كان لابد علينا ونحن ندرس حياة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وآرائه الكلامية من خلال تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن أن نلقي نظرة عاجلة وموجزة على عصره الذي عاش فيه من الناحية السياسية والثقافية والدينية..، وأثر ذلك عليه إيجابا أو سلبا.

المطلب الأول: الحالة السياسية

1 ـ الحالة السياسية

أحاطت بالمغرب العربي الإسلامي في القرن التاسع الهجري أخطار عديدة وخطيرة، فقد عرف صراعا بين ثلاث دول رئيسية هي الحفصية والزيانية والمرينية.

يضاف إلى هذا: التطاحن العائلي، فكل أسرة من الأسر المذكورة كانت في خصومة داخلية مستمرة على الملك والصولة.

ولو اقتصر الأمر على النزاع الإقليمي أو العائلي لهان الأمر ولكنه أخطر، ذلك أنّ الإسبان والبرتغاليين بدأوا يهدّدون مدن ساحل إفريقيا، خاصة بعد طردهم للمسلمين من الأندلس .

ولتوضيح هذه الفكرة أكثر نترك الدكتور أبو القاسم سعد الله [1] يشرح لنا الأمر، حيث يقول[2]: «وبالرغم من أن القرن التاسع كان عهد إنتاج ثقافي وغيره، فإنه على المستوى السياسي كان عهد إضراب وتدهور، ذلك أن الحدود السياسية لجزائر القرن التاسع لم تكن مضبوطة وثابتة؛ وكلمة الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلا على مدينة ساحلية قليلة الأهمية، ولم تكن بأي حال (القطر الجزائري) المعروف الآن.

---

(1) هو: الدكتور سعد الله، أبو القاسم، من مواليد بلدة قمار، بوادي سوف سنة 1931م، درس بمسقط رأسه، ثمّ انتقل إلى تونس والقاهرة لإكمال دراسته، كان عضوًا في بعثة الطلبة الجزائريين، تحصّل على شهادة دكتوراه دولة عام 1965م بالولايات المتحدة الأمريكية، بعد تقديم رسالة عنوانها(صعود الوطنية الجزائرية). انظر: مقدّمة كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر ط(2) 1982م.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري: د.سعد الله أبو القاسم 28/1، المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر، ط(2) 1985م ؛ الجزائر في مرآة التاريخ لعبد الله شريط، ومحمد الميلي ص: 89 -مكتبة البعث قسنطينة ط(1) -1965م؛ تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي 23/1 دار الثقافة-بيروت ط(6) 1403هـ-1983م.

فهذا المفهوم (لكلمة الجزائر) لم يصبح معروفا إلا منذ القرن العاشر أي أثناء الحكم العثماني، بل إن عبارة المغرب الأوسط التي أطلقها العرب المسلمون لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية، لأن هذه العبارة وأمثالها المغرب الأدنى، المغرب الأقصى، كانت غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب العربي.

وتثبت خريطة القرن التاسع السياسية أن المغرب العربي كان تحت نفوذ ثلاث دول رئيسية هي: المرينية(1)، والزيانية (2)، والحفصية(3)... »- إلى أن يقول-: « أما وسط القطر الجزائري الحالي(4)، فقد كان منطقة عازلة بين الحفصيين والزيانيين، ومن ثمّ كان منطقة صراع دائم بين القوتين، ولذلك ظهرت فيه إمارات محلية صغيرة كانت تحتفظ بحيادها أحيانا ولكنها في أغلب الأحيان تتبع الأقوى »

ثم يقول: « ويضاف إلى هذا التطاحن الإقليمي تطاحن عائلي مرير وطويل . فكل أسرة من الأسر المذكورة المرينية، والزيانية، والحفصية كانت في خصومة داخلية مستمرة على الملك والمصولة. فالإبن ضد أبيه، والأخ ضد أخيه، وابن العم ضد ابن عمه، والفرع الفلاني ضد الفرع الفلاني وهكذا ..، ووسط هذا التمزق العائلي كان الأدعياء والمتآمرون والمستفيدون يزيدون النار حطبا، ولم يكن هذا الحطب سوى العامة التي كانت تطير لكل هيعة وتنصت إلى كل ناعق، وبذلك كثرت الحروب وسادت الفوضى وعمت اللصوصية وارتخى حبل الأمن .

ويواصل حديثه بقوله: « ولعله لو اقتصر النزاع على الإقليمية أو العائلية لهان الأمر، ولكنه أخذ طابعا دوليا أيضا، ذلك أن عددا من ثغور المغرب العربي قد احتلها البرتغاليون والإسبانيون وأصبحت الثغور الأخرى، وحتى المدن الداخلية مهددة باحتلالهم إلى أن يقول: « ...وكان ضغط الإسبان خاصة على مسلمي الأندلس

---

(1) تأسست على إثر سلسلة من الغارات ضد الموحّدين، على يد: أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني سنة 668 هـ 1269م ؛ انظر: تاريخ الجزائر العام 98/2

(2) قامت على يد بني عبد الواد، وهم من قبيلة زناتة، أبناء عم المرينيين، ولكنهم كانوا عكس هؤلاء، يخدمون الخلافة الرسمية بإخلاص، وأوّل من استقل بالحكم: يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أبو يحي، بويع له يوم مقتل أخيه زيدان بن زيان سنة 633 هـ ؛ انظر: بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون 204/1 تقديم وتحقيق وتعليق: د. عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية -الجزائر 1400هـ-1980م ؛ تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان): محمّد بن عبد الله التنسي، تحقيق وتعليق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، والمكتبة الوطنية الجزائرية 1405هـ-1985م.

(3) يعود تأسيسها إلى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني (ابن يحي بن محمد)، جد ملوك الحفصيين، أصحاب تونس، اشتهر بموالاته للإمام المهدي بن تومرت، ثم للخليفة عبد المؤمن الكومي ولابنه من بعده. توفي سنة 618 هـ ؛ انظر: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس لمحمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار ص: 153 دار الميرة للصحافة والطباعة والنشر - بيروت، مؤسسة سعيدان -تونس ط(3) 1993م؛ تاريخ الجزائر العام ص: 43

(4) هي المنطقة التي ولد فيها الشيخ عبد الرحمان الثعالبي

قد حمل هؤلاء على الهجرة إلى سواحل المغرب العربي مما قلّب الميزان الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فيه » [1].

ويذكر لنا المؤرخ يحي بن خلدون[2] كثيرا من تلك النزاعات والصراعات القائمة بين الأسر الحاكمة، مما يظهر بحق حاله الاضطراب السياسي، وعدم الأمن والاستقرار ..

فعند ذكره لدولة السلطانين: أبي سعيد(*)، وأبي ثابت (*) ابني عبد الرحمان ابن يحي بن يغمراسف بن زيان اللذان ملكا تلمسان سنة 749 هـ نراه ينقل لنا بعض تلك الأحداث، والذي يهمنا فيها: مواطن الثعالبة، حيث يقول: « ثم دخل -أبو ثابت- بجميع عربه متيجة، فأخذ الجزائر ..، وطوع الثعالبة .. »[3] وفي موضع آخر: « .. فخرج السلطان أبو ثابت بقبيلة الأعز، فأخذ الثعالبة في معقلهم أخذا وبيلاً »[4].

وتتوضح الصورة أكثر من خلال أبيات الشاعر الجزائري[5] التي أشار من خلالها إلى الأحوال التي ألمت بمدينة الجزائر بعد أن كان العيش فيها رغدا:

دع الجزائر لاتحلل بساحتها ... في ذا الزمان لاتنزل بواديها
كدنا لأجل حلول الحادثات بها ... نختار والله للسمن بواديها
من بعد عيش هنيٍّ عَمَّ ساكنها ... وبعد عافية حلّت بواديها
وجلّ ما ضرها من أهلها نفر ... هم في الحقيقة أضحوا من أعاديها
مدّ الإله عليها ظلّ عافية ... مثل التي قد رأتها في مباديها

---

(1) لمزيد من التفصيل في هذه الفكرة انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج(1) الفصل الأول، فقد توسع المؤلف في بيان الجانب السياسي والثقافي لحالة المغرب العربي

(2) هو: يحي بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن خلدون الحضري المغربي، أبو زكريا، مؤرخ، ولد بتونس سنة 734 هـ. وسكن فاس، واستكتبه السلطان ابن زيان واعتقل ببونة، ثم قُتِل بتلمسان. من آثاره: بغية الروّاد في أخبار بني عبد الواد وأيام أبي حمّو الشامخة الأطوار، وهو شقيق المؤرّخ عبد الرحمان بن خلدون. انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: إسماعيل باشا البغداداي 187/1 تصحيح: محمّد شرف الدين بالتقابا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية -بيروت لبنان ؛ الأعلام 211/9، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي 527/2 دار الكتب العلمية -بيروت 1413هـ-1992م ؛ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 228/13 اعتنى به وجمعه وأخرجه: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط(1): 1414هـ -1993م. أو دار إحياء التراث العربي -بيروت.

(*) هما ولدا: عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان، من ملوك بني عبد الواد ملكا تلمسان سنة 749 هـ، انظر: بغية الروّاد 242/1

(3) بغية الروّاد 244/1 -باختصار وتصرّف.

(4) نفس المصدر السابق 246/1 ؛ تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ص: 249-251

(5) نقلا عن كتاب تاريخ الجزائر الثقافي 32/1-33

2 ـ الحالة الثقافية

يعتبر إنتاج القرن التاسع الهجري على الرغم من حالة الاضطراب السياسي من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي، ومن أخصب عهودها بأسماء العلماء والمؤلّفات.

ويحسن بنا هنا أن ننقل كلام د. سعد الله توضيحاً لذلك، حيث يقول: « وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر وَجَدْتُ أنّ عددهم في القرن التاسع يفوق عددهم في القرون الباقية متفرّقة، ولا سيّما القرن العاشر الذي عرف نقصًا كبيرًا في عدد العلماء وفي المؤلّفات..، وكثير من إنتاج القرن التاسع كان موضع عناية علماء القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده ونحو ذلك، وكثير من علماء القرن العاشر كانوا تلاميذ أوفياء لعلماء القرن التاسع »(1).

كان هذا بالنسبة للإنتاج العلمي؛ أمّا بالنسبة للمؤسسات العلمية فقد كانت تكثر وتنمو باستمرار، ممّا يدّل بحقّ أنّ القرن التاسع الهجري عرف نموًّا ثقافيًا مستمرًّا رغم اضطراب الحياة السياسية بالمغرب العربي آنذاك.

يقول د. سعد الله: « ووسط هذه الصورة المضطربة للحياة السياسية كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها وتشعّ بمدارسها ومساجدها ثقافة يتغذّى منها المجتمع روحيًا وعقليًا...، وكان التعليم بجميع مستوياته منتشرًا في المدارس والمساجد وفي الزوايا التي أخذت تنتشر، وكانت حلق الدروس حول كلّ أستاذ مشهور سواء في المدرسة أو الجامع أو في الزاوية هي المنبع الذي ينهل منه تلاميذ وطلاّب القرن التاسع، وهو نفسه المنبع الذي ظلّ يغذّي أجيال المتعلّمين المسلمين بثقافة تقليدية، ولكنّها كانت تحتوي على شرارات كامنة في انتظار الفرصة(2).

ومن هذه المدن مدينة الجزائر التي اشتهرت بزاهدها وعالمها عبد الرحمان الثعالبي.

3 ـ الحالة الدينية والاجتماعية

إنّ ما تميّز به القرن التاسع الهجري في الجزائر هو ظهور عقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوّف.

يقول د. سعد الله: « ولا شكّ أنّ وجود هذه الظاهرة كان يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف الدولة أمام الانحلال الداخلي والخطر الخارجي. حقًا إنّ التصوّف قد ظهر في المشرق قبل ذلك بقرون ووجد طريقه إلى المغرب العربي في حينه ولا سيما مذهب الغزالي فيه الذي كان له في الموحّدين أنصار ودعاة، ولكن المبالغة في الاعتقاد في

---

(1) تاريخ الجزائر الثقافي 27/1-بتصرف

(2)تاريخ الجزائر الثقافي 34/1 ؛ 165/1-بتصرف ؛ تاريخ الجزائر العام 237/2

الشيخ وابتداع الحضرة والأوراد وغيرها والالتفاف حول زاوية ذلك الشيخ أو ضريحه كلّ هذه أمور تكون وليدة القرن التاسع وما بعده.. » [1].

وقد أدّت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وانتشار الزوايا والأضرحة إلى نتيجتين خطيرتين:

أولاهما: تبسيط المعرفة.
وثانيتهما: غلق باب الاجتهاد.

ذلك أنّ نقل التعليم إلى الزوايا قد أدّى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه بطريقة جافة ريفية ضيقة، وأصبحت الزاوية بذلك تنافس المدرسة والجامع (الجامعة) في نشر التعليم وفي كسب الأنصار.

وبدل أن يلتفّ النّاس حول العلماء المتنوّرين في المدارس والمساجد أصبحوا يلتقون في زاوية حول شيخ أو مقدّم تغلب على عقله الخرافة وعلى أحواله الزهد. وهكذا تدهور مستوى التعليم، وهذه المنافسة بين العالم والمرابط أو الجامع والزاوية قد أجبرت أيضًا علماء المساجد والمدارس على تبسيط آرائهم وطرقهم في التعليم ومحتويات دروسهم حتّى لا يفرّ الطلبة إلى الزوايا والمرابطين؛ فالتنافس إذن كان من أجل البحث عن الأتباع وضمان لقمة العيش وليس من أجل رفع مستوى التعليم أو المساهمة في ترقية الحياة الفكرية، ولا شك أنّ التعليم الذي يقوم على هذه الأسس لا يترك مجالاً للاجتهاد وحرية الرأي والبحث وراء المجهول وإعطاء تفسيرات حرّة وفلسفية لقضايا الدين والعصر.

وهكذا اكتفى العلماء بالشقشقة اللفظية والاقتصار على الفروع دون الأصول » [2].

وخلاصة القول أنّ عصر الشيخ -رحمه الله- قد شهد في هذه الفترة القلقة المفعمة بالاضطرابات السياسية وعرف إبّانها الأطماع الأجنبية؛ سرت في جميع أجزائه روح غريبة جعلت الشعب يقبل إقبالا لم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة ويتناقل خرقهم للعادات وأخبارهم بالمغيّبات واحتجابهم عن الأنظار ..إلى غير ذلك من التخاريف. وهو مأخوذ كأنّه قد أصابه مسّ من الجنّ، ثم نجده يندفع في زيارة قبور هؤلاء الأولياء وأضرحتهم، ويقيم حلقات الذكر حول قبابهم، وتتشكل بهذه الطرق الصوفية التي ملأت البلاد من أقصاها إلى أقصاها بكلّ ما عرف لها من نظام كهنوتي دقيق يضمّ النّقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والمريدين »[3].

ويمكن القول أن القرن التاسع الهجري قد تميز بسمات بارزة، جعلت منه أوفر عصور الجزائر إنتاجا علميا وثقافيا..، رغم الصراع الداخلي المتمثل في الدويلات

---

(1) تاريخ الجزائر الثقافي 36/1، 37
(2) تاريخ الجزائر الثقافي 37/1، 38 -بتصرّف.
(3) تاريخ الجزائر الثقافي 37/1، 38 -بتصرّف.

القائمة آنذاك (الحفصية، الزيانية، والمرينية)، وكذا الخطر الخارجي، والمتمثل في الحملات الأجنبية (البرتغالية والإسبانية) على الشمال الإفريقي.

ونستطيع أن نوجز هذه السمات في النقاط التالية:

• كثرة التأليف واتساع حركتها، فقد عرف هذا العصر كما هائلا من الإنتاج الوافر في المعارف المختلفة، فهو تراث يحتوي على مراجع كثيرة، فمن علوم الفقه والأدب إلى أصول الدين والتصوف والتراجم والسير وغيرها..، ومن ثم فلا غرو أن يسمى هذا العصر بعصر الموسوعات والمجاميع(1).

• غزارة التأليف لكل عالم كانت ظاهرة منتشرة، وسمة بارزة لهذا العصر، فالجمع بين عدة علوم يعد مفخرة بين العلماء، فلا نكاد نجد في سيرة عالم إلا وقد جمع بين علوم النقل والعقل، وعلوم الظاهر والباطن؛ وهم فعلاً كانوا كذلك يأخذون من كل علم بطرف ويثبتون ذلك في تآليفهم أيضا، إذ يذكرون فيها الطرائف والنوادر والأخبار والحكايات والاستطرادات المتنوعة (2).

• لكن هذا كله لم يمنع من بروز سمة واضحة، صارت هي النزعة السائدة، أعني النزعة الدينية المغلقة بالخرافة، وانسحاب الشعب من الحياة والانطواء على الذات والهروب إلى التصوف المختلط بالدروشة والخرافة، ولعل الحياة الاجتماعية القاسية التي عاشها الشعب ساعدت على انتشار هذه النزعة.

تعقيب موجز على كلام د. سعد الله:

يقول الدكتور الفاضل أبو القاسم سعد الله وهو يتحدّث عن الحالة الدينية والاجتماعية وموقف الثعالبي وتلميذه السنوسي منها: « ورغم شهرة كليهما ومكانته فإنّ كلاً منهما كان يحث على العزلة والهروب من الدنيا وعلومها والاهتمام بعلوم الآخرة والتفرّغ لها، ويجد دارس حياة كلّ منهما نموذجًا للعالم الزاهد الذي استعمل علمه لا لنقد أحوال النّاس المعاشية والتنبيه على الخطر في المجتمع بل على ما كانوا يجدونه من ظلم السلطان وسوء الأحوال وقد رويت عن كلّ منهما أخبار ونصائح ومواعظ بعضها صحيح وبعضها مكذوب ولكنّها جميعًا صورة لعقيدة النّاس في القرن التاسع وما بعده »(3).

إنّ هذا الكلام من الدكتور سعد الله حول موقف الثعالبي من أحوال النّاس المعاشية والتنبيه على نقاط الخطر في المجتمع، فيه نوع شدّة وقسوة في حكمه على الشيخ، ذلك أنّ الثعالبي قد عبّر في مواضع من تفسيره وبصراحة عن غيرته الدينية، بل وانتقد حكام المسلمين وتركهم للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدليل على صحّة هذا ما نجده عند تفسيره قوله تعالى: {**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ**

(1) آداب اللغة العربية لجورجي زيدان 241/3
(2) تاريخ الجزائر الثقافي 15/1
(3) تاريخ الجزائر الثقافي 38/1

كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[1].

حيث يقول: « واعلم رحمك الله أنّ أصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدوّ، هوحبّ الدنيا وكراهية بذل النفوس لله، وبذل مهجها للقتل في سبيل الله، ألا ترى إلى حال الصحابة -رضي الله عنهم- وقلّتهم في صدر الإسلام، وكيف فتح الله بهم البلاد، ودان لدينهم العباد، لمّا بذلوا لله أنفسهم في الجهاد، وحالنا اليوم كما ترى عدد أهل الإسلام كثير، ونكايتهم في الكفّار نزر يسير.

ويستشهد بما رواه أبو داود في سننه عن ثوبان[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قطعتها فقال قائل: أوَّمِنْ قلّة نحن يومئذٍ ؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنّكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله: وما الوهن ؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت »[3]، فانظر رحمك الله، فهل هذا الزمان إلاّ زماننا بعينه، وتأمّل حال ملوكنا إنّما همّتهم جمع المال من حرام وحلال، وإعراضهم عن أمر الجهاد، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون على مصاب الإسلام »[4].

ويتّضح الأمر أكثر حين نعرف بأنّ الثعالبي قد كتب إلى بعض تلامذته ومريديه برسالة في الجهاد[5] يحثّهم ويحرّضهم فيها، خاصة وأنّ تهديدات الإسبان على سواحل شمال إفريقيا بدأت تلوح في الأفق.

إنّ كلام الثعالبي السابق عن الجهاد ونقده حكام المسلمين وتأسّفه على حال المسلمين، ورسالته التي يحثّ فيها الشعب للدفاع عن كرامة الوطن وردّ عدوان هؤلاء الغزاة دليل واضح وقاطع على متابعته الأحداث السياسية والاجتماعية في المنطقة.

والدكتور الفاضل سعد الله نفسه يصرّح بأنّ الثعالبي وتلميذه السنوسي كانا لا يرتاحان إلى الحكام ولا يقربونهم ولا يخالطونهم، وهذا نصّ كلامه: « ويكفي أن نعرف أنّ السنوسي كأستاذه الثعالبي قد اتّجه نحو علوم الآخرة والروحانيات

---

(1) سورة آل عمران: 146

(2) هو: ثوبان الهاشمي، مولى النبي-صلّى الله عليه وسلّم-، صحبه ولازمه، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة 54هـ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص: 74 مترجم برقم(858) اعتنى به: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط(1): 1416 هـ-1996م.

(3) سنن أبي داود (صحيح سنن المصطفى) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: كتاب الملاحم- باب: في تداعي الأمم على الإسلام 111/4 برقم (4297) راجعه وضبط أحاديثه: محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث العربي (د.ت.ط).

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 379/1

(5) وهي رسالة بسيطة العبارة، تحدّث فيها عمّا حدث لمسلمي الأندلس، وتهديدات الأسبان لشمال إفريقيا. وقد أشار إليها د. سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي 75/1، وخصّص لها دراسة في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ص: 201-211

والتصوّف، وكان لا يرتاح إلى الحكام ولا إلى مجتمع عصره لأنّ الزمان في نظره قد تبدّل وكثرت فيه الشرور، فوجب الفرار منه إلى الله والنجاة بالنفس من الانحراف السياسي والاجتماعي عند المسلمين »[1].

وفي موضع آخر يقول: « والابتعاد عن الحكّام الظلمة على حدّ تعبير محمد السنوسي كان شيمة كبار العلماء، ذلك أنّ الحاكم يريد تسخير العلماء لخدمته والدعاية لشخصه والكتابة باسمه ونحو ذلك ولعلّ من أسباب انعزال بعض العلماء والتجائهم إلى الزهد والتصوّف ضغط السلاطين عليهم مع جهرهم بالظلم والطغيان والسكوت على المنكر والفساد، فقد وجدنا عالمًا مثل عبد الرحمان الثعالبي درس أحوال العصر وتنقّل بين عواصم العالم الإسلامي ونهل من علوم وقته، ومع ذلك كان أمام عدّة حلول: أن يعلن الثورة على الأوضاع كما فعل المغيلي[2]، أو أن يهاجر من بلاده كما فعل المشدّالي[3] والونشريسي[4]، أو أن يصبح مدّاحًا للأمراء كما فعل الحوضي[5] والتّنسي[6] وابن القنفذ[7]، أو أن يعتزل النّاس جميعًا بما فيهم فيهم من أمراء وسوقة، ونحن نجده قد اختار الحلّ الأخير، وقد أشاد هو بالذين « لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم »، وكثير هم الذين اختاروا هذا الطريق، ومنهم تلميذاه[8] محمّد بن يوسف وأحمد بن عبد الله الجزائري »[9].

---

(1) تاريخ الجزائر الثقافي 87/1

(2) ستأتي ترجمته في مبحث تلامذة الشيخ

(3) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخ الشيخ

(4) هو: هو أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، علاّمة، حامل لواء المذهب المالكي في وقته، من تآليفه: المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، وتعليق على ابن الحاجب الفرعي، توفي سنة 914 هـ وعمره نحو 80 سنة. انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص: 135، 136 إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه: طلاّب من كلّية الدعوة الإسلامية، منشورات كلّية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، ط(1): 1398 هـ-1989م.

(5) هو: محمّد بن عبد الرحمان الحوضي، فقيه، أصولي، شاعر، له نظم في العقائد، شرحه الإمام السنوسي، وله غيره قال الونشريسي " توفي في ذي القعدة عام 990 هـ بتلمسان " انظر نيل الابتهاج ص: 579 ؛ تعريف الخلف برجال السلف: محمّد بن أبي القاسم الدّيسي بن إبراهيم الغول الحفناوي، أبو القاسم 396/2 المكتبة العتيقة، ط(2) 1405هـ-1985م ؛ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمّد بن محمّد مخلوف ص: 254 دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت.ط) ؛ معجم المؤلفين 139/10 ؛ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن أبي مريم ص: 252 تحقيق: محمّد بن أبي شنب، الجزائر 1326هـ-1908م.

(6) هو: أبو عبد الله محمّد بن عبد الجليل التنسي، عالم فقيه، حافظ أديب. من تآليفه: الدرر والعقيان في في دولة آل زيان. توفي سنة 899 هـ ؛ انظر نيل الابتهاج ص: 572، 573.

(7) هو: أحمد بن حسن بن عليّ بن الخطيب، الشهير بابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس، ولد سنة740هـ، من تآليفه: شرح الرسالة، وشرح ألفية ابن مالك، والفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، توفي سنة 810هـ. انظر: البستان ص: 308 ؛ نيل الابتهاج ص: 109برقم(84) ؛ شجرة النور 250/1 ؛ تعريف الخلف 32/1

(8) ستأتي ترجمتهما في مبحث تلامذة الشيخ

(9) تاريخ الجزائر الثقافي 46/1، 47

فهذا الكلام يؤكّد ما قلناه، اللهم إلاّ أن يريد الدكتور الفاضل أنّ الثعالبي لم يكن ممّن يثير العامة على حكّامهم والردّ عليهم على رؤوس الأشهاد، فللشيخ سلف كثير في هذا السلوك الصحيح.

وقد تراجع د. سعد الله بعد وقوفه على رسالة الثعالبي في الجهاد حيث يصرّح بقوله: « ولكن الرسالة التي بين أيدينا تبرز هذا الدور وبعبارة أخرى فإن الثعالبي قبل هذه الرسالة كان في نظرنا رجلاً سلبيًا متفرّجًا على الأحداث التي كانت تجري في عصره، أمّا بعد هذه الرسالة فقد أصبح في نظرنا رجلاً إيجابيا داعية خيرٍ وجهاد عمليًا في أفكاره وتصرفاته، بالإضافة إلى كونه رجل دين وصلاح وزهد وتصوّف »[1].

وهذه الرسالة تكشف عن: نظرة الثعالبي الدولية واطلاعه الواسع على أحوال العالم عندئذٍ، بالإضافة إلى معرفته الدقيقة بأحوال بلاده، فهو من جهة يتحدّث عن الروم في المشرق (القسطنطينية التي ضاعت من الروم منذ 1453م-857هـ) ويربط بين ما حدث لهم وبين وشوك هجومهم على سواحل المغرب العربي كما يتحدّث أيضاً عن دراية عن طبائعهم وترابطهم وحماسهم الشديد لدينهم وكرههم للمسلمين. وقد استعمل الثعالبي هذه النقاط لإثارة حماس قومه وإيقاظ مشاعرهم الدينية والرجولية للدفاع عن دينهم ووطنهم[2].

وقد اعتمد الثعالبي على رؤيا الرسول صلى الله عليه و سلم لإقناع العوام وأشباههم بوجوب الاستعداد لمقاتلة المعتدين على أوطانهم. ومن جهة أخرى تكشف عن: خبرة الثعالبي الدقيقة بشؤون الأسلحة الموجودة في عصره، وعن طرق الدفاع الحكيمة.

وخلاصة القول أن المغرب العربي ومنه الجزائر- إذ ذاك تعرض لهجمات عديدة استنزفت قوات سنوات طويلة.

وسط هذا الجو المضطرب، وهذه الحوادث الجسام كان مولد الشيخ عبد الرحمان الثعالبي.

المطلب الثاني: حياته الشخصية

1 ـ اسمه ونسبه

هو: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف -الثعالبي الجزائري-[3] وزاد أبو أبو راس[1] بعده: « ... بن طلحة، بن نوفل، بن عامر، بن منصور، بن محمد، بن

---

(1) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر القسم الأول ص: 203

(2)أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر القسم الأول ص: 206 -مع بعض التصرّف

(3) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمّد بن عبد الرحمان السخاوي 152/4 منشورات دار مكتبة الحياة -بيروت -لبنان ؛ نيل الابتهاج ص: 257-261 ؛ شجرة النور الزكية ص: 264، 265 ؛ فهرس الفهارس للكتّاني 131/2، 132 ؛ الحلل السندسية في الأخبار التونسية: محمّد بن محمّد الأندلسي، الوزير السراج 611/1-615 تقديم وتحقيق: محمّد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي 1984م ؛ تعريف الخلف 68/1-72 ؛ كشف الظنون لحاجي خليفة 1163/2 دار

سباع، بن مكي، بن ثعلبة، بن موسى، بن سعيد، بن مفضل، بن عبد البر، بن قيس، بن هلال، بن عامر، بن حسان، بن محمد، بن جعفر، بن أبي طالب بن عبد المطلب، بن هشام »[2].

2 ـ نسبه

وما ذكره أبو راس الجزائري يوحي بأن الثعالبي هاشمي، من آل بيت النبي صلى الله عليه و سلم غير أنّه لا يلبث أن يشكّك في النسب الذي نقله سابقا، بل ينكر ذلك، فقد أشار إلى أنّ الثعالبي من الثعالبة[3] الذين استوطنوا مدينة متيجة، وأنهم من اليمن: من عرب المعقل[4]، وممّن سار في هذا الاتجاه الدكتور عبد الوهاب منصور [5].

غير أن الإمام ابن حزم[6] رحمه الله يثبت أنّ ولد جعفر بن أبي طالب لهم عقب كثير، منهم: محمد، إسماعيل ...و ...، وهم بناحية متيجة »[7].

وأكّد السيد محمد الشريف المعسكري[8] نسب الثعالبي إلى آل البيت ـكما نقله عنه صاحب كتاب القول الأحوط[1].

الكتب العلمية ـبيروت 1413هـ-1992 ؛ إيضاح المكنون للبغدادي 117/3 ؛ هدية العارفين 132/5، 133 ؛ دائرة المعارف الإسلامية 199/6، 200 نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي، إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس (د.ت.ط).

(1) هو: محمّد بن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري، أبو راس علاّمة، محقّق، حافظ كان إماماً في المعقول والمنقول، ومرجعًا في الفروع والأصول، من تآليفه: شرح المقامات الحريرية ، كتاب التأسيس، توفي سنة 1238 هـ ؛ انظر: تعريف الخلف ص: 341، 342.

(2) عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الجزائري ـمخطوط بـ(م.و.ج) برقم (1633) ورقة:24

(3) الثعالبة: بطن ينتسبون إلى ثعلب بن عليّ بن بكر بن صفير، من العدنانية، كانوا يقيمون في الجزائر، ولهم ذكر في تاريخها ؛ كانت رياستهم في ولد: سباع بن ثعلب بن عليّ بن بكر بن صفير. وقد تتبّع ملوك بني عبد الواد هذه القبيلة بالقتل والسبي والنهب إلى أن دثرت في نهاية القرن الثامن الهجري، ولم يبق لها منذ ذلك التاريخ وجود ؛ انظر: دائرة المعارف لبطرس البستاني 316/6 ؛ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة 142/1 دار العلم للملايين-بيروت 1388هـ-1968م؛ تاريخ الجزائر العام 12/2

(4) عجائب الأسفار- مخطوط بـ(م.و.ج.) برقم (1633) ورقة: 24 (ظهر)

(5) قبائل المغرب لعبد الوهاب منصور 424/1 الطبعة الملكية بالرباط-المغرب 1388هـ-1968م.

(6) هو: عليّ بن أحمد بن حزم، أبو محمّد الظاهري القرطبي، إمام، علّامة، حافظ، فقيه..، ولد سنة 384هـ، من تآليفه: المحلّى، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وكان شديد اللجة على من خالفه، توفي سنة 456هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 184/18 ؛ تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي 1146/3 دار إحياء الثرات العربي ط(4) 1377هـ-1958م.

(7) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص: 44 راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ-1983م.

(8) لم أقف له على ترجمة

ويبدو - والله أعلم - أن نسب الثعالبي إلى آل بيت النبي ❐ صحيح، وذلك للقرائن التالية:

1.اتفاق جلّ المترجمين له على أنه جعفري هاشمي.

2.قاعدة:" أنّ الناس مصدّقون في أنسابهم".

3.ثم إنّ أبا راس الجزائري حينما أنكر هذا النسب، اعتمد على رأي ابن خلدون، ولكن بالرجوع إلى ما قاله ابن خلدون يوحي أنه لم يجزم بذلك، حيث قال: « وربما يقال: إن عرب المعقل الذين بالمغرب الأقصى لهذا العهد وفي زمانه ينتسبون فيهم » (2) فكيف يأخذ بالشك، ويترك اليقين والجزم ؟!

ومهما يكن فإنّ الثعالبي سواء كان من آل بيت النبي صلى الله عليه و سلم أم لم يكن، فإنّ ما اتّصف به من علم وأخلاق وزهد وعمل يجعله يرتقي إلى مصافّ العلماء الأجلاّء الذين اتّفقت الأمّة على علمهم وصلاحهم وورعهم، وخدمته الخالصة لمواطنيه تكفيه شرفا وتعظيما هو به جدير(3).

3 ـ مولده

وقد ولد الشيخ بمحل سكنى والديه، بواد يَسِّر سنة 785 هـ، وقيل سنة 786 هـ(4)، وبها شبّ وترعرع إلى أن أصبح شابًا حيث تعلّم على والديه ومعلّمي المدارس في وقته مبادئ العلوم الأولى.

---

(1) القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط -مجهول المؤلف مخطوط بـ(م.و.ج) برقم (3185) ورقة: 14

(2) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمان بن خلدون مج(2) قسم(1) ج519/3 دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة 1983م.

(3) صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي لنور الدين عبد القادر ص:171 نشر كلية الآداب الجزائرية 1385هـ-1965م.

(4) هناك اختلاف طفيف من طرف المترجمين له في تحديد سنة ولادته بالضبط، ويمكننا تصنيفهم إلى ثلاثة آراء، وهي:

الأوّل: وقد حدّد ولادته سنة 788 هـ-1386م ؛ انظر: دائرة المعارف الإسلامية 199/6، 200 ؛ فهرس المخطوطات العربية بالرباط-المغرب الأقصى 1938/2 (D 1262)

الثاني: وقد حدّدها سنة 783 هـ-1381م ؛ انظر: فهرس المخطوطات العربية بالرباط 2598/2 (D 1508)

الثالث: وقد حدّدها أواخر سنة 785 هـ أو بداية 786 هـ ؛ وهذا رأي أغلب المترجمين له، وبه نأخذ، خاصة وأنّ التنبكتي -وهو أقرب الناس عهدًا له، يقول: « فعمره نحو تسعين سنة ..، وقال زروق: ثلاث وتسعون، والأول أشبه لما تقدّم، وقد ذكر هو عن نفسه أنّه في عام أحد وأربعين وثمانمائة ابن خمس أو ستّ وخمسين سنة فاعرفه » ؛ انظر: نيل الابتهاج ص: 260

4 ـ أولاده وأحفاده

ولمّا بلغ سنّ الزواج تزوّج كغيره من الشباب وأنجب ثمانية أولاد، كلّهم من بطن أم واحدة اسمها « مريم » وهؤلاء منهم الذكور، ومنهم الإناث().

فالذكور أربعة، وهم:

1.محمّد الصغير، وقد توفي شهيدًا بالطاعون في أوائل سنة 846هـ-1442م.
2.محمّد الملقّب بـ « ابن الصالحين »، وقد توفي سنة 851هـ-1447م.
3.محمّد الكبير، وهو الذي سيرد اسمه في مرثية أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزائري لشيخه الثعالبي.
4.يحي، وبه كان يكنّى تكنية رسمية، بَيْد أنه اشتهرت تكنيته بـ « أبي زيد »، وهي تكنية اصطلاحية عند علماء النّسب الذين تقرّر لديهم بأنّ كلّ من اسمه عبد الرحمان يكنّى بأبي زيد.

وأمّا الإناث، فهنّ أربع أيضا، وهنّ: ـ فاطمة، رقية، محجوبة؛ وقد توفين كلّهنّ في سنة واحدة، وهي سنة 841هـ-1437م ؛ عائشة، وكانت في قيد الحياة سنة 851هـ-1447م؛ وكلّ هؤلاء الأبناء مدفونون « بمقبرة الطلبة »، حيث دفن أبيهم.

ومن أحفاد الشيخ المتّصلين بنسبه نجد:

أ-العلامة عيسى بن محمد بن أحمد بن عامر بن عياد الثعالبي، أبو مهدي، المتوفّى بمكّة سنة 1082هـ، وكان ولعا بالحديث رواية ودراية حتى قيل فيه بأنه: « خاتمة الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ »[1].

ب-ومنهم المسمّى بـ: « يخلفتين »[2].



(1) فهرس الفهارس 190/2
(2) أورده التنبكي في نيل الابتهاج ص: 488 ، حيث قال: « قرأت بخط سيدي يخلفتين حفيد الشيخ عبد الرحمان الثعالبي أن وفاته (الأبّي) سنة828هـ»

المبحث الثاني
حـيـــاتـــه الـعـلـمـيـــة

المطلب الأول: رحـــلاتـــه في طلب العلم وشيوخه

جرت عادة كثير من العلماء أن يؤرخوا لحياتهم، تعريفا بأنفسهم ونسبهم وميلادهم، ومرورا برحلاتهم إلى البلدان في طلب العلم وانتهاء بذكر شيوخهم وتلامذتهم وإجازتهم ومصنّفاتهم...إلخ، والثعالبي لم يخرج عن هذه القاعدة، فقد ألف فهرسا خاصا، أشار فيه إلى كل ذلك، وما يهمنا هنا هو: رحلته في طلب العلم، والتي دامت سنوات عديدة، تنقل فيها إلى بلدان إسلامية كثيرة، ويمكننا تقسيمها كالآتي:

1.**مدينة الجزائر العاصمة**: والتي ولد ونشأ بها، حيث تلقّى تربيته الأولى على يد والديه إلى أن شبّ وترعرع. يقول رحمه الله: « رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر من موضع يقال له يسر (بالياء المثناة من أسفل، وسين مهلة مفتوحة ومشددة وبعدها راء)، وهو: واد مشهور هناك، وذلك في أواخر القرن الثامن » ثم توجّه إلى:

2.**مدينة بجاية:** حيث دخلها سنة 802 هـ-1399م، وبقي فيها ما يقارب سبع سنوات تلقّى خلالها علوما شتّى على زمرة من العلماء، حيث يقول: « ثم تناهت بي الرحلة إلى بجاية فدخلتها عام اثنين وثمانمائة، فلقيت الأئمة المقتدى بهم في علمهم وورعهم ... »[1].ومن أهم العلوم التي حصلها في هذه الفترة:

علم تجويد القرآن أخذه من الشيخ أبو الربيع سليمان بن الحسن[2]، والفقه على يد المانجلاتي[3]، وعلمي المنقول والمعقول على يد النقاوسي[4].

ثم بعد هذا انتقل إلى:

3.**تونس**: حيث وصلها أواخر سنة 908هـ-1406م، أو أوائل سنة 810هـ-1407م، يقول: « ثم رحلت إلى تونس فدخلتها في أواخر عام تسعة وثمانمائة أو أوائل عام عشرة وثمانمائة ... »[5] وقد مكث بها حوالي ثمان سنوات، أخذ فيها العلم على يد جماعة من العلماء المشهود لهم بالرسوخ في العلم، وأجازوه فيما هو أهل أن يجاز فيه.

---

(1) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم(851) ورقة:38(ظهر)، 39
(2) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(3) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(4) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(5) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم(851) ورقة:38(ظهر)، 39

4.**مصر**: وقد توجّه إليها سنة 817 هـ-1414م، حيث تلقّى فيها عدّة علوم، وخاصة علم الحديث، وأجازه بعض علمائها، يقول: « ثم رحلت إلى المشرق، ودخلت مصر، فلقيت بها الشيخ أبا عبد الله محمد البلالي[1]، فسمعت عليه البخاري، وقرأت عليه كثيرا من اختصاره لإحياء علوم الدين »[2]. ولم تدم إقامته بها طويلا، بل توجّه إلى:

5.**مكة المكرمة**: وبها أخذ العلم عن بعض علمائها، حيث يقول: « ثم حضرتُ قراءة شيء من الموطأ بمكة »[3]، وهذا بعد ما أدّى مناسك الحجّ.

6.**ثم عاد إلى مصر ثانية:** يقول: « ثم رجعت إلى مصر، فحضرت مجلس أبي عبد الله البساطي[4] بها، وأكثرت الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي[5]شيخ المحدثين، فحضرت عليه علومًا جمة، ومعظمها علم الحديث، وفتح الله سبحانه لي فيه فتحا عظيما، وكتب لي بخطه وأجازني رحمه الله تعالى » [6].

7.**ثمّ إلى تونس**: وكان ذلك سنة 819 هـ-1416م، حيث أقام بها سنة، لازم خلالها حلقات جامع الزيتونة، يقول: « ثم رجعت إلى تونس فوجدت شيخنا أبا مهدي عيسى الغبريني[7] قد مات، وجلس في موضعه الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد القلشاني[8]، فأخذت عنه ولازمته مدة، وأخذت عن البرزلي[9] في المرة الآخرة رواية البخاري، لم يفتني من سماعه عليه إلاّ يسير »[10].

وفي هذه الفترة، لمع فيها نجمه، واشتهر ذكره، وعلا شأنه، حيث تمكّن من علوم عدّة، وخاصة علم الحديث، حيث يقول: « ولم يكن يومئذٍ بتونس من أعلمه يفوقني في علم الحديث، منّة من الله وفضلا، وإذا تكلّمت أنصتوا وتلقّوا ما أرويه بالقبول فضلاً من الله سبحانه، ثم تواضعًا منهم وإنصافًا وإذعانًا للحقّ واعترافًا به. وكان بعض فضلاء المغاربة هناك يقول لي: لمّا قَدِمْتَ علينا من المشرق رأيناك آية السالكين في علم الحديث، وذلك فضلاً من الله ومنّة منه سبحانه.. »[11].

---

(1) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(2) الجامع-مخطوط بـ(م.و.ج) برقم(851) ورقة: 38 (ظهر)، 39
(3) نفس المصدر والصفحة
(4) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(5) ستأتي ترجمته فب مبحث شيوخه
(6) نفس المصدر السابق والصفحة
(7) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(8) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(9) ستأتي ترجمته في مبحث شيوخه
(10) نفس المصدر والصفحة
(11)الجامع-مخطوط بـ(م.و.ج) برقم(851) ورقة: 38 (ظهر)، 39

8.**رجوعه إلى الجزائر**: وكان ذلك أواخر سنة 820هـ-1417م، وهذا بعدما غاب عن البلد العزيز حوالي عشرين سنة [1] قضّاها في طلب العلم، واكتناز المعارف. وهكذا استقرّ في مدينة الجزائر العاصمة، حيث تفرّغ لعبادة ربّه، وتعليم أهل بلده إلى أن وفاه الأجل.

2 ـ شيوخه

تتلمذ الثعالبي على يد نخبة من فطاحل العلماء وكبار الشيوخ الذين توافرت لديهم كلّ الخصائص العلمية والمواهب الفكرية، وكانوا أئمة في ميادين المعارف؛ وقد ذكر أنّه أخذ العلم عن عدد من هؤلاء العلماء، منهم:

1. **أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتلّ بن إسماعيل البلوي القيرواني التونسي الشهير بالبرزلي**[2]: نزيل تونس، وأحد أئمة المالكية بها. فقيه، حافظ، مفتي، محقق؛ استقلّ بإمامة الجامع الأعظم بعد الغبريني. ولد في حدود سنة 740هـ، وصف بشيخ الإسلام، قدم القاهرة حاجا سنة 806هـ. لازم ابن عرفة نحو 40 عاما، حيث أخذ هديه وعلمه وطريقته. من تأليفه: الديوان المشهور في الفقه، والنوازل وهي: فتاوى متداولة، الحاوي في النوازل، وتوفي سنة 841هـ.
2. **أحمد بن عبد الرحمن أبي زيد النقاوسي البجائي، أبو العباس**[3]: فقيه مالكي، له له مشاركة في علمي المعقول والمنقول؛ من تأليفه: « الأنوار المنبجلة في بسط أسرار المنفرجة »، قال فيه الثعالبي: « وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول، ذو الأخلاق المرضية والأحوال الصالحة السنية أبو العباس النقاوسي »[4].
3. **أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الشافعي العراقي، ولي الدين، أبو زرعة:** إمام عالم، محدث، من قضاة مصر، ولد سنة 762هـ-1361م، وتوفي سنة 826هـ-1423م، قال الثعالبي فيه:«وأكثرت الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي شيخ المحدثين، فحضرت عليه علوما جمة، ومعظمها علم الحديث، وفتح الله لي سبحانه فتحا عظيما، وأجازني وكتب لي بخطه رحمه الله تعالى»[5].

---

(1) التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمحمد بن ميمون الجزائري ص: 336 تقديم وتحقيق: د.محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر ط(2) 1981م.

(2) الحلل السندسية 701/1 ؛ الضوء اللامع 133/11 ؛ نيل الابتهاج ص: 368-370 ؛ شجرة النور الزكية ص: 180

(3) نيل الابتهاج ص: 111، 112 ؛ الحلل السندسية 791/1-801 هدية العارفين 118/1 ؛ كشف الظنون ص: 1347، وهو فيه " أحمد بن صالح بن عبد الرحمن البجائي "

(4) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم(851) ورقة: 123 (وجه)

(5) نفس المصدر السابق والصفحة ؛ جليس الزائر -مخطوط بـ(م.و.ج) برقم(2600) ورقة: 124 (ظهر).

4. **أحمد بن محمد الهنتاني التونسي، أبو العباس، شهر بالشمّاع**[1]: عالم، فقيه، محقق، أحد تلامذة ابن عرفة، تولّى النظارة على جميع قضاة الكور، له فتاوى في المعيار، وقع بينه وبين البرزلي نزاع في مسألة العقوبة بالمال، فالبرزلي يقول بالجواز، وهو يقول بالمنع، وألّف كل منهما رسالة في الرد على صاحبه. توفي سنة 833هـ.

5. **بلقاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدّالي البجائي**[2]: إمام، عالم، فقيه مالكي، قال التنبكي: « كان موصوفا بحفظ المذهب، وهو في بجاية كالبرزلي بتونس.. »[3].

6. **سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني، أبو الربيع** [4]: فقيه، مالكي، حافظ، محقق، قال الثعالبي فيه: « ومنهم شيخنا الولي الفقيه المحقق أبو الربيع سليمان بن الحسن، وعليه كانت عمدة تجويدي للقرآن »[5]، توفي سنة 845هـ– 1441م.

7. **عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، أبو زيد** [6]: محدث، عالم، فقيه، ومفتي بجاية، وأصولي، مفسر، من تآليفه: الجامعة في الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك، وتسمى:(الوغليسية)؛ وصفه الثعالبي: « بالفقيه الزاهد، الورع »، توفي سنة 786هـ- 1384م.

8. **عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي، أبو القاسم**[7]: إمام، عالم، فقيه، رحل إلى تونس عام 817هـ، وأقام بها أكثر من عام، نقل عنه الثعالبي في شرح ابن الحاجب.

9. **عبد الله بن مسعود بن علي القريشي التونسي، أبو محمد** [8]: شهر بابن القرشية، عالم، فقيه، توفي سنة 837هـ.

---

(1) نيل الابتهاج ص:111 ؛ شجرة النور الزكية 244/1 ؛ الحلل السندسية 610/1

(2) نيل الابتهاج ص: 150 ؛ معجم أعلام الجزائر ص: 55، 56

(3) نفس المصدر السابق ص: 150

(4) نفس المصدر السابق ص: 185 ؛ معجم أعلام الجزائر ص: 76

(5) الجامع -مخطوط بـ: (م.و.ج.) -الحامة برقم (851) ورقة: 123 (وجه)

(6) نيل الابتهاج ص: 248 ؛ شجرة النور الزكية 237/1 ؛ وفيات بن قنفذ ص: 62 ؛ تعريف الخلف 68/1 ؛ معجم أعلام الجزائر ص: 73

(7) نيل الابتهاج ص: 270-274 ؛ شجرة النور الزكية ص: 252

(8) نيل الابتهاج ص: 230 ؛ الضوء اللامع 70/5

10. **علي بن عثمان المانجلاتي البجائي الزواوي، أبو الحسن** [1]: فقيه، حافظ، من علماء بجاية في المائة التاسعة للهجرة ؛ قال الثعالبي عنه: « وقد سمعت من شيخنا أبي الحسن علي بن عثمان المانجلاتي سيد علماء بجاية في وقته »[2] وقد تعلم عليه بمسجد عين البربر[3]. ونص على أنه أستاذه الأساسي، فقال: « وكانت « وكانت عمدتي في قراءتي بها على سيدي علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله »[4].

11. **علي بن محمد اليليلتي، أبو الحسن:** قال الثعالبي عنه: « ومنهم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد اليليلتي »[5].

12. **علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن هيدور** [6]: تادلي الأصل، وبجائي النشأة، فقيه مالكي، كان إماما في الفرائض والحساب، حسن الخط، له مسائل في فنون شتى، من تآليفه: شرح على تلخيص ابن البنا، وتقييدات على"رفع الحساب لابن البنا "، قال الثعالبي عنه: « وشيخنا علي بن موسى »[7] ، توفي سنة 816هـ-1414م.

13. **عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي، أبو مهدي** [8]: عالم، حافظ، فقيه، فقيه، ولي قضاء تونس، وإمامة جامع الزيتونة؛ قال الثعالبي عنه: « شيخنا أبو مهدي عيسى الغبريني، واحد زمانه علما ودينا، وإليه كانت الرحلة في زمانه »[9]، توفي سنة 815هـ.

14. **عيسى اليليلتي، أبو مهدي:** قال الثعالبي عنه: « وشيخنا الإمام المحقق، الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبو مهدي عيسى اليليلتي »[10].

15. **المعمر أبو عبد الواحد بن إسماعيل الغرياني** [11] .

---

(1) نيل الابتهاج ص: 332 ؛ تعريف الخلف 73/1 ؛ التعريف برحلة الثعالبي ضمن تفسيره 114/4
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 350/2
(3) التحفة المرضية في الدولة البكداشية ص: 338
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 350/2 ؛ الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم (851) ورقة: 124 (ظهر)
(5) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم(851) ورقة: 123 (وجه)
(6) نيل الابتهاج ص: 333 ؛ تعريف الخلف ص: 282 ؛ معجم أعلام الجزائر ص: 122.
(7) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم (851) ورقة:123 (وجه)
(8) نيل الابتهاج ص: 297، 298 ؛ الضوء اللامع 151/3 ؛ شجرة النور الزكية 243/1 ؛ الحلل السندسية ص: 669، 671.
(9) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم (851) ورقة: 123 (وجه)
(10) نفس المصدر السابق والصفحة
(11) نفس المصدر السابق والصفحة

16.**محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن محمد بن حسن بن غنائم بن مقدم ـ بكسر الميم ـ الطائي البساطي، شمس الدين، أبو عبد الله**[1]**:** إمام، فقيه، مالكي، ، قاضي القضاة، تولى القضاء بمصر سنة 823هـ، وأقام فيه 20 سنة متوالية لم يعزل منه؛ ولد سنة 768هـ-1367م، وصفه الثعالبي بأنه شيخ المالكية [2]؛ من تآليفه: المغني في الفقه، لم يُكْمِلهُ، وشفاء الغليل في شرح مختصر خليل، ومقدمة في علم الكلام، وتوفي ـ وهو يتولى القضاء ـ في رمضان سنة 842هـ-1448م، وصلّى عليه الحافظ ابن حجر.

17.**محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، البلالي أبو عبد الله، المعروف بالحفيد** [3]**:** فقيه، حجة في المذهب المالكي، نحوي، أصولي، حافظ للحديث، مفسر، ناظم ؛ من تآليفه: المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية، مختصر الحاوي في الفتاوى، أنوار الدراري في مكررات البخاري، قال الثعالبي عنه: « .. وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية، وفوق النهاية، لا أعلم له نظيرا في ذلك في وقته فيما علمت »[4]، توفي سنة 842هـ.

18.**محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني الأبّي، أبو عبد الله** [5]: إمام، محقق، حافظ، أخذ عن ابن عرفة ولازمه، تولى قضاء الجزيرة سنة 808هـ، من تآليفه: « إكمال المعلم في شرح مسلم »؛ وله «شرح المدونة»، قال الثعالبي عنه: « شيخنا مولاي الإمام الحجة الثقة، إمام المحققين الجامع بين حقيقتي المنقول والمعقول، ذو التصانيف البارعة والحجج الساطعة اللامعة »[6]. توفي سنة 827هـ.

19.**محمد بن عبد الله القلشاني الباجي التونسي، أبو عبد الله** [7]: إمام، فقيه، قاضي الأنكحة بتونس. أخذ عن ابن عرفة وغيره، ولد سنة 753هـ، قال الثعالبي عنه: « فأخذت عنه ولازمته مدة »[8]، توفي سنة 837هـ.

---

(1) نيل الابتهاج ص: 511-516 ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد 245/7 دار التراث العربي-بيروت (د.ت.ط) ؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي ص: 13، 14 دار المعرفة-بيروت (د.ت.ط) ؛ الضوء اللامع 5/7-8 ؛ شجرة النور الزكية 241/1

(2) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) -الحامة برقم (851) ورقة: 124 (ظهر)

(3) الضوء اللامع 50/7 ؛ نيل الابتهاج ص: 499-510 ؛ شجرة النور الزكية ص: 436 ؛ تعريف الخلف 124/1 ؛ فهرس الفهارس 394/1، 395

(4) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم (851) ورقة: 126 (ظهر)

(5) نيل الابتهاج ص: 487، 488 ؛ الضوء اللامع 182/11 ؛ شجرة النور الزكية 244/1 ؛ الحلل السندسية 686/1

(6) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم(851) ورقة: 126 (ظهر)

(7) الضوء اللامع 257/8 ؛ نيل الابتهاج ص: 496، 497 ؛ شجرة النور الزكية ص: 244

(8) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم (851) ورقة: 124 (ظهر)

20.يعقوب بن أبي القاسم الزغبي التونسي، أبو يوسف [1]: إمامٌ، عالمٌ، فقيه، محقّق، من أكابر أصحاب ابن عرفة. ولي قضاء القيروان، ثمّ قضاء الجماعة بتونس بعد أبي مهدي عيسى الغبريني، وتوفي بها سنة 833 هـ. قال الثعالبي عنه: « وشيخنا أبو يوسف يعقوب الزغبي »[2].

المطلب الثاني: تلاميذه ومؤلفاته

1 ـ تلامذتـــه

إمام كبير كالثعالبي، لابد أن يكون له تلاميذ ومريدون، عايشوه، ونهلوا من علمه. وقد تتلمذ على يده كثير من الشيوخ المشهود لهم بالعلم والدين، منهم:

1. **أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، الشهير بزروق** [3]: إمام، محدث، فقيه، صوفي..، ولد يوم الخميس 28 محرم سنة 846 هـ. حفظ القرآن، وتعلم صناعة الخرز، ولمّا بلغ 16 عاماً بدأ الدراسة على شيوخ عصره. من تآليفه: « شرح الوغليسية »، « وشرح القرطبية »، « والجنة للمعتصم من البدع بالسنة »، وجزء صغير في علم الحديث..

2. **أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري، شهاب الدين، أبو العباس**[4]: إمام، عالم، فقيه، متكلم، له نظم، أصله من قبائل زواوه ؛ ولد سنة 800 هـ-1398م، وتوفي بالجزائر سنة 884 هـ-1479م، من تآليفه: « كفاية المريد » في علم الكلام، وهي منظومة لامية تعرف بـ: المنظومة الجزائرية [5] في علم الكلام، تنيف على على 400 بيت، شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي.

3. **أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني، أبو العباس** [6]: تلميذه بالإجازة، إمام، فقيه، أصولي، مفسر، ناظم، ناثر..، توفي في صفر سنة 899 هـ. وقيل سنة 900 هـ-1494م. من تآليفه: «بغية الطالب في شرح عقيدة ابن ابحاجب»،

---

(1) نيل الابتهاج ص: 621، 622 ؛ شجرة النّور الزكّية 244/1 ؛ الحلل السندسية 612/1

(2) الجامع -مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم (851) ورقة: 123 (وجه)

(3) نيل الابتهاج ص: 130-134 ؛ البستان ص: 45

(4) نيل الابتهاج ص: 127، الضوء اللامع 374/1 وهو فيه: " الزواوي الملوي المغربي " ؛ شجرة النور الزكية ص: 265 ؛ تعريف الخلف 33/1 -37 ؛ كشف الظنون 1501/2، 1539، وفيه: وفاته سنة 899 هـ، هدية العارفين 136/1 وفيه: وفاته سنة 897 هـ.

(5) توجد منها نسخ بالعديد من الدول، منها: (م.و.ج) -الحامة -مخطوط برقم (68)، (642)، (711)، (711)، (750)، (1440)؛ دار الكتب الوطنية بتونس: 4710، 11/4974 ؛ انظر: مخطوطات المؤلفين الجزائريين بـ(م.و.ج) فهرس فانيا ـدراسة وتحليل أوقاسي ص: 177

(6) شجرة النور الزكية ص: 267 ؛ نيل الابتهاج ص: 129، 130 ؛ البستان ص: 38 ؛ تعريف الخلف ص: 38 ؛ كشف الظنون 1/ 1157 ؛ معجم أعلام الجزائر ص: 159 ؛ معجم المؤلفين 265/1 برقم(1919)

والمنظومة الكبرى في علم الكلام، تنيف على 1500 بيت. ومسائل في القضاء والفتيا، منقولة في المعيار وغيره.

4. **إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الجليل السنجاسي** [1]، أبو إبراهيم: تلميذه بالإجازة.

5. **عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي** [2]: هو من تلاميذه غير الجزائريين، التقى به في مدينة الجزائر وحضر دروسه، وقال: « سمعنا شيئا من فوائده، وسألته بعض الأسئلة كانت تشكل علي فأفاد فيها على أحسن وجه أتمه، ورأيت تفسيره، وقرأت عليه من أوائله بعض سطور وأجازني »[3].وقد ولد بملطية ـ بلدة على نهر الفرات بتركيا ـ سنة 844 هـ-1440 ، واشتغل بالتجارة مع الاعتناء بدراسة العلوم الدينية والأدب والطب، وتوفي بالقاهرة سنة 920 هـ-1514م، بعد خمس سنوات من التطواف في إفريقيا الشمالية والأندلس.

6. **عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الغبريني البجائي**[4].

7. **عليّ بن محمّد التالوتي الأنصاري، أبو الحسن**[5]**:** هو أخ الإمام محمّد بن يونس يونس السنوسي لأمه، فقيه، مالكي، حافظ. قال تلميذه الملالي: « كان محقّقًا متقنًا حافظًا..، قرأ عليه أخوه محمّد السنوسي في صغره، وما رأيته قطّ مشتغلا بما لا يعنيه، بل إمّا ذاكراً أو قارئًا للقرآن أو مشتغلا بالمطالعة »؛ توفي في صفر عام 895 هـ-1489 م.

8. **عيسى بن سلامة البسكري** [6]**:** هذا كلّ ما يعرف عن اسمه، كان حيا عام 860هـ-1456م من تآليفه: « اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار »[7]. ألفه بمدينة بسكرة، ولعلّ هذا هو السبب في تسميته البسكري، كما أنه يكون قد درس في تونس لذكره عددا من علمائها في كتابه؛ وله كتاب آخر حول: تاريخ إفريقيا مع أنه كان مهتما بالتصوف[8]؛ أما مكان وسنة وفاته فهي مجهولة.

9. **محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، أبو عبد الله** [9]: والمغيلي نسبة إلى قبيلة مغيلة البربرية، وهو: إمام عالم، فقيه، مفسّر، متكلّم، عرف بشدّة تمسّكه بالدين، والذود عن السنة، مع بسطة في الفهم والذكاء، وقعت له حوادث مع فقهاء وحكّام عصره حين قام ضدّ يهود توات وهدّم كنائسهم؛ من تآليفه: « البدر

---

(1) تاريخ الجزائر العام 275/2
(2) نشر رحلته معهد الدراسات الشرقية بكلية الآداب الجزائرية ج(7) سنة 1936م
(3) انظر هامش تاريخ الجزائر الثقافي 80/1
(4) تاريخ الجزائر الثقافي 58/1-74
(5) نيل الابتهاج ص: 341، 342، شجرة النّور الزكية ص: 266 ؛ معجم أعلام الجزائر ص: 120
(6) البستان ص: 210 ؛ تاريخ الجزائر الثقافي 68/1، 98، 100
(7) توجد منها نسخة مخطوطة بـ(م.و.ج) الحامة- برقم (2957)
(8) مخطوطات المؤلفين مخطوطة الجزائريين بـ: (م.و.ج) ص: 127
(9) نيل الابتهاج ص:576-579 ؛ البستان ص: 253-257 ؛ شجرة النّور الزكية ص: 274 ؛ فهرس فهرس الفهارس 12/2 ؛ تعريف الخلف 170/1- 173

المنير في علوم التفسير »، « مغني النبيل في شرح مختصر خليل، وحاشيته عليه سماها « إكليل المغني »، و« تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين »، و« مصباح الأرواح في أصول الفلاح »[1]، وغير ذلك.

10. **محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني، أبو عبد الله، الشهير بابن مرزوق الكفيف** [2]: إمام، عالم، وليّ، محدّث، من أعيان فقهاء فقهاء المالكية..، ولد ليلة غرة ذي القعدة عام 824هـ-1421م. وقد أجازه من مصر شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، قال السخاوي: « قدم مكة فأخذ عنه في الفقه وأصوله والعربية والمنطق في سنة 861هـ ». وعاد إلى تلمسان فأخذ عنه جماعة له ثبت يرويه عنه علماء العهد العثماني.

11. **محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي** [3]: وبه اشتهر، نسبة لقبيلة بالمغرب، الحسني: نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب، من جهة أم أبيه، التلمساني، العلامة، المتفنن، الصالح، الزاهد، العابد، المحقق، المقرئ..، ولد سنة 832هـ-1428م[4]، وتوفي سنة 895هـ-1490م. بتلمسان، يوم الأحد 18 جمادى جمادى الآخرة، عن ثلاث وستين سنة؛ من تآليفه: « العقيدة الكبرى » وشرحها، ثم « الصغرى » وشرحها، وعقيدته المختصرة أصغر من الصغرى، و« المقدمات » المبينة لعقيدته الصغرى، و« شرح الأسماء الحسنى »، وشرح كبير على« المنظومة الجزائرية ».. وغير ذلك.

12. علي بن عباد التستري البكري الفاسي المغربي[5]**:** ولد سنة 830 هـ؛ سمع الحديث على عبد الرحمن الثعالبي، من تآليفه: « لطائف الإشارات في مراتب الأنبياء في السموات » وهو في كراسة، ذكر في آخره أنه فرغ منه في ذي الحجة عام 880 هـ.

2.13 ـ مؤلفاته

---

(1) يوجد منها نسخة مخطوطة بالمكتبة بـ(م.و.ج) برقم (1508)، وقد طبع بالجزائر 1968، تحقيق رابح بونار، ونشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؛ انظر: مخطوطات المؤلفين الجزائريين بـ(م.و.ج) فهرس فانيان-دراسة وتحليل لعبد القادر أوقاسي ص: 292، 293 رسالة ماجستير.

(2) نيل الابتهاج ص: 576-579 ؛ فهرس الفهارس 197/1 ؛ معجم أعلام الجزائر ص: 182، 183 183

(3) نيل الابتهاج ص: 563-572 ؛ تعريف الخلف 176/1 ؛ هدية العارفين 216/2 واسمه فيه " محمد بن يوسف بن الحسن".

(4) لم تذكر مصادر ترجمته تاريخ ولادته بالظبط، وأما المذكور أعلاه، فهو ترجيح جمال الدين بوقلي بوقلي حسن في كتابه " الإمام محمد بن يوسف السونسي وعلم التوحيد ص: 57 المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر 1985م.

(5) نيل الابتهاج ص: 342 ؛ الضوء اللامع 273/5 وهو فيه " علي بن عياد البستريني " ؛ وجذوة الاقتباس 476/2

ترك الجزائريون أعمالاً هامة في كثير من التّخصّصات والعلوم والفنون خلال القرن 19هـ-15م، بعضها ما يزال مرجعا إلى اليوم؛ وهذا الجهد العلمي بقي محتفظًا بقيمته رغم مرور القرون عليه، والذي يعنينا هنا الآثار العلمية التي خلّفها الثعالبي، وهي تشمل العلوم الدينية: من تفسير، وقراءات، وفقه، وزهد، وسيرة وتراجم، وتاريخ، واللغة؛ وكلّ هذا ممّا يرفع من شأن الشيخ ومكانته وما أحسن ما صرّح به في هذا الشأن بقوله: « وينبغي لمن ألّف أن يعرّف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه، فيكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره ويسلم من الجهل به، وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزمان؛ وكم من فاضل انتشرت عنه فضائل جهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشأن»[1].

وهذه الآن حوصلة لأهم ما ألّفه :

الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مع الملحق به من شرح الغريب من المصطلحات والألفاظ اللغوية الواردة فيه، وكذا بعض المرائي التي اشتهرت في عصره. وهذا الكتاب هو موضوع بحثي، وسأخصّص لاحقًا مبحثًا خاصًا في التعريف به.

جامع الأمهات في أحكام العبادات [2]: وهو كتاب فقهي، جمع فيه مسائل كثيرة في باب العبادات، من أمّهات المصادر. أوّله: « الحمد لله ذي الجلال، الكبير المتعال...، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله ✞ عبد الرحمان الثعالبي لطف الله به في الدارين اللطف الجميل ...، فقد جمعت بحمد الله في هذا الكتاب مسائل كثيرة في مهمّات الدين جمعتها من أمهات الدواوين ... »[3] ؛ وكان الفراغ منه يوم السبت عند صلاة الظهر السابع عشر من شهر ربيع الأوّل من عام أحد وستين وثمانمائة »[4].

والكتاب من الحجم الكبير، يقع في 332ورقة [5]، مكتوب بخط مغربي، ولكن العديد من الأوراق في حالة سيئة. عدد أسطره من: 31 إلى 32 سطر، مقياسه: أ)- 216/287 مم ؛ ب)- 205/280 مم.

3. **غنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد** [6]: وهو فهرس من نحو كراسين، وهو ثبت ذكر فيه الشيخ مصنّفات الحديث التي اتّصلت به وبعض أسانيدها وأسماء مؤلفاته، ومدار روايته فيه على الحافظ وليّ الدين العراقي -لقيه بمصر سنة

---

(1) الجامع -مخطوط بـ(م-وج) الحامة برقم (851) ورقة: 142 (ظهر)
(2) مخطوط بـ(م.و.ج) الحامة برقم (583)
(3) نفس المصدر السابق ورقة: 73 (ظهر)
(4) نفس المصدر السابق ورقة: 332 (ظهر)
(5) هو الرقم الذي وجدناه عند اطّلاعنا على المخطوط، خلافاً لما ورد في تعريف فانيان له، حيث حدّده بـ: 326 ورقة
(6) فهرس الفهارس 131/2، 132

817 هـ -، والمعمر أبي محمّد عبد الواحد بن إسماعيل الغرياني، وابن مرزوق الحفيد ..

4. **رؤية الإمام الثعالبي**[1]: أوّلها : « إخواني وفّقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ولطف بنا وبكم »؛ في مجموع، من الورقة 74/أ إلى 74/ب، مسطرتها 58، مقياسها 215/315، خطّ مغربي رديء ؛ فرغ منها يوم السبت ثامن ربيع الأنور سنة 1281 على يد عبد الرحمان بن علي الحسني.

5. **الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة** [2]: أوّله: « الحمد لله الذي نوّر قلوب أوليائه بأنواره، وجعلها معدن الحكمة ومحل أسراره ». ذكر مؤلّفه في ديباجة كتابه هذا أنّه لمّا وقف على الأربعين حديثا التي انتخبها الشيخ عبد العظيم المنذري في اصطناع المعروف إلى المسلمين، وقضاء حوائج الملهوفين، وعلى شرحها وتخريجها للشيخ أبي عبد الله محمّد السلمي الشافعي، رغب في تلخيص جميع ذلك وتقريبه وجمعه وترتيبه مع ما يقتضيه الحال من زيادة أو تنبيه. قال: وإن فرغت من ذلك أردفته بتحرير تصنيف مشتمل على أبواب حسان يلذّ سماعها ويروق معناها.

وبعد انتهاء المؤلف من إيراد الأربعين وشرحها ـ كما ذكر ـ قال: « وها أنا إن شاء الله أذكر ما وعدت به من جمعي بجملة أبواب مستحسنة مفيدة مشتملة على أحاديث مختارة في غير ما فنٍّ، يستعين بها السالك المريد لحرث الآخرة ».

أورد فيه مؤلّفه عدّة أبواب وفصول قيّمة من الوعظ والتذكير. والكتاب متوسط الحجم، مكتوب بخطّ مغربي، أبوابه وتراجمه بالأحمر. أوراقه: 135/ 0/22، 0/23 18 ؛ وقع الفراغ من نسخه عام 1292م على يد كاتبه محمّد بن أحمد الصائغ.

6. **الأنوار في آيات ومعجزات النّبيّ المختار** [3]**:** أوّله: « الحمد لله ذي الجلال الكبير المتعال ... » إلى أن يقول ... « والقصد أن نثبت إن شاء الله في هذا الكتاب

---

(1) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى). القسم الثاني (1921-1953) ج(2) ص: 318-319 برقم 2598 (D1508) ؛ كما يوجد منها -مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (1546)، عدد أوراقها 16، من الحجم الصغير، من 09 أسطر، 10 أسطر، مقياسه 108/158مم، مكتوب بخطّ مغربي، كبير نوعاً ما ؛ فهرس مخطوطات خزانة القرويين 69/4 عنوانها: (مرائي الشيخ الثعالبي) برقم 1367/2

(2) فهرس مخطوطات خزانة القرويين 329/4 برقم (1622)، (214) ؛ ويوجد منه: مخطوط بـ: (م.و.ج) الحامة برقم (876) فهرس فانيان. الرقم التسلسلي في مجموع: 5، رقم الأوراق: 86 (وجه) - 235(وجه) مكتوب بخط مغربي، عدد أوراقه 150، مقياسه: أ) - 148/192مم ب) - 150/202مم ؛ فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) 37/1 برقم (678) (D1602)، 50(38/3ك) في مجموع: من ورقة 1/ب إلى 17/أ، سطورها 23، مقياسها 205/150، مكتوبة بخطّ مغربي جميل ؛ ألمانيا: مكتبة رشيد الدحداح ضمن مكتبة الدولة ببرلين: 66 ؛ تونس: دار الكتب الوطنية بتونس: 3637 ؛ المغرب: دار الكتب الناصرية بتمكورت: 2722

(3) مخطوط بـ: (م.و.ج.) ـ الحامة ـ برقم ( ) ؛ فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح 85/1، برقم (821) (D 583)

أمّهات المعجزات ومشاهير الآيات الدالّة على عظيم قدره عند ربّــه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ».أوراقه: 279، سطوره 20، مقياسه 220-300، مكتوب بخطّ مغربي.

7. **الدّر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات** [1]**:** أولّه: « الحمد لله ذي الجلال، الكبير المتعال ...إلى أن يقول ...وها أنا أثبت فيه بحول الله وقوّته جواهر ونفائس تُلِين القلوب، وتوجب إذعانها لعلام الغيوب انتخَبْتُهَا من كتبٍ جمّة من كتب الأئمّة وثقات أعلام هذه الأمة، عسى الله سبحانه أن ينفع به الجميع، ولم أقصد فيه أنواع من الترتيب، بل جعلته بساتين وروضاتٍ للعارفين. »؛ أوراقه: 151، سطوره 25، مقياسه 220-315، مكتوب بخطّ مغربي وتوجد منه نسخة أخرى[2]: مكتوبة بخط مغربي، عدد أوراقها 187، سطورها 25 مقياسها: 150-190.

8. **روضة الأنوار ونزهة الأخيار** [3]**:** وهو كتاب نفيس، جمع فيه جواهر ونفائس اختارها من كتب كثيرة مع تحرّيه الدقة والأمانة في النقل، وعزوه إلى أربابه، حتى اجتمع له من ذلك جماعة صالحة في أنواع وفنون من العلوم كثيرة « كلها ممّا يهزّ القلوب ويوجب خضُوعَها وإذعانها لعلام الغيوب، معينة بتوفيق الله مُطالعها على التزوّد والتأهّب للدار الآخرة »[4].

أولّه البسملة...الحمد لله الذي نوّر قلوب أوليائه بأنواره، وجعلها معدن الحكمة ومحلّ أسراره، أمّا بعد أيّها الأخ أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين وجعلني وإياك من أوليائه المتقين ...إلى أن يقول: « فمن حصّل كتابي هذا مع كتابي في التفسير المسمّى بـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن فقد حصّل خزانة من العلم لا يقدّر قدرها، والله الموفّق بفضله »[5] ؛ والكتاب[6] من الحجم الكبير، يقع في: 184 ورقة، مكتوب بخطّ مغربي واضح سطوره 21، مقياسه: أ)- 237 184مم ؛ ب)- 237 179مم

---

(1) مخطوط بـ: (م.و.ج.) برقم (2780) ؛ فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) 214/1 برقم (1227) (D 622)

(2) فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة برباط الفتح 214/1 برقم: 1228 (D 667)

(3) مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (884)

(4) نفس المصدر السابق ورقة: 1 (ظهر)

(5) مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (884) ورقة: 2 (وجه)

(6) توجد منه نسخة أخرى بـ: (م.و.ج.) برقم (536)، الرقم التسلسلي في المجموع: 4، رقم الأوراق 21 (وجه)، 22 (ظهر) ذكر فيه جملة من الأذكار والدعوات، و هي أربعون حديثا، ونبذ مختارة في بعض مناقب مالك وأصحابه ومن بعدهم من أهل مذهبه، مقياسه: أ)- 154/212مم، مكتوب بخط مغربي ب)- 149/204مم

9. **الجامع الكبير الملحق بشرح ابن الحاجب الفرعي** [1]**:** وهو نحو عشرة كراريس من القالب الكبير، فيه فوائد، وهو كتاب ملحق بشرح ابن الحاجب الفرعي، حيث ذكر فيه: طبقات الفقهاء من المالكية، وخصّص قسماً لذكر رحلته في طلب العلم، وأهم شيوخه وإجازاته، وخَتَمَهُ بالوعظ وأحوال الصالحين وأقوالهم وأحوال الآخرة ؛ أوراقه: 206، مختلف ما بين 22 - 23 سطر، مقياس أ)- ------؛ ب)- 146/201مم مكتوب بخط مغربي.

10. **المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع** [2]**:** وهو كتاب يتعلّق بعلم القراءات.

أوله: « البسملة .. الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعله لأهل الفهم المستمسكين به من أعظم الأسباب ... وبعد فيقول العبد الفقير .. إنّي قصدت في هذا التقييد جمع فوائد أحادي بها الدرر اللوامع في (أصل) مقرإ الإمام نافع .. » للشيخ أبي الحسن علّي المعروف بابن برّي.

وهو شرح جامع لما تفرّق في غيره من الشروح، ويمتاز عنها بتنبيهات وتحرير مسائل مع المعمول به في قراءة الإمام نافع مع رواية قالون وورش، وقد ألفه سنة 842 هـ ؛ أوراقه 52، مختلف ما بين 22 - 28 سطر، كامل. مكتوب بخطّ مغربي مع بعض الضبط بالشكل، مقياسه: أ)- 147/202مم ؛ ب)- 142/196مم.

وقد طبع - مع شكل المتن - بالجزائر بالمطبعة الثعالبية، سنة 1324هـ/1906م طبعة حجرية لصاحبيها أحمد بن مراد التركي وأخيه.

11. **العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة** [3]**:** أولّه: « البسملة .. الحمد لله المنفرد بالبقاء، الدائم الذي حكم على خلقه بالموت والفناء ... »؛ ابتدأ جمعه وتأليفه في أوائل ذي القعدة من سنة 849 هـ، وقد بلغ حينها نحو من 63 سنة ؛ أوراقه: 310، 21 سطر، كامل مع وجود تمزّق في الورقة الأخيرة عند نهاية المخطوط، مقياسه: أ) - 312 210 مم ؛ ب) - 305 210 مم؛ مكتوب بخطّ مغربي مع بعض الضبط بالشكل؛ وقد طبع بالمطبعة الحميدية المصرية سنة 1317هـ-1899م طبعة حجرية، ومجلد في جُزأين.

---

(1) مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (851) غير أنّ فانيان في فهرسته يذكر أنّ هذه النّسخة قد تكون تحريرًا أولياً لكتاب (العلوم الفاخرة) وبخط المؤلّف ؟ حيث انتهى منها أواخر محرّم 847 هـ ورقة: 46 (ظهر)، وعلى ورقة: 204 (وجه) على الهامش في أواخر صفر 847هـ فالله أعلم بالصواب ؛ انظر: مخطوطات المؤلفين الجزائريين بـ: (م.و.ج): فهرس فانيان لعبد القادر أوقاسي ص: 168

(2) معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ليوسف الياس سركيس ص:661 مطبعة سركيس بمصر 1346هـ-1928م ؛ Geschichte der Arabisher Litterature / Brockelmam II/351- ؛ توجد نسخ من المخطوط بـ: تونس: مكتبة الزيتونة بتونس I /173، مصر: دار الكتاب المصرية بالقاهرة: 23 (رقم المخطوط في الفهرس 231). وورد عنوانه: شرح المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع ؛ انظر: مخطوطات المؤلفين الجزائريين في (م.و.ج.) ص: 165

(3) مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم(850) ؛ مخطوطات المؤلفين الجزائريين بـ: (م.و.ج) ص: 165

12. **رياض الصالحين وتحفة المتّقين**[1]**:** وهو كتاب خاص بالعقائد والزهد، جيّد في بابه، تحدّث فيه عن أمور الآخرة والحِكَم والمواعظ والأدعية، نقل فيه أقوال العلماء من الزّهاد والصالحين، فضلا عن أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم ؛ أوّله: « البسملة .. الحمد لله ذي الجلال الكبير المتعال، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله خير صحب وآل ... أمّا بعد أيها المسترشد السائل عن وجه خلاصه وما يقرّبه من ربّه، أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ... » إلى أن يقول: «وقد سمّيت كتابي هذا برياض الصالحين وتحفة المتقين، جمع فنوناً من العلوم وفوائد جمّة لمن يريد حرث الآخرة أسأل الله أن ينفعني وإياكم به ويجعله خالصاً لوجهه ومبلّغاً لمرضاته وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً »؛ أوراقه: 207، سطوره 21، مقياسه: أ) - 160/201 مم؛ ب) - 158/210 مم ؛ مكتوب بخطّ مغربي مع بعض الضبط بالشكل، كامل، من الحجم المتوسط.

13. **رياض الأنس في الرقائق سِيَر أهل الحقائق**[2]**:** أوّله: «الحمد لله الذي جلّ عن الأفعال القبيحة، وتنزّه عن شبه الخليقة ... »؛ صفحاته /474، مسطرته / 19، مقياسه 210 / 160، بخط مغربي جيّد ملوّن. فرغ من نسخه في 13 جمادى الأولى سنة 1200 هـ ؛ وتوجد منه ثانية[3]: في مجموع من الورقة 1/ب إلى 58/ب، مسطرته /35، مقياسه 315/205. فرغ من كتابته سنة 1281 هـ، بخطّ مغربي وسط؛ وتوجد أيضا ثالثة [4]: به ورقات 140، مسطرته 21، مقياسه 165/220. فرغ منه صبيحة يوم الجمعة 12 شعبان 1259 هـ، بخط محلّى بالأوان ؛ وتوجد منه رابعة [5]: به ورقات 12، مختلف ما بين 4-19 سطر، بخط مغربي مقياسه: أ) - 194/268 مم ؛ ب) - 185/261 مم.

---

(1) مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (883)، وتوجد نسخ منه بـ: بريطانيا: مكتبة المتحف البريطاني بلندن (1438)، تونس:-دار الكتب الوطنية بتونس برقم (78)، (596)، (4337)، مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس -ضمن دار الكتب الوطنية- (17901) (قطعة منه)، ليبيا: مكتبة جامعة قار يونس المركزية ببنغازي (929)، مصر: -دار الكتب المصرية بالقاهرة- (43) (ملحق)، رقم المخطوط في الفهرس (3023)، المغرب: -دار الكتب الناصرية بتمكورت- (1948)، -المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان- (443)

(2) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى). القسم الثاني، ج (1) /172 برقم (1096) (D1508)

(3) نفس المصدر السابق. القسم الثالث، ج(1)/248 برقم (3475) (D1992)

(4) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) القسم الثاني، ج(2)/68 برقم (1939) (D1039)، وهذا الكتاب "رياض الأنس.." -كما قاله المفهرسان للمخطوطات العربية بالرباط-: " منسوب لأبي المفرج عبد الرحمان بن عليّ ابن الجوزي البكري البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة 597 هـ-1201 م حسبما يوجد في هذه النسخة، وفي النسخة التي لدينا تحت عدد (1096) (1508 د) منسوب لعبد الرحمان بن محمّد الثعالبي الجزائري المتوفّى سنة 875 هـ والغالب أنّه لهذا الأخير " نفس المرجع السابق قسم (03) ج248/1

(5) مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (537)، -فهرس فانيان- الرقم التسلسلي في المجموع 2، رقم الأوراق 2 (ظهر) -13 (وجه).

14. **شرح ابن الحاجب الفرعي:** وهو كتاب فقهي يقع في سِفْرَين. جمع فيه نخب كلام بعض العلماء مع جواهر المدوّنة وعيون مسائلها، يقول : « وابتدأت جمع هذا الكتاب[1] في عام سبعة وخمسين وثمان مائة جعله الله خالصا لوجهه ومبلغا إلى جنّاته؛ وقد بلغت في السنّ في هذا الوقت نحوا من ثلاث وسبعين سنة، وها أنا أنتظر أجلي والوقوف على كريم رحيم، أرجو من جزيل فضله بلوغ أملي والعفو والتجاوز عن سوء ما قدمت من عملي، عاملنا الله وإياكم بفضله، وجعلنا من خاصة أوليائه، وقد جمعت قبل هذا تصانيف بحمد الله مفيدة، فمنها:

أ. الجواهر الحسان في تفسير القرآن مع الملحق به من الغريب والمرائي، وهي نيف عن ستّين، فمن لم تقع بيده ووجدها عند غيره فليحقها بالتفسير المذكور، بعد الغريب. ومنها:
ب. الأنوار في معجزات النّبيّ المختار.
ت. والأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة.
ث. ورياض الصالحين.
ج. والتقاط الدّرر.
ح. والدّر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات.
خ. والعلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة.
د. وشرحنا لابن الحاجب الفرعي.
ذ. والجامع الكبير الملحق به.
ر. وإرشاد السالك كتاب صغير.
ز. والأربعون حديثا مختارة.
س. وجامع الفوائد وغنيمة الوافد.
ش. والمختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع.
ص. وكتابنا هذا الذي نحن فيه.

وهذا ما يسّر الله سبحانه على يدي جعله الله عملاً خالصاً لوجهه. وينبغي لمن صنّف تصنيفاً أن يعرّف به حتى لا يكون تأليفه مجهولا، لأنه إذا كان مجهولاً سقطت الثقة به، وقد قلّ الاعتناء في هذا الزمان بالعلم. وكان العلماء فيما مضى يعتنون بتعريف العلماء وتصانيفهم وتاريخ وفاتهم كما فعل عياض[2] في مداركه وابن خلكان[3] والقضاعي[4] وغيرهم، وقد عرّفت برحلتي وبمشايخي في الجامع الملحق

---

(1) جامع الأمهات في أحكام العبادات - مخطوط بـ: (م.و.ج.) برقم (583) ورقة: 2 (وجه)
(2) ستأتي ترجمته في مبحث المصادر التي اعتمدها الثعالبي في تفسيره
(3) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، قاضي القضاة، شمس الدين، أبو العباس، البرمكي، الإربلي، الشافعي، ولد سنة 608هـ، كان فاضلاً، بارعًا، عارفًا بالمذهب، حسن الفتاوى، بصيرًا بالعربية، والشعر وأيام الناس، من تآليفه: وفيات الأعيان، توفي سنة 681هـ. انظر: طبقات السبكي 14/5 ؛ شذرات الذهب 371/5
(4) هو: محمد بن سلامة بن جعفر بن عليّ القضاعي، الشافعي، الفقيه، العلّامة، قاضي مصر، من تآليفه: شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية، توفي سنة 454هـ. انظر:

بشرح ابن الحاجب لمّا سألني ذلك بعض الفضلاء، ويُخلص الإنسان لله نيته في قوله وفعله مستعينا بالله سبحانه في جميع أموره لا إلله غيره، ولا خير إلاّ خيره، وما أقبح حال عبد يُرائى بأعماله وأقواله عبداً ضعيفاً مثله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً »[1].

وللثعالبي قصائد وقطع من الشعر[2]، متفرقة هنا وهناك، فمنها قوله ـ يحذر من الدار الفنية، ويدعو إلى الدار الباقية:

وإن امرؤ أدنى بسبعين حجة ... جدير بأن يسعى معدا جهازه
وأن لاتهز القلب منه حوادث ... ولكن يرى للباقيات اهتزازه
وأن يسمع المصغي إليه لصدره ... أزيرا كصوت القدر يبدي ابتزازه
فما بعد هذا العمر ينتظر الذي ... يعمره في الدهر إلا اغتراره
وليس بدار الذل أخو حجى ... ولكن يرى أن بالعزيز اعتزازه

3 ـ المناصب الإدارية التي تولاها:

قيل: إنّ الثعالبي قد تولىّ منصب القضاء بالجزائر ومشيختها ولكنه تخلىّ عنه وفضّل القيام بالتعليم، وهذا من حسن اختياره وفهمه، حيث رأى بأن القضاء والمشيخة موجود من يقوم بهما ويتولىّ مهامهما، ولكن بقي في مقدوره ووسعه إرشاد الناس وإفادتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم[3] وقيل أيضا: « إنه كان إماما خطيبا بالجامع الأعظم، ولازال المنبر وعصا الخطبة موجودين إلى الآن »[4].

4 ـ وفاته ومدفنه وأقوال العلماء فيه

أ ـ وفاته

توفي الشيخ بمدينة الجزائر العاصمة سنة 876 هـ[5]، ودفن خارج باب الوادي[1] في مكان مرتفع، وقبره مشهور معروف لدى الجزائريين إلى يومنا هذا.

سير أعلام النبلاء 92/18 برقم(41) ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان 212/4-213 تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر-بيروت؛ شذرات الذهب 293/3

(1)جامع الأمهات في أحكام العبادات ـ مخطوط بـ: (م.و.ج.) برقم (583) ورقة: 2 (وجه)

(2) نقلا عن التحفة المرضية في الدولة البكداشية ص: 343

(3) صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ص: 171 ؛ تاريخ الجزائر العام 273/2

(4)صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ص: 172، 173 ؛ تاريخ الجزائر العام 274/2

(5) هناك اختلاف طفيف من قبل المصادر التي ترجمت له في تحديد سنة وفاته بالضبط، ويمكننا تصنيفها إلى ثلاثة آراء هي:

الأول: وقد حدد وفاته سنة 873 هـ-1468م. وعليه فعمره حينها هو: 85 سنة، وهذا ما جاء في: دائرة المعارف الإسلامية 199/6، 200، وفهرس المخطوطات العربية بالرباط 1938/2 (1262 D)

الثاني: وقد حددها سنة 873 هـ-1468م، فعمره على هذا هو 90 سنة، باعتبار أن ولادته كانت سنة 783هـ -1381م، كما سبقت الإشارة إليه. وهذا ماجاء في فهرس المخطوطات العربية بالرباط 2598/2 (1508 D)

ب ـ مراثي العلماء له

إن شهرة الثعالبي ومكانته في قلوب الجزائريين وغيرهم، في حياته وبعد وفاته، وإلى يومنا هذا جعلته يحظى ببعض المراثي عرفانا له واعترافا بمكانته وعلمه وورعه..

ومن هذه المراثي: مرثية القاضي محمد بن مالك له[2]، في قصيدة [3]طويلة بدأها بغزل رقيق جريا على العادة، ثم تخلّص من ذلك إلى مدح الثعالبي وتعداد مناقبه، وكون مدينة الجزائر قد أصبحت به مأوى الأولياء، كما عدد مؤلّفاته وقدرته على رواية الحديث، ووصف ضريحه ومقامه في نفوس الناس، ثم انطلق بعدها إلى مدح النبي صلى الله عليه و سلم وتعداد معجزاته..

وهي تبدأ بقوله[4]:

أيا جيـرة حلّوا بخـير مقـــــام ... لـكم قد صـبا قـلبي وطـاب مقـام
سعـدت فبشرى إذ منـحت بحبكم ... وذاك مـــنـاي في الـــدنا ومـــرام

إلى أن يقول:

ومـا صبوتي فيمن رأوه حقيقـــة ... ولـكنني أصبو بحـــب إمـــــام
أبو زيـد القـطب الأجـل الثعـالـــبي ... إمـــام الـورى طرا بكل مـقـــام
سليـل خيار أحـرزوا الفضل والنـدا ... وأعـطوا نجـــارا في البـرية ســـام
لهـم كـل فضـل ينـتمي وجنابـــهم ... وعنصـــرهم أصـل لـكل فخـــام
حـباهـم إله العـرش كل فـضيلـــة ... وأربـو على أهـل السـهى بهمـــام

ونضيف إلى ذلك مرثية أحمد بن عبد الله الجزائري[1] في شيخه وصديقه عبد الرحمان الثعالبي، وهي من أقوى قصائد الرثاء في وقتها. وقد تناقلها الرواة فتعددت نسخها، وهي تبدأ هكذا:

الثالث: وقد حددها سنة 876هـ، وهذا هو رأي أغلب المترجمين له، وعليه فعمره حينها هو 90 سنة أو ما يقاربها. وهو الرأي الذي نميل إليه ونرجحه، خاصة وأن "التنبكتي" وهو أقرب الناس عهدا به ـ يقول: « فعمره نحو تسعين سنة... وقال زروق: ثلاث وتسعون، والأول أشبه لما تقدم من ولادته، وقد ذكر هو عن نفسه أنه في عام أحد وأربعين وثمانماية ابن خمس أو ست وخمسين سنة فاعرفه » ؛ انظر: نيل الابتهاج ص: 260 ؛ ويقول السخاوي: « ومات في سنة ست وسبعين أو في أواخر التي قبلها عن نحو تسعين سنة رحمه الله، أفاده لي بعض الفضلاء من المغاربة » ؛ الضوء اللامع 152/2

(1) رحلة بن حمادوش (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال) لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ص: 126 تقديم وتحقيق وتعليق: د. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الطبع المتعددة، ورشة زبانة-الجزائر 1983م.

(2) هو: علي بن أحمد الشريف بن مالك الجزائري ؛ انظر: تعريف الخلف ص: 263

(3) يقول د.سعد الله: « إطلعنا من هذه القصيدة على نسختين: نسخة مكتبة جامع البرواقية رقم: 49 مجموع، ونسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ك 2867، وهي في مائة وثلاثة أبيات » ؛ تاريخ الجزائر الثقافي 291/2، 292

(4) يوجد نصها في تعريف الخلف 263/2-268 فانظره هناك

لـقد جزعت نـفسي لـفقد أحبتـي وحـقّ لهـا من مـثل ذلك تجـــزع

إلى أن قال:

لـقـد بـان أهـل العلم عنا وأقفرت منـازلهـــم إنـــا إلى الله نرجـــــع
كـمـا بـان عـنا شـهمنا العـــالم الذي سـنـاه بأنـوار الحـقيـقة يسطـــع
أبـو زيد المـشهور بالـعلم والـتقـي لـــه العـلـم فيـــنا والمـقام المرفـــع
صبـور كريم النـفس يـكسى مـهابة فـما أن يـراه المرء إلا ويخـضـع
إذا مـــابدا كالبـدر بيـن أصحابـه وهـم هـالة دارت بـه حـين يطلـع
بمـجلسـه نـور ورائـق لـفظـه ضيـاء نـفيس الـدّر بـل هو أرفـع
فـوائـده تترى علـيـهم وكلّـهـا لهـا عند أهـل العلم والفهم مـوقـع
مجـالس علم قـد مضت فلو أنّـها تـعود ولكـن مـا مضى ليس يـرجع
نـتيـجـة إخـلاص وصدق كأنّـهـا سـهـام بـها تـمى القلوب فتخشع
ويـلـمـع في أثـنائها بـمواعـظ تنـفّر عـن فـعل القـبيح وتـردع
أعـزي أبا عبـد الإله محمـدا ومـن بجـميل الصـبر نـرجو سيجمع
ونحـن وإن كـنّا جميـعا نحبّـه فـقـلبك أشـجى للفـراق وأوجـع
أصبـنا به فالله يعـظّم أجرنـا ويـلـهمنا الصـبر الجميل ويوسـع
فـيا سيـدي إنّي رثـوتك راجيـا سلـو قليـب من فـراقك موجـع
ولي فيـك حـبّ زائـد متمـكّن حـوتـه سـويداء الفـؤاد وأضلـع
لـئـن كـان حظّ العـين مـنـك فـقدْتَـهُ فـإنّـني بـرؤيا الروح في النـوم أقنـع

5 ـ ثناء العلماء ومدحهم له

حضي الثعالبي بمنزلة رفيعة بين العلماء في وقته، وحتّى الذين جاءوا من بعده، وكلّهم أثنوا عليه خيرا لما جمعه من الفضائل والخصال، وهذه أقوال العلماء فيه تعلي من شأنه وترفع من قدره:

قال التنبكي(2) فيه: « الشيخ الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع وليّ الله الناصح الصالح العارف بالله أبو زيد، شهر بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة، كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين » (3).

ويقول أيضا: « وهو ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح » (4).

وقال الشيخ زروق: « شيخنا الفقيه الصالح، والدين عليه أغلب من العلم، يتحرّى في النقل أتم التحري، وكان لا يستو فيه في بعض المواضع »(1).

---

(1) توجد منها نسخة برقم ك 2867 مجموع الخزانة العامة ـ الرباط؛ وأخرى في مخطوط رقم: 49 بجامع البرواقية ـ المدية ـ انظر: تاريخ الجزائر الثقافي 74/1

(2) هو: أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت التنبكتي. عالم فقيه مؤرخ، مشارك في علوم كثيرة ولد سنة 963 هـ، اشتغل بالتدريس والتعليم مدة طويلة، من تآليفه: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، واختصره في كتاب سماه كفاية المحتاج، توفي سنة 1036 هـ. انظر: مقدمة نيل الابتهاج ص: 11-18 ؛ فهرس الفهارس 76/1 ؛ معجم المؤلفين 145/1

(3) نيل الابتهاج ص: 257

(4) نفس المصدر السابق ص: 258

وقال ابن سلامة البسكري البكري: « كان شيخنا الثعالبي رجلا صالحا زاهدا عالما عارفا وليا من أكابر العلماء، له تآليف جمة أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا بشراء ولا عوض، عاوضه الله بالجنة »[2].

وقال غيره: « سيدنا ووسيلتنا لربنا الإمام الولي العارف بالله » [3].

وقال الإمام السخاوي[4]: « وكان إماما علامة مصنفا.. » [5].

ووصفه الكتاني[6] بقوله: « هو الإمام بركة الجزائر عالمها ومسندها، وليّ الله »[7].

وحلاه شيخه محمد بن خلفة الأبيّ -في إجازته له بـ: « الصاحب الفقيه المجيد الأكرم.. »[8].

وكذا حلاه شيخه الحافظ ابن مرزوق الحفيد ـ في إجازته له بـ: « سيدي الشيخ الأجل الفقيه الأقبل والمشارك الأحفل المحدث الرواية الرحالة الأفضل الحاج الصالح المبارك الأكمل.. »[9]، وحلاه في أخرى بـ: « سيدي الشيخ الفقيه الصالح المبارك الحاج المحدث الرواية الأكمل »[10]، وحلاه في أخرى بـ: « سيدي وبركتي الشيخ الإمام الفقيه المصنف الحاج الصالح المبارك الخيّر الديّن الأكمل..»[11].

---

(1) نفس المصدر السابق ص: 257
(2) نيل الابتهاج ص: 257
(3)نيل الابتهاج ص: 257
(4) هو: محمد بن عبد الرحمان بن محمد السخاوي، أبو عبد الله: العالم، المحدّث، المؤرّخ، ولد سنة 831هـ، من تآليفه: الجواهر والدرر، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، توفي سنة 902هـ. انظر: التاج المكلل ص: 439-440 برقم(480) ؛ معجم المؤلفين 399/3 برقم (13996)
(5) الضوء اللامع مج(2) ج152/4
(6) هو: محمد بن أبي الفيض جعفر الحسيني الإدريسي الكتاني، أبو عبد الله، الإمام الفقيه المحدّث العلّامة المحقّق، من تآليفه: نظم المتناثر في الحديث المتواتر، فهرس الفهارس. انظر: مقدمة كتابه نظم المتناثر ص: 01 دار المعارف-حلب سورية (د.ت.ط).
(7) فهرس الفهارس 131/2
(8) الجامع-مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (851) ورقة: 126 (ظهر)
(9) نفس المصدر السابق ورقة: 128 (ظهر)
(10) نفس المصدر السابق ورقة: 129 (وجه)
(11) نفس المصدر السابق ورقة: 132 (ظهر)

وحلاه شيخه ـ شيخ المحدثين ـ أبو زرعة ولي الدين العراقي بقوله: « الشيخ الصالح الفاضل الكامل المحرر المحصل الرحال.. »[1].

ويقول محمد بن محمد مخلوف[2]: « .. الإمام علم الأعلام الفقيه المفسّر المحدّث الرواية العمدة الفهّامة الهمام الصالح الفاضل العارف بالله الواصل، أثنى عليه جماعة بالعلم والصلاح والدين المتين »[3].

ويقول صاحب كتاب « القول الأحوط »: « الإمام القدوة، الهمام، حامل لواء شريعة الإسلام، العلاّمة، الصوفي.. »[4].

ومدحه الرحالة عبد الباسط بن خليل حين اجتاز مدينة الجزائر في شهر ذي القعدة سنة 868هـ-1464م حيث قال:« .. وتبركت بسيدنا الشيخ الوليّ العالم العلامة الشهير الخطير الكبير سيدي عبد الرحمان الثعالبي وسمعنا شيئا من فوائده »[5].



(1) نفس المصدر السابق ورقة: 133 (وجه)
(2) هو: محمّد بن محمّد بن عمر بن عليّ بن سالم مخلوف، عالم بتراجم المالكية، ولد حوالي 1280 هـ، تولّى الافتاء بتونس سنة 1313 هـ ثم القضاء. اشتهر بكتابه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية)، توفي سنة 1360 هـ. انظر: الأعلام 82/7
(3) شجرة النور الزكية ص: 264
(4) القول الأحوط ـ مخطوط بـ(م.و.ج) برقم (3185) ورقة: 14
(5) الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم.لم يبق منه إلا بعض الأجزاء، انظر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ص: 175

الفصل الثاني
تفسيره ومنهجه في عرض العقيدة

المبحث الأول
تفسير "الجواهر الحسان": المصادر والمنهج

المطلب الأول: وصف عام لتفسير الثعالبي

قيّض الله جلّ ثناؤه، وعظم سلطانه، وتقدّست أسماؤه وصفاته لكتابه العزيز علماء أتقياء، ومخلصين أوفياء من أعلام الهدى، سهروا على خدمة القرآن الكريم، وبذلوا قصارى جهدهم لتوضيح معانيه، وبيان أسراره، وكشف دقائقه، واستخراج ما فيه من حكم وأسرار، وما احتوى عليه من روائع وعجائب، فكان منهم من سلك طريق الإيجاز، ومنهم من سلك طريق الإسهاب والإطناب، ومنهم من اقتصر على التفسير بالمأثور، ومنهم من جمع بين المأثور والمعقول..، إلى غير ذلك ممّا هنالك من طرائق المفسّرين وأساليبهم في القديم والحديث.

ومن هؤلاء الأعلام الشيخ عبد الرحمان الثعالبي فقد وضع تفسيرًا لكتاب الله الكريم، سمّاه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن).

وقد وصف تفسيره بقوله: « قد يسّر الله سبحانه و تعالى في إتمام تلخيص هذا المختصر ؛ وقد أودعته بحول الله جزيلاً من الدرر، قد استوعبت فيه بحمد الله مهمّات ابن عطية وأسقطت كثيرًا من التكرار، وما كان من الشواذ في غاية الوهي، وزدت من غيره جواهر ونفائس لا يستغنى عنها، مميّزة، معزوّة إلى محالّها، منقولة بألفاظها، وتوخّيت في جميع ذلك الصدق والصواب، وإلى الله أرغب في جزيل الثواب »[1].

وجعل كتابه هذا تحقيقًا لغرض بيان معاني القرآن وتيسير فهمه، حيث يقول: « وهذا الكتاب لا ينبغي أن يخلو عنه متديّن ومحبّ لكلام ربّه ؛ فإنّه يطّلع فيه على فهم القرآن أجمع، في أقرب مدّة، وليس الخبر كالعيان، هذا مع ما خصّ به من تحقيق كلام الأئمّة المحقّقين- رضي الله عنهم- نقلته عنهم بألفاظهم، متحرّيًا الصواب، ومن الله أرتجي حسن المآب »[2].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 692/4، 693
(2) نفس المصدر السابق 693/4

أولا: مميّزات الكتاب وتاريخ تأليفه

يعتبر كتاب (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)[1] للثعالبي مختصرًا لتفسير ابن عطية، مع زيادات نقول نقلها عمّن سبقه من المفسّرين وغيرهم.

وبدأ كتابه سنة 832 هـ، وختمه- كما نصّ على ذلك- سنة 833 هـ، حيث يقول: « وكان الفراغ من تأليفه في الخامس عشر من ربيع الأوّل من عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة »[2].ولكنّه في موضع آخر يذكر أنّه أتمّ تفسيره للقرآن في الرابع عشر من صفر سنة 833 هـ، إذ يقول: « وفي الرابع عشر من صفر تمّ لي تفسير القرآن »[3].

واعتبر إنجازه لهذا التفسير من أعظم أعماله، حيث بقول: « فإنّ سروري في انتفاع المسلمين به أعظم عندي من السرور الحاصل لي فيما يخصّني »[4].

---

(1) والكتاب مطبوع في أربعة أجزاء، بالإضافة إلى ملحق لغوي خاص بشرح ما وقع فيه من الألفاظ الغريبة، ألحقه مؤلّفه، وزاد فيه كلمات أخرى وردت في غيره، يحتاج إلى معرفتها، وجلّها ممّا جاء في الموطأ والبخاري ومسلم وغيرها من الكتب السّتّة ؛ وفي هذا يقول -رحمه الله-: « لمّا يسّر الله عليّ إكمال هذا المختصر، وفرغت من تصحيحه، وكثر الراغبون بحمد الله في تحصيله، سألني بعض إخواني أن ألحق به شرح ما وقع فيه من الغريب ليتمّ بذلك مقصود الكتاب، والله الموفّق بفضله للصواب، فأجبته إلى ذلك، وزدت فيه بيان ألفاظ وقعت في غيره، يكثر في اللسان دورانها، ويفتقر الطالب إلى معرفتها، وجلّها ممّا وقع في الموطّأ والبخاري ومسلم، وغيرها من الكتب السّتّة » نفس المصدر السابق 5/5

وقد اعتنى بتصحيح طبعة التفسير والمعجم، مع ضبط مفرداته اللغوية، والتعليق في أسفل الصفحات الأديب المرحوم محمّد مصطفى بن خوجة، المتوفّى سنة 1917هـ، والمدرّس والإمام الخطيب بجامع سفير، والذي اشتغل وكيلاً لمقام الثعالبي سنة 1331 هـ. انظر: كتاب ابن باديس حياته وآثاره لعمّار طالبي 34/1. طبعة الجزائر: 1388هـ-1960م

وكان طبع (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) من سنة 1323هـ إلى سنة 1327هـ، والمعجم سنة 1328هـ بالجزائر. انظر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر لنور الدين عبد القادر ص: 174 (د.ت.ط.)

و قام الدكتور عمّار طالبي بتحقيق هذا المختصر بما فيه الملحق اللغوي، والذي نشرته المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1985م.

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 693/4 ؛ ومعنى ذلك: أنّه قد عاش حوالي أربعين سنة بعد تأليفه، فهو إذن من أوائل مؤلّفاته ؛ وممّا يستغرب له في هذا الصدد، هو جمعه لكلّ تلك المعارف التي أوردها أو أشار إليها وهو في مقتبل العمر.

(3) كتاب المرائي للثعالبي ص: 16 مخطوط بـ: (م.و.ج) برقم (2734) ؛ يقول د. عمّار طالبي: « ولعلّه يقصد تفسيره للقرآن درسًا وتدريسًا في المسجد ». انظر: مقدّمة تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/صفحة (ز). وقد يوجّه كلام الثعالبي توجيهًا آخر مفاده: أنّه أتمّ تبييضه في شهر صفر، ثمّ سوّده في شهر ربيع الأوّل بصورته النّهائية . وهناك توجيه ثالث، وهو الأقرب في نظرنا -والله أعلم- وهو أنّه أنهى تفسيره للقرآن في شهر صفر، ثمّ ذيّل عليه ملحقه اللغوي في شهر ربيع الأوّل من نفس السنة، وهو المتبادر إلى الذهن.

(4) كتاب المرائي ص: 11، 12 ؛ مقدّمة تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/صفحة (ز)

ويذكر لنا أنّ نسخًا منه حملت إلى مكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة[1]، وأنّه بيعت نسخة منه وأرسلت إلى بيت المقدس[2]، زيادة على انتشاره في الجزائر، وبجاية، وتلمسان، وفاس[3].

ويذكر لنا أيضًا أنّ صاحبه أبا عبد الله محمّد المازوني[4]، ليس له إلاّ نسخ المختصر، وأنّ فقيهًا من الفقهاء في وقته باع لباسه (جبّة)- وكان لها ثمن معتبر- لشراء المختصر[5].

ويعدّ تفسير الثعالبي الوحيد الذي وصل إلينا من القرن التاسع الهجري، فقد سمّاه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، وهي كما يبدو تسمية واضحة وبسيطة[6] .والذي يظهر لنا- والله أعلم- أنّه سمّى كتابه كذلك، كونه اشتمل على ما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه و سلم من الأحاديث الشريفة ؛ ويستأنس في هذا بما ذكره في مقدّمة تفسيره بقوله: « وبالجملة فكتابي هذا محشوّ بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة، والحسان المأثورة عن سيّدنا محمّد صلى الله عليه و سلم »[7].

ثانيا: أمانته العلمية

امتاز الشيخ بخصلة طيبة، وفضيلة قيّمة تنتظم في سلك منهجه العام في تفسيره وهي: دقته في النقل، فلا يكاد يذكر قولا لعالم إلاّ ويرجعه إلى أصله ومصدره، حيث يقول: « ... وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عوّلت، ولم أنقل شيئا من ذلك خوف الوقوع في الزلل، وإنما هي ألفاظ وعبارات لمن أعزوها إليه ... »[8].

وهناك ناحية أخرى مهمّة في مختصره، وهي: كشفه عن تصوّفه المبكّر، فرغم أنّه كان لا يزال في ريعان الشباب، فإنّ الكتاب قد تضمّن رؤىً صوفية، ومواعظ لا تخرج عن هذا الميدان ؛ فقد روى أنّه رأى النّبيّ صلى الله عليه و سلم عدّة مرّات أثناء اشتغاله بالكتاب، وأنّه آكله، وزار بيت كتبه، ودعا له[9].

---

(1)كتاب المرائي ص: 19 ؛ مقدّمة الجواهر: 1/(ز)
(2) نفس المصدر السابق ص: 21 ؛ مقدّمة الجواهر: 1/(ح)
(3) نفس المصدر السابق ص: 28، 29 ؛ مقدّمة الجواهر: 1/(ح)
(4) لم أقف له على ترجمة
(5) كتاب المرائي ص: 20، 21
(6) تاريخ الجزائر الثقافي 116/1، 117
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 09/1
(8) نفس المصدر السابق " المقدمة " 8/1، 9
(9) تاريخ الجزائر الثقافي 116/1، 117.

ثالثا: إعجاب العلماء بهذا المختصر

وقد حاز تفسير الثعالبي إعجاب العلماء والشعراء قديمًا وحديثًا ؛ فهذا الشيخ محمّد بن مصطفى بن الخوجة[1] يصف الكتاب بأنّه: « ذخيرة العلماء، وكنز الطلاّب..، وأيّم الله إنّه لتفسير جليل، قد فصّل مقاصد الذكر الحكيم أحسن تفصيل، وحوى عباب المنقول، واشتمل على لباب المعقول، وأتى من درر الفرائد بما يبهر العقول، ومن غرر الفوائد بما تذعن له الفحول، ولا غرو فمؤلّفه العلاّمة التحرير، والوليّ الصالح الشهير، فخر مدينة الجزائر، سليل الأماثل سيدي عبد الرحمان الثعالبي قدّس الله روحه »[2].

ووصفه الشيخ بن زكري بقوله: « كيف لا وهو تفسير جليل، عار من شبهات الضلال والتضليل »[3].

ووصفه أيضًا الشيخ عبد الحليم بن سماية[4] بأنّه: « تفسير حوى من نوابغ البيان أوضحها، ومن نقل الأقوال أمتنها وأرجحها..، وضرب بما يشمّ رائحة البدعة عرض الجدار، وشخّص للقارئ أخلاق الصحابة والسلف الأخيار، إذ هم القدوة في هذه المسالك على التحقيق ». [5]

وقرضه قدّور بن محي الدين الجزائري[6] بقصيدة لطيفة، نذكر منها [7] :

حقائق في الجواهر الحسان لها ... في الصدر، وفي عين الحجا نور
فأين ذا من إمام بدر همّته ... بين النّجوم له هدىً وتنوير
طلاّع أنجدة، كشّاف معضلة ... خضمّ معرفة بالعلم مسجور
فخر الجزائر من له العلى انتسبت ... وطار صيت له في النّاس مذكور
نجل ابن مخلوف الثعالبي عابد ... الرحمان من بهجت به الطوامير

فدونك الدرّ في تفسير نضدًا ... والبحر يقذفه والدرّ منثور
بدت لدى فصل آي الله آيته ... شمس الضّحى بزغت ما دونها سور
تكاد تنطق في الأوراق أحرفه ... إذا رصف الوضع فيها منه تدبير

---

(1) هو: محمد بن مصطفى بن محمّد بن باكير خوجة، المعروف بلقب (الكمال)، عالم جزائريّ، ونابغة ونابغة فقيه، وأديب مصلح، كان ذكيًّا سلفيًّا، ومدرسًا في الجامع الكبير بالعاصمة، ولد سنة 1282هـ، من تآليفه: إقامة البراهين العظام على نفي التعصّب الديني في الإسلام، توفي سنة 133هـ. انظر: تاريخ الجزائر العام 4/448-453 ؛ معجم المؤلّفين 3/719 برقم(16044)

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/695، 696

(3) نفس المصدر السابق 4/696.

(4) هو: عبد الحليم بن سمّاية بن عليّ بن عبد الرحمان بن حسن خوجة الحنفي، أحد علماء الجزائر العاصمة، وفيلسوف كبير، عارض الإستعمار الفرنسي بشدّة لمّا فرض مشروع تجنيد الشعب الجزائري في الجيش الفرنسي، أصله تركي من بلدة (إزمير)، ولد سنة 1283هـ. انظر: تاريخ الجزائر العام 4/400-420

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/699

(6) لم أقف له على ترجمة

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/700، 701

لولا الــطروس لها بالــرقم ماســـكة لـــكان مــنـها مع الأرواح تـــــطير
رقّـت أســاليــبه، جـمّت عـجـائـبـه لـــذّت أطايـبـه مـــا فـيـه مـــنكـــور

وعلى كلّ، فإنّ تفسير الثعالبي مفيد، جامع لخلاصات كتب مفيدة، وليس فيه ما هو في غيره من الحشو المخلّ، والاستطراد المملّ[1].

المطلب الثاني: المصادر التي اعتمدها الثعالبي في التفسير

إنّ المصادر التي استقى منها الثعالبي ما هي إلاّ الركيزة الأولى التي على أساسها وضع كتابه في التفسير، ونهج منهجه الخاص به، لذلك كان من الضروري أن نشير إلى هذه المصادر، باعتبارها مقدّمة لابدّ منها لدراسة آرائه العقدية وطريقته في الاستدلال عليها.

ولقد تأثّر الثعالبي في تفسيره بمصادر مشرقية، كما تأثّر بمصادر مغربية وأندلسية، فجاء تفسيره مزيجًا بين الفكر المشرقي والفكر المغربي، حيث ضمّنه المهمّ ممّا اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزاده فوائد من غيره من كتب الأئمّة، وثقات أعلام هذه الأمّة، حسبما رآه أو رواه عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلاّ وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحقّقين[2].

وهذه المصادر الكثيرة والمتنوّعة، منها ما هو من كتب التفسير، ومنها ما هو من كتب الحديث، ومنها ما هو من كتب اللغة والنحو، ومنها ما هو من كتب التاريخ والسير، ومنها ما هو من كتب الزهد، ومنها نوع آخر غير ما تقدّم وهم شيوخه الذين اتّصل بهم وتتلمذ عليهم.

ولم يكن موقف الثعالبي موقف المتأثّر، الذي ينقل أقوالهم ويوافقهم في جميع آرائهم، بل كان كثيرًا ما يخالفهم ويناقشهم وينتقد آراءهم، وهو ما يبيّن شخصيته العلمية القويّة. وسيأتي معنا بيان هذه الفكرة في منهج الشيخ في عرضه لمسائل العقيدة بشيء من التفصيل.

وقد تتبّعنا بالاستقراء مصادره من خلال تفسيره فوجدناها قد فاقت المائة، فلا ندري إن كان العدد الذي أشار إليه صحيحًا، أو نحن الذين أخطأنا، وعلى كلّ فهي على الشكل الآتي:

---

(1) التفسير والمفسّرون لمحمّد حسين الذهبي 253/1 دار الكتب الحديثة، ط(2) 1396هـ-1976م.
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 8/1 -بتصرّف.

أوّلاً: القرآن وعلومه

1. **أحكام القرآن** : للإمام القاضي محمّد بن عبد الله، المعروف بابن العربي، الحافظ المالكي، أبي بكر، المتوفّى سنة 543هـ، وهو تفسير خمسمائة آية متعلّقة بأحكام المكلّفين[1]؛ وقد اعتمده الثعالبي بشكل أساسي[2].
2. **اختصار غريب القرآن**: للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، المتوفّى سنة 806 هـ، أورده دون أن يكثر النقل عنه، حيث يقول الثعالبي: « ومتى ذكرت العراقي فمرادي هذا الشيخ» [3].
3. **تفسير الأفعال الواقعة في القرآن:** لابن العربي، ولم يستعن به كثيرًا وإنّما نقل عنه في مواضع قليلة[4]، تتعلّق ببيان بعض المصطلحات القرآنية التي لها علاقة بمسائل العقيدة، كلفظة العصمة، والقضاء..، وغير ذلك.
4. **تفسير الدّاودي:** للإمام أحمد بن نصر الداودي، الأسدي الطرابلسي، أبو جعفر، أحد أئمّة فقاء المالكية بالمغرب، المتوفّى سنة 402 هـ[5] ؛ وهو من الكتب التي استعان بها، حيث يقول: « ومهما ذكرت الداودي في هذا المختصر، فإنّما أريد: أحمد بن نصر الفقيه المالكي، ومن تفسيره أنا أنقل »[6].
5. **تفسير الماوردي:** للإمام، عليّ بن محمّد بن حبيب، البصري، الشافعي، أبو الحسين، المتوفّى سنة 450هـ[7]، ولم ينقل عنه إلاّ في مواضع[8].

---

(1) كشف الظنون 20/1 ؛ شجرة النور الزكية 136/1 ؛ الديباج المذهب في أعيان المذهب لإبراهيم بن علي بن فرحون 281/1 تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النورن، مطبعة دار النصر للطباعة (د.ت.ط.) ؛ سير أعلام النبلاء 149/20

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن **1** / 96-97-103-104-146-149-154-161-163-180-183-189-208-209-210-231-265-276-280-281-320-335-336-347-348-390-399-413-414-436-439-440-443-448-457-458-465-474-475-499-507-532-534-535-552-553-658-664 ؛

2/21-23-33-96-97-103-104-146-149-151-189-191-197-202-204-206-207-210-216-228-270-271-284-286-292-301-312-313-316-329-328-338-344-376-388-401-408-412-419-435-440-449-455-470-493؛ 3/07-40-47-65-68-69-73-93-108-117-119-120-126-136-143-150-176-180-181-182-184-205-220-222-228-248-249-258-274-287-299-324-325-343-355-373 ؛ 4/35- 38-49-54-55-57-64-183-186-203-213-240-254-274-318-380-428-448-499-502-506-533-599-610-629-639-647.

(3) نفس المصدر السابق 410/1

(4) نفس المصدر السابق 568/1-626 ؛ 464/2 ؛ 278/3 ؛ 57/4

(5) الديباج المذهّب 35/1

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 197/1-89-91-110-130-148-149-152-197-204-205-208-251-392-468-471-510-525 ؛ 49/2-167-227-265-298-311-344-335-363-376-377-642-341-334-302-273-272-188-93-38/3 ؛ 541-523-496-430-415-414-404-400-654-655-657-665-669-678-692 ؛ 80/5

(7) كشف الظنون 458/1 ؛ 1188/2 ؛ سير أعلام النبلاء 64/18 ؛ طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي 230/1 تحقيق: خليل الميس، دار القلم-بيروت.

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 369/1 ؛ 534/4-637

6. **التفصيل الجامع لعلوم التنزيل في التفسير:** للإمام أحمد بن عمار المهدوي، التميمي، أبي العبّاس، المتوفّى بعد الثلاثين وأربعمائة هـ، وهو تفسير كبير بالقول[1]، استفاد منه في مواطن يقتضيها المقام دون الإشارة لاسم الكتاب صراحة[2].

7. **جامع البيان في تفسير آي القرآن:** للإمام الحافظ محمّد بن جرير الطبري، أبو جعفر، المتوفّى سنة 310هـ ؛ وكتابه من أجلّ التفاسير وأعظمها، فإنّه يتعرّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين[3] ، لهذا استعان به كثيرًا[4]، ونقل عنه لكونه من طليعة التفاسير بالمأثور.

8. **جواهر القرآن**: لحجّة الإسلام محمّد بن محمّد الغزالي، الطوسي، أبي بكر، المتوفّى سنة 505هـ، [5]؛ استأنس به فقط[6].

9. **شفاء الصّدور في تفسير القرآن:** للإمام محمّد بن الحسن، المعروف بالنّقاش الموصلي، أبي بكر، المتوفّى سنة 351هـ[7]؛ وقد نقل عنه كثيرًا[8].

---

(1) كشف الظنون 459/1-462 ؛ طبقات المفسرين للسيوطي 30/1 تحقيق: عليّ محمد عمر، مكتبة وهبة-القاهرة، مطبعة الحضارة العربية-الفجالة ط(1) 1396هـ-1976م؛ طبقات المفسرين للأدنروي 97/1 تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة ط(1) 1997م.

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 63/1 ؛ 87/2-171-281-285-288-306-308-386-448-541 ؛ 27/3 ؛ 375/4-389

(3) كشف الظنون 437/1 ؛ طبقات المفسرين 48/1 ؛ سير أعلام النبلاء 267/14 ؛ طبقات الفقهاء 102/1

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 26/1-27-36-63-68-80-81-90-92-94-100-116-124-138-159-162 ؛ 11/2-16-19-23-24-29-37-39-44-46-122-132-145-202-206-208-210-227-232-246-252-255-260-261-267-277-287-301-302-313-317-341-351-353-359-377-378-380-382-386-387-396-409-411-420-430-435-437-441-463-464-466-471-472-477-478-479-482-483-484-496-501-535-543-545 ؛ 120/3-124-127-140-147-148-151-153-165-171-174-178-179-194-211-212-358-385-399 ؛ 06/4-11-27-32-34-46-75-102-105-109-137-166-178-206-227-241-244-250-273-275-276-280-284-286-287-292-316-317-226-257-278-280-284-288-290-401؛

(5) كشف الظنون 615/1

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 399/1-624

(7) كشف الظنون 1050/2 ؛ طبقات المفسرين 75/1 ؛ طبقات المفسرين للأدرنوي 94/1 ؛ سير أعلام النبلاء 573/15

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 82/1-85- 256 ؛ 17/2-23-54-144-166-202-347-349-375-422-484-511-524-541 ؛ 19/3-41-114-191-193-196-222-236 ؛ 38/4-237-245-250-335-339-379-451-458

10. ال**كشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: للإمام جار الله، محمود بن عمر الزمخشري، أبي القاسم، المتوفّى سنة 538 هـ[1] ؛لم يعتمد عليه، وإنّما وردت الإشارة إليه في معرض الردّ على آرائه الاعتزالية[2].

11. **الكشف والبيان في تفسير القرآن**: للإمام عبد الملك أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو منصور، المتوفّى سنة 427هـ[3] ؛ اعتمد عليه كثيرًا في الجزء الرابع[4].

12. **المحرّر الوجيز في شرح الكتاب العزيز:** للإمام عبد الحقّ بن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي، الشهير بابن عطية، أبو محمّد، المتوفّى سنة 546 هـ ؛ وهو من أجلّ من صنّف في علم التفسير، وأفضل من تعرّض للتنقيح فيه والتحرير[5] ، وهو الأصل الذي اختصر منه الثعالبي تفسيره.

13. **مختصر تفسير الطبري:** للإمام محمّد بن عبد الله بن زيد اللخمي، النحوي، أبو عبد الله، المتوفّى سنة هـ[6] ، استعان به في الجزء الأوّل بشكل كبير[7].

14. **مختصر الواحدي:** للإمام عليّ بن أحمد الواحدي، أبو الحسن، المتوفّى سنة 468هـ[8] ، وقد استفاد منه في بعض المواضع فقط. [1]

---

(1) انظر: المغني في الضعفاء للذهبي 647/2 تحقيق: نور الدين عتر؛ وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي 383/6 تحقيق: عليّ محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1995م؛ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني4/6 تحقيق: دائرة المعارف النظامية-الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت ط(3) 1406هـ-1986م.

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 69/2 ؛ 225/4-309

(3) كشف الظنون 1488/2 ؛ سير أعلام النبلاء 437/14

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 59/1-108-115 ؛ 285/2-366-386-444-464-518 ؛ 3/34-66-85-86-90-108-169-203-216-220-221-222-235-238-250-277-279-
281-285-287-293-307-374-395 ؛ 4/10-17-23-28-37-41-47-48-49-55-56-58-
62-70-82-83-89-92-100-115-122-130-133-140-151-197-192-188-155-154-153-
208-215-217-225-226-227-228-233-234-236-238-240-242-244-245-247-257-264-274-282-285-
288-295-296-299-300-303-304-305-306-308-311-313-317-322-323-326-327-328-336-337-338-
347-349-350-351-352-353-354-355-356-357-358-371-374-381-390-399-402-414-418-421-426-
427-428-430-431-438-439-442-450-455-458-489-490-498-500-501-502-508-510-517-519-520-
528-529-533-553-557-562-570-571-572-576-615-623-624-629-633-635-638-649-651-675

(5) كشف الظنون 1613/2 ؛ طبقات المفسرين 175/1 ؛ طبقات المفسرين للأدنروي60/1 ؛ سير أعلام النبلاء 587/19

(6) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي 114/1 تحقيق وتقديم ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ط(2) 1403هـ-1983م.

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 30/1-46-47-50-54-61-68-73-79-84-87-90-92-99-
99-102-103-105-127-128-133-134-151-211-260-454-509-513 ؛ 306/2 ؛
171/3 ؛ 692/4

(8) طبقات المفسرين 78/1 ؛ سير أعلام النبلاء 339/18

15. **مفاتيح الغيب** (ويعرف **بالتفسير الكبير**): للإمام فخر الدين محمّد بن عمر الرّازي، المتوفّى سنة 606هـ ؛ وهو كتاب جمع فيه كلّ غريب[2]، ولأهميّته اعتمده كثيرًا[3].

16. **ناسخ القرآن ومنسوخه:** للإمام هبة الله بن سلامة بن نصر بن عليّ، المفسّر، المقرئ النحوي، البغدادي، أبو القاسم، المتوفّى سنة 410 هـ[4] ؛ ولم يرد ذكره إلاّ في موضع واحد[5].

17. **الهداية إلى بلوغ النّهاية:** للإمام مكّي بن طالب القيسي، أبو محمّد، المتوفّى سنة 437هـ، وهو يقع في سبعين جزءً ا في معاني القرآن وأنواع علومه، وله أيضًا (**الهداية في الوقف على كلاّ**)[6]، ولا ندري أيّ الكتابين قصد الثعالبي، إذ اكتفى بالإشارة إلى اللفظة الأولى دون إتمام عنوان الكتاب كلّه[7]، ولكن يظهر لنا- حسب سياق المنقولات عنه- أنّه الأوّل والله أعلم.

18. كما نقل عن محمّد بن يوسف أثير الدين الغرناطي التوحيدي، أبو حيّان، المتوفّى سنة 745هـ[8] ، دون أن يشير إلى كتابه [9] ولعلّه يكون (**البحر المحيط في التفسير**).

19. وعن إمام نحاة الكوفة يحي بن زياد الفرّاء، أبو زكريا، المتوفّى سنة 207هـ[10]، ولم يذكر الكتاب الذي نقل عنه[1]، وربّما يكون (**معاني القرآن**).

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 2/413-477-503-520 ؛ 3/162-169-188-211-286-357-358-381-386 ؛ 4/193-243

(2) كشف الظنون 1756/2 ؛ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي 65/2 تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة ؛ طبقات الفقهاء 263/1 ؛ سير أعلام النبلاء 500/21

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/51-55-89-148-152-158-163 ؛ 2/08-12-13-64-74-77-89-92-101-103-144-157-159-169-178-187-209-210 ؛ 3/40 ؛ 4/47-56-61-71-76-94-100-104-110-122-138-139-156-169-170-208-215-269-288-296-299-301-304-329-332-339-347-364-366-380-474-470-467-443-441-396-392-385-381-507-518-532-551-559-581-608-648-663-664-672

(4) كشف الظنون 1920/2-1921 ؛ طبقات المفسرين للأدنروي 100/1 ؛ طبقات المفسرين 123/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 362/3

(6) كشف الظنون 2401/2 ؛ سير أعلام النبلاء 591/17 ؛ طبقات المفسرين للأدرنوي 114/1

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/63-567-584-585-595-618-630-660 ؛ 2/21-48-52-100-120-121-255-375-390 ؛ 3/60 ؛ 4/322-333

(8) بغية الوعاة 2/280-283 ؛ طبقات المفسرين للأدنروي 278/1

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن1/36-77-88-284 ؛ 2/06-09-10-12-17-25-37-45-48-74-445-491 ؛ 3/85-148-157-215-216-258-331-368 ؛ 4/08-31-46-48-53-54-56-58-64-75-84-96-97-108-109-116-118-123-129-132-142-144-164-176-192-193-197-207-208-260-264-272-285-289-309-321-326-327-332-334-336-347-370-499-576-625.

(10) بغية الوعاة 333/2 سير أعلام النبلاء 118/10

20.ونقل عن الإمام أحمد بن إسماعيل بن يوسف المرادي، الشهير بالنّحاس، أبو جعفر، المتوفّى سنة 338 هـ[2] ، ولم يصرّح باسم كتابه[3] ، ولكن حسب المنقولات عنه ربّما يكون (**معاني القرآن**).

ثانيا:كتب التراجم والسير

1. **اختصار المدارك:** للقضاعي[4]، وقد أورده الثعالبي في موضع واحد فقط[5].
2. **الاكتفاء بأخبار الخلفاء:** للإمام عبد الملك بن محمّد بن أبي القاسم التوزري، المعروف بابن الكردبوس، أبو مروان، المتوفّى سنة 604هـ[6]؛ أورده في موضع واحد لمناسبة المقام[7] .
3. **بهجة النّفس:** للإمام القاضي هشام بن عبد الله بن هشام، الأزدي، المالكي، القرطبي، أبو الوليد، المتوفّى سنة 606هـ[8]، وهو من كتب التاريخ التي استفاد منها [9].
4. **تاريخ بغداد:** للإمام الحافظ أحمد بن عليّ بن ثابت بن الخطيب، المعروف بالخطيب البغدادي، أبو بكر، المتوفّى سنة 463هـ، وقد كتبه على طريقة المحدّثين، جمع فيه رجالها، ومن ورد بها، وضمّ إليه فوائد جمّة، فصار كتابًا عظيم الحجم والنّفع[10]؛ ولذلك نقل عنه في العديد من المواضع[11].
5. **الرحلة** لابن العربي[12] ، ولم ينقل عنه إلاّ لضرورة المقام[13].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 112/1-199 ؛ 110/2-140-226-235-256-298-397 ؛ 88/3-102-220-247-394 ؛ 56/4-64-173-286-346-371-396-408-501-502-517-521-528-532-555-601-609-633-651-659-661 ؛ 5/44-78-109-116-146

(2) بغية الوعاة 362/1

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 195/2-407-453 ؛ 30/3 ؛ 245/4-284

(4) لم أقف عليه

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 130/1

(6) التكملة لكتاب الصلة لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي 162/2 برقم(416)، وكذا 109/3 برقم(269) تحقيق: د. عبد السلام الهرّاس، دار الفكر-بيروت 1995م.

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 267/1-268

(8) كشف الظنون 1778/2

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 475/2 ؛ 303/3

(10) كشف الظنون 288/1 ؛ طبقات المحدثين لشمس الدين الذهبي 133/1، تحقيق: د.همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان -عمان الأردن ط(1) 1404هـ ؛ سير أعلام النبلاء 270/18 ؛ الوفيات لابن الخطيب القسنطي 251/1 تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة-بيروت ط(2) 1978م.

(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 41/1-42-170-184-301-385-401-481-562 ؛ 159/2-169-189-369 ؛ 143/3-360 ؛ 85/4-97-177-207-260-300-426-654

(12) لم أقف على الكتاب

(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 492/1-493 ؛ 282/4

6. **الآيات والمعجزات:** للإمام حسن بن عليّ بن عبد الملك بن القطّان الرهوني[1]، استأنس به في مواضع قليلة[2].

7. **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في القرن السابع ببجابة:** للإمام أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، أبو العبّاس، المتوفّى سنة 704هـ[3] ، غير أنّه لم ينقل عنه إلاّ لضرورة المقام. [4]

8. **معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب صلحاء القيروان:** للإمام الحسن ابن أبي رشيق القيرواني، أبو عليّ، المتوفّى سنة 463هـ[5]، وقد ورد ذكره في مكان واحد[6].

9. **الروض الأنف في شرح غريب السير:** للإمام عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد السهيلي، أبي القاسم، المتوفّى سنة581هـ[7] ، وقد أوضح فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم مع شرح غريب لفظه، وإعراب غامضه ..إلخ، من هنا استعان به في العديد من المواضع[8] .

10. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:** للإمام الحافظ عياض بن موسى اليحصبي، المالكي، أبو الفضل، المتوفّى سنة 544هـ[9] ، جمع فيه علماء المالكية وأحسن، وهو تأليف غريب لم يسبق إليه ؛ومع ذلك لم يكثر النقل عنه[10].

11. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى:** للقاضي عياض، وهو كتاب عظيم النّفع، كثير الفائدة، خاصّة في بيان ما يستحيل في حقّه صلى الله عليه و سلم وما يجوز، وما يمتنع ويصحّ، وهو سرّ الكتاب ولبابه وثمرته [11] ؛ فلا غرابة أن يكثر النّقل عنه[12]).

---

(1) لم أقف على الكتاب

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/111-137-293 ؛ 2/76 ؛ 4/219

(3) نيل الابتهاج ص: 104 ؛ الديباج المذهب ص: 79 ؛ شجرة النور الزكية ص: 215 ؛ تعريف الخلف 1/20

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/162-163

(5) سير أعلام النبلاء 11/221 ؛ شذرات الذهب 3/297، 298 ؛ معجم المؤلّفين 1/551برقم(4130) 1/551برقم(4130)

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/373

(7) كشف الظنون 1/917 ؛ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي، مج41/115 تحقيق: د. عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت ط(1) 1417هـ-1997م.

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/45-109 ؛ 2/67-389-525-536-542-545 ؛ 3/96-103-207-275-277-342-361 ؛ 4/28-31-37-190-292-345-394-416-495-562-618-637-675

(9) كشف الظنون 1/395

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/16-137 ؛ 2/462 ؛ 4/24-78-498

(11) كشف الظنون 2/1052-1055

(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/67-69-113-117-126-129-130-198-310-316-368-446 ؛ 2/79-80-126-258-259-315-316-354-379-408-427-428-489 ؛ 37-65-89-130-215-216-311-327-344-356-357 ؛ 4/57-172-227-236-279-287-305-308-315-407-458-562-572-633-635-636-684

12. **السيرة النّبويّة:** للإمام عبد الملك بن هشام الحميري، أبو محمّد، المتوفّى سنة 218هـ، وهي تهذيب لما قاله الإمام المعروف بمحمّد بن إسحاق، رئيس أهل المغازي، المتوفّى سنة 151هـ [1] ؛ ولمّا كان هذا الكتاب عمدة كتب السيرة، فقد اتّخذه الثعالبي مصدرًا أساسيًا في النّقل عنه[2].

(1) كشف الظنون 1012/2 ؛ سير أعلام النبلاء 428/10 ؛ الوفيات 162/1

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 80/1-93-100-111-114-123-129-133-136-182-201-233-248-350-391-543-551 ؛ 39/2-47-93-111-114-123-129-132-135-136-139-153-185-196-315-321-330-336-346-347-349-355-387-413-447-458-488؛ 38/3 ؛ 18/4-37-74-84-143-190-561-612

13.**مروج الذهب ومعادن الجوهر:** للإمام عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي، أبو الحسن، المتوفّى سنة 346هـ[1]، ولم ينقل عنه إلاّ في موضع واحد، في الملحق اللغوي[2].

14.كما نقل عن أبي منصور المهراني دون أن يشير إلى اسم كتابه.[3]

ثالثا: كتب الفقه وأصوله

الثعالبي مالكي المذهب، شأنه في ذلك شأن أكثر علماء المغرب العربي، لذلك استمدّ المادة الفقهية في تفسيره من أمهات كتب مذهبه، وربما نقل عن غيرها وهي كما يلي:

البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل: للإمام محمّد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي أبو الوليد، شيخ المالكية، وقاضي الجماعة بقرطبة سنة 520 هـ [4]، نقل عنه في بعض المواضع[5].

تقييد على المدوّنة: للإمام الفقيه، الجامع بين العلم والعمل عليّ بن محمّد بن عبد الحقّ الزرويلي المالكي، الشهير بأبي الحسن الصغير، المتوفّى سنة 719هـ [6] ، ولم يرد ذكره إلاّ في موضع واحد[7] .

العتبية: لفقيه الأندلس محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي، المتوفّى سنة 254هـ، وهو مسائل في مذهب الإمام مالك[8] ، ولذلك استفاد منه[9].

القواعد الصغرى لسلطان العلماء عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي الشامي، المتوفّى سنة 660هـ[10] ؛ ولم يشر إليه إلاّ في مواطن[1].

---

(1) كشف الظنون 1658/2-1659 ؛ سير أعلام النبلاء 569/15

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 99/5

(3) نفس المصدر السابق 335/2

(4) سير أعلام النبلاء 19/501 ؛ الديباج المذهّب 279/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 65/1-143-174-295-405 ؛ 117/2-123-520

(6) شجرة النور الزكية 215/1 ؛ المعيار المعرب للونشريسي 74/1 تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف: د. محمّد حجي -دار الغرب الإسلامي -بيروت لبنان 1401 هـ

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 415/4

(8) كشف الظنون 1124/2 ؛سير أعلام النبلاء 235/12 ؛ الديباج المذهب 238/1

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 143/1-279-347-405-462-552-582 ؛ 177/4-436-528-529

(10) كشف الظنون 1360/2 ؛ العبر 260/5 ؛ طبقات الشافعية 209/8 ؛ البداية والنهاية لابن كثير 235/13 تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. عليّ نجيب عطوري، د. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. عليّ عبد الساتر، دار الكتب العلمية-بيروت ط(4) 1408هـ-1988م؛ حسن المحاضرة في تاريخ

المبسوط في الفقه المالكي: للإمام محمّد بن محمّد، المعروف بابن عرفة الورغمي التونسي، المتوفّى سنة803 هـ[2]؛ وقد اكتفى الثعالبي بالإشارة إلى أوّل اللفظ (المبسوط)[3] ، فلعلّه أن يكون هو .

المحصول في أصول الفقه: لفخر الدين الرازي[4] ، استأنس به في موضع واحد [5].

مختصر بن الحاجب (وهو **مختصر منتهى السؤل والأمل في علم الأصول والجدل**): للإمام جمال الدين عثمان بن عمر، المعروف بابن الحاجب المالكي، أبو عمرو، المتوفّى سنة 646هـ[6] ، نقل عنه في مواطن معيّنة[7].

مختصر المدوّنة: للإمام ابن أبي زيد القيرواني، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 518 هـ، وهو من أهمّ مؤلّفاته ([8]، ولكن الثعالبي لم يعتمد عليه[9].

مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة: للإمام محمّد بن محمّد بن العبدري الفاسي المالكي، الشهير بابن الحاج، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 737 هـ، وهو كتاب كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها النّاس ويتساهلون فيها، وأكثرها ممّا ينكر [10] ؛ استعان به في مواطن قليلة[11].

المدوّنة في فروع المالكية: للإمام عبد الرحمان بن القاسم المالكي، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 191هـ، وهو من أجلّ الكتب في مذهب مالك[12]، استعان به لبيان بعض المصطلحات الفقهية وغيرها[13].

مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي 314/1 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي-مصر ط(1) 1387هـ-1967م ؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين يوسف بن تغري بردي 208/2 دار الكتب المصرية -القاهرة ط(1) 1351 هـ ؛ طبقات المفسرين 309/1

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 301/3 ؛ 78/4-431

(2) كشف الظنون 1582/2 ؛ شجرة النور الزكية ص: 227 ؛ الديباج المذهّب ص: 337

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 485/1

(4) كشف الظنون 1615/2 ؛ طبقات الفقهاء 263/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4 / 514

(6) كشف الظنون 1625/2-1853 ؛ سير أعلام النبلاء 264/23 ؛ الديباج المذهب 189/1

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 96/1-119-120-160-292 ؛ 467/2-468 ؛ 150/3

(8) كشف الظنون 841/1 ؛ شجرة النور الزكية ص: 108 ؛ طبقات الفقهاء ص: 167

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 117/4

(10) كشف الظنون 1643/2 ؛ سير أعلام النبلاء 614/19 ؛ الديباج المذهب328/1

(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 492/2 ؛ 286/3 ؛ 383/4

(12) كشف الظنون 1644/2 ؛ سير أعلام النبلاء 121/9 ؛ الديباج 146/1

(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 222/1-224-432-433-449-485-582 ؛ 165/2 ؛ 171/3 ؛ 380/4.

الواضحة في السنن والفقه: للإمام الفقيه عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون، السّلمي، أبو مروان، المتوفى سنة 238 هـ[1]، ولم ينقل عنه إلاّ في مواضع[2].

كما نقل عن عبد الرحمان بن يوسف بن الحسن اللجائي، الشهير بابن زنيف الفقيه، أبو القاسم، المتوفّى سنة 612 هـ[3] ، نقل عنه دون أن يشير إلى اسم الكتاب[4].

رابعا: كتب الحديث وعلومه

الأربعون حديثًا المسندة: للإمام محمّد بن الحسين الآجري، أبو بكر، المتوفّى بمكّة المكرّمة سنة 360هـ[5] ، ولم يرد ذكره إلاّ في مواطن قليلة[6].

الإكمال في شرح صحيح مسلم: للقاضي عياض[7] ، كمّل به المعلم للمازري ؛ وقد أورده دون تسميته صراحة[8].

الإلمام في أحاديث الأحكام: للإمام تقيّ الدّين محمّد بن عليّ، المعروف بابن دقيق العيد الشافعي، المتوفّى سنة 702هـ، وهو كتاب جمع فيه متون الأحاديث المتعلّقة بالأحكام مجرّدة عن الأسانيد، ثمّ شرحه وبرع فيه، وسمّاه الإمام، قيل: إنّه لم يؤلّف في هذا النّوع أعظم منه، لما فيه من الاستنباطات والفوائد لكنّه لم يكمله[9] ؛ [9]؛ ورغم ذلك لم يورده الثعالبي إلاّ في موضعين فقط[10] .

---

(1) الديباج المذهّب 154/1 ؛ سير أعلام النبلاء 102/12 ؛ طبقات الفقهاء 164/1

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 180/1-206

(3) نيل الابتهاج ص: 243 برقم (285) ؛ جذوة الاقتباس 396/2

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 296/1 ؛ 339/2

(5) كشف الظنون 52/1 ؛ التاج المكلل ص: 120 برقم(99) ؛ صفوة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمان بن بن الجوزي 470/2 تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعجي، دار المعرفة-بيروت ط(2) 1399هـ-1979م ؛ سير أعلام النبلاء 133/16

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 110/1 ؛ 43/2 ؛ 603/4-604

(7) كشف الظنون 557/1 ؛ التاج المكلل ص: 461 برقم (486) ؛ طبقات الحفاظ للسيوطي 470/1 دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ ؛ سير أعلام النبلاء 212/20

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 604/1-605 ؛ 376/2

(9) كشف الظنون 158/1 ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني 91/4-96 تحقيق: محمد جاد الحقّ، دار الكتب الحديثة-مصر ط(2) 1385هـ ؛ البدر الطالع 229/2-232

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 262/1-270

بهجة المجالس وأنس المجالس: للحافظ يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري القرطبي، أبو عمرو، المتوفّى سنة 463 هـ[1]، وردت الإشارة إليه في بعض المواضع[2].

بهجة النّفوس وغايتها بمعرفة مالها وما عليها: للإمام عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأندلسي، أبو محمّد، المتوفّى سنة 675 هـ، وهو كتاب شرح فيه نحو ثلاثمائة حديث من أحاديث البخاري[3] ، وقيل سمّاه: جمع النّهاية في بدأ الخير والغاية[4] ؛ وقد استفاد منه في العديد من المواطن[5].

التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد: لابن عبد البرّ، وهو كتاب فقهيّ حديثيّ[6] ، اعتمد عليه كثيرًا[7].

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: لابن عبد البرّ[8]، نقل عنه عنه في مواطن قليلة[9].

ختم الأولياء: للإمام المحدّث محمّد بن عليّ بن حسن بن بشير، المعروف بالحكيم الترمذي، المتوفّى سنة 255 هـ[10] ؛ ولم يرد ذكره إلاّ في مواضع[11] .

دلائل النّبوّة: للإمام الحافظ أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي، أبو بكر، المتوفّى سنة 458 هـ[12] ، ولم يستعن به، وإنّما ورد النقل عنه بالواسطة في موضع واحد[13].

---

(1) كشف الظنون 208/1 ؛ التاج المكلّل ص: 153-155

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 160/1-170-185-536 ؛ 208/2 ؛ 318/4-429-451

(3) كشف الظنون551/1 ؛ نيل الابتهاج ص: 216 برقم (235) ؛ التاج المكلّل ص: 393 برقم (431) (431)

(4) نفس المصدر السابق 599/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 16/1-63-283-308-313 ؛ 215/2-334-391-421 ؛ 122/3-202-299 ؛ 15/4-78-198

(6) كشف الظنون 484/1 ؛ 1907/2 ؛ وفيات الأعيان 458/2 ؛ تذكرة الحفاظ 306/3 ؛ شذرات الذهب 314/3

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 123/1-143-152-170-246-255-270-391-395-419-420-431-455-577-521 ؛ 20/2-143-181-339-383-417-469 ؛ 27/3-34-72-113-175-181 ؛ 32/4-119-150-165-178-211-258-369-449-513-

(8) كشف الظنون 565/1 ؛ البداية والنهاية 104/12

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 280/1-296-302-339 ؛ 07/2-18-132-372-339 ؛ 372/4

(10) كشف الظنون 1415/2 ؛تذكرة الحفاظ 645/2 ؛ سير أعلام النبلاء 440/13 ؛طبقات الحفاظ 286/8

(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 74/1 ؛ 248/4-391

(12) كشف الظنون 760/1 تذكرة الحفاظ 132/3 ؛ وفيات الأعيان 57/1-58

(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 287/4

رياض الصالحين: للإمام المحدّث الفقيه يحي بن شرف بن مري بن حسن النّووي الدمشقي الشافعي، محي الدين، أبو زكريا، المتوفّى سنة 677 هـ[1]، ورد ذكره في موضع واحد[2].

سلاح المؤمن: للإمام تقيّ الدّين محمّد بن محمّد بن عليّ بن همام المصري الشافعي، الشهير بالغرناطي، أبو الفتح، المتوفّى سنة 745 هـ [3]؛ وقد اعتمده كثيرًا [4].

سنن المصطفى: للإمام الحافظ سليمان بن أشعث السجستاني، أبو داود، المتوفّى سنة 275هـ[5]، نقل عنه كثيرًا[6].

سنن بن ماجة: للإمام الحافظ محمّد بن يزيد بن ماجة القزويني، أبي عبد الله، المتوفّى سنة 273هـ، وهي السّادسة من الكتب السّتّة[7] ، استأنس بها في مواضع[8].

سنن الترمذي (الجامع الصحيح): للإمام الحافظ محمّد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى، المتوفّى سنة 279 هـ، وهي ثالث الكتب السّتّة في الحديث[9] ، وقد اعتمده اعتمده كثيرًا[10].

---

(1) كشف الظنون 354/5 ؛ تذكرة الحفّاظ 250/4-254 ؛ البداية والنهاية 278/13، 279 ؛ شذرات الذهب 354/5

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 383/4

(3) كشف الظنون 994/2-995 ؛ طبقات الشافعية 66/3 ؛ سير أعلام النبلاء 362/22

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 36-44-134-149-164-175-179-189-232-244-242-286-290-360-366-373-387-490-491-568-601 ؛ 134/2-214-348-363-434-440-508-523-530 ؛ 95/3-98-139-162-187-197-205-271-273-214-217-230-258-260-263-284-313-328-349-356-359-364-365-392 ؛ 05/4-26-53-59-82-106-107-164-185-227-245-258-266-360-372-391406-407-415-458-482-502-503-589-601-606-644-665-689-690

(5) كشف الظنون 1004/2 ؛ طبقات المحدّثين 103/1

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 41/1-50-162-271-583 ؛ 20/2-34-46-216-256-417-469-471 ؛ 31/3-35-103-115-136-151-163-164-175-176-219-301-321-366- ؛ 177/4-211-229-259-261-383-413-425-525-546-634-678

(7) كشف الظنون 1004/2 ؛ طبقات المحدّثين 103/1 ؛ تذكرة الحفاظ 636/2 ؛ سير أعلام النبلاء 277/13

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 142/1-150-409-516 ؛ 534/4، 677

(9) كشف الظنون 559/1 ؛ طبقات المحدّثين 104/1 ؛ تذكرة الحفاظ 633/2 ؛ الثقات لابن أبي حاتم البستي 153/9 دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1408هـ-1988م.

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 15/1-20-21-91-150-171-299-366-467 ؛ 69/2-101-134-172-499-551 ؛ 79/3-126-136-151-163-164-175-176-273-275-282-289-301-305-330-337-356-383 ؛ 76/4-80-152-169-175-225-234-248-

سنن الدارقطني: للإمام الحافظ عليّ بن عمر، الشهير بالحافظ البغدادي، أبو الحسن، المتوفّى سنة 385 هـ[1] ، نقل عنه نادرًا[2].

سنن النسائي: للإمام للحافظ أبي عبد الرحمان بن شعيب النسائي، المتوفّى سنة 303 هـ[3] ؛ وقد نقل عنه في مواطن معيّنة[4].

شرح الأربعين حديثًا: للإمام تاج الدين عمر بن عليّ بن سالم اللخمي الإسكندري، الشهير بابن الفاكهاني المالكي، أبو حفص، المتوفّى سنة 731 هـ[5] ، لم ينقل عنه إلاّ لمناسبة المقام[6].

شرح الأحكام الصغرى في الحديث: للإمام عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي، الشهير بابن بزيزة، أبو محمّد، المتوفّى سنة 673 هـ [7]؛لم ينقل عنه إلاّ في مكان واحد[8].

شرح صحيح البخاري: للإمام عليّ بن خلف، الشهير بابن بطّال المغربي المالكي، أبو الحسن، المتوفّى سنة 449 هـ، وغالبه فقه الإمام مالك من غير تعرّض لموضوع الكتاب[9] ؛ نقل عنه في موضعين[10].

صحيح البخاري (الجامع الصحيح): للإمام الحافظ محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 256 هـ، وهو أوّل الكتب الستّة في الحديث وأفضلها[11]، فلا غرابة أن يتّخذه الثعالبي مصدرًا أساسيًا في تفسيره[12].

-618-606-605-574-554-449-421-396-390-376-318-289-280-279-261-256
653-629

(1) كشف الظنون 1007/2 ؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 34/12، دار الكتب العلمية-بيروت.

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 535/1-618

(3) كشف الظنون 1006/2 ؛ تذكرة الحفاظ 698/2-701 ؛ طبقات المحدثين 107/1

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 41/1-91-151 ؛ 121/2 ؛ 241/4-318

(5) كشف الظنون 59/1 ؛ الديباج المذهب 186/1

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 172/1-525 ؛ 120/2-534

(7) نيل الابتهاج ص: 268 برقم (321) ؛ شجرة النّور الزكيّة ص: 190

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 87/4

(9) كشف الظنون 546/1 ؛ التاج المكلّل ص: 296 برقم (324) ؛ سير أعلام النبلاء 47/18 ؛ الديباج المذهب 204/1

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 401/1 ؛ 50/4

(11) كشف الظنون 541/1 ؛ تاريخ بغداد 4/2-24 ؛ تذكرة الحفاظ 122/2 ؛ البداية والنهاية 24/11-28

(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 25/1، 62، 111، 132، 142، 149، 150، 153، 154، 180، 249، 398، 409، 434، 442، 446، 509، 538، 581، 583، 587، 588، 628، 629، 631، 641، 643، 647، 658، 676 ؛ 15/2، 16، 25، 77، 81، 100، 104، 112، 121، 125، 139، 143، 161، 186، 191، 194، 201، 206، 210، 214، 218، 224، 233، 247، 256، 267، 279، 313، 314، 317، 328، 329، 343، 347، 359، 362، 363، 370، 384، 387،

صحيح بن حبّان: للإمام الحافظ محمّد بن حبّان البستي، أبو حاتم، المتوفّى سنة354 هـ[1] ، ولم ينقل عنه إلاّ نادرًا [2] .

صحيح مسلم (الجامع الصحيح): للإمام الحافظ مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري الشافعي، أبو الحسين، المتوفّى سنة261هـ، وهو ثاني الكتب الستّة، وأحد الصحيحين اللذين هما أصحّ الكتب بعد كتاب الله العزيز[3] ، ومن الطبيعي أن يتّخذه مصدرًا أساسيًا في تفسيره[4].

القبس في شرح موطّأ مالك بن أنس: للحافظ ابن العربي[5]، ولم ينقل عنه إلّا في موضع واحد[6].

كتاب التقصّي بحديث الموطّأ: للحافظ ابن عبد البرّ [7]، ولم يستعن به، بل نقل عنه في موضع واحد[8].

كتاب الديباج: للإمام إسحاق بن إبراهيم بن محمّد بن حازم بن سنين الخُتَّلي، البغدادي، أبو القاسم المتوفى سنة 283 هـ[9]، نقل عنه مرّة واحدة [10].

397، 429، 451، 452، 471، 493، 497، 504، 540، 550 ؛ 23/3، 28، 37، 58، 62، 68، 100، 103، 105، 108، 112، 114، 115، 117، 157، 166، 169، 173، 190، 196، 202، 210، 214، 222، 234، 240، 254، 275، 286، 290، 312، 313، 316، 317، 327، 336، 338، 340، 343، 363، 364، 366، 367، 371، 382، 383، 387، 401 ؛ 12/4، 15، 22، 41، 53، 92، 104، 116، 117، 124، 126، 153، 174، 180، 205، 215، 220، 227، 228، 229، 231، 235، 236، 249، 253، 254، 255، 256، 260، 263، 264، 266، 267، 268، 271، 273، 303، 314، 322، 333، 334، 335، 336، 340، 344، 348، 349، 351، 381، 384، 388، 400، 403، 411، 413، 414، 416، 427، 434، 435، 443، 454، 458، 484، 492، 499، 518، 520، 521، 535، 549، 550، 551، 558، 563، 661، 683، 684

(1) كشف الظنون 1075/2 ؛ شذرات الذهب 16/3 ؛ طبقات المحدثين 113/1 ؛ تذكرة الحفاظ 193/1-197

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 437/1 ؛ 359/3

(3) كشف الظنون 555/1 ؛ تاريخ بغداد 100/13-104 ؛ تذكرة الحفاظ 150/2 ؛ وفيات الأعيان 109/2-120

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 24/1، 41، 44، 62، 91، 96، 149، 154، 164، 180، 409، 434، 437، 444، 525، 539، 607 ؛ 121/2، 134، 140، 172، 178، 191، 214، 218، 319، 393، 411، 493، 531، 532، 536، 537، 551 ؛ 31/3، 103، 115، 15، 219، 258، 382 ؛ 104/4، 117، 120، 220، 228، 245، 249، 256، 260، 261، 266، 267، 268، 273، 283، 284، 315، 348، 374، 411، 413، 414، 426، 434، 500، 594، 618، 632، 677، 681

(5) كشف الظنون 1315/2، 1908 ؛ وفيات الأعيان 619/1 ؛ البداية والنهاية 228/12-229 ؛ سير أعلام النبلاء 198/20؛ تذكرة الحفاظ 86/4-89

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 534/1

(7) كشف الظنون 1907/2

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 09/1

(9) تاريخ الإسلام مج115/21، 116 ؛ المقتنى في سرد الكنى للذهبي 54/1 تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، مطابع الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة 1408هـ ؛ سير أعلام النبلاء 342/13

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 587/4

كتاب روّاة مالك بن أنس: للإمام عليّ بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني، أبو الحسن، المتوفى سنة 385 هـ [1]، ورد ذكره مرّة واحدة[2].

كتاب المراسيل: للإمام أبي داود السجستاني[3] ؛ولم يورده إلاّ في موطن واحد[4] واحد[4].

الكوكب الدّريّ: للإمام أحمد بن سعد التجيبي، أبو العبّاس[5] ؛ استفاد منه في العديد من المواضع[6].

المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ عبد الله محمّد بن عبد الله، المعروف بالحاكم النيسابوري، المتوفّى سنة 405 هـ[7]؛ وقد نقل عنه في مواضع قليلة[8].

المسند: للإمام عبد بن حميد الكشي، أبو محمّد، المتوفّى سنة 249 هـ [9] ؛نقل عنه في موضع واحد[10].

مسند البزّار: للإمام الحافظ أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزّار، أبو بكر، المتوفّى سنة 292 هـ[11]؛ استأنس به في مواطن[12].

مسند الطيالسي: للإمام الحافظ سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الطيالسي، المتوفى سنة 204 هـ [13]، نقل عنه في موضع واحد[14].

المسند المنتخب: للإمام الحافظ عليّ بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور، أبو الحسن البغوي المتوفى سنة 287 هـ [1]، وقد نقل عنه في مواطن قليلة [2].

---

(1) تاريخ بغداد 34/12 ؛ طبقة المحدّثين 117/1 ؛ طبقات الشافعية 462/3-466
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 345/4
(3) كشف الظنون 1458/2 ؛ طبقات المحدثين 103/1 ؛ سير أعلام النبلاء 203/13
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 416/4
(5) لم أقف على ترجمته
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 101/1، 124، 160، 225، 281، 358، 381، 382، 446، 535، 576، 615، 618، 635 ؛ 246/2، 379، 422، 491 ؛ 23/3، 142، 285 ؛ 249/4
(7) كشف الظنون 1672/2 ؛ تاريخ بغداد 473/5 ؛ تذكرة الحفاظ 227/3-233 ؛ البداية والنهاية 355/11
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 43/1، 149، 174، 366، 601
(9) كشف الظنون 1679/2 ؛ طبقات المحدثين 98/1 ؛ المقتنى في سرد الكنى 54/2 ؛ سير أعلام النبلاء 236/12 ؛ الثقات 401/8
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 146/2
(11) كشف الظنون 1682/2 ؛ طبقات المحدثين 105/1 ؛ تذكرة الحفاظ 653/2 ؛ شذرات الذهب 209/2 ؛ سير أعلام النبلاء 13554
(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 389/1 ؛ 23/3 ؛ 177/4
(13) تذكرة الحفاظ 351/1 ؛ شذرات الذهب 12/2 ؛ الثقات 275/8
(14) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 22/3

مصابيح السنّة: للإمام الحافظ حسين بن مسعود الفرّاء البغوي الشافعي، المتوفّى سنة 516 هـ، وهو كتاب جليل القدر، جمع فيه ما أورده أئمّة الحديث في كتبهم، وجعله للمنقطعين إلى العبادة لتكون لهم بعد كتاب الله تعالى حظًّا من السنن وترك ذكر الأسانيد، اعتمادًا على نقل الأئمّة[3]، ولهذا استعان به في بعض المواضع وإن كانت قليلة [4].

المصنّف: للإمام الحافظ عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة العبسي، أبو بكر، المتوفّى سنة 235هـ[5]؛لم يورده إلاّ في موضعين[6].

معالم السنن: للإمام حمد بن محمّد بن إبراهيم بن خطّاب البستي الخطّابي، أبو سليمان، المتوفّى سنة 338 هـ، وهو شرح لصحيح البخاري [7] ؛ وقد نقل عنه دون الإشارة إلى اسم الكتاب صراحة[8].

المعلم بفوائد كتاب مسلم: للإمام الفقيه محمّد بن عليّ المازري، المالكي، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 536 هـ[9]، نقل عنه ولم يذكر اسم كتابه[10].

الموطّأ: للإمام المحدّث الفقيه مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، المتوفّى سنة 178هـ، وهو كتاب مبارك قصد فيه جمع الصحيح عنده [11] ؛ وقد نقل عنه في العديد من المواطن[12].

مشارق الأنوار على صحاح الآثار: للقاضي عياض، وهو كتاب مفيد جدًّا، في تفسير غريب الحديث المختصّ بالصحاح الثلاثة وهي الموطأ والبخاري ومسلم[1]؛ ومع هذا لم يستعن به إلاّ في الملحق اللغوي بتفسيره[2].

---

(1) كشف الظنون 1685/2 ؛ طبقات المحدثين 104/1 ؛ تذكرة الحفاظ 622/2 ؛ المقتنى في سرد الكنى 183/1

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 382/1-590 ؛ 160/2 ؛ 136/3-142

(3) كشف الظنون 1698/2 ؛ البداية والنهاية 19/12 ؛ تذكرة الحفاظ 52/4-53

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 159/1-299-491 ؛ 301/3 ؛ 261/4-318-634

(5) كشف الظنون 1711/2-1712 ؛ تاريخ بغداد 66/10-71 ؛ تذكرة الحفاظ 18/2، 19.

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 55/1 ؛ 23/3

(7) كشف الظنون 545/1 ؛ تذكرة الحفاظ 209/3-211 ؛ سير أعلام النبلاء 23/17 ؛ معجم المؤلفين 238/1

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 34/2 ؛ 186/5

(9) كشف الظنون 557/1 ؛ وفيات الأعيان 486/1 ؛ سير أعلام النبلاء 104/20 ؛ الأعلام 164/7

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 69/1

(11) كشف الظنون 1907/2 ؛ طبقات المحدثين 62/1 ؛ وفيات الأعيان 135/4 ؛ سير أعلام النبلاء 48/8

(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 123/1-151-161-218-246-254-395-419-467-533-577-627 ؛ 20/2-121-143-181-417-469 ؛ 34/3-123-179-380 ؛ 150/4-164-178-380-439

النّصيحة: للإمام الآجري، ولم يرد ذكره إلاّ في مكان واحد[3].

نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول: للحكيم الترمذي[4] ، وقد أورده في موضعين من تفسيره[5].

ونقل عن الإمام كمال الدين أحمد بن عليّ القسطلاني المصري، أبو العبّاس، الفقيه، الزّاهد، المتوفّى سنة 636 هـ[6] ، ولكن دون ذكر اسم الكتاب[7].

وكذا عن الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني[8] ولعلّه (**المعجم الكبير**)[9].

وعن الإمام عليّ بن محمّد بن خلف المعافري القروي القابسي، المالكي، أبو الحسن، المتوفى سنة 403 هـ[10]، ولعله كتاب (**الممهّد في الفقه**).

خامسا: كتب الزهد (التصوّف)، وتشكّل ثلث المصادر تقريبًا، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

الكتب الأساسية: والتي نقل عنها بكثرة، مقارنة بغيرها وهي كالآتي:

إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد الغزالي، وهو من أجلّ كتب المواعظ وأعظمها، حتّى قيل فيه: إنّه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عمّا ذهب [11] ؛ ومن هنا استعان به الثعالبي[12]

---

(1) كشف الظنون 1687/2 ؛ وفيات الأعيان 392/1 ؛ مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية 19/2 دار الكتب العلمية-بيروت (د.ت.ط.) ؛ الأعلام 282/5

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 472/4 ؛ 5/07-09-14-17-21-23-26-31-32-33-34-35-41-42-43-44-47-48-49-52-56-58-62-65-66-72-79-80-83-85-86-87-88-91-92-96-98-99-105-115-117-119-121-123-127-132-136-138-139-140-141-142-147-148-155-163-165-172-174-177-180-183-185-188.

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 187/2

(4) كشف الظنون 1979/2 ؛ تذكرة الحفاظ 645/2 ؛ سير أعلام النبلاء 440/13 ؛ طبقات الحفاظ 286/8

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 74/1 ؛ 340/4

(6) نيل الابتهاج ص:78 برقم (41) ؛ هدية العارفين 92/5 ؛ شذرات الذهب 179/5، شجرة النور الزكية ص: 169 ؛ الديباج المذهب 67/1

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 551/4

(8) وفيات الأعيان 269/1 ؛ البداية والنهاية 270/11 ؛ تذكرة الحفاظ 118/3-123 ؛ شذرات الذهب 30/3

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 262/1 ؛ 07/2

(10) نفس المصدر السابق 123/5-165 ؛ كشف الظنون 1908/2 ؛ سير أعلام النبلاء 158/17

(11) كشف الظنون 23/1 ؛ سير أعلام النبلاء 322/19 ؛ طبقات الشافعية 293/2

(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/17-65-76-205-244-245 610-403-345-؛ 2/76-187-267-391-503-505 ؛ 3/139-286-314 ؛ 4/55-78-103-140-195-297-299-357-364-443-464-465-476-497-605-613-643

التحبير في علم التذكير: للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي، أبو القاسم، المتوفّى سنة 465 هـ [1]، ضمّنه معاني أسماء الله تعالى؛ وقد أورده في بعض المواضع[2].

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: للإمام الفقيه المفسّر شمس الدين محمّد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي، المتوفّى سنة 671 هـ، وهو كتاب مشهور جمعه من كتب الأخبار والآثار ما يتعلّق بذكر الموت والموتى والحشر والجنّة والنّار والفتن والأشراط ..، [3]نقل عنه في الكثير من المواطن[4].

التنوير في إسقاط التدبير: للإمام الزاهد تاج الدين أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله السكندري، المتوفّى سنة 709 هـ [5] ؛ نقل عنه في مواضع معيّنة[6].

حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار[7] **:** للإمام النووي، وهو كتاب مشهور بأذكار النّووي[8].

سنن الصالحين [9]**:** للقاضي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الباجي الأندلسي، أبو الوليد، المتوفّى سنة 494 هـ[10].

الكلم الفارقية والحكم الحقيقية [11] : لابن عطاء الله السكندري.

لطائف المنن في مناقب الشيخ أبو العبّاس المرسي وشيخه أبو الحسن الشاذلي[12]: لابن عطاء الله السكندري[1].

---

(1) كشف الظنون 354/1 ؛ سير أعلام النبلاء 562/18 ؛ طبقات الشافعية 254/2

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 122/1-160-325-388-438 ؛ 24/3-213 ؛ 98/4-164.

(3) كشف الظنون 390/1 ؛ الديباج المذهب 317/1

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 15/1-56-58-74-141-150-151-225-264-301-303-355-358-389-391-409-437 ؛ 08/2-63-66-73-83-85-86-109-141-187-221-265-338-373-398- ؛ 87/4-104-117-166-183-204-222-250-365-414-431-440-465-588-645-678-688

(5) كشف الظنون 502/1

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 70/1 ؛ 339/2 ؛ 70/3-90-396-398 ؛ 177/4-506-516

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 13/1-14-134-152-153-192-193-218-306-312-341-370-373-461-470-473-609 ؛ 18/2-134-522-527 ؛ 197/3-208-230-242 ؛ 70/4-106-258-266-283-691

(8) كشف الظنون 688/1-689 ؛ طبقات الشافعية 153/2

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 16/1-460 ؛ 461/2 ؛ 32/3-33-300 ؛ 406/4-502-503-535.

(10) سير أعلام النبلاء 535/18 ؛ طبقات الحفاظ 439/1

(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 74/1-104-109-268-275-491 ؛ 104/2-109-385-473 ؛ 74/3-180-188-217-310-373-396-397 ؛ 177/4-289-312-624

(12)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 69/1-104-177-405 ؛ 104/2-213-542 ؛ 260/3-311-330-373-390 ؛ 106/4-297-312

الرقائق ((2)**:** للإمام عبد الله بن المبارك الحنضلي المروزي، المتوفّى سنة 181 هـ(3).

كتب الزهد الثانوية، وهي كما يلي :

أسّ التوحيد ونزهة المريد(4)**:** للشيخ شعيب بن الحسن المغربي المالكي، أبو مدين، المتوفّى سنة 589 هـ(5)؛ ولم يذكر الكتاب صراحة، ولكن حسب المنقولات عنه ترجّح أنّه هو .

إختصار رعاية المحاسبي(6): لعزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي الشافعي، الملقّب: بسلطان العلماء، المتوفّى سنة 660 هـ(7).

الإفصاح(8) **: ل**شبيب بن إبراهيم(9).

بداية الهداية (10)**:** لأبي حامد الغزالي، وهو مختصر ذكر فيه ما لابدّ لعامّة المكلّفين والطالبين من العادات والعبادات(11) .

بغية السالك12))**:** للإمام محمّد بن محمّد بن أحمد الأنصاري الساحلي المالقي، أبو عبد الله(13)، ولم يذكره صراحة، وإنّما أشار إلى موضوعه وهو السلوك.

---

(1) كشف الظنون 1554/1

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 74/1-77-124-142-147-149-177-179-180-382-396-539-663 ؛ 212/2-218-246-344-345-396-423-457-551 ؛ 27/3-33-35-153-281-349-383 ؛ 53/4-89-121-122-146-150-166-168-169-189-197-211-350-358-359-366-367-399-466-473-476-478-497-580.

(3) كشف الظنون 911/1 سير أعلام النبلاء 390/10 ؛ التاريخ الكبير للبخاري 240/1 تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر؛ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 262/1 دار إحياء التراث العربي-بيروت 1982م ؛ تذكرة الحفاظ 274/1

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 585/1 ؛ 444/4. نقل عن المؤلف دون أن يشير إلى اسم الكتاب، ولعلّه هو.

(5) كشف الظنون 84/1 ؛ سير أعلام النبلاء 219/21

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 480/2-481 ؛ 589/4

(7) البداية والنّهاية لابن كثير 248/13. دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- (ط4): 1408هـ -1988م، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. عليّ نجيب عطوري، د. فؤاد السّيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. عليّ عبد الساتر. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي 209/8. دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، تحقيق: محمود محمّد الطناحي، عبد الفتّاح محمّد الحلو ؛ طبقات الشافعية 109/2

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 151/1

(9) لم أقف عليه

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 217/4

(11) كشف الظنون 228/1

(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 192/1 ؛ 108/2

(13) نيل الابتهاج ص: 391

التسلّي والتصبّر على ما قضاه الإله من أحكام أهل التجبّر والتكبّر[1]**:** للإمام عليّ بن عبد الله المغربي الشاذلي المالكي، أبو الحسن، المتوفّى سنة 656 هـ[2].

التشوّف إلى رجال التصوّف[3] : للإمام يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي، الشهير بابن الزيّات، أبو يعقوب. [4]

توبيخ النّفس [5]**:** للحارث بن راشد المحاسبي البصري، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 243 هـ[6].

التوهّم [7]: للمحاسبي.

حسن الظنّ بالله تعالى[8]: للإمام عبد الله بن محمّد بن عبيد القرشي الشافعي، المعروف بابن أبي الدنيا، أبو بكر، المتوفّى سنة 281 هـ [9].

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء[10] **:** للإمام الحافظ أحمد بن عبد الله الأصفهاني، أبو نعيم، المتوفّى سنة 430 هـ، وهو كتاب معتبر، يتضمّن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمّة الأعلام المحقّقين والمتصوّفة والنّسّاك وبعض أحاديثهم وكلامهم[11].

11.الدرّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة[12]**:** لأبي حامد الغزالي[13].

الرسالة القشيرية ((14: للإمام القشيري[15] .

13.الرعاية في التصوّف[1] **:** للمحاسبي، قيل: « فيه كلمات كثيرة من التقشّف وشدّة وشدّة السلوك التي لم يرد بها الشرع »[2] .

---

(1) لم يذكره الثعالبي صراحة، ولكن حسب المنقولات عنه تؤكّد أنّه هو ؛ نفس المصدر السابق 159/1 ؛ 159/1 ؛ 213/2-531 ؛ 259/3 ؛ 157/4

(2) كشف الظنون 404/1

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 179/1-180 ؛ 249/4

(4) نيل الابتهاج ص:72، 626

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 582/4

(6) سير أعلام النبلاء 110/12 ؛ شذرات الذهب 103/2 ؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزّي 208/5 تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة-بيروت ط(2) 1403هـ-1983م.

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 264/3 ؛ 328/4-580

(8) نفس المصدر السابق 117/4-190

(9) كشف الظنون 667/1

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 467/1 ؛ 07/2 ؛ 166/3

(11) كشف الظنون 689/1

(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 464/4

(13) كشف الظنون 742/1

(14) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 15/1 ؛ 99/3-299 ؛ 198/4-530

(15) كشف الظنون 882/1

رياضة المتعلّمين[3] **:** لأبي نعيم الأصفهاني[4] .

سبل الخيرات)5(**:** للإمام يحي بن نجاح بن الفلاس الأموي القرطبي، أبو الحسين، المتوفّى سنة 422 هـ[6].

سراج المريدين[7]**:** لابن العربي المالكي[8].

سراج الملوك) 9): للإمام محمّد بن الوليد القرشي الفهري المالكي الطرطوشي، أبو بكر، المتوفّى سنة 520 هـ ؛ وهو كتاب جمع فيه من سير الأنبياء وآثار الأولياء ومواعظ العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء، ورتّبه ترتيبًا أنيقًا قلّما سمع به ملك إلاّ استكتبه، ولا وزير إلاّ استصحبه، يستغني الحكيم بمدارسته عن مباحثة الحكماء، والملك عن مشاورة الوزراء[10].

شرح ألفاظ الصوفية (11(: لابن العربي((12) .

صفوة التصوّف[13] **:** للإمام محمّد بن طاهر بن عليّ المقدسي، أبو الفضل، المتوفّى سنة 507 هـ[14].

صفوة الصفوة[15] **:** للإمام عبد الرحمان بن عليّ، المعروف بابن الجوزي، أبو الفرج، المتوفّى سنة 597هـ[16]؛ وهو اختصار لحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 527/2
(2) كشف الظنون 908/1
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 76/1
(4) كشف الظنون 938/1.وهو عنده (رياضة المتعلّم)
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 282/4
(6) كشف الظنون 978/2
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 108/3
(8) كشف الظنون 984/1
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 501/1 ؛ 197/2 ؛ 186/4.
(10) كشف الظنون 984/1
(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 258/3
(12) نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب للمقرّي 25/2، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1388هـ-1968م؛ طبقات المفسّرين للسيوطي ص: 34. تحقيق: عليّ محمّد الحلو، النّاشر: مكتبة وهبة، مطبعة الحضارة العربية- الفجالة- الطبعة الأولى: 1396هـ-1976م.
(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 372/1-442 ؛ 70/3
(14) كشف الظنون 1079/2
(15) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 256/1
(16) كشف الظنون 1080/2

عيوب النّفس [1]: للإمام محمّد بن الحسين بن محمّد بن موسى السّلمي النيسابوري الصوفي، أبو عبد الرحمان، المتوفّى سنة 412 هـ[2].

22.غاية المغنم في اسم الله الأعظم [3]: للإمام تاج الدين عليّ بن محمّد بن الدريهم الموصلي، المتوفّى سنة 762 هـ [4]؛ وقد نقل الثعالبي عن الكتاب دون الإشارة إلى اسم المؤلّف.

غيث المواهب العليّة في شرح الحكم العطائية [5]: للإمام محمّد بن إبراهيم بن عبّاد النّفري الرندي الشاذلي، المتوفّى سنة 792هـ[6].

24.الفرج بعد الشدّة[7] : للإمام القاضي الأديب محسن بن عليّ التنّوخي، أبو عليّ، المتوفّى سنة 384هـ[8].

القصد إلى الله تعالى[9] **:** للحارث المحاسبي[10].

26.مختصر الإحياء: للإمام شمس الدين محمّد بن محمّد بن عليّ بن جعفر العجلوني البلالي، المتوفّى سنة 812 هـ، وهو أحسن المختصرات وأجودها[11] ، والمؤلّف من شيوخ الثعالبي، كما يصرّح هو بنفسه: « وهذا الشيخ البلالي لقيته ورويت عنه كتابه هذا »[12].

المرقبة العليا في تعبير الرؤيا[13] **:** للإمام محمّد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي، نزيل تونس، ويعرف بابن راشد[14].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 310/4-420-623-624
(2) كشف الظنون 1183/2
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 176/1-245 ؛ 91/3
(4) كشف الظنون 1194/2
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 222/1-405 ؛ 397/3 ؛ 297/4-312
(6) كشف الظنون 675/1 ؛ نيل الابتهاج ص: 472-476 ؛ شجرة النّور الزكية ص: 238
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 190/3
(8) كشف الظنون 1253
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 397/1-412-561 ؛ 253/2-254 ؛ 28/4.
(10) تهذيب الكمال 208/5 ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي12 / 110 مؤسسة الرسالة-بيروت، (ط4): 1406هـ/1986م، أشرف على تحقيق وتخريج الأحاديث: شعيب الأرناؤوط، ثمّ لكلّ جزء محقّق خاص؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد 103/2. دار إحياء التراث العربي-بيروت (طبعة جديدة).
(11) كشف الظنون 24/1
(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 170/1
(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 495/2
(14) نيل الابتهاج ص: 392-394

المستغثين بالله تعالى عند الحاجات والمهمّات والمتضرّعين إلى الله سبحانه وتعالى بالرغبات[1]: للإمام خلف بن عبد الملك بن بشكوال، أبو القاسم، المتوفّى سنة 578 هـ[2].

المنتخب في النوب [3] **:** لجمال الدين عبد الرحمان بن عليّ بن الجوزي، أبو الفرج، المتوفّى سنة 597هـ وهو كتاب جامع في الموعظة[4].

منهاج العابدين [5]: لأبي حامد الغزالي، وهو كتاب نافع لمن أراد الآخرة وأعرض عن الدنيا[6].

وسائل الحاجات وآداب المناجاة[7] : أبي حامد الغزالي.

كما نقل عن الإمام محمّد بن عبد الله بن مسرّة القرطبي، أبو عبد الله، المتوفى سنة 319 هـ[8] دون أن يشير إلى اسم كتابه[9].

كتب العقيدة :

استعان الثعالبي في مجال العقيدة بكتب الأشاعرة [10]، : وهي ليست كثيرة ولكنّها كافية في تأكيد إنتماءه لمذهب الخلف من أهل السنّة والجماعة، وكان أبرزها عنده :

الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في الاعتقاد [11]: لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، أبوالمعالي المتوفّى سنة 478 هـ[12]؛ وقد نقل عنه دون الإشارة إلى اسم الكتاب.

تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل[13] : للإمام للقاضي محمّد بن الطيّب الباقلاّني، أبو بكر، المتوفّى سنة 403 هـ[14]، وقد نقل عنه دون أن يبيّن اسم الكتاب صراحة، ولعلّه هو.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 126/4
(2) كشف الظنون 1674/2
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 281-73-72-71/4
(4) كشف الظنون 1850/2
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 101/1 ؛ 550-411-405/2 ؛ 192/3
(6) كشف الظنون 1876/2
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 672/4
(8) جذوة المقتبس 109/1، 110
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 125-124/4
(10) نسبة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله، الذي كان على مذهب الاعتزال ثمّ رجع عنه إلى مذهب السنة. انظر: الملل والنحل 66/1
(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 375-39-38/1 ؛ 290/3
(12) كشف الظنون 68/1 ؛سير أعلام النبلاء 468/18 ؛ طبقات الشافعية 165/5
(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 408-375-60/1
(14) شذرات الذهب 169/3 ؛ تاريخ بغداد 379/5 ؛ سير أعلام النبلاء 190/17

لوامع البيّنات في شرح أسماء الله والصفات[1] **: ل**لإمام فخر الدين الرازي[2]؛ وقد اكتفى بالإشارة إلى (شرح أسماء الله) دون إتمام العنوان.

العاقبة في البعث[3] **: ل**لإمام عبد الحقّ بن عبد الرحمان الإشبيلي، أبو محمّد، المتوفّى المتوفّى سنة 582هـ[4].

المنهاج في شعب الإيمان [5]: للإمام حسين بن الحسن الحليمي الشافعي، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 403 هـ ؛ وهو كتاب جليل، فيه أحكام كثيرة ومسائل فقهية وغيرها ممّا يتعلّق بأصول الإيمان وآيات الساعة وأحوال القيامة[6].

5.كما نقل عن الإمام ابن الحسن النيسابوري الشافعي، الشهير بابن فورك، أبو محمّد، المتوفّى سنة 406 هـ[7]؛ دون أن يشير إلى اسم الكتاب. 8)

كتب اللغة وفروعها:

اعتمد الثعالبي في تفسيره على كتب اللغة، خاصّة المشهود لأصحابها بالعلم والرسوخ في هذا الميدان، منها ما اشتهر ذكره بين النّاس، ومنها ما لم يشتهر . ونترك الشيخ يسرد لنا بعضًا منها، لما لها من الأهمية في تقرير كثير من المسائل سواء كانت لغوية بحتة، أو لها علاقة بالعقيدة أو غيرها، حيث يقول: « واعتمدت في بيان ذلك وإيضاحه على صحاح أبي نصر إسماعيل بن حمّاد، المسمّى بتاج اللغة وصحاح العربية، ومختصر العين لأبي بكر محمّد بن الحسن الزبيدي، وشرح الغريبين (غريب القرآن وغريب الحديث) لأبي عبيد أحمد بن محمّد الهروي، ومشارق الأنوار لأبي الفضل عياض اليحصبي ؛ وإن نقلت شيئًا من غيرهم عزوته لمن عنه نقلت »[9].

واستخدم منهجًا خاصًّا في نقل كلام أهل اللغة حيث يقول: « وهذا اصطلاحنا في هذا الجزء أنّا إذا نقلنا كلامًا عن أحد في ترجمة غيره ختمناه بلفظ (انتهى)، ثمّ نرجع إلى نقل كلام صاحب الترجمة »[10].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/232-263 ؛ 2/475 ؛ 4/134

(2) كشف الظنون 2/1035 ؛ طبقات الشافعية 2/65 ؛ طبقات الفقهاء 1/263 ؛ سير أعلام النبلاء 21/485

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/88-184-616 ؛ 2/88-298-377-396-469 ؛ 3/83-108-163 ؛ 4/71-78-135-267-292-473

(4) كشف الظنون 2/1437 ؛ سير أعلام النبلاء 21/198

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 3/265

(6) كشف الظنون 2/1047 ؛ طبقات الشافعية 2/178

(7) طبقات الشافعية 2/190 ؛ سير أعلام النبلاء 17/214

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/55-67-70-86-271 ؛ 2/126

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 5/05

(10)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 5/07

الكتب الأساسية، وهي:

الأرجوزة في غريب القرآن[1] **: ل**لإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين الحسين العراقي، المتوفّى سنة 608هـ، وهي منظومة لخّص فيها غريب القرآن جمع أبي حيان[2]؛ ويصرّح الثعالبي بقوله: « وكلّ ما نقلته عن العراقي منظومًا فمن أرجوزته هذه »[3].

إعراب القرآن[4] **:** للإمام النحوي برهان الدين إبراهيم بن محمّد القيسي الصفاقسي، المتوفّى سنة 743 هـ[5].

الأفعال وتصاريفها[6] : للإمام محمّد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، المعروف المعروف بابن القوطية النحوي، أبو بكر، المتوفّى سنة 367 هـ، وهو أوّل من صنّف فيه[7].

الأنوار[8] **:** للإمام اللغوي النحوي إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق، المتوفّى سنة 311هـ[9].

الديباج: للإمام معمر بن المثنّى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة، المتوفّى سنة 209هـ[1] ؛ ولم يشر الثعالبي إلى اسم كتابه، ولعلّه أن يكون هو[2].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/98-284-354-530 ؛ 2/189 ؛ 3/31-33-122-250-275 ؛ 4/21-23-62-226-230-267-321-414

(2) كشف الظنون 2/1208 ؛ الضوء اللامع 4/171 ؛ البدر الطالع 1/354-356

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/98

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/34-36-46-50-75-77-78-87-91-93-103-106-107-109-130-132-143-145-146-147-151-164-168 ؛ 2/25-50-55-72-142-144-158-176-189-196-198-208-232-235-236-241-242-244-245-249-252-253-261-262-265-266-267-271-272-283-284-285-287-290-291-293-295-297-299-310-319-320-325-332-347-352-353-365-366-368-386-397-408-432-448-456-458-459-466-467-472-473-478-488-490-497-509-535-541 ؛ 3/09-12-13-20-22-52-63-66-68-69-74-78-81-82-84-89-92-93-100-101-105-116-118-121-126-136-138-148-154-166-169-205-207-210-219-231-232-233-235-261-266-268-287-292-307-312-313-315-321-325-337-339-354-368-387؛ 4/54-61-86-131-170-212-231-304-328-336-383-388-390-398-412-416-435-445-446-462-465-466-468-469-470-484-488-490-496-500-505-512-513-524-527-529-563-566-567-570-579-590-594-600-610-612-623-624-627-638-652-654-657-659-663-665-669-681-688

(5) نيل الابتهاج ص: 42-43 ؛ بغية الوعاة ص: 186 ؛ الديباج المذهّب 1/279 ؛ شجرة النور الزكية الزكية ص: 209

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 5/10-13-14-43-49-77-91-112-115-134-138-155

(7) كشف الظنون 1/133 ؛ سير أعلام النبلاء 16/219 ؛ الديباج المذهّب 1/163 ؛ جذوة المقتبس 1/128، 129

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/156-531-545-555-621-625 ؛ 2/58-63-103-128-136-184-202-333-395-415-421-438-448-482-498-513-514-517-523 ؛ 3/27-51-182-190-232-235-271-278-281-283-290-336-344-354 ؛ 4/15-45-55-58-83-95-100-105-145-190-263-279-305-317-320 622-441-370-361-347-336؛ 5/36-185.

(9) بغية الوعاة 1/411 ؛ شذرات الذهب 2/259 ؛ معجم الأدباء 1/130

تاج اللغة وصحاح العربية [3]**:** للإمام إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي، أبو نصر، المتوفّى سنة 393هـ، وقد أودع في هذا الكتاب ما صحّ عنده من هذه اللغة التي شرّف الله تعالى مراتبها، وجعل علم الدين والدنيا منوطًا بمعرفتها على ترتيب لم يسبق إليه، وتهذيب لم يغلب عليه، بعد تحصيله لها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهته لها العرب في ديارهم بالبادية[4].

شرح الغريبين[5] **:** للإمام أحمد بن محمّد بن محمّد الهروي، أبو عبيد، المتوفّى سنة401 هـ[6]

شرح مقامات الحريري[7] **:** للإمام أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، أبو العبّاس، المتوفّى سنة619هـ[8].

العين[9] للخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي، المتوفّى سنة 175 هـ[10].

الكتاب[11] : للإمام النحوي عمرو بن عثمان، الملقّب بسيبويه، البصري، الحارثي، أبو بشر، المتوفّى سنة180هـ[12].

مختصر العين[1] **:** للإمام محمّد بن حسن بن عبد الله القرشي الزبيدي القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله، أبو بكر المتوفّى سنة 740هـ[2].

---

(1) فهرست ابن النّديم ص: 53 ؛ تاريخ بغداد 13 / 252 ؛ سير أعلام النبلاء 445/9 ؛ شذرات الذهب 24/2؛ بغية الوعاة 294/2

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 26/1-162 ؛ 72/2-126-148-221-226 ؛ 92/3-117-206-297-381-395 ؛ 16/4-61-100-285-293-324-330-349-381-438-450-462-482-519-523-549-555-598-622-635-671 ؛ 88/5-138

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 529/2 ؛ 208/4 ؛ 07/5-13-21-25-29-39-47-55-61-65-77-83-87-89-95-101-113-119-125-139-145-151-161-169-177-181-187

(4) كشف الظنون 1071/2 ؛ تاريخ الإسلام مج48/281-283 (حوادث 651 هـ-66 هـ)

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 234/1 ؛ 88/2-337-345-390-404-436-551 ؛ 271/3-282-336-371-354 ؛ 11/4-229-439-456-520-585-595-599-622-625 ؛ 08/5-09-11-13-14-15-16-22-25-29-31-33-36-42-43-49-50-52-58-62-67-69-71-73-77-79-84-85-87-89-90-92-141-123-126-122-116-115-112-111-104-102-101-97-95-146-148-154-156-163-164-179-184-187.

(6) كشف الظنون 1209/2

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 08/5-09-11-14-15-16-22-39-40-41-43-45-48-56-72-81-95-101-102-103-105-109-110-111-112-113-114-116-120-132-133-135-140-142-147-152-155-159-161-162-164-185

(8) كشف الظنون 1790/2

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 37/1-63-103-108-533 ؛ 63/2-329 ؛ 320/4-341-481-572-673 ؛ 09/5-78-88-96-120-149-152-158-171-185

(10) كشف الظنون 1441/2 ؛ سير أعلام النبلاء 429/7

(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 72/1-105-107-111-112-116 ؛ 14/2-63-116-118-132-183-229-235-238-298-406-421-487 ؛ 102/3-109-110-147-161-112-219-289-315-341-371-385-402؛ 4/ 46-65-68-148-173-214-265-344-481-527

(12) كشف الظنون 1426/2

المشرّع الرويّ في الزيادة على الغريبين للهروي[3]**:** للإمام محمّد بن عليّ بن نصر الغسّاني المالقي، المعروف بابن عسكر، المتوفّى سنة 636 هـ[4].

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب[5]: للإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف، المعروف بابن هشام النحوي، أبو محمّد، المتوفّى سنة 762هـ، وهو كتاب جليل الشأن، باهر البرهان، اشتهر في حياته، وأقبل عليه النّاس[6].

كتب اللغة الثانوية: وهي التي لم ينقل عنها إلاّ نادرًا، ومنها :

أنموذج في النحو [7]**:** للزمخشري، لم يعتمد عليه الثعالبي، وإنّما وردت الإشارة إليه بالواسطة في معرض الردّ عليه[8] .

الأنواء[9] : للأديب الشاعر الكاتب الإخباري، عريب بن سعيد القرطبي، الأندلسي[10].

شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد[11] **:** للإمام جمال الدين محمّد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، المتوفّى سنة 672 هـ، وأصل الكتاب- قبل شرحه- هو تلخيص من مجموعته المسمّاة بالفوائد، وهو كتاب جامع لمسائل النحو، اعتنى العلماء بشأنه، فصنّفوا له شروحًا منها شرح المؤلّف[12].

الخلاصة (وهي الألفية في النحو)[13] : لابن مالك؛ وقد شرحها المؤلّف نفسه وسمّاها (**بلغة ذي الخصاصة في شرح الخلاصة**) [14].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 362/1 ؛ 529/2 ؛ 5/07-08-10-13-15-21-22-26-29-30-31-32-39-41-42-47-48-51-55-56-57-61-65-66-68-69-78-80-81-84-87-89-90-95-96-102-103-112-115-116-117-119-120-125-153-158-162-169-170-171-178-181-182-183-186-187

(2) كشف الظنون 1444/2؛ الديباج ص: 358 ؛ شجرة النور الزكية ص: 100- 146 ؛ نيل الابتهاج ص: 396 برقم (523)

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 5/63-77-88-119-121-126-134-136-141-165-171-173-174.

(4) كشف الظنون 1209/2

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/70-108-172-250-278-308 ؛ 2/69-70-74 ؛ 3/06-07-38-92-355-401 ؛ 76/4 ؛ 169/5

(6) كشف الظنون 1751/2

(7) كشف الظنون 185/1

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 69/2

(9) نفس المصدر السابق 286/3

(10) التكملة لكتاب الصلة 35/4 برقم(102)

(11) نفس المصدر السابق1/569 ؛ 69/2

(12) كشف الظنون 405/1

(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 473/2

(14) كشف الظنون 1/151-152-720

شرح البرهانية[1] **:** للإمام عليّ بن عبد الرحمان بن تميم اليفرني، الشهير بالطنجي، المتوفّى سنة 734 هـ[2]

اللسان[3] **:** لأبي زيد[4] سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري النحوي البصري، المتوفى المتوفى سنة 214 هـ.

مختصر أبي حيان في الإعراب[5] **:** للصفاقسي .

المستوفى[6] **في النحو**: لكمال الدين عليّ بن مسعود الفرغاني، أبو سعد[7].

الياقوتة[8] **:** لعله عبد الله بن يحي بن علي بن هلال أبو سعيد الأزجي الدباس المعروف بابن الأعرابي المتوفى سنة 576 هـ[9]

ومع هذا كلّه، يظهر بأنّ الثعالبي قد خالف منهجه الذي رسمه لنفسه، وهو الدقّة في الإحالة على المصادر ؛ ذلك أنّنا نراه يشير- في بعض المواضع السابقة إلى كثير من الأعلام حين النقل دون أن يصرّح باسم الكتب التي ينقل عنها، وهذا لا يقلّل من قيمة تفسيره، فإنّه يتحرّى في النّقل أتمّ التحرّى وإن كان لا يستوفيه في بعض المواضع [10] ؛ ولعلّه نسيها أو لشهرتها في وقتها استغنى عن ذكرها أو شيء من هذا القبيل.

وممّا يقويّ ما ذكرناه ما نقله عن الإمام عبد الرحمان بن محمّد الأنباري، أبي البركات[11]، المتوفّى سنة 577 هـ، دون تسمية الكتاب، ولعلّه يقصد كتابه (**أسرار العربية**) في النحو، وهو تأليف سهل المأخذ، كثير الفائدة، ذكر فيه مذاهب النحويين مع تصحيح ما يذهب إليه[12].

ونقل عن الإمام عليّ بن عبد الله الأردبيلي التبريزي[13] ، المتوفّى سنة 746 هـ، وهو من العلماء الورعين، وأحد الأئمّة الجامعين لأصناف العلوم. [14]

وكذلك عن ابن عرفة الورغمي[15] ؛ وعن القتبي [16].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 601/1
(2) نيل الابتهاج ص: 325، مترجم برقم (414)
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 5/56-61-96-137-162-171-172
(4) التقريب ص: 179 مترجم برقم(2272)
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/37-97 ؛ 2/13-32
(6)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 190/1
(7) كشف الظنون 1675/2
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 118/1 ؛ 5/27-34-35-52-53-142-164
(9) تاريخ الإسلام مج 40 /217
(10) نيل الابتهاج ص: 258
(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 489/2 ؛ 484/4 ؛ 5/16-46-88
(12) كشف الظنون 1/83-84
(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 519/2
(14) كشف الظنون 171/2
(15) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 5/8 7
(16) الجواهر الحسان في تفسير القرآن518/4 ؛ 5/34-49-165

هذه هي أهمّ المصادر التي استعان بها الثعالبي في تفسيره، وهي كما مرّ معنا كتب مشهورة، وأصحابها مشهود لهم بالرسوخ في علومها، وسيأتي معنا بيان استشهاده ببعضها في كثير من المسائل خلال عرضنا لآرائه الاعتقادية.

المبحث الثاني
منهج الثعالبي في عرض العقيدة

المطلب الأول: منهجه ومصادره في العقيدة

بعد نظرة متفحّصة، استقرائية، تحليلية لتفسير الثعالبي لاحظنا من خلال المسائل المطروحة أنّها استغرقت مباحث عقدية خالصة في كثير من الإلهيات والنّبوّات والغيبيات، ومزج العقيدة بعلم التّصوّف في كثير من المواضع.

و فيما رأيناه ملمح للخطّ العام لمنهج كتابه، وهذا الخطّ هو: عرض مسائل العقيدة عرضًا مختصرًا وموجزًا، ولكنّه في بعض الأحيان شامل للجزئيات وللآراء المختلفة، وللشيخ عذره في ذلك، لأنّ المقام مقام تفسير لآيات القرآن الكريم، وليس مقام عرض الآراء ومناقشتها مناقشة تفصيلية.

وقبل الإطّلاع على منهج الشيخ في عرض مسائل العقيدة، يحسن بنا أوّلا التعريف بلفظة المنهج في اللغة والاصطلاح وعلاقته بالعقيدة ومدى حاجتها إليه.

معنى المنهج في اللغة والاصطلاح

المنهج لغة [1]**:** الطّريق الواضح، مأخوذ من نهج ينهج نهجًا، ومنه قوله تعالى: {**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**} [2] أي: سبيلاً وسنّة [3].

واصطلاحًا: هو الطّريق المؤدّي إلى التعرّف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد، التي تهيمن على سير العقل، وتحدّد عمليّاته حتّى يصل إلى نتيجة

---

(1) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري 383/2. دار صادر -بيروت -(د.ت.ط.) ؛ القاموس المحيط لمحمّد بن يعقوب الفيروز آبادي 218/1 -فصل النّون والواو -باب: الجيم مادة (نهج). دار الجيل- المؤسّسة العربية للطباعة والنشر -بيروت لبنان -(د.ت.ط) ؛ الكلّيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ص: 913 قابله على نسخة خطية وأعدّه للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ط(2) 1413هـ-1993م ؛ معجم مفردات القرآن الكريم للأصفهاني ص: 528 تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي- مطبعة التقدّم العربي 1392هـ-1972م.

(2) سورة المائدة: 48

(3) تفسير ابن كثير لعماد الدين بن كثير 587/2، 588 طبعة جديدة مدققة على جميع النسخ الخطية بدار الكتب المصرية، أشرف على طبعها وتصحيحها: لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 48/1 قراءة وتصحيح وتحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم الكتب والأبواب والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرجه وأشرف على طبعه: محبّ الدين الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت (د.ت.ط).

معلومة [1]، وبعبارة موجزة هو: « القانون أو القاعدة التي تحكم أيّ محاولة للدراسة العلمية في أيّ مجال »[2].

وعليه، فإنّ المناهج تختلف باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكلّ علم منهج يناسبه، مع وجود جدّ مشترك بين المناهج المختلفة [3].

والذي يعنينا هنا بالدّرجة الأولى هو العقيدة الإسلامية والمنهج الذي اتّبعه الثعالبي في عرضها وتقريرها، وللوقوف على ذلك يجدر بنا التعريج على كتب اللغة والاصطلاح لمعرفة حقيقة لفظة (العقيدة)

معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح

العقيدة لغة: [4] (مفرد العقائد، ويرادفها في المعنى: الاعتقاد والمعتقد، وهي: مأخوذة من العقد، وهو: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل في الأجسام الصلبة كعقد الحبل، وعقد البناء، ثمّ يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما، فيقال: عاقدته وعقدته . واعتقد الأمر: إذا صدّقه وعقد عليه قلبه، ومنه عقدة الخيط: من حيث صعوبة نقضها.

فالعقيدة بهذا: إنّما تدلّ على الحقائق حال ثبوتها في القلب ثبوتًا تصديقيًّا جازمًا ؛ فتشمل كافة القضايا التصديقية: دينية أو علمية أو فلسفية، عقلية أو نقلية، في الطبيعة أو فيما وراء الطبيعة.

والذي نعنيه هنا هو: العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم وبلّغها نبيّنا ❐.

و هي من هذا المنطلق تعني: مجموعة الحقائق الإيمانية المسلّمة سمعًا وعقلاً، والتي يعقد عليها الإنسان قلبه جازمًا بصحّتها، موقنًا بيقينها وثبوتها ووجوبها، كاعتقاد المؤمن بوجود الله ووحدانيته وكماله سبحانه وتعالى.

وأمّا علم العقيدة: « فهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشّبه »[5].

---

(1) العلم والبحث العلمي -دراسة في مناهج العلوم -لحسين عبد الحميد رشوان ص: 143، 144. المكتب الجامعي -الإسكندرية -(د.ت.ط). منهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمّد عبد الحميد موسى ص: 273 دار الكتاب اللبناني-بيروت ط(1) 1972م.

(2) منهج البحث العلمي عند العرب ص: 271

(3) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنّة والجماعة لعثمان بن عليّ حسن 20/1 مكتبة الرشد-الرياض ط(3) 1415هـ-1995م.

(4) القاموس المحيط 327/1، 328 مادة(عقد) ؛ معجم مفردات القرآن الكريم ص: 353 ؛ الكلّيات ص: 641 ؛ أساس البلاغة للزمخشري ص: 308، 309 تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت (د.ت.ط).

(5) المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي ص: 70 عالم الكتب-بيروت (د.ت.ط) ؛ وقد تنوّعت عبارات العلماء في تعريف علم العقيدة، ولكنّها ترجع في مجملها إلى نقطة رئيسية هي الدّفاع عن العقائد الإسلامية والاستدلال عليها وردّ شبه المخالفين وإبطالها، ومن ذلك أنّها :« العلم بالعقائد

موضوع هذا العلم[1] **:**

يظهر من تعريف علم العقيدة أنّها من أشرف العلوم وأعظمها، كون موضوعها يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته من حيث ما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز في حقّه، وفي الرّسل والأنبياء من حيث إثبات رسالتهم ونبوّتهم وما يجب لهم وما يجوز في حقّهم وما يستحيل عليهم...الخ.

ألقاب هذا العلم[2] **:**

وقد أطلق على هذا العلم عدّة ألقاب، وذلك باعتبارات متنوّعة:

فيسمّى بعلم التوحيد: لأنّ مسألة الوحدانية من أهمّ مسائله وأشرفها وأبرزها ولهذا جاءت أكثر آيات القرآن الكريم دالّة عليها، وداعية إلى اعتقادها، ولم يهتم الكتاب العزيز بإثبات (الوجود) اهتمامه بالوحدانية، لأنّ أكثر النّاس يؤمنون بوجوده سبحانه، حتّى قال المشركون- كما حكى القرآن الكريم عنهم-: {**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**}[3]، وقوله سبحانه: {**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**}[4]، ويقول عبدة الأصنام والأوثان: {**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**} [5] ؛ ولكنّهم مع إيمانهم بوجود الله كانوا يشركون مع الله غيره. ثمّ إنّ الوحدانية تقتضي (الوجود) حتمًا، لأنّها مؤسّسة عليه، ففيها إثبات الوجود ونفي الشّركة معًا.

ويسمّى كذلك: **بعلم الكلام،** لأنّ صفة الكلام أيضًا من أهمّ مباحثه [6] التي دار حولها الجدل والخلاف، فثارت بسببها فتن وأحداث ؛ ومسألة خلق القرآن أو قدمه التي سيق من أجلها العلماء إلى السجون وعذّبوا مسألة مشهورة ومعلومة.

فسمّي هذا العلم بعلم الكلام تسميّةً للكلّ باسم الجزء، أو سمّي بذلك، لأنّ العلماء كانوا يعنونون مسائله بقولهم: الكلام عن العلم، الكلام عن القدرة، الكلام عن كذا...الخ؛ أو لأنّهم كانوا يتكلّمون عمّا سكت عنه غيرهم من السّلف الصّالح ـ

الدّينية عن الأدلة اليقينية ». انظر: شرح المقاصد للتفتازاني 177/1 تحقيق: عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب ط(1) 1409هـ، أو «حفظ عقيدة أهل السنّة وحراستها من تشويش البدعة » ؛ انظر: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال لأبي حامد الغزالي ص: 14 حقّقه وقدّم له: جميل صليبا وكامل عياد -دار الأندلس للطّباعة والنّشر ط(11) 1983م. أو « علم من الحجاج عن العقائد الدّينية العقلية والردّ على المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السنّة ». انظر: كتاب العبر 821/2

(1) المواقف ص: 08

(2) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص: 6-8 تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة ط(1) 1407هـ-1987م. أو مكتبة علي صبيح-مصر 1939م.

(3) سورة العنكبوت: 61

(4) سورة الزخرف: 09

(5) سورة الزمر: 03

(6)شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص: 08، 09

رضوان الله تعالى عليهم جميعًا- الّذين آثروا الصمت وعدم الخوض في مثل هذه المسائل الاعتقادية إقتداءً بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وامتثالاً لأمره عليه السّلام، حيث نهاهم عن الخوض في القدر اتّباع المتشابه من القرآن الكريم[1] ؛ أو لأنّ هذا العلم يكسب القدرة على الكلام في تحقيق أصول الدّين وإلزام الحجّة للمجادلين؛ أو لأنّه لقوّة أدلّته صار كأنّه هو الكلام دون غيره، كما يقال: للأصحّ من الكلام: هذا هو الكلام.

ويسمّى هذا العلم أيضًا: **بعلم أصول الدّين**، وذلك لأنّ موضوعاته ومسائله إنّما تتعلّق بأصول الدّين التي تعتبر الأساس الذي تبتنى عليه الشّريعة جميعًا. فهو يبحث في معرفة الله تعالى وصفاته وما يجب له، وما يستحيل عليهم، وفي اليوم الآخر، وما فيه من ثواب، وعقاب، وجنّة، ونار، وفي القضاء والقدر...وغير ذلك من المسائل التي تعتبر أصول هذا الدّين وركائزه.

ويسمّى كذلك: **بالفقه الأكبر**، وذلك في مقابلة العلم الباحث في الأحكام الفرعية، المسمّى بالفقه، فالأوّل منهما يتعلّق بالعقيدة وهي الأصل، والثاني بالشريعة وهي فرع العقيدة ؛ فمباحثه هي العقائد التي هي أصل لغيرها من الأحكام الشرعية

عقيدة الثعالبي -رحمه الله-:

يصرّح الشيخ كثيرًا في تفسيره بترجيح مذهب أهل السنّة والجماعة، وهو المصطلح الذي انتشر واشتهر بين أوساط العلماء، خاصّة أيام انتشار الفرق الإسلامية كالخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والباطنية...وغيرها في العهد العباسي.

و المراد بمصطلح أهل السنّة والجماعة -في زمنه- كلّ من السّلف والخلف، وعلى رأس الخلف: الشيخ أبو الحسن الأشعري[2] المتوفّى سنة (324) هـ، وأتباعه كالباقلاني المتوفّى(404) هـ، والجويني المتوفّى سنة (478) هـ، وغيرهم.

إنّهم في نظر الشيخ، أي: السّلف والخلف، هم النّاصرون لدين الله بعد الصحابة- رضي الله عنهم- وهم الذين دافعوا عن العقيدة الإسلامية بقواطع الأدلّة، فكشفوا فضائح المخالفين وأبطلوا ادّعاآتهم.

---

(1) إنّ السّلف رحمهم الله لم يخوضوا في هذه القضايا لعدم حاجتهم إلى هذا النّوع من العلم حينئذ، فقد كانوا -والله أعلم -لصفاء عقيدتهم، ونقاء سريرتهم، وسلامة يقينهم، وقوّة إيمانهم، وقرب عهدهم برسول الله صلى الله عليه و سلم أبعد النّاس عن الجدال والخلاف قي أمر العقيدة، وهذا الجدل والخلاف الذي فرّق المسلمين، وأشاع فيهم الأهواء والبدع، والفتن التي مكّنت لأعداء الإسلام، ومهّدت لنشأة هذا العلم، وأوجبت الخوض فيه، فانتهض لهذا الأمر طائفة من العلماء، فقاموا بتقعيد القواعد، وتأصيل الأصول، ووضع الأسس والمناهج بهدف الدّفاع عن العقائد الإسلامية، حتّى كان من ذلك ما سمّي فيما بعد بعلم الكلام أو علم العقيدة.

(2) الملل والنحل للشهرستاني66/1 تعليق: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية ط(1) 1415هـ-1994م.

وللعلم، فإنّ الشيخ يعتمد بشكل واضح على أقوال الخلف، ممّا يؤكّد بجلاء إنتماءه لمذهب الأشاعرة، خاصّة إذا علمنا أنّه يأخذ بمذهب التأويل في باب الصفات الإلهية - وسنرى ذلك مبسّطًا في بابه.

فمنهج أهل السنّة والجماعة - ومنهم الأشاعرة- هو الطّريق القويم في نظر الثعالبي، لأنّه يعتمد على النقل الصحيح والعقل الصريح، وبالإمكان تلقينه وتعليمه بالأدلّة الدامغة لا بالسيوف القاطعة.

اعتمد الثعالبي في عرض مسائل العقيدة وتقريرها على مصادر رئيسة ثابتة وهي:

1. القرآن الكريم
2. السنّة النبوية المطهّرة
3. إجماع الأمّة من السّلف والخلف.
4. ما تقرّر في مبادئ العقل.

وهذا الآن تفصيل ما ذكرناه:

1 - المصدر الأوّل: القرآن الكريم:

I) اعتمد في تقرير مسائل العقيدة على تفسير النّص القرآني بنص آخر مثله، وهذا يعتبر من أحسن الطرق في معرفة مراد الله، لأنّه استدلال ببعض كلامه على بعض. مثاله: ما بيّنه عند تفسير قوله سبحانه وتعالى: {**إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنكِرَةٌ**}[1]، أي: منكرة اتّحاد الآلهة..، وهذا كما حكى عنهم سبحانه في قولهم: {**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**} [2] [3]وكذلك ما ذكره من تبرّي الشركاء من شركائهم يوم القيامة حين يرون العذاب، حيث يقول الله تعالى: {**وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ**}[4] أي: إذا رأوهم بأبصارهم **{قالوا ربّنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنّا ندعوا من دونك}** كأنّهم أرادوا بهذه المقالة تذنيب المعبودين، وقوله: {**فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ**}[5] الضمير في (ألقوا) للمعبودين أنطقهم الله بتكذيب المشركين، وقد قال سبحانه في آية أخرى: {**فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**} [6] [7] وينبغي أن يعلم هنا أنّ الله تعالى قد استخدم أساليب عديدة في عرض القضايا والمسائل، سار عليها الثعالبي سيرًا

---

(1) سورة النّحل: 22
(2) سورة ص: 05
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 420/2
(4) سورة النّحل: 86
(5) سورة النّحل: 86
(6) سورة يونس: 28
(7) نفس المصدر السابق 441/2

حثيثًا من ذلك :أن يرد اللفظ عامّاً لا خصوص فيه، كقوله ✞: {**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**} [1] والمراد جميع الحيوان المحتاج إلى رزق[2].

II) وقد يرد اللفظ عامّاً ويراد به الخصوص، كقوله تعالى: { **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**}[3] ، فلا شكّ أنّ القائلين نفر من النّاس هم وفد عبد القيس بتحريض من عسكر قريش على رسول الله وأصحابه[4]

III) وقد يرد اللفظ ولكنّ معناه يعرف في سياقه أنّه على غير ظاهره، نحو قوله تعالى: {**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**}[5] فالمراد بالقرية: أهلها دون المنازل وغيرها، فاستعير القصم للقوم والقرية ونحو ذلك، فهو ما يشبه الكسر وهو الإهلاك [6].

IV) وقد يوجز في موضوع ما، ويفصّل فيه في مكان آخر، كقصّة فرعون وموسى. أوجزها في سورة البقرة الآية: 49-50، ثمّ فصّل فيها وأطنب في سور أخرى كالأعراف الآية: 103-137، ويونس الآية: 75-92، وطه الآية: 42-82.

V) وقد يرد النصّ مطلقًا في موضع ثمّ يذكر مقيّده إمّا متّصلاً به، أو منفصلاً عنه في موضع آخر، مثاله: ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: « لمّا نزلت: {**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**}[7]، قال أصحابه وأيّنا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت: {**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**}[8] [9]، فالظلم في هذا الموضع الموضع يراد به الشرك »[10].

VI) وقد يرد النّصّ عامّاً في موضع ثمّ يرد ما يخصّصه، متّصلاً به أو منفصلاً عنه في موضع آخر، كما في قوله تعالى: {**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ**}[11]، فنفى عموم الخلّة والشفاعة، ثمّ قال في آية أخرى:

---

(1) سورة هود: 06
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 267/2
(3) سورة آل عمران: 173
(4) نفس المصدر السابق 396/1 -بتصرّف
(5) سورة الأنبياء: 11
(6) نفس المصدر السابق 77/3
(7) سورة الأنعام: 82
(8) سورة لقمان: 13
(9) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب بدء الوحي-باب: ظلم دون ظلم 21/1 برقم (32) ؛وفي ؛وفي كتاب استتابة المرتدين-باب: إثم من أشرك بالله 2535/6 برقم (5620) تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-بيروت 1407هـ-1987م، أو تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت ؛ ومسلم في كتاب الإيمان-باب: صدق الإيمان وإخلاصه 114/1 برقم (124)
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 642/1
(11) سورة البقرة: 254

{**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**}[1]، فاستثنى المتّقين. وقال تعالى: {**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**}[2]، فاستثنى الشفاعة بعد الإذن والرّضا، فلا شفاعة يومئذ إلاّ لمن أذن له سبحانه[3].

2 ـ المصدر الثاني: السنّة النبوية الشريفة

وتأتي في المرتبة الثانية- بعد القرآن الكريم- بمعنى: إن لم يتيسّر فهم قضيّة ما من القضايا أو مسألة من المسائل طلب فهمها من سنّة النبيّ ❐ فإنّها البيان للقرآن الكريم، كما قال تعالى: {**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**}[4]، وقال: {**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**}[5]، وقال النبيّ ❐ : : « ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه »[6].

من هذا المنطلق اعتمد الثعالبي على ما صحّ من السنّة المطهّرة، فنالت قسطًا كبيرًا وأساسياً في تفسيره، إذ يستشهد بها في تقرير أغلب المسائل الاعتقادية، وهذه نماذج توضّح ما ذكرناه:

تفسير الآية بما صحّ من الأحاديث:

ففي بيان قوله سبحانه و تعالى: {**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**}[7] يشير إلى أنّ معناه: الذي لا تنسخه شمس، وتفسير ذلك في قوله صلى الله عليه و سلم : « إنّ في الجنّة شجرة يسير الرّاكب الجواد المضمر في ظلّها مائة عام لا يقطعها، واقرأوا إن شئتم (وظلّ ممدود) »[8][9].

---

(1) سورة الزخرف: 67
(2) سورة النّجم: 26
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 242/1
(4) سورة النساء: 105
(5) سورة النحل: 44
(6) الحديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنّة-باب: لزوم السنّة 200/4 برقم(4604) ؛ وابن حبّان حبّان في صحيحه (الإحسان) -باب: الاعتصام بالسنّة 189/1، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرناؤط -مؤسّسة الرسالة -(ط1) 1408-1988 م؛ والدارمي في سننه: المقدمة -باب: السنّة قاضية على كتاب الله 153/1، حققّه وخرّج أحاديثه وفهرسه: فؤاد أحمد زمرلي وخالد السّبع العلمي -دار الكتاب العربي -بيروت لبنان (ط1) 1417 هـ-1997م ؛ وصحّح الألباني سنده في مشكاة المصابيح: كتاب الإيمان-باب: الاعتصام بالسنّة هامش رقم(1) 58/1 .المكتب الإسلامي -(ط3) 1405-1985م بيروت
(7) سورة الواقعة: 30
(8) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق-باب: صفة الجنّة والنّار2398/5 برقم (6186) (6186) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها-باب: إنّ في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها 2175/4 برقم (2826)
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن348/4 ؛ 368/2

وفيما يتعلّق بمناقشة الحساب يوم القيامة الواردة في قوله ✞ : {**يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**}[1]، يبيّن أنّ الحساب اليسير هو العرض، ومن نوقش الحساب هلك، ويستشهد على صحّة ذلك بما ورد في الحديث عن عائشة [2] -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في بعض صلاته: «اللّهمّ حاسبني حسابًا يسيرًا، فلمّا انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال: أن ينظر في كتابه ويتجاوز عنه، إنّه من نوقش الحساب هلك، وكلّ ما يصيب المؤمن يكفّر الله عنه حتّى الشوكة تشوكه »[3] [4].

وهكذا الأمر بالنسبة للمشي على الوجوه يوم القيامة الوارد في قوله ✞ : {**الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا**}[5] يذكر ما قرّره جمهور العلماء على: « أنّ هذا المشي على الوجوه حقيقة، ويستدلّ على صحّة كلامه بما ورد في الحديث الصحيح عن أنس- رضي الله عنه- أنّ رجلاً قال: يا نبيّ الله أيحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة. قال قتادة: بلى وعزّة ربّنا »[6] [7].
[7].

الجمع بين الآية والحديث والتوفيق بينهما:

اعتمد في بعض الأحيان على الجمع بين الآية والحديث دفعًا للتعارض الذي قد يبدو من ظاهر النّصّ، وهذا التوفيق بينهما يعتبر نوع من أنواع الترجيح بين النّصوص عند التعارض؛ والتفصيل فيه بابه وموضوعه علم أصول الفقه، والذي يهمّنا هنا هو أنّ الشيخ استخدم هذه الطريقة في تقرير بعض المسائل الاعتقادية، وهذه نماذج توضّح ما ذكرناه :

أ- دخول الجنّة أيكون بالأعمال أم برحمة الله تعالى ؟

---

(1) سورة الانشقاق: 6-8

(2) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق زوجة النبي وأفقه نسائه ماتت سنة 57 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 667 برقم (8633)

(3) رواه بلفظهِ: أحمد في المسند 48/6 من حديث عائشة ؛وبمعناه المفسِّر للآية البخاري في كتاب العلم -باب: من سمع شيئًا فراجع 51/1 برقم (103)

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 488/4

(5) سورة الفرقان: 34

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-سورة الفرقان- باب: قوله (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنّم أولئك شرّ مكانًا وأضلّ سبيلاً) 1784/4 برقم (4482)، وفي كتاب الرقاق- باب: كيف الحشر 2390/5 برقم (6158) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المنافقين -باب: يحشر الكافر على وجهه 2161/4 برقم (2806)

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 210/3

يجيب الثعالبي عن ذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**}[1]حيث يشير إلى أنّ الله سبحانه علّق دخول المؤمنون الجنّة بأعمالهم من حيث جعل الأعمال أمارة لإدخال العبد الجنّة، ولا معارضة بين الآية وقوله صلى الله عليه و سلم : « لا يدخل أحد الجنّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله بفضل منه ورحمة »[2]، فإنّ الآية تردّ بالتأويل إلى معنى الحديث. ويعضده بما ذكره ابن عطية أنّه: « من الرحمة والتغمّد أن يوفّق الله العبد إلى أعمال برّة، ومقصد الحديث نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب إليه فريق من المعتزلة »[3] [4].

ب- مخاطبة النبيّ عليه السلام موتى كفّار قريش في غزوة بدر: وهو ما نلاحظه عند تفسير قوله سبحانه وتعالى: {**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**}[5] يبيّن أنّ: « ذلك تمثيل بما يحسّه البشر ويعهده جميعًا من أنّ الميّت الشخص الذي في القبر لا يسمع، بل تتضمّن الأحاديث أنّ أرواح المؤمنين في شجر عند العرش، وفي قناديل، وغير ذلك، وأنّ أرواح الكفرة في سجّين، ويجوز في بعض الأحيان أن تكون الأرواح عند القبور[6]، فربّما سمعت، وكذلك أهل قليب بدر إنّما سمعت أرواحهم[7]، أرواحهم[7]، فلا تعارض بين الآية وحديث القليب »[8].

ت- بيان هول القيامة: وهو ما نراه في معرض تفسير قوله تعالى: {**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**}[9]، يورد بعد بيانه للآية ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري[10] -رضي الله عنه- عن النبيّ- صلى الله عليه و سلم قال : « يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك ربّنا وسعديك، فيقول: أخرج بعث

---

(1) سورة النحل: 32

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب الرقاق-باب: القصد والمداومة على العمل 2373/5 برقم (6102) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم-باب: لن يدخل أحد الجنّة بعمله بل برحمة الله تعالى 2171/4 برقم (2618)

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 390/3، 391 تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1413هـ-1993م.

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 424/2

(5) سورة فاطر: 22

(6) سيأتي ذكر تلك الأحاديث في مبحث الروح وما يتعلّق بها في باب السمعيات فانظرها هناك

(7) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز-باب: ما جاء في عذاب القبر 462/1 برقم(1304)، وفي كتاب المغازي-باب: قتل أبي جهل 1461/4، ولفظه-كما رواه ابن عمر- قال: « اطّلع النبيّ ❐ على أهل القليب، فقال: وجدتم ما وعد ربّكم حقّا؟ فقيل له: أتدعو أمواتًا؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون » ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كناب الجنّة-باب: عرض مقعد الميّت من الجنّة أو النّار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوّذ منه 2203/4 برقم (2874)

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 395/3

(9) سورة الحجّ : 02

(10) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري صحابي، استصغر بأحد ثم شهد ما بعدها مات بالمدينة سنة 63 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 172 برقم (2253) ؛ الآحاد والمثاني 124/4.

النّار ؟ قال: يا ربّ وما بعث النّار؟ قال: من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين وواحدًا في الجنّة، فحينئذ تضع الحامل ويشيب الولد، وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد[1]، وهذا الحديث نصّ صريح في أنّه يوم القيامة، وانظر قوله: {**يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**}[2] وقوله: {**وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ**}[3] تجده موافقًا للحديث »[4].

ث- خلود الكفّار في النّار دون عصاة الموحّدين، فيوفّق بين ما دلّ عليه ظاهر قوله تعالى: {**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}[5] من أنّه تضمّن أنّ أنّ عذاب جهنّم للكفّار المخلّدين وليس لعصاة المؤمنين، اعتمادًا على ما ورد في الأثر: « أنّ جهنّم يمرّ عليها زمان تخفق فيها أبوابها قد أخلتها الشفاعة »[6]، فالذي يقال في هذا: إنّ جهنّم اسم تختصّ به الطبقة العليا من النّار، ثمّ قد تسمّى الطبقات كلّها باسم بعضها، فالتي في الأثر هي الطّبقة العليا لأنّها مقرّ العصاة من المؤمنين، والتي في هذه الآية هي جهنّم بأسرها، أي: جميع الطّبقات»[7].

ج- ومن توفيقه أيضًا ما نجده عند تفسير قوله جلّ وعلا: {**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**}[8] فيورد ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة هريرة [9] -رضي الله عنه- أنّ النبيّ صلى الله عليه و سلم سئل عن هذا، وكان سلمان إلى جنبه فوضع يده على فخده وقال: « قوم هذا لو كان الدّين في الثريّا لناله رجال من أهل فارس »[10] ثمّ يعقبه بقوله: وليس لأحد مع الحديث إذا صحّ نظر، ولولا

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-سورة الحجّ-باب: (وترى النّاس سكارى) 241/5، وكتاب الرقاق-باب: قوله (إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم) 2392/5 برقم (6165) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النّار من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين 113/1 برقم (222)

(2) سورة المزمّل: 17

(3) سورة التكوير: 04

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 108/3

(5) سورة الملك: 06

(6) الحديث لم أجده. (وهو أشبه بالوضع والكذب لما فيه من مخالفة صريحة لما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة.

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 442/4

(8) سورة محمّد: 38

(9) هو: عبد الرحمان بن صخر الدوسي اليمني صحابي جليل أسلم في السنة السابعة هجرية، من أحفظ أحفظ الصحابة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة 57 هـ. انظر تقريب التهذيب ص: 599، 600 برقم (8426) ؛ الإصابة 63/12.

(10) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-باب: وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم 1858/4 برقم (4615) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصّحابة - باب: فضل فارس 1972/4 برقم (2546)

الحديث لاحتمل أن يكون الغير ما يأتي من الخلف بعد ذهاب السّلف على ما ذكر في غير هذا الموضع[1] ؛ وهذه طريقة حسنة في الجمع بين النّصوص.

تضعيف الحديث أو تأويله إن كان صحيحًا –إذا عارض أصلاً قطعيًا- عنده[2] :

وهذا الموقف من الشيخ يكشف عن منهجه الدقيق في عرض مسائل العقيدة ومحاولة إثباتها إثباتًا علميًا؛ ويدلّ في نفس الوقت على اهتمامه بعلم الحديث وفروعه، ولهذا يعقّب على ابن العربي الذي أورد حديثًا، حيث يرى أنّ فيه طعنًا في عدالة الصحابة- رضي الله عنهم جميعًا؛ ومن هنا قال الثعالبي بتضعيف الحديث أو تأويله على فرض صحّته، تنزيهًا للصّحابة، ورفعًا لشأنهم، ودفاعًا عنهم، ودفعًا للشبه التي قد تطعن فيهم. نرى هذا عند تفسير قوله تعالى: {**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**}[3]، يشير إلى ما ذكره ابن العربي في بيان سبب نزول هذه الآية[4]، حيث يذكر ما رواه الترمذي عن ابن عبّاس أنّه قال: كانت امرأة تصلّي خلف رسول الله- صلى الله عليه و سلم ، قال ابن عبّاس: ولا والله ما رأيت امرأة مثلها قطّ، قال: فكان بعض المسلمين إذا صلّوا تقدّموا، وبعضهم يستأخر، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم، فأنزل الله الآية[5] ؛ ثمّ يورد أهمّ أقوال المفسّرين- في بيان معنى الآية، وهي:

الأوّل: هذا القول السابق.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 234/4

(2) نفس المصدر السابق 16/4، 69، 243، 250، 319، 339

(3) سورة الحجر: 24

(4) أحكام القرآن لابن العربي 1127/3 تحقيق: علي محمّد البجاوي دار المعرفة -بيروت -لبنان - (د.ت.ط)

(5) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن -باب: من سورة الحجر 296/5، برقم (3122) ؛ وابن ماجة في سننه: كتاب الصّلاة والسنّة فيها -باب: الخشوع في الصّلاة 332/1، برقم (1046) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي 1395هـ-1975م ؛ والنسائيّ في سننه الكبرى: كتاب التفسير-باب: قوله تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) 374/6 برقم (1/11073) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب 1406 هـ-1986م ؛ والحاكم في المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير -سورة الحجر 384/2، برقم (483/3346). وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1411هـ-1990م ؛ وابن حبّان في صحيحه (الإحسان): كتاب البرّ والإحسان -باب: الإخلاص وأعمال السرّ 126/2. وقال محققه: « إسناده حسن »؛ والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب الصّلاة -باب: الرّجل يقف في آخر صفوف الرجال لينظر إلى النساء ولا يفكّر في قوله (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور) 98/3 ؛والطّبري في تفسيره 505/7- 510 ؛ وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها 608/5 قال: « وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات، رجال مسلم، غير عمر بن مالك النكري وهو ثقة » =

= مكتبة المعارف-الرياض ط(1) 1412هـ-1991م ؛ وانظر: صحيح سنن ابن ماجة للألباني 309/1، 310 مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض ط(1) 1417هـ-1997م ؛ وصحيح سنن النسائي له 189/1 أشرف على طباعته والتعليق على فهرسته: زهير الشاويش، ط(1) 1409هـ-1988م.

الثاني: المتقدّمين في الخلق إلى اليوم والمتأخرين الذين لم يخلقوا، بعد بيان أن بعلم الموجود والمعدوم.
الثالث: من مات، ومن بقي.
الرّابع: المستقدمين سائر الأمم والمستأخرين أمّة سيّدنا محمّد- صلى الله عليه و سلم .
الخامس: المتقدّمين في الطّاعة والمستأخرين في المعصية.

وهنا يعقّب بقوله: « والحديث المتقدّم إن صحّ فلا بدّ من تأويله، فإنّ الصّحابة ينزّهون عن فعل ما ذكر فيه، فيؤوّل بأنّ ذلك صدر من بعض المنافقين أو بعض الأعراب الذين قرب عهدهم بالإسلام ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم، وأمّا ابن عبّاس فإنّه كان يومئذ صغيرًا بلا شكّ، هذا إن كانت الآية مدنية، فإن كانت مكّية فهو يومئذ في سنّ الطفولة، وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه »[1].

تضعيف الروايات الإسرائيلية القادحة في عصمة الأنبياء والرّسل أو تأويلها- على فرض صحّتها:

بذل الثعالبي جهدًا مشكورًا في حديثه عن عصمة الأنبياء والرّسل، وسيأتي تفصيل ذلك في فصل النبوّات- ويحسن بنا ونحن نتحدّث عن منهجه في عرض مسائل العقيدة أن نأخذ مثالاً يوضّح ما نحن بصدده، ألا وهو قضية تنزيه آدم وحوّاء عليهما السلام من الوقوع في الشرك بالله تعالى، وبالضبط في مسألة الحمل الواردة في قوله ﷻ: {**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**}[2] يقرّر أنّ آدم وحوّاء ينزّهان عن طاعتهما لإبليس، وأنّه لم يقف على صحّة ما روي في هذا القصص، ولو صحّ لوجب تأويله[3]، تماشيًا مع القول بالعصمة.

وأمّا ما رواه الترمذي عن سمرة ابن جندب[4] عن النبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « لمّا حملت حوّاء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها: سمّيه عبد الحارث فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره »[1].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 401/2، 402 ؛ ولم يورد رحمه الله هذه الوجوه الدالّة على ضعف الحديث ؛ ولعلّه يقصد بكلامه: أنّ الحديث قد أعلّ بالإرسال، فقد قال الترمذي عقب روايته للحديث: « وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه؛ ولم يذكر فيه عن ابن عبّاس، وهذا أشبه أن يكون أصحّ من حديث نوح » ؛ انظر: سنن الترمذي 296/5، 297. واعتمده ابن كثير في تفسيره 159/4 . وقال: « حديث غريب جدّاً..، وفيه نكارة شديدة ..، فالظاهر أنّه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عبّاس ذكر ». وتعقّبه الألباني ردًّا عليه مصحّحًا الحديث من عدّة أوجه، انظرها في السلسلة الصحيحة 609/5-612 ، فالأولى حمل الحديث على تلك التأويلات، والله أعلم.

(2) سورة الأعراف: 190

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 96/2 -بتصرّف

(4) هو: سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابيّ جليل، مشهور، مات بالبصرة وكان أمير3ا عليها سنة 58 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 196، مترجم برقم (2630) ؛ الاستيعاب في معرفة

فإنّ الشيخ يحاول توجيه معنى الحديث وصرفه عن ظاهره، بقوله أنّ: « هذا الحديث ليس فيه أنّهما أطاعاه، وعلى كلّ حال الواجب التوقّف والتنزيه لمن اجتباه الله، وحسن التأويل ما أمكن»[2].

ويؤيّد موقفه هذا -أي: توهين ذلك القول وتزييفه - بما ذكره ابن العربي: « أنّ هذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره، وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات ولا يعوّل عليهما من له قلب، فإنّ آدم وحوّاء وإن كان بعد ذلك ليقبل له نصحًا ولا يسمعا له قولاً، والقول الأشبه بالحقّ أنّ المراد بهذا جنس الآدميّين »[3].

و يعضده أيضًا بما بيّنه ابن عطيّة في قوله تعالى: {**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ**}(4) بأنّ الوصف جاء لحال النّاس واحدًا، أي: هكذا يفعلون، فإذا أتاهم الله ولدًا صالحًا سليمًا كما أرادوه صرفوه عن الفطرة إلى الشرك، فهذا فعل المشركين »[5].

فهذا القول- كما يقول ابن العربي-: « هو الأشبه بالحقّ، وأقرب للصدق، وهو ظاهر الآية وعمومها الذي لا يليق بجهّال البشر فكيف بساداتهم وأنبيائهم »[6] [7].

العمل بالحديث الضعيف في الفضائل:

ويتفرّع عمّا سبق ذكره مسألة العمل بالحديث الضعيف في الفضائل ؛ وهي مسألة اختلف فيها العلماء على ثلاثة أقوال[8]:

القول الأوّل: لا يعمل به مطلقًا لا في الأحكام، ولا في الفضائل[9]، وهو قول يحي بن معين[10]، وابن العربي، وابن حزم الظاهري[1].

الأصحاب لابن عبد البرّ 653/2 تحقيق: عليّ محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت ط(1) 1412هـ ؛ سير أعلام النبلاء 183/3

(1) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير -باب: من سورة الأعراف 267/5، برقم (3077)، وقال: « هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلاّ من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ».

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 96/2

(3) أحكام القرآن 819/2، 820

(4) سورة الأعراف: 189

(5) المحرّر الوجيز 486/2

(6) أحكام القرآن 820/2

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 97/2

(8) نقلاً عن كتاب: الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها، لعبد الرحمان آدم علي ص: 356، 357 -بتصرّف مكتبة الرشد -الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع ط(1) 1418هـ-1998م.

(9) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي 289/1 دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ-1983م ؛ الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة للكنوي ص: 52 تعليق: عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية 1384هـ-1964م ؛ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي ص: 116 دار الكتب العلمية-بيروت، دار إحياء السنة النبوية ط(1) 1399هـ-1979م.

(10) هو: يحي بن معين بن عون الغطفاني، مولاهم، أبو زكريا البغدادي: ثقة، حافظ، مشهور، إمام الجرح والتعديل، من كتبه: العلل، معرفة الرجال، مات سنة 233 هـ بالمدينة النبوية. انظر: تقريب التهذيب ص: 527، مترجم برقم (7651) ؛ سير أعلام النبلاء 71/11

القول الثاني: أنّه يعمل به مطلقاً، أي: في الفضائل والأحكام[2].

القول الثالث: يعمل به في الفضائل والترغيب والترهيب، ولا يعمل به في الأحكام والعقائد[3]، وهذا قول جمهور العلماء، منهم سفيان الثوري[4]، وابن عيينة[5]...، وغيرهم.

وقد وضع بعض المتأخرين من أصحاب القول الثالث شروطاً ثلاثة للعمل بالحديث الضعيف في الفضائل[6]، وهي:

أ- أن يكون الضعف غير شديد

ب- أن يكون مندرجًا تحت أصل عام

ج- ألاّ يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم ما لم يقله.

موقف الثعالبي من العمل بالحديث الضعيف:

أوضح الثعالبي وبشكل صريح جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ؛ وهو ما نجده في معرض تفسير قوله تعالى: {**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**}[7]حيث يورد حديثين في بيانها:

الأوّل: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّ النبيّ- صلى الله عليه و سلم - قال: « إذا قرأ أحدكم (أليس الله بأحكم الحاكمين)، فليقل: وأنا على ذلك من الشّاهدين »[8].

---

(1) هو: الإمام العلامة أبو محمد علي بن أحمد الفقيه الحافظ إمام المذهب الظاهري بعد داود، ولد سنة 384 هـ بقرطبة له مصنفات مشهورة أيّد فيها مذهبه، وكان شديد اللهجة مع من خالفه، توفي سنة 456 هـ انظر: سير أعلام النبلاء 184/18 ؛ تذكرة الحفاظ 1146/3

(2) الأجوبة الفاضلة ص: 50

(3) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للنووي ص: 07، 08 دار إحياء التراث العربي-بيروت ط(4) 1375هـ-1955م ؛ فتح المغيث 288/1، الأجوبة الفاضلة ص: 55، قواعد التحديث ص: 117

(4) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفيّ : ثقة، حافظ، فقيه، عابد، إمام، حجّة، وكان ربّما دلّس، مات سنة 161هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 184 مترجم برقم (2445) ؛ سير أعلام النبلاء 229/7

(5) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي، ثمّ المكّي: ثقة، حافظ، فقيه، إمام، حجّة، إلاّ أنّه تغيّر بأخرة، وكان ربّما دلّس لكن عن الثقات، مات سنة 198 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 184 مترجم برقم (2451)، سير أعلام النبلاء 454/8

(6) فتح المغيث ص: 289 ؛ الأجوبة الفاضلة ص: 40 قواعد التحديث ص: 119

(7) سورة التّين: 08

(8) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن -باب: من سورة التين 445/5، برقم (3347)، وقال: « هذا حديث إنّما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمّى »؛ وأخرجه الحميدي في مسنده: باب إذا قرأ أحدكم (لا أقسم بيوم القيامة) فأتى على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى) فليقل: بلى 437/2 برقم (995) تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي، دار الكتب العلمية-بيروت، مكتبة المتنبّي-القاهرة (د.ت.ط) ؛ وانظر: ضعيف سنن الترمذي للألباني ص: 435 المكتب الإسلامي-بيروت ط(1) 1411هـ-1991م، أشرف على استخراجه وطباعته والتعليق عليه وفهرسته: زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج-الرياض.

الثاني: من رواية عبد الله: « إذا قرأ أحدكم أو سمع (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فليقل: بلى »[1].

ثمّ يعقّب بقوله: « وهذان الحديثان وإن كان قد ضعّفهما ابن العربي[2]، فهما ممّا ينبغي ذكرهما في فضائل الأعمال »[3] ، ويعضد الثعالبي ما ذهب إليه بما يذكره نقلاً نقلاً عن النّووي، حيث يشير إلى ما قاله العلماء من المحدّثين والفقهاء وغيرهم أنّه: « يجوز ويستحبّ العمل في الفضائل، والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعًا . وأمّا الأحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك، فلا يعمل فيها إلاّ بالحديث الصحيح أو الحسن، إلاّ أن يكون في احتياط في شيء من ذلك، كما إذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع، أو الأنكحة، فإنّ المستحبّ أن يتنزّه عنه، ولكن لا يجب ».

والثعالبي بهذا يوافق المذهب الثالث، وهو قول جمهور العلماء. وهو الأقرب للصواب، إلاّ أنّه لابدّ من التنبيه هنا إلى أنّ إطلاق لفظ الاستحباب على العمل بالحديث الضعيف في الفضائل فيه كلام لبعض المحقّقين، وذلك كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « أنّ العمل إذا علم أنّه مشروع بدليل شرعيّ، وروي في فضله حديث لا يعلم أنّه كذب، جاز أن يكون الثّواب حقًّا، ولم يقل أحد من الأئمّة: إنّه يجوز أن يجعل الشيء واجبًا أو مستحبًّا بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع »[4].

فليس المعنى إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يحتجّ به، فإنّ الاستحباب حكم شرعيّ، فلا يثبت إلاّ بدليل شرعيّ، ومن أخبر عن الله أنّه يحبّ عملاً من الأعمال من غير دليل شرعيّ فقد شرع من الدّين ما لم يأذن به الله.

فمراد العلماء أن يكون العمل ممّا قد ثبت أنّه ممّا يحبّه الله أو يكرهه الله بنصّ أو إجماع، كتلاوة القرآن والتسبيح والدّعاء والصّدقة والإحسان إلى النّاس وكراهة الكذب ونحو ذلك. فإذا روي حديث في فضل بعض الأعمال المستحبّة وثوابها، وكراهة بعض الأعمال وعقابها، فمقادير الثّواب والعقاب وأنواعه، إذا روي فيها حديث لا نعلم أنّه موضوع، جازت روايته والعمل به، بمعنى: أنّ النّفس ترجو ذلك الثّواب، أو تخاف ذلك العقاب[5].

---

(1) الحديث أخرجه الحميدي في مسنده. في شعب الإيمان -باب: إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) قال سبحانك بلى، من حديث عبد الله بن عباس ورفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم 377/2 برقم (2098)

(2) أحكام القرآن 1953/4

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 639/4

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية 251/1

(5) اقتباسًا من كتاب الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها ص: 351

3 ـ المصدر الثالث: الإجماع

الإجماع هو ثالث مصدر للتشريع الإسلامي، وهو عند أهل السنّة والجماعة دليل مقطوع به، يستدلّ به على مسائل العقيدة، لاسيما إجماع الصّحابة- رضوان الله عليهم جميعًا.

لهذا فإنّ الثعالبي قد اعتمده في تقريرها، بمعنى: أنّ الإجماع إذا انعقد على قضيّة معيّنة أصبح الحكم الثّابت فيها معلوم من الدّين بالضرورة، كوحدانية الله تعالى، وربوبيته، وأحقّيته بالعبادة والطّاعة، ونبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم وكونه خاتم الأنبياء والرّسل، والنّصوص الدالّة على قيام الساعة والمعاد والبعث والحساب والجنّة والنّار...، إلى غير ذلك، ممّا سنراه في بحثنا، وعليه يكفينا هنا الإشارة إلى نموذج واحد من تفسير الشيخ يوضّح ما نحن بصدد ذكره، وهو ما نجده عند تفسير قوله تعالى: {**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ**}[1].

يذكر- نقلاً عن ابن عطيّة- إجماع أهل السنّة في هذه الألفاظ: أنّها اتّقاء الشرك، فمن اتّقاه وهو موحّد فأعماله التي تصدق فيها نيّته مقبولة، وأمّا المتّقي للشرك وللمعاصي فله الدّرجة العليا من القبول والختم بالرحمة، علم ذلك بأخبار الله تعالى، لا أنّ ذلك يجب على الله تعالى عقلاً »[2] ثمّ يعقّب الثعالبي على قوله (في بيان معنى هذه الألفاظ): « أنّها حيث وقعت في الشرع، وأمّا في هذه الآية فليس باتّقاء شرك »[3].

ومقصودنا بهذا المثال بيان أنّ الإجماع يدخل في أبواب الاعتقاد، لتعضيد الأدلّة وتقويتها، ولدفع احتمال الخطأ الذي قد يتطرّق للظنّيات فيرتفع بفضل الإجماع إلى مقام القطعيات.

وقد حكى الإجماع في أبوا ب الاعتقاد علماء الإسلام، كصنيع أبي محمّد ابن حزم الظّاهري في كتابه مراتب الإجماع، ووافقه ابن تيمية[4]على ذلك، وإن كان قد خالفه في بعض تلك المسائل التي ادّعى الإجماع عليها[5]. ويتبيّن بهذا أنّ الثعالبي لم يخرج يخرج عمّا قرّره العلماء في تقرير هذه المسائل.

4 ـ المصدر الرّابع: أقوال السّلف والخلف

---

(1) سورة المائدة: 27

(2) المحرّر الوجيز 178/2-179

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 544/1

(4) هو: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الإمام العلامة، شيخ الإسلام مجدد القرن الثامن، من أشهر علماء الإسلام، أخباره ومناقبه معروفة من بداية حياته إلى أن قبضت روحه، توفي سنة 728 هـ. انظر: الدرر الكامنة 168/1-187

(5) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات لابن حزم، ومعه نقد مراتب الإجماع لابن تيمية ص: 167-178. علّق عليه الشيخ محمّد زاهد الكوثري، دار الكتاب العربي-بيروت ط(2) (د.ت.ط).

إذا لم يجد الثعالبي في أقوال الصّحابة ما يعينه على فهم المراد من النّصّ، فإنّه يتّجه إلى أقوال التّابعين وتابعيهم ومن بعدهم، كمجاهد[1]، الذي كان آية في التفسير، حيث يقول: « لقد عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاث عرضات أقف عند كلّ آية أسأله فيم أنزلت، وفيم كانت »[2] ، وكذا سعيد ابن جبير[3]، والحسن البصري[4]، وقتادة...[5]، وغيرهم، فهم أقرب عهدًا بنزول القرآن، وأعرف من غيرهم بلغته، وأساليبه، وأكثر حفظًا للسنن والآثار، وهم أيضًا من القرون المفضّلة المشهود لها بالخيرية، لحديث: « خير الناس قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم »[6]؛ وهذه الخيرية تكون في الإيمان والعلم والعمل.

والمتصفّح لتفسير الثعالبي يلاحظ مدى استعانته بأقوال السّلف والخلف، كما هو الشأن- مثلاً- في تحقير أمر الأصنام، ونفي صفات الكمال عنها، وأنّ عبادة العرب لها هي قسمة عوجاء، جائرة، منقوصة، ومخالفة للحقّ والصّواب[7]، فيرجّح مرّة قول هذا، ومرّة قول ذاك.. وهكذا، وأحيانًا يذكر رأي السّلف مع رأي الخلف في المسألة الواحدة دون أن يرجّح بينهما، لاعتقاده عدم وجود خلاف في حقيقة الأمر، مستخدمًا طريقة استدلالية معروفة في علم أصول الفقه وهي: تحرير محلّ النّزاع، بعد بيان محلّ الاتّفاق في المسألة، ليصل بعدها إلى موقفه منها. وهذا ما نراه جليًّا في حديثه عن أسماء الله تعالى وصفاته، كما في بيانه معنى لفظة (يمين) الواردة في قوله صلى الله عليه و سلم : « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرّحمان » [8]، فيذكر فيذكر محلّ الاتّفاق في المسألة حيث يقول: « أثبت أهل السنّة كلّ ما جاء من هذا وآمنوا به »، ثمّ ينتقل إلى تحرير محلّ الخلاف فيقول: « ثمّ منهم من توقّف عن تأويله وسلّم على ذلك إلى الله سبحانه مع اعتقاد التنزيه »، وهو بهذا الكلام يشير إلى مذهب السّلف- رحمهم الله- ثمّ يواصل كلامه قائلاً: « ومنهم طائفة تعرّضت للتأويل

---

(1) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكّي، من أعلم التابعين بالتفسير، عرض القرآن على ابن عباس 30مرّة، وكان زاهدًا في الدنيا، توفي سنة 103هـ، وقيل 104هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 165/3 ؛ التاريخ الكبير 411/7 ؛ الجرح والتعديل 319/8 ؛ تقريب التهذيب ص: 453 برقم(6481)

(2) أثر أخرجه الدارمي في سننه: كتاب الطّهارة -باب: إتيان النساء في أدبارهنّ 272/1، برقم (1120)

(3) هو: سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفيّ: ثقة، ثبت، حافظ، قتل بين يدي الحجّاج سنة 95 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 174، مترجم برقم (2278)

(4) هو :الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، كان ثقة، فقيها، مشهورا، وكان يرسل كثيرا ويدلّس. مات سنة 110هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 99 برقم(1227) ؛ طبقات الحفاظ 35/1

(5) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة السّدوسي، أبو الخطّاب البصري: ثقة، ثبت، مات سنة مائة وبضع عشرة. انظر: تقريب التهذيب ص: 389، مترجم برقم (5518)

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل أصحاب النبيّ صلى الله عليه و سلم -باب: فضائل أصحاب النبيّ ❐ 1336/3 برقم (3451)

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 309/4

(8) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة -باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحثّ والحثّ على الرفق بالرعية والنّهي عن إدخال المشقّة عليهم 1458/3 برقم (1827)

على مقتضى اللغة التي بها خوطبوا من جهة الشّرع »، وهو بهذا يشير إلى مذهب الخلف ؛ وبعد هذا العرض يصل إلى بيان موقفه من المسألة، وهو تبرير رأي كلّ منهما، محاولة منه الجمع بين المذهبين، لأنّه يرى بأنّ الخلاف في حقيقته إنما هو خلاف لفظيّ ليس إلاّ؛ بمعنى: أنّ السّلف سكتوا عن الكلام في الصفات، وفوّضوا معانيها إلى الله تعالى، وأمّا الخلف فقد اضطرّوا إلى تأويلها بما يتّفق والمعاني اللغوية التي تناسبها دفعًا لوهم التشبيه، وهذا ما قصده بقوله في نفس السّياق: « ثمّ لا تخالف بينهم في نفي الجارحة واستحالة إثباتها »، أي: بين أهل السنّة ؛ وقوله « وكلتا يديه يمين » تنبيه للعقول أن لا يتوهّموا في اليمين ولا في اليد ما قد عقلوه في أيدي المخلوقين، فهو سبحانه منزّه عن صفات المخلوقين وسمات المحدثين- تعالى الله عن ذلك ربّنا علوًّا كبيرًا. [1]

5 ـ المصدر الخامس: العقل

فالإسلام كرّم العقل أيّما تكريم، كرّمه حين جعله مناط التكليف عند الإنسان، والذي به فضّله الله على كثير من مخلوقاته، وكرّمه حين وجّهه إلى النّظر والتفكّر في النّفس والكون اتّعاظًا واعتبارا، وكرّمه حين أمسكه عن الولوج فيما لا يحسنه ولا يهتدي فيه إلى سبيل. يقول ﷻ: {**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**}[2]، يذكر الثعالبي في بيانه للآية: « أنّ الله سبحانه عدّد على بني آدم ما خصّهم به من المزايا من بين سائر الحيوان، ومن أفضل ما أكرم به الآدمي العقل الذي به يعرف الله تعالى ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه »[3].

لهذا خصّ الله تعالى أصحاب العقول بالمعرفة لمقاصد العبادة وحكم التشريع، حيث يقول سبحانه بعد ذكره جملة أحكام الحجّ: {**وَاتَّقُونِي يَاأُولِي الْأَلْبَابِ**}[4]، ويقول ويقول عقب ذكر أحكام القصاص: {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ**}[5]، وقصر تعالى الانتفاع بالذكر والموعظة عليهم بقوله: {**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**}[6] **الْأَلْبَابِ**}[6] وقوله: {**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**}[7]، وبقوله: {**وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}.[8] ومدحهم فجعل لهم النّظر في ملكوت، والتفكّر في آلائه، مع ذكره ومراقبته وعبادته، حيث يقول: {**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا**

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 188/5 -بتصرّف
(2) سورة الإسراء: 70
(3) نفس المصدر السابق 486/2
(4) سورة البقرة: 197
(5) سورة البقرة: 179
(6) سورة البقرة: 269
(7) سورة يوسف: 111
(8) سورة العنكبوت: 35

وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[1].

وذمّ سبحانه وتعالى المقلّدين للآباء والأجداد حين ألغوا عقولهم، متّبعين لهم على غير هدىً، فيقول: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**}[2].

من هنا ندرك أهمّية العقل، وأنّه الميزة التي فضّل الله بها الإنسان عن غيره، غير أنّه تعالى جعل له حدودا في إدراكه للأشياء ينتهي إليها، فلو كان العقل يدرك كلّ مطلوب لاستغنى الخلق به عن الشّرع، وانتفت الحكمة من إرسال الأنبياء والرّسل، حيث يقول الله تعالى: {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**}. [3]

وتبعًا لذلك يقرّر الثعالبي أنّ العقول قاصرة عن تحصيل المعرفة الدّينية، فما قامت الحجّة على الخلق إلاّ ببعثة الأنبياء والرّسل، ونزول الكتب، لكن العقل شرط في التكليف، وآلة للتمييز بين الحسن والقبيح، ولولاه لم يكن تكليف، ولا توجّه أمر ولا نهيّ، لكنّه دائمًا يحتاج إلى هداية الوحي وتنبيه الرّسل لتقويمه وتأييده ؛ بمعنى: أنّ الشّرع هو الذي يوجب ويكلّف وليس العقل[4].

والثعالبي بهذا يجعل العقل في المرتبة الثانية بعد الشّرع، خلافًا لما سارت عليه المعتزلة وغيرها من المغالاة في تقديس العقل، حتّى جعلوه أصل علمهم، بل المعقولات عندهم هي الأصول الكلّية الأوّلية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن[5] والقرآن[5].

وعليه، فالعقل عند الثعالبي يعدّ مصدرًا من مصادر المعرفة الدّينية، لكنّه ليس مصدرًا مستقلاً، بل يحتاج إلى تنبيه الشّرع وإرشاده إلى الأدلّة، لأنّ الاعتماد على محض العقل سبيل التفرّق والتنازع والضلال، كما هو حال الأمم الوثنية وغيرها، قديمًا وحديثًا.

هذه هي أهمّ المصدر التي اعتمد عليها الثعالبي في بيان منهجه العقدي السنّي، وأمّا طريقته في عرضها فهي على النحو الآتي :

المطلب الثاني: طريقة في عرض مسائل العقيدة

1 ـ جمع الآراء وعرضها

يتناول تلك القضايا، فيبادر إلى جمع الآراء والأقوال فيها ثمّ عرضها- ولو باختصار وإيجاز- وهو يركّز على رأي أهل السنّة والجماعة- على حدّ قوله- معزوّة إلى أصحابها ومصادرها، إمّا بتعيين الكتاب باسمه، وإمّا بذكر اسم المؤلّف، وإمّا بالجمع بينهما.

---

(1) سورة آل عمران: 190، 191
(2) سورة البقرة: 170
(3) سورة الإسراء: 15
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/64-644 -بتصرّف
(5) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، لثلاثة من أئمّة المعتزلة أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبّار، الجبّار، الحاكم الجشمي ص: 139 تحقيق: فؤاد سيد الدار التونسية 1393هـ-1974 م.

ومن حسنات الشيخ، بل وأمانته العلمية أنّ نقله للآراء كان من المصادر الأصلية لها، إلاّ أنّ المصادر التي يأخذ منها لا تعدو المصادر السنّية إلى غيرها من كتب الفرق الأخرى ؛ وتستأثر كتب الأشاعرة بالقسط الأوفر، والنصيب الأكبر في النقل منها، خاصّة كتب الجويني، وابن العربي، والغزالي، والرّازي وغيرهم.

مثال ذلك: تطرّقه لمسألة فائدة الدّعاء مع أنّ القضاء لا يردّ عند تفسير قوله ﷻ: {**يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**}[1]، حيث يبيّن أنّ قوله (قد جاء أمر ربّك) معناه: نفذ فيهم قضاؤه سبحانه، وهذه الآية مقتضية أنّ الدّعاء إنّما هو أن يوفّق الله الدّاعي إلى طلب المقدور، فأمّا الدّعاء في طلب غير المقدور فغير مجد ولا نافع. ثمّ يشير إلى أنّ الكلام في هذه المسألة متّسع رحب، ومن أحسن ما قيل فيها قول الغزالي في الإحياء: « فإن قلت فما فائدة الدّعاء والقضاء لا يردّ ؟

فالجواب: أنّ من القضاء ردّ البلاء بالدّعاء، فالدّعاء سبب لردّ البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أنّ الترس سبب لردّ السّهم، والماء سبب لخروج النّبات ».[2]

ويستشهد على صحّة ما ذهب إليه بما أخرجه الترمذي عن رفاعة[3]

عن أبيه[4] قال: « سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقًى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتقاة نتّقيها هل تردّ ذلك من قدر الله شيئًا ؟ قال: هي من قدر الله »[5].

ويختم الثعالبي كلامه بقوله: « فليس وراء هذا الكلام من السيّد المعصوم مرمًى لأحد، وتأمّل جواب الفاروق[6] لأبي عبيدة[1] حين همّ بالرّجوع من أجل الدّخول على على أرض بها الطّاعون وهي الشّام »[2] [3].

---

(1) سورة هود: 76

(2) إحياء علوم الدّين لأبي حامد الغزالي 328/1، 329 وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي، دار المعرفة-بيروت 1402هـ-1982م.

(3) هو: رفاعة ابن يعمر (بفتح التحتانية وسكون المهملة)، السّعدي، أبو خزامة (بزاي، قبلها كسرة)، أحد بني الحارث بن سعد بن هذيم، صحابيّ. انظر: تقريب التهذيب ص: 561، مترجم برقم (8077) ؛ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني 106/7 تحقيق: عليّ محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت ط(1) 1412هـ-1992م.

(4) هو: يعمر أحدُ بني سعد، سمّاه بعضهم في رواية وأكثر ما يجيء مُبْهَمًا. انظر: الإصابة 687/6

(5) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الطبّ -باب ما جاء في الرّقى والأدوية 400/4 برقم(2065)، وقال: « هذا حديث حسن صحيح »، وفي كتاب: القدر-باب: ما جاء لا تردّ الرّقى ولا الدّواء من قدر الله شيئًا 453/4 برقم(2148)، وقال: « هذا حديث لا نعرفه إلاّ من حديث الزّهري »؛ وقد ضعّفه الألباني-رحمه الله- انظر: ضعيف سنن الترمذي ص: 232، 244

(6) هو: عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب العدويّ القرشيّ، أمير المؤمنين، صحابيّ مشهور، جمّ المناقب، استشهد سنة 23 هـ بعدما ولي الخلافة عشر سنين ونصفًا.

2 ـ المقابلة بين الآراء

يعمد الشيخ في بعض الأحيان في عرضه للآراء بأسلوب تكون فيه متقابلة، ثمّ يستغلّ ذلك التقابل بالتحليل، والمناقشة، والنقض، والردّ، والاستدراك، والتصويب، على نحو ما يبدو في مسألة حكم مرتكب الكبيرة المتعلّقة بباب الإيمان. وهي مسألة مشهورة، استخدم في عرضها طريقة علماء أصول الفقه، وهي: تحرير محلّ النّزاع بعد بيان محلّ الاتّفاق، ثمّ الردّ والنّقض وبيان الرأي الرّاجح فيها.

نرى هذا عند تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**}[4].

يبدأ بعرض القضيّة وأهمّ الأقوال الواردة فيها، فيشير أوّلاً إلى القسم المتّفق عليه فيها بقوله: « هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد، وتلخيص الكلام فيها أن يقال: النّاس أربعة أصناف:

كافر مات على كفره، فهذا مخلّد في النّار بإجماع.

ومؤمن محسن لم يذنب قطّ ومات على ذلك، فهذا في الجنّة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى بإجماع.

وتائب مات على توبته، فهو عند أهل السنّة وجمهور فقهاء الأمّة لاحق بالمؤمن المحسن إلاّ أنّ قانون المتكلّمين أنّه في المشيئة »[5].

وبعد هذا مباشرة ينتقل إلى بيان محلّ النّزاع فيها بين أهمّ الفرق الإسلامية، ووجهة نظر كلّ فرقة منها،

فيقول: « ومذنب مات قبل توبته فهذا هو موضع النّزاع:

فقالت الخوارج: إذا كان صاحب كبيرة فهو في النّار ولابدّ.

انظر: تقريب التهذيب ص: 350، مترجم برقم (4888)؛ التاريخ الكبير 138/6 ؛ الجرح والتعديل 105/6 ؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني 385/7 دار الفكر-بيروت ط(1) 1404هـ-1984م.

(1) هو: عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، أبو عبيدة بن الجرّاح. صحابيّ مشهور، شهد بدرًا وغيرها، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة، مات شهيدًا بطاعون عمواس سنة 18 هـ، وله 58سنة. انظر: تقريب التهذيب ص: 231، مترجم برقم (3098)، الجرح والتعديل 325/6 ؛ سير أعلام النبلاء 5/1

(2) الشّام: (بفتح أوله، وسكون همزه): هي المنطقة التي تقع شمال جزيرة العرب، وحدّها من الفرات إلى العريش المتاخم للدّيار المصرية، وعرضها من جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الرّوم . انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي 312/3 -بتصرّف. دار صادر للطباعة والنّشر- ودار بيروت للطباعة والنّشر -1399هـ-1979 م.

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 288/2

(4) سورة النّساء: 48

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 436/1

وقالت المعتزلة: إذا كان صاحب كبيرة أو صغيرة فهو في النّار مخلّد، ولا إيمان له؛ لأنّهم يرون كلّ الذّنوب كبائر، وجعلوا آيات الوعد كلّها في المؤمن الذي لم يعص قطّ، والمؤمن التّائب.

وقالت المرجئة: هو في الجنّة بإيمانه، ولا تضرّه سيّئته ؛ وجعلوا آيات الوعيد كلّها في الكفّار، وآيات الوعد عامّة في المؤمنين، تقيّهم وعاصيهم »[1].

ثمّ يخلص إلى ذكر رأي أهل السنّة والجماعة، مرجّحًا له، وناقضًا -في نفس الوقت- رأي المخالفين تأييدًا وتأكيدًا لما ذهب إليه، فيقول: « وقال أهل السنّة: هو في المشيئة، وهذه الآية هي الحاكمة، وهي النّصّ في موضع النّزاع، وذلك أنّ قوله تعالى (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به) فصل مجمع عليه، وقوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك) فصل قاطع للمعتزلة، رادّا على قولهم ردًّا لا محيد لهم عنه، ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصحّ قول المرجئة، إنّما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنّه مغفور لكلّ مؤمن »[2].

3 ـ التعليق على الآراء

تظهر شخصية الشيخ -بشكل أوضح- في تدخّله المباشر في عرض الآراء والأقوال قي تعقيبات متتالية. وهو يصدر جلّ تعقيباته بلفظ (قلت)، ونادرًا ما يهمل ذلك، وله طرق شتّى في التعليق على الآراء وأدلّتها، ويمكن أن نتبيّن منها ما يلي:

أ- الشّرح والتعقيب مع التأييد:

وذلك حينما يكون بالرأي المنقول عموم أو إجمال، أو ما من شأنه مظنّة لفهم خاطئ، فيعلّق عليه مع إضافة أقوال العلماء تقوّي الرأي المعروض وتؤيّده.

نرى هذا جليّاً في تطرّقه لمسألة ثواب مؤمني الجنّ، حيث يرى أنّ الجنّ يثابون ويؤجرون إذا آمنوا، ويعاقبون إذا كفروا، وهو ما يقرّره عند تفسير قوله تعالى: **{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}**[3]، إذ ينصّ على أنّه إخبار من الله سبحانه أنّ المؤمنين في الآخرة على درجات من التفاضل بحسب أعمالهم، وتفضّل المولى سبحانه عليهم، ولكن كلّ راض بما أعطي غاية الرّضا، والمشركون أيضّا على دركات.

ثمّ يعقّب بقوله: « أنّ ظاهر الآية يفيد: أنّ الجنّ يثابون وينالون الدرجات والدركات. ويؤيّد رأيه بما ترجم له البخاريّ في صحيحه في ذكر ثواب الجنّ وعقابهم » (4) [1].

---

(1) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة -بتصرّف

(2)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 436/1

(3) سورة الأنعام: 132

(4) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق -باب: ذكر الجنّ وثوابهم وعقابهم، لقوله تعالى: (يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتيكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي) 1200/3 برقم (3122)

والمسألة نفسها يكرّرها عند تفسير قوله سبحانه و تعالى: {**قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنْ النَّارِ**}[2]، حيث يذكر في تعقيبه: أنّ الله تعالى قدّم ذكر الجنّ لأنّهم أعرق في الكفر، وإبليس أصل الضلال والإغواء، وهذه الآية نصّ في أنّ كفرة الجنّ في النّار، والذي يقتضيه النّظر أنّ مؤمنيهم في الجنّة، لأنّهم عقلاء مكلّفون مبعوث إليهم، آمنوا وصدّقوا »[3].

وكذلك الأمر عند تفسير قوله ✞: {**قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**}[4]، فيشير إلى الخلاف في مؤمني الجنّ هل يثابون على الطّاعة ويدخلون الجنّة، أو يجارون من النّار فقط؟

فيقرّر القول الصحيح -نقلاً عن الرّازي- أنّهم في حكم بني آدم يستحقّون الثّواب على الطّاعة، والعقاب على المعصية[5] [6].

ب- النّقد والتصحيح:

يعقّب في بعض الأحيان على الآراء والأدلّة بنقدها وبيان ضعفها أو خطئها ..، ثمّ يأتي بما يراه أنه الصّواب؛ وهو لا يستثني في ذلك أيّ رأي إذا ما رآه خاطئًا مهما كان صاحبه.

ومثاله فيما يتعلّق بنقد الآراء وبيان ضعفها: ما أشار إليه في تعقيبه على النّقّاش[7] في مسألة حمل المرأة من الجنّ، ردًّا على قوله. وهذا ما يوضّحه في معرض تفسير قوله سبحانه وتعالى: {**وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**}[8]، يقول: « وما أدخله النّقّاش من وطء الجنّ وأنّه يحبل المرأة من الإنس فضعيف كلّه ».ثمّ يعقّب عليه منتقدًا له بقوله: « وأمّا ما ذكره من الحبل فلا شكّ في ضعفه، وفساد قول ناقله، ولم أر في ذلك حديثًا صحيحًا ولا سقيمًا، ولو أمكن الحبل من الجنّ

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 670/1

(2) سورة الأعراف: 38

(3)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 25/2

(4) سورة الأحقاف: 30

(5) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي مج(14) ج33/28 دار إحياء التراث العربي- بيروت ط(3) (د.ت.ط).

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 215/4

(7) هو: محمّد بن الحسن بن زياد بن هارون بن جعفر المقري، الموصلي، البغدادي، أبو بكر، المعروف بالنّقّاش. ولد سنة 265 هـ: مفسّر، في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة، توفّي سنة 351. انظر: التّاج المكلّل ص: 122 ؛ تذكرة الحفاظ 908/3 ؛ سير أعلام النبلاء 573/15 ؛ تاريخ بغداد 201/2

(8) سورة الإسراء: 64

كما زعم ناقله لكان ذلك شبهة يدرأ بها الحدّ عمّن ظهر بها حبل من النّساء اللواتي لا أزواج لهنّ لاحتمال أن يكون حبلها من الجنّ كما زعم هذا النّاقل، وهو باطل ؛ وأمّا ما ذكره من الوطء فقد قيل ذلك، وظواهر الأحاديث تدلّ عليه، منها ما أورده البخاري عن ابن عبّاس -رضي الله عنه- قال: قال النبيّ صلى الله عليه و سلم : « لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهمّ جنّبنا الشّيطان وجنّب الشّيطان ما رزقتنا، فإنّه إن يقدّر بينهما ولد في ذلك لم يضرّه الشّيطان أبدًا »[1]، فظاهر قوله عليه السّلام يقتضي أنّ لهذا اللعين مشاركة ما في هذا الشأن »[2].

كما انتقد ابن عطيّة في بيان معنى الوسيلة المطلوبة لنبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم فلم يرتح لكلامه، وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}[3]، فيشير أوّلاً لكلام ابن عطيّة من أنّ الدّعاء له بالوسيلة والفضيلة إنّما هو أن يؤتاهما في الدنيا ويتّصف بهما، ويكون ثمرة ذلك في الآخرة التشفيع في المقام المحمود[4]؛ ثمّ يعقّب عليه بأنّ في كلامه هذا ما لا يخفى، وقد فسّر النبيّ صلى الله عليه و سلم الوسيلة التي كان يرجوها من ربّه، وأنّها « درجة في الجنّة لا ينبغي أن تكون إلاّ لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو »[5] [6].

وانتقده في قضيّة الشّفاعة يوم القيامة، وأنّها لا تكون إلاّ بإذن الله تعالى، وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ**}[7]، فيذكر ما قاله ابن عطية في بيان معنى الآية: « أن لا فدية يوم القيامة ولا خلّة نافعة، وأهل التقوى في ذلك اليوم بينهم خلّة ولكنّه غير محتاج إليها »[8] ثمّ يعقّب عليه موضّحًا أن لفظة (غير محتاج إليها) فيها قلق، ولا شفاعة يومئذ إلاّ لمن إذن له سبحانه، فالمنفي مثل حال الدنيا من الخلّة والبيع والشّفاعة بغير إذن المشفوع عنده »[9].

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء -باب: التسمية على كلّ حال وعند الوقاع 65/1 برقم (141) ؛ وكتاب بدء الخلق -باب: صفة إبليس وجنوده 1193/3 برقم (3098) ؛ وكتاب النّكاح -باب: ما يقول الرجل إذا أتى أهله ؛ كتاب الدعوات -باب: ما يقول إذا أتى أهله 2347/5 برقم (6025) ؛ وكتاب التوحيد-باب: السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها 2692/6 برقم (6958)

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 484/2، 485 -بتصرّف

(3) سورة المائدة: 35

(4) المحرر الوجيز 186/2، 187

(5) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصّلاة -باب: استحباب القول مثل قول المؤذّن لمن سمعه سمعه ثمّ يصلّي على النبيّ ❐ ثم يسأل له الوسيلة 288/1 برقم (384)

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 549/1

(7) سورة البقرة: 254

(8) المحرر الوجيز 339/1

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 241/1

وأمّا المثال فيما يتعلّق بتصحيح الآراء وتصويبها وتوجيهها: ما نلاحظه في تعقيبه على ابن عطيّة أيضًا في مسألة دعاء الله على مخلوقاته، وأنّه مصروف عن ظاهره، وذلك عند تفسير قوله سبحانه و تعالى: {**وَمِنْ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}[1]، جاء في تفسيره للآية: « وكلّ ما كان بلفظ دعاء من جهة الله ﷻ، فإنّما هو بمعنى إيجاب الشيء، لأنّ الله لا يدعو على مخلوقاته، وهي في قبضته، ومن هذا: {**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**}[2]، {**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**}[3]، فهي كلّها أحكام تامّة تضمّنها خبره تعالى ». ثمّ يعقّب الثعالبي بقوله: « وهذه قاعدة جيّدة، وما وقع له ممّا ظاهره مخالف لهذه القاعدة وجب تأويله بما ذكره هنا [4]؛ وقد وقع له ذلك بعد هذا في قوله: {**صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**}[5]، قال: تحتمل أن يكون دعاء عليهم، ويحتمل أن يكون خبرًا، أي: استوجبوا ذلك[6]؛ وقد أوضح ذلك عند تفسير قوله تعالى: {**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**}[7]، فانظره هناك »[8] [9].

4 ـ الفرق المنحرفة في العقائد وردّه عليها

في العصر الذي عاش فيه الثعالبي كانت لا تزال بعض آراء الفرق والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية تتردّد بين النّاس، ورغم أنّ المذهب السنّي كانت له الغلبة والسيطرة؛ فكان من الضّروري عليه وهو يفسّر كلام الله تعالى أن يتوقّف للردّ على بعض تلك الفرق والآراء والمعتقدات الباطلة، إظهارًا للحقّ وتخليصًا للدّين من الشّوائب.

والثعالبي كغيره من العلماء، حمله مذهبه العقديّ السنّي على الردّ عليها وبيان فساد آرائها ومعتقداتها، فتصدّى للمانوية، والحلولية، والخوارج، والمعتزلة...، وغيرها[10]، إلاّ أنّ ردوده على المعتزلة نالت قسطًا وافرًا.

وقد استخدم أسلوبًا جدليًّا عقليًّا مستنبطًا من آيات القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة، من أجل إفحام الخصم وردّ شبهه، وهو :

الانتقال في الحجاج: بمعنى: أن ينتقل المستدلّ إلى استدلال غير الذي كان آخذًا فيه، لكون الخصم لم يفهم وجه الدّلالة من الأوّل، وهكذا حتّى يصل إلى الحقّ ؛ مثاله ما جاء في مناظرة الخليل إبراهيم عليه السّلام للمتجبّر لمّا قال له: {**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي**

---

(1) سورة التوبة: 98
(2) سورة الهمزة: 01
(3) سورة المطفّفين: 01
(4) المحرر الوجيز 73/3، 74
(5) سورة التوبة: 127
(6) نفس المصدر السابق 100/3
(7) سورة البروج: 04
(8) نفس المصدر السابق 461/5
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 198/2، 199
(10) سيأتي ترجمة هذه الفرق

وَيُمِيتُ}[1]، فقال المتجبّر: {**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**}[2]، ثمّ دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لم يجب عليه القتل فقتله، فعلم الخليل أنّه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم بذلك وغالط بهذا الفعل، فانتقل عليه السّلام إلى استدلال لا يجد له المتجبّر وجهًا يتخلّص به منه، فقال: {**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ**}[3]، فانقطع المتجبّر وبهت ولم يمكنه أن يجيب أو يقول: أنا الآتي بها من المشرق، لأنّ من هو أسنّ وأعقل منه يكذّبه[4].

ولهذا لا غرابة أن يحثّ الثعالبي على استخدام كيفيّة خاصّة في محاجة الجاهل لإرجاعه إلى الحقّ والصّواب، أو ما يعبّر عنه باستعمال التدرّج في الحجاج من أجل إقناع الخصم؛ وهذا ما يذكره في معرض تفسير قوله تعالى: {**يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**}[5]، حيث يشير إلى أنّ: « وصف الله تعالى بالوحدة والقهر تلطّف حسن وأخذ بيسير الحجّة قبل كثيرها الذي ربّما نفرت منه طباع الجاهل وعاندته، وهكذا الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها، فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها، ثمّ كذلك أبدًا حتّى يصل إلى الحقّ، وإن أخذ الجاهل بجميع المذهب الذي يساق إليه دفعة أباه للحين وعانده »[6].

وهذا الكلام من الشيخ، المراد به الجدال الذي يرجى منه فائدة، وأمّا الجدال الذي لا فائدة فيه، فإنّه غير مرغوب فيه لأنّه يؤدّي إلى الزّلل والانحراف عن المنهج السويّ الذي نبّهنا إليه ربّنا ﷻ في قوله: {**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[7]، إذ يقرّر نقلاً عن ابن عطيّة: « أنّ هذه الآية تعمّ أهل الأهواء والبدع والشّذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمّق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلّها عرضة للزّلل ومظنّة لسوء المعتقد »[8] [9].

ويعضد موقفه السّابق، بما نقله عن الإمام ابن عبد السّلام[10]، عند تفسير قوله تعالى: {**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}[1]، حيث ينصّ على أنّه: « لا

---

(1) سورة البقرة: 258
(2) سورة البقرة: 258
(3) سورة البقرة: 258
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 246/1، 247 -بتصرّف
(5) سورة يوسف: 39
(6) نفس المصدر السّابق 323/2
(7) سورة الأنعام: 154
(8) المحرّر الوجيز 364/2
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 680/1
(10) هو: عبد العزيز بن عبد السّلام بن القاسم بن الحسن بن محمّد المهذّب، أبو محمّد، السّلمي، الدّمشقي، الشّافعي، يقال له: سلطان العلماء، توفّي سنة 660 هـ. انظر البداية والنّهاية 428/7 ؛ شذرات الذّهب 301/5

يجوز الجدال والمناظرة إلاّ لإظهار الحقّ ونصرته ليعرف ويعمل به، فمن جادل لذلك فقد أطاع، ومن جادل لغرض آخر فقد عصى وخاب، ولا خير فيمن يتحيّل لنصرة مذهبه مع ضعفه وبعد نظره من الصّواب »[2] [3].

وما أثبته الثعالبي هنا هو ما ذهب إليه الغزالي-رحمه الله- إذ يقول: « فإن قلت: تعلّم الجدل والكلام مذموم كتعلّم النجوم، أو هو مباح، أو مندوب إليه ؟

فاعلم: أنّ للنّاس في هذا غلوًّا وإسرافًا في أطراف ؛ فمن قائل: إنّه بدعة أو حرام، وأنّ العبد إن لقي الله ✝ بكلّ ذنب سوى الشّرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنّه واجب وفرض إمّا على الكفاية أو على الأعيان، وأنّه أفضل الأعمال وأعلى القربات، فإنّه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى ..- إلى أن يقول- ...فيه منفعة وفيه مضرّة، فهو باعتبار منفعته في وقت الإنتفاع حلال أو مندوب إليه، أو واجب كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرّته في الاستضرار وحلّه حرام:

أمّا مضرّته: فإثارة الشّبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك ممّا يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في الاعتقاد الحقّ، وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتدّ حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضّرر بواسطة التّعب الذي يثور من الجدل ...، **وأمّا منفعته**: فكشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشّريف، ولعلّ التّخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف »[4].

يقول شارح الطحاوية: « وكلام مثله في ذلك حجّة بالغة، والسّلف لم يكرهوه لمجرّد كونه اصطلاحًا جديدًا على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ لعلوم صحيحة، ولكن كرهوا أيضًا الدّلالة على الحقّ والمحآجّة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحقّ »[5].

وهذه الآن نماذج من تلك الردود على الفرق والمذاهب، والتي تبيّن بجلاء مذهبه العقدي السنّي الذي سار عليه في كتابه:

المانوية [6]**:** وقد ردّ الشيخ على هذا المذهب الباطل عند تفسير قوله تعالى: {**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**

---

(1) سورة العنكبوت: 46

(2) القواعد الصغرى: ص: 109. وهو مختصر لكتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام). تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض. دار الجيل -بيروت (ط2) 1414 هـ- 1994م.

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 301/3

(4) إحياء علوم الدّين 94/1، 95

(5) شرح العقيدة الطّحاوية 238/1

(6) هم: أتباع ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى عليه السلام . أحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوّة

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [1] يذكر بأنّ لفظة (الذين كفروا) في هذا الموضع هي: كلّ من عبد شيئًا سوى الله، إلاّ أنّ السّابق من حال النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّ الإشارة إلى عبدة الأوثان من العرب لمجاورتهم له ؛ ولفظ الآية يشير إلى المانوية العابدين للنّور، القائلين أنّ الخير من فعل النّور، والشرّ من فعل الظّلام ». [2]

اليعقوبية [3]**:** وهي فرقة من فرق النصارى، القائلين بالتثليث، وقولهم ظاهر البطلان، لذلك أعرض الشيخ عن تتبّع مذهبهم والردّ عليهم بتفصيل، لأنّ المقام مقام تفسير، ولا فائدة من ذكر أقوالهم، فاكتفى بالإشارة إلى بطلان مذهبهم، كما هو الشأن في معرض تفسير قوله تعالى: {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** }[4] حيث يوضّح أنّ: « الله تعالى أخبر إخبارًا مؤكّدًا بلام القسم عن كفر القائلين (إنّ الله هو المسيح)، وهذا قول اليعقوبية من النّصارى، ثمّ أخبر تعالى عن قول المسيح لهم (يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربّي وربّكم)، فضلّوا هم وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات »[5].

والردّ نفسه نجده عند تفسير قوله ✞: {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[6] يذكر أنّه: « إخبار مؤكّد كالذي قبله عن هذه الطّائفة النّاطقة بالتثليث، وهم فرق، منهم النّسطورية[7] ، وغيرهم، ولا معنى لذكر أقوالهم في كتب التفسير »[8].

المسيح عليه السّلام ولا يقول بنبوّة موسى عليه السّلام، وزعم أنّ العالم مصنوع مركبّ من أصلين قديمين: أحدهما النّور، والآخر الظلمة. انظر: الملل والنّحل 186/1، الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص: 241 تعليق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة-بيروت ط(2) 1417هـ-1997م ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي ص: 138 دار الكتب العلمية-بيروت (د.ت.ط).

(1) سورة الأنعام: 01

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 602/1

(3) هم: أصحاب يعقوب البرذعاني ؛ قالوا: بالأقانيم الثلاثة، وأنّ الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا ؛ انظر: الملل والنّحل 170/1، 171 ؛ الفصل في الملل والأهواء والنّحل لابن حزم الظاهري 111/1 تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمان عميرة، دار الجيل-بيروت 1405هـ. أو مكتبة المثنى-بغداد 1321هـ.

(4) سورة المائدة: 72

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 570/1

(6) سورة المائدة: 73

(7) هم: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرّف في الأناجيل بحكم رأيه. قال: إنّ الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، و الحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذّات، ولا هي هو، واتّحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السّلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشّمس في كوّة على بلّورة، وكظهور النّقش في الشّمع إذا طبع بالخاتم. انظر: الملل والنّحل 169/1

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 570/1، 571

الفلاسفة[1]: وردّ عليهم دون أن يشير إلى اسمهم صراحة، فأثبت ما نفوه من علم الله تعالى الأشياء على التفصيل، وهذا ما يمكننا تلمّسه من خلال تفسيره لقوله ✞: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**}[2]، حيث يقرّر أنّ: « هذه الآية خبر عن علم الله تعالى بالأشياء على التّفصيل »[3].

ويعتبر من يعتقد خلاف ذلك ملحدًا في دين الله، كافرًا، محتجّاً بقوله تعالى: {**ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}[4] فيوضّح أنّ: « قوله سبحانه (بكلّ شيء عليم): عامّ عمومًا تامًّا في الجزئيّات ودقائق الموجودات، والقول بغير هذا إلحاد في الدّين وكفر »[5].

كفرة العرب: [6] وقد ردّ عليهم في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**}[7] يشير إلى أنّ: « هذه الآية رادة على كفرة العرب في قولهم لولا أولياء الله الله لذلّ- تعالى الله عن قولهم- وقيّد سبحانه نفي الولاية له بطريق الذلّ وعلى جهة الانتصار، إذ ولايته سبحانه موجودة بفضله ورحمته لمن والى من صالح عباده »[8].

الدّهرية: [9] ولم يطل في الحديث عنهم، كون ادّعائهم ظاهر البطلان، تكذّبه الأدلّة الأدلّة العقلية والنّقلية، حيث قالوا- كما حكى الله عنهم: {**إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**}[10] يشير إلى أنّهم أرادوا: أنّه لا وجود لنا غير هذا الوجود، وإنّما تموت منّا طائفة فتذهب، وتجيء طائفة جديدة، وهذا هو كفر الدّهرية »[11].

---

(1) الفلاسفة: جمع فيلسوف، وهو لفظ مركّب من كلمتين: فيلا، وهو: المحبّ، وسوفا، وهي: الحكمة، ومعناه: محبّ الحكمة. وقد قسّموا العلم إلى ثلاثة أقسام: العلم الإلهي: ويطلب فيه ماهيات الأشياء؛ والعلم الطبيعي: ويطلب فيه كيفيات الأشياء؛ والعلم الرّياضي: ويطلب فيه كمّيّات الأشياء، سواء كانت مجرّدة عن المادّة أو مخالطة. ومن الفلاسفة من لا يقول بالنّبوّات أصلاً ؛ انظر: الملل والنّحل 29/1 ؛ 49/2-51

(2) سورة آل عمران: 05

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 291/1

(4) سورة المائدة: 97

(5) نفي المصدر السابق 585/1 ؛ المنقذ من الضلال ص: 107 ؛ تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالى ص: 164، 165 تحقيق: د. سليمان دنيا، دار العارف-مصر ط(3) 1385 هـ-1966م.

(6) تفصيل آرائهم في الملل والنّحل 202/2-217

(7) سورة الإسراء: 111

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 505/2

(9) هم القائلون: أنّه لا عالم سوى ما هم فيه من مطعم شهيّ، ومنظر بهيّ، ولا عالم وراء هذا المحسوس. انظر: الملل والنّحل 03/2

(10) سورة المؤمنون: 37

(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 148/3

الحلولية [1]**:** وردّ على دعاة هذا المذهب الباطل عند تفسير قوله تعالى: {**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**}[2] فيقرّر قاعدة الكلام في هذه الآية: « أنّ حلول الله في الأماكن مستحيل- تعالى الله أن يحويه مكان، كما تقدّس أن يحدّه زمان، بل كان قبل أن يخلق الزّمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان ..، وتأويل ذلك: على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة في المعنى، كأنّه قال: وهو الله المعبود في السّماوات والأرض، فلفظة (في): متعلّقة بما تضمّنه اسم الله من المعاني، كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب ». [3]

القائلون بطريقة الرموز: فقد اتّخذ الثعالبي من قوله جلّ وعلا: {**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**} [4] حجّة للردّ على القائلين بالتفسير الرمزي للآيات القرآنية الكريمة، وهو ما تزعمه فرقة الباطنية [5] القائلة: أنّ لكلّ ظاهر باطن، فيفسّرون كلام الله ﷻ على حسب أهوائهم وآرائهم الفاسدة. يقول في بيان معنى هذه الآية: « قوله سبحانه (من ورقة) أي: من ورق النّبات، (ولا حبّة في ظلمات الأرض)، يريد: في أشدّ حال التّغيّب، خلافًا لما حكاه بعض النّاس عن جعفر بن محمّد[6]: أنّ الورقة يراد بها السّقط من أولاد بني آدم، والحبّة يراد بها الذي ليس بسقط، والرطب يراد به الحيّ، واليابس يراد به الميّت، وهذا قول جار على طريق الرّموز، ولا يصحّ عن جعفر بن محمّد، ولا ينبغي أن يلتفت إليه »[7].

الخوارج [8]**:** ولم يتطرّق إليهم بتفصيل، وإنّما وردت الإشارة إليهم من باب التنفير من فكرهم، كما هو الشأن في تفسير قوله ﷻ: {**فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ**

---

(1) هو: مذهب قديم غرضه القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصّانع، يقول: بوحدة الوجود، وحلول الله في الحوادث والمخلوقات- تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيرًا. انظر: الملل والنّحل 78/1

(2) سورة الأنعام: 03

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 603/1

(4) سورة الأنعام: 59

(5) هم: أخطر المذاهب وأشدّها ضررًا على الإسلام والمسلمين، ومن مؤسّسي هذه الدعوة الباطلة: محمّد بن الحسن، الملقّب بدندان، ميمون بن ديصان، المعروف بالقدّاح، وكان مولىً لجعفر بن محمّد الصّادق -وهو منهم براء -اجتمعوا في سجن والي العراق فأسّسوا مذاهب الباطنية، ثمّ ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن، بداية من قرية (توذ) من قرى سمرقند، ومن ثمّ انتشرت. انظر: الفرق بين الفرق ص: 250-275

(6) هو: جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ، أبو عبد الله، المعروف بالصّادق: صدوق، فقيه، إمام، من سادات أهل البيت، مات سنة 148 هـ. انظر: الثّقات 131/6، 132، تقريب التهذيب ص: 80 مترجم برقم(9505)

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 629/1

(8) هم: كلّ من خرج عن الإمام الحقّ الذي اتّفقت الجماعة عليه فيسمّى خارجيًا، سواء كان الخروج في في أيام الصّحابة على الأئمّة الرّاشدين، أو كان بعدهم على التّابعين بإحسان، والأئمّة في كلّ زمان. وهم القائلون: بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النّار ؛ وأوّل من خرج على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- جماعة ممّن كانوا معه في حرب صفّين، وأشدّهم خروجًا عليه ومروقًا

السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [1]، فيورد ما روي عن الحسن[2] وابن سيرين[3] أنّهما قالا: « أوّل من قاس إبليس، وما عبدت الشّمس والقمر إلاّ بالقياس »؛ وهذا القول منهما ليس هو بإنكار القياس، وإنّما خرج كلامهما نهيًا عمّا كان في زمانهما من مقاييس الخوارج وغيرهم، فأرادا حمل النّاس على الجادة[4].

المعتزلة [5]**:** وقد خصّص قسطًا لا بأس به من تفسيره للردّ على مزاعمهم، وذلك كلّما سنحت له الفرصة، فيتّخذ من الآيات القرآنية الكريمة أدلّة قاطعة لنقض آرائهم، غير أنّه يكتفي بأسلوب الاختصار والإيجاز؛ وهو معذور في ذلك لأنّ المقام مقام تفسير وليس عرض الآراء ومناقشتها.

فيردّ عليهم -مثلاً- في مسألة موت الإنسان إنّما يكون بأجل مكتوب محتوم عند الله تعالى كما في معرض تفسير قوله تعالى: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا}** [6] فيبيّن -رحمه الله-: « أنّ الله ﷻ أخبر عن النّفوس أنّها إنّما تموت بأجل مكتوب محتوم عند الله تعالى، أي: فالجبن والخور لا يزيد في الأجل، والشّجاعة والإقدام لا ينقص منه، وفي هذه الآية تقوية للنّفوس في الجهاد، وفيها ردّ على المعتزلة في قولهم بالأجلين »[7].

من الدّين: الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن فدكي التّميمي، وزيد بن حصين الطّائي. انظر: الملل النّحل 84/1، الفرق بين الفرق ص: 78، 79

(1) سورة الأعراف: 11، 12

(2) هو: الحسن بن أبي الحسن بن يسار الأنصاري البصري، أبو سعيد: ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلّس، مات سنة 110 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 99، مترجم برقم (1227)، سير أعلام النبلاء 563/4

(3) هو: محمّد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري: ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرّواية، بالمعنى، مات سنة 110 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 418 مترجم برقم (5947) ؛ الثقات 348/5، 349 ؛ سير أعلام النبلاء 606/4

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 11/2

(5) ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقّبون بالقدرية، والعدلية. وبداية ظهورها كانت على يد واصل بن عطاء الغزّال الألثغ؛ فقد دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملّة ؛ وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضرّ مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ ففكّر، وقبل أن يجيب قال واصل: أنا لا أقول إنّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا، ولا كافر مطلقًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثمّ قام واعتزل إلى مكان في المسجد، فقال الحسن: اعتزل عنّا واصل، فسمّي هو وأتباعه معتزلة. انظر: الملل والنّحل 35/1-38، الفرق بين الفرق ص: 27، 28

(6) سورة آل عمران: 144، 145

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 377/1

والردّ نفسه يكرّره عند قوله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}[1]، فيذكر: « أنّ الله نهى المؤمنين أن يكونوا مثل الكفّار المنافقين في هذا المعتقد الفاسد الذي هو أنّ من سافر في تجارة ونحوها، ومن قاتل فقتل، لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عرّض نفسه للسّفر أو القتال، وهذا هو معتقد المعتزلة في القول بالأجلين أو نحو منه »[2].

وردّ عليهم في مسألة القضاء والقدر، وذلك في معرض تفسير تعالى: {**بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**} [3]، فيشير إلى أنّ: « قوله (ولو ردّوا لعادوا) إخبار عن أمر لا يكون كيف كان يوجد، وهذا النّوع ممّا استأثر الله بعلمه، فإن أعلم بشيء منه علم، وإلاّ لم يتكلّم فيه؛ ويعضد كلامه بما ذكره الرّازي من أنّ: « هذه الآية من الأدلّة الظّاهرة على فساد قول المعتزلة، لأنّ الله تعالى حكى عن هؤلاء أنّهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه، وما ذلك إلاّ للقضاء السّابق فيهم » [4] [5].

وردّ عليهم أيضًا فيما يتعلّق بمسألة العزم على الفعل من خلال قصّة إبراهيم وذبح ولده إسماعيل -عليهما السّلام- وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**} [6]، فيثبت ما تقرّر في مذهب أهل السنّة والجماعة على أنّ: « هذه القصّة نسخ فيها العزم على الفعل خلافًا للمعتزلة »[7].

---

(1) سورة آل عمران: 156

(2) نفس المصدر السّابق 386/1 ؛و ما أثبته الثعالبي هو ما قرّره أهل السنّة والجماعة ؛ انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلّة من الاعتقاد لعبد الملك الجويني ص: 145، 146 علّق عليه وخرّج آياته وآحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1416هـ-1995م ؛ المواقف ص: 320 ؛ كتاب، حيث يقول البغدادي في كتابه أصول الدّين ص: 142 دار الكتب العلمية بيروت ط(3) 1401هـ-1981م. « كلّ من مات حتف أنفه أو قتل، فإنّما مات بأجله الذي جعله الله عزّ وجلّ أجلاً لعمره والله قادر على إبقائه والزّيادة في عمره لكنّه إذا لم يبقه إلى مدّة لم يكن المدّة التي يبق إليها أجلاً له ».

(3) سورة الأنعام: 28

(4) التفسير الكبير مج(06) ج205/11

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 613/1، 614

(6) سورة الصّافات 103-105

(7) نفس المصدر السّابق 36/4. وهم يقولون: إنّه لا يصحّ نسخ إلاّ بعد وقوع الفعل؛ انظر: الإرشاد ص: 102، المحرّر الوجيز 482/4

الباب الثاني
الإلـــهـيـــات
والـنـبـــــوّات

الفصل الأول
الاستدلال على وجـــود الله ووحدانيته

المبحث الأول
أدلة الثعالبي في الاستدلال على وجود الله ووحدانيته

تعتبر مسألة وجود الله وإثبات وحدانيته من أهمّ المسائل الـتي شغلت فكر الإنسان عبر الزمن، ونالت اهتمامه، ذلك أنّ الإنسان يشعر بوجود مدبّر حكيم لهذا الكون هو الذي أبدعه وأتقن صنعه؛ غير أنّ النّاس ضلّوا عن الاهتداء إلى طريق الصّواب، فمنهم من أنكر وجوده مطلقًا، ومنهم من عبد معه غيره من الأوثان والأصنام فوقعوا في الظلم الأكبر وهو الشرك بالله تعالى.

وقد اهتمّ الثعالبي بهذه المسألة في تفسيره كثيرًا، فتطرّق إليها في العديد من المواضع، وهذا الآن بيان ذلك

المطلب الأول: دليل الخلق وبعض نماذجه

1 ـ إثبات وجود الله تعالى بدليل الحدوث[1]:

ومعناه: الاستدلال بحدوث العالم[2] على محدث صانع، هو الله ﷻ الذي أخرجه من حيّز العدم إلى حيّز الوجود، وهذا ما يمكننا تلمّسه من خلال طريقة إبراهيم عليه السّلام في حواره مع قومه لإبطال عبادة الكواكب، فقد استدلّ على حدوث العالم، بإثبات حدوث الجواهر[3] والأعراض[4]، فأفول النّجم والقمر، وبزوغ الشمس من أدلّة حدوثها، والدليل على حدوثها: بطلان الحركة عند مجيء السّكون، لأنّها لو لم تبطل عند مجيء السّكون لكانا موجودين في الجسم معًا، ولوجب لذلك أن يكون متحرّكًا ساكنًا معًا، وذلك ممّا يعلم فساده ضرورة[5]. يقول الله ﷻ : {**وَكَذَٰلِكَ نُرِي**

---

(1) الحدوث **لغة**: مأخوذ من حدث حدوثًا وحداثة، نقيض قدم. انظر: القاموس المحيط 170/1-فصل الجيم والحاء -باب الثاء مادة(حدث). معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 108، 109. **واصطلاحًا**: الخروج من العدم إلى الوجود. انظر: الكلّيات ص: 29، 218، 359، 400

(2) العالم **لغة** (بفتح اللام): اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والأعراض، ولا مفرد له، واشتقاقه من العلم أو العلامة. وهو في الأصل اسم لما يعلم به، وجمعه عالمين، وعالمون. انظر: القاموس المحيط 155/4 -فصل العين-باب الميم- مادة(علم). معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 357. الكلّيات ص: 637. **واصطلاحًا:** كلّ موجود سوى الله تعالى. انظر: الإرشاد ص: 12، الفرق بين الفرق ص: 288 ؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن 36/1 ؛ 33/2

(3) **الجواهر**: جمع جوهر، وهو المتحيّز، وكلّ ذي حجم متحيّز. أي: أنّ الجوهر: هو الذي يقبل من كلّ جنس من أجناس الأعراض عرضًا واحدًا. ومتى خرج عن ذلك خرج عن أن يكون جوهرًا. انظر: الإرشاد ص: 12، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للقاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ص: 337، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية-مؤسسة الكتب الثقافية ط(3) 1414هـ-1993م.

(4) **الأعراض**: جمع عرض، وهو المعنى القائم بالجوهر. أي: أنّه لا يقوم بنفسه. انظر: الإرشاد ص: 12، 13، المواقف ص: 96، 99، الفرق بين الفرق ص: 289 ؛ التمهيد ص: 38

(5) التمهيد ص: 41

إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ}[1]، يوضّح الثعالبي في تفسيره لهذه الآيات: « أنّ إبراهيم عليه السّلام عرّض من حركة الكواكب وأفوله أمارة الحدوث، وأنّه لا يصلح أن يكون ربًّا، ثمّ في آخر أعظم منه، ثمّ في الشّمس كذلك، فكأنّه يقول: فإذا بان في هذه المنيرات الرفيعة أنّها لا تصلح للربوبية، فأصنامكم التي هي من خشب وحجارة أحرى أن يبين ذلك فيها »[2] ، ويشهد لهذا قوله (إنّي بريء ممّا تشركون)؛ ويستعين في تقوية رأيه بما ذكره القاضي عياض في الشّفا عن معظم الحذّاق من العلماء والمفسّرين: « أنّ إبراهيم إنّما قال ذلك مبكتًا لقومه، ومستدلاً عليهم »[3] [4].

2 ـ إثبات وجود الله تعالى بدليل أفعاله:

ومعناه: الاستدلال بأفعاله ✠ على وجوده ووحدانيته، ببيان ما يتّصف به تعالى من صفات الفعل، كالخلق، والرزق، والعدل، والإحسان، والتفضّل، والإنعام، والثّواب، والعقاب..، وكلّ صفة كان موجودًا قبل فعله لها.

والقرآن مملوء من هذا الطريق، وهي طريق قليل سالكها، لا يهتدي إليها إلاّ الخواص من العلماء، إذ يستدلّون بالله على أفعاله، وما يليق به أن يفعله وما لا يفعله[5]. وهذا ما سار عليه الثعالبي، لأنّ أفعال الله ✠ - عنده- في غاية الإحكام[6]. تبيّن ذلك بوضوح من خلال ما يلي :

الاعتقاد الجازم للإنسان بوجود الرّوح فيه، فيستدلّ بها على وجود الله تعالى، وهو ما يشير إليه نقلاً عن ابن العربي في رحلته[7] من أنّ « معرفة العبد نفسه من أولى ما عليه وأكده، إذ لا يعرف ربّه إلاّ من عرف نفسه، كما قال تعالى: {**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**}[8]، وغير ما آية في ذلك، ولا ينكر عاقل وجود الروح من نفسه، وإن وإن كان لم يدرك حقيقته، كذلك لا يقدر أن ينكر وجود البّاري سبحانه الذي دلّت أفعاله عليه وإن لم يدرك حقيقته »[9] .

---

(1) سورة الأنعام: 75-79
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 640/1
(3) الشفا 98/2
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 640/1
(5) شرح العقيدة الطحاوية 52/1
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 283/2
(7) لم أقف على هذا الكتاب
(8) سورة الذاريات: 21
(9)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 282/4

الرّازق هو الله تعالى، وله الحكمة البالغة في تفضيله بين عباده في الرزق: وهذا ما يذكره في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**}[1] يشير في بيان معنى الآية أنّها إخبار يراد به العبرة، وإنّما هي قاعدة بني عليها، والمثل هو: أنّ المفضّلين لا يصحّ منهم أن يساهموا مماليكهم فيما أعطوا حتّى تستوي أحوالهم، فإذا كان هذا في البشر، فكيف تنسبون أيّها الكفرة إلى الله أنّه يسمح بأن يشرك في الألوهية الأوثان والأصنام، وغيرها ممّا عبد من دونه وهم خلقه وملكه؟[2].

الخالق هو الله ﷻ، الذي خلق الإنسان، وأكثر نسله بالزّواج، ورزقه من الطّيّبات، ومع ذلك يشرك معه غيره في الألوهية ؟ يقول جلّ وعلا: {**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**}[3] وفي هذا إشارة إلى قبح صنيع هؤلاء الكفرة، فوقّفهم سبحانه على جحدهم بنعمته، في تنبيههم لهم على مثل هذا من مواضع النّظر المؤدّية إلى الإيمان[4].

3 ـ إثبات وجود الله ووحدانيته بدليل الآفاق:

والمراد به: أقطار السّماوات والأرض من الشّمس، والقمر، والنّجوم، ، واختلاف الليل والنّهار، والرّياح، والأمطار، والنّبات، والجبال، والبحار، وغير ذلك من الأدلّة المعلمة بوجود الله تعالى ووحدانيته. وقد جمع الله بعضها في قوله سبحانه: {**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}[5]، يذكر الثعالبي أنّ في اختراع السّماوات والأرض وغيرها..، أدلّة دالة على الوحدانية[6]. ويشهد لذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: {**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ**}[7].

ومثل هذا قوله سبحانه: {**فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ(3)وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(4)وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(5)تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ**

---

(1) سورة النحل: 71
(2) نفس المصدر السابق 437/2
(3) سورة النحل: 72-73
(4) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(5) سورة البقرة: 164
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 156/1
(7) سورة البقرة: 163

يُؤْمِنُونَ}[1]، يوضّح -رحمه الله-أنّ الله تبارك وتعالى ذكر هنا الآيات التي في السّماوات والأرض مجملة غير مفصّلة، فكأنّها إحالة على غوامض تثيرها الفكر، ويخبر بكثير منها الشّرع، فلذلك جعلها للمؤمنين ؛ ثمّ ذكر سبحانه خلق البشر والحيوان، وكأنّه أغمض فجعله للموقنين الذين لهم نظر يؤدّيهم إلى اليقين ؛ ثمّ ذكر اختلاف الليل والنّهار والعبرة بالمطر والرّياح فجعل ذلك لقوم يعقلون، إذ كلّ عاقل يحصّل هذه ويفهم قدرها[2].

كما استنكر تعالى على المشركين كيف لم يهتدوا إلى الحقّ، رغم كلّ الأدلّة المنصوبة في هذا الكون الدالة على خالقها. يقول الله ﷻ : { **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**}[3]، فالرزق، والملك، والإحياء، والإماتة، والتدبير، وغيرها، خاصّ بالله تعالى دون غيره، لا يشاركه أحد في هذه الأمور من مخلوقاته، ومع هذا أشركوا أصنامًا من دونه مع إقرارهم بربوبيته كما قال تعالى: {**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**}[4] أي: لا مندوحة لهم عن ذلك ولا تمكنهم المباهتة بسواه، فإذا أقرّوا بذلك (فقل أفلا تتّقون) أي: في افترائكم وجعلكم الأصنام آلهة[5] ؛ وكذلك قوله تعالى: {**فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّا تُصْرَفُونَ**}[6] أي: فهذا الذي هذه صفاته ربّكم الحقّ المستوجب للعبادة والألوهية، وإذا كان كذلك فتشريك غيره ضلال وغير حقّ[7]، ويستأنس الثعالبي هنا بما ذكره -نقلاً عن ابن عطية- أنّ هذه الآية حكمت أنّه ليس بين الحقّ والضلال منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله تعالى، وكذلك هو الأمر في نظائرها من مسائل الأصول التي الحقّ فيها في طرف واحد، لأنّ الكلام فيها إنّما هو في تقرير ذات كيف هي ؟ وذلك بخلاف مسائل الفروع[8]التي قال الله تعالى فيها: {**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**}[9] [10].

ويتبيّن بهذا أنّ هؤلاء المشركين ما عبدوا تلك الأصنام والأوثان إلاّ بسبب الجهل وفساد طريقتهم المبنية على ضعف النّظر والظنّ.

4 ـ إثبات وجود الله تعالى بدليل الأنفس

---

(1) سورة الجاثية: 3-6
(2) نفس المصدر السابق 193/4
(3) سورة يونس: 31
(4) سورة الزخرف: 87
(5)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 236/2
(6) سورة يونس: 32
(7)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 236/2
(8) المحرّر الوجيز 118/3
(9) سورة المائدة: 48
(10) نفس المصدر السابق 236/2، 434

ويقصد به: كلّ ما يتعلّق بنفس الإنسان، وخلقه، وتكوين أعضائه، وما يعرض له في حياته من أحوال وأطوار..؛ ويعتبر هذا الدليل من أوضح الأدلّة، ذلك أنّ الإنسان إذا تأمّل في نفسه وأمعن النّظر في حقيقتها أمكنه تلمّس عجائب صنع الله ودقائق حكمته، ممّا يضطرّه إلى الاعتراف بوجود الله ووحدانيته واستحقاقه للعبادة والطاعة .

ولهذا دعا الله تعالى عباده إلى النّظر بعين البصر والبصيرة، والتفكّر في مبدأ خلقهم، وفي الأطوار التي مرّوا بها في نشأتهم، حيث يقول: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**}[1]، و يقول: {**فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ**}[2]، ويقول: {**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**}[3]يذكر الثعالبي في تفسير هذه الآية الأخيرة: « أنّ فيها إحالة على النّظر في شخص الإنسان وما فيه من العبر التي تدلّ على وجود الله ووحدانيته، ويقوّي كلامه -بما نقله عن ابن العربي في رحلته « أنّ معرفة العبد نفسه من أولى ما عليه وأكده، إذ لا يعرف ربّه إلاّ من عرف نفسه..، ولا ينكر عاقل وجود الرّوح من نفسه وإن كان لم يدرك حقيقته،

كذلك لا يقدر أن ينكر وجود الباري سبحانه الذي دلّت أفعاله عليه وإن لم يدرك حقيقته »[5].[4]

وأكّد الثعالبي هذه الحقيقة بتدرّج الإنسان في خلقه ونشأته، وهي تلك الأطوار التي يمرّ بها بعد أن كان عدمًا، ثمّ جعل ✞ نسله من نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظمًا، ثمّ يكسوه لحمًا إلى أن ينفخ فيه الرّوح، ثمّ تختلف بعد ذلك صورته عن باقي النّاس ولسانه ولونه ..، كلّ هذه المراحل جعلها الله دليلاً موصلاً إلى الإقرار بوجوده ووحدانيته ؛ وقد جمعها الله في قوله: {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(12)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**}[6] أي: الصانعين، على معنى الاختراع والإيجاد من العدم.[7] وقوله وقوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**}[8]، يذكر الثعالبي أنّ هذه المراحل تنبيه على الوحدانية بالعبرة في ابن آدم وتدريج خلقه ليدرك هذا الإنسان هذه الحقائق إذا نظر فيها وتدبّر حكمة الله تعالى الموجبة لتوحيده.[9] وكذلك في قوله سبحانه: {**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ**

---

(1) سورة الروم: 20
(2) سورة الطارق: 05
(3) سورة الذاريات: 21
(4) لم أقف على هذا الكتاب
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 282/4
(6) سورة المؤمنون: 12-14
(7) نفس المصدر السابق 142/3 -بتصرّف
(8) سورة غافر: 67
(9) نفس المصدر السابق 107/4 - بتصرّف

تَقْوِيمٍ(4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(5)إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ(7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}[1]، أي: أنّ الله الله خلقه في أحسن تقويم ينبغي له، فهو أحسن المخلوقات تقويمًا، حيث يشمل جميع المحاسن الظاهرة والباطنة من حسن صورته، وانتصاب قامته، وكمال عقله، وحسن تمييزه، ثمّ يرجعه تعالى إلى أسفل سافلين بالهرم والكبر، وذهول العقل، وهذه عبرة منصوبة احتجّ بها تعالى على من كذّب بدينه وشرعه بعد هذه الحجّة[2].

هذه بعض الآيات التي اتّخذها الثعالبي سندًا في بيان معنى دليل الأنفس، الدّال على وجود الله ووحدانيته، وإلاّ فإنّ مظاهر الإبداع والإحكام في خلق الإنسان كثيرة، وكلّما تقدّم العلم وتطوّر كلّما تظافرت الأدلّة على أنّ للإنسان إلهًا حكيمًا هو الذي خلقه، حتّى اعتبر هذا الدليل من أسهل الأدلّة وأوضحها، لأنّه دليل شرعيّ أمر الله به في القرآن، وعقليّ لأنّه بالعقل تعلم صحّته[3].

المطلب الثاني: نماذج من الأدلة العقلية

1 ـ الفطرة [4]:

وقد اعتمدها الثعالبي في إثبات وجود الله ووحدانيته، فذهب إلى أنّها: الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدّة مهيّئة لأن يميّز بها مصنوعات الله، ويستدلّ بها على ربّه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به، قال: وهو الذي يعتمد عليه [5]. والمعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله تعالى: {**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا**}[6] ، حيث يشير إلى أنّها: « تحتمل أن يريد: كان النّاس صنفًا واحدًا بالفطرة معدًّا للاهتداء »[7].

ويحاول إخضاع قوله ✞ : {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**}[8] لرأيه بقوله: « كأنّ الله يقول: أقم وجهك للدّين الذي هو الحنيف، وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر، لكن تعرضهم العوارض »[9] ومن هذه العوارض ـالتي هي

---

(1) سورة التين: 4-8

(2) نفس المصدر السابق 638/4، 639

(3) النبوّات لابن تيمية ص: 71، 72 المطبعة السلفية ـالقاهرة 1386هـ.

(4) الفطرة **لغة**: من الفطر، وهو الشّق طولاً، يقال: فطر فلان كذا فطرًا، وانفطر انفطارًا، أي: انشقّ. ومنه قوله تعالى: {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} سورة الملك: 03، وقيل: من الابتداع والاختراع، ومنه قوله تعالى: {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} سورة فاطر: 01، أي: خالقهما ومبتدئهما. انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 396؛ الكلّيات ص: 29؛ القاموس المحيط114/2 ـفصل الفاء ـباب الراء ـمادة (فطر).

(5)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 316/3 - بتصرّف

(6) سورة يونس: 19

(7) نفس المصدر السابق 231/2

(8) سورة الروم: 30

(9) نفس المصدر السابق 316/3

كثيرة- الأبوين إذا كانا يهوديين أو نصرانيين ..، ويستشهد على صحّة ما ذهب إليه بما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبيّ ❐ كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل تحسّون فيها جدعاء ؛ وفي رواية: « تنتج بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء ». ثمّ يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: (فطرة الله التي فطر النّاس عليها) » [1] [2].

ومع هذا كان الشيخ منهجيًا في عرضه للمسألة، إذ لم يكتف ببيان رأيه، بل أشار إلى الاختلاف الحاصل فيها، غير أنّه اقتصر على رأي البخاري في معنى الفطرة الواردة في الآية أنّها دين الله، وهو الإسلام[3].

والحقيقة أنّ للعلماء آراء متنوّعة[4] في بيان لفظة الفطرة الواردة في الآية الكريمة، أهمّها:

i- **الملّة وهو الإسلام، أو دين التوحيد،** وهو رأي عامّة أهل العلم من السّلف والخلف[5]، وهو الذي قال به البخاري فيما سبق.

ii- **الخلقة التي خلق الله عليها المولود من المعرفة بربّه،** بمعنى: أنّ الله تعالى خلق البشر قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه، ولا جاحدين له، لكونه مجاوبًا للعقل، مساوقًا للنّظر الصحيح، حتّى ولو تركوا- أحرارًا لما اختاروا دينًا آخر، وبهذا قال الزمخشري[6]، وظاهر كلام الثعالبي يميل إليه.

أ- **العهد الذي أخذه الله تعالى على ذريّة آدم حين أخرجهم من صلبه،** وهم أمثال الذرّ، فأشهدهم على أنفسهم، فأقرّوا له جميعًا بالربوبية على معرفة منهم به، ثمّ

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز -باب: ما قيل في أولاد المشركين245/3، 246 برقم(1385) ؛ ومسلم في كتاب القدر -باب: معنى كلّ مولود يولد على الفطرة 2047/4 برقم(2658)

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 316/3

(3) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

(4) وقد بسطها عثمان بن عليّ في كتابه: منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنّة والجماعة 187/1 187/1 ؛ والدكتور عمّار جيدل في رسالته منهج الاستدلال على وجود الله عند مصطفى صبري ص: 149، 151، و في بحثه (منهج الاستدلال على العقيدة) بمجلّة الموافقات عدد(03)، ص: 91 ؛ وابن القيّم في شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل دار المعرفة-بيروت (د. ت. ط) من ص: 283- إلى آخر الكتاب، حيث استقصى أهمّ الأقوال فيها مع الردّ عليها مرجّحًا مذهب السّلف ومن وافقهم من علماء الخلف.

(5) تفسير ابن كثير 358/5؛ التفسير الكبير مج(13) ج 120/25، 121 ؛ شفاء العليل ص: 285 ؛ مفتاح دار السعادة 291/1 ؛ تفسير الطبري لمحمد بن جرير الطبري 182/10، 183 منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت ط(2) 1418هـ-1997م.

(6) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل 222/3 ومعه حاشية الجرجاني، وكتاب الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير، وبآخره تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات لمحبّ الدين أفندي، دار الفكر للطباعة والنشر ط(1) 1397هـ-1977م.

أخرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة، وذلك الإقرار، قالوا: وليست تلك المعرفة بإيمان، ولا ذلك الإقرار بإيمان، ولكنّه إقرار من الطبيعة للربّ فطرة ألزمها قلوبهم. وبهذا الرأي قال ابن قتيبة(1) [2].

i- **الإسلام، ولكنها تختصّ بالمؤمنين دون عامّة النّاس**)3(، لأنّه لو فطر النّاس جميعًا على الإسلام لما كفر أحد منهم، وهو خلاف ما دلّت النصوص من أنّه تعالى خلق للنّار أقوامًا، كما قال تعالى: {**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنس**}[4].

وقد انتقد هذا الرأي، بل واعتبر باطلاً لمخالفته ظاهر النصوص الدالة على العموم، ولا مخصّص لها هنا فتبقى على عمومها [5].

وأمّا ما ذهب إليه الثعالبي من كون الفطرة، بمعنى: الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، والتي هي معدّة مهيّأة لأن يميّز بها مصنوعات الله، ويستدلّ بها على ربّه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به ؛ هو رأي لم ينفرد به وحده، وإنّما أخذ به الشريف الجرجاني[6] حيث يقول عنها أنّها: « الجبلّة المتهيّئة لقبول الدّين »[7] .

والذي نرجّحه هو أنّ الفطرة: هي الملّة، أي: (الإسلام، أو دين التوحيد..)، وهي عبارات متنوّعة، ولكن مدلولها واحد ؛ وهذا الرأي هو أشهر الآراء وأصحّها، وبه قال جمهور السّلف والخلف، والدليل على ذلك من وجوه عدّة :

قوله تعالى: {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**} [8].يقول ابن كثير في تفسيره للآية: « فسدّد وجهك واستمرّ على الدّين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملّة

---

(1) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي، أبو محمد إمام لغوي نحوي، ولد سنة 213 هـ تولى قضاء (دينور)، من تآليفه أدب الكاتب، غريب القرآن، توفي سنة 270 هـ وقيل 276 هـ. انظر: شذرات الذهب 169/1 ؛ تاريخ بغداد 170/10 ؛ طبقات المحدثين 103/1

(2) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص: 129، 130 تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل -بيروت 1393هـ-1972م ؛ إصلاح غلط أبي عبيد في غريب له ص: 57، 58، ونسبه إلى حمّاد بن سلمة، والأوزاعي، تحقيق: عبد الله الجبّوري، دار الغرب الإسلامي -بيروت (ط1) 1403هـ-1983م ؛ وفتح الباري 249/3

(3) أشار إليه الثعالبي في تفسيره 317/3، دون أن ينسبه إلى قائليه، حيث يذكر في معنى قوله تعالى: {منيبين إليه} الروم: 31، أنّه: « يحتمل أن يكون حالاً من قوله (فطر النّاس عليها)، لاسيما على رأي من رأى أنّ ذلك خصوص في المؤمنين».

(4) سورة الأعراف: 179

(5) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنّة والجماعة 193/1، 194

(6) هو: علي بن محمّد بن عليّ، المعروف بالشريف الجرجاني: عالم، لغوي، فيلسوف. ولد بأسترآباد سنة 740هـ. من تآليفه: التعريفات، شرح مواقف الإيجي. ،، توفّي سنة 816هـ. انظر: الأعلام 07/5

(7) التعريفات ص: 147

(8) سورة الروم: 30

إبراهيم الذي هداك الله لها، وكمّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السّليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنّه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنّه لا إله غيره »[1].

ويشهد لهذا: أنّ لفظة (الحنيف) الواردة في الآية، معناها في كلام العرب: المائل إلى الإسلام، الثابت عليه، مأخوذ من الحنف وهو: الميل عن الضلال إلى الاستقامة[2]، ولا استقامة أكثر من الإسلام[3].

ويقوّي هذا المعنى ما ثبت في الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي[4] عن النّبيّ ❐ فيما يرويه عن ربّه- وفيه: « وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنّهم أتتهم الشّياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا »[5]).

وأمّا كلمة (فطرة) فمنصوبة بفعل مقدّر، أي: اتّبع فطرة الله، وقيل: منصوبة على المصدرية التي عليها الفعل الأوّل (أقم)، ومعناها: فطر الله النّاس على ذلك فطرة[6] .

وعلى كلا التقديرين تكون إقامة الوجه حنيفًا هو فطرة الله التي فطر النّاس عليها، وأنّ ذلك مأمور باتّباعه إمّا صراحة، أو تلميحًا، لأنّه جاء في صيغة مدح.

بينما قوله تعالى: (لا تبديل لخلق الله)، فقد ذكر ابن كثير أنّ للعلماء في تفسيرها قولين[7]:

الأوّل: أنّه خبر، بمعنى الطلب، أي: لا تبدّلوا خلق الله فتغيّروا النّاس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، وهو معنى حسن صحيح.

الثاني: أنّه خبر على بابه، ومعناه: أنّه تعالى ساوى بين خلقه كلّهم في الفطرة على الجبلّة المستقيمة، لا يولد أحد إلاّ على ذلك، ولا تفاوت بين النّاس في ذلك، وهو ظاهر النصّ.

---

(1) تفسير ابن كثير 385/5

(2) القاموس المحيط 134/3 فصل الحاء-باب الفاء-مادة(الحنف)؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 133، الكلّيات ص: 359، 410

(3) درء تعارض العقل والنقل 369/8، 370

(4) هو: عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي، صحابي، سكن البصرة, روى عن النبيّ ❐ أحاديث أحاديث يسيرة، مات في زمن عمر وله فتوح كثيرة. انظر: الثقات 309/3 ؛ الاستيعاب 1232/3؛ التاريخ الكبير 19/7 ؛ معجم الصحابة لابن قانع 278/2 تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء-المدينة ط(1) 1418هـ.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها-باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا الدنيا أهل الجنّة 2197/4 برقم (2865)

(6) درء تعارض العقل والنقل 372/8 ؛ فتح الباري 248/3 ؛ تفسير القرطبي (المسمّى الجامع لأحكام لأحكام القرآن) 24/14 دار إحياء التراث العربي-بيروت (د. ت. ط.).

(7) تفسير ابن كثير 358/5

وقوله تعالى: (ذلك الدين القيّم)، أي: التمسّك بالشّريعة والفطرة المستقيمة هو الدّين القيّم المستقيم[1].

وأمّا استشهاد الثعالبي بحديث أبو هريرة: « كلّ مولود يولد على الفطرة ... » على أنّها الخلقة والهيئة..، فغير مسلّم له، وإنّما يراد بها الإسلام، ودلالة ذلك من وجوه :

I. تغاير ألفاظ الحديث في بعض الروايات مع اتّفاق معانيها، ممّا يجعل بعضها مفسّرًا لبعض، نحو: « ما من مولود يولد إلاّ وهو على الملّة »، وفي أخرى: « إلاّ على هذه الملّة »[2].

II. تفسير الصحابي الجليل أبو هريرة- رضي الله عنه- الحديث بالآية له قيمته ووزنه في هذا المقام، لأنّه أعلم بما سمع[3].

III. أنّ الحديث ذكر التغيير لملل الكفر دون ملّة الإسلام، فعلم أنّه يتحوّل عن الإسلام إلى غيره، بفعل الأبوين أو غيره[4].

IV. قوله عليه السّلام في الحديث: « هل تحسّون فيها من جدعاء » أي: أنّ البهيمة خلقت سليمة، ثمّ جدعت بعد ذلك، فكذلك الولد يولد سليمًا من الكفر، مؤمنًا مسلمًا، ثمّ يطرأ عليه الكفر بعد ذلك، فالعيب الذي طرأ على البدن يقابله العيب الذي طرأ على الدّين، وهو الكفر »[5].

وقد يعترض بعض النّاس هنا على تفسير الفطرة بالإسلام، لكون الإسلام (الإيمان): قول واعتقاد وعمل، وهذا منتف ومعدوم من الطفل؟

والجواب: أنّ إطلاق ولادة الطفل على الفطرة المشار إليه في الحديث، ليس المقصود به أنّه يعلم هذا الدّين حين خروجه من بطن أمّه، لأنّ الله يقول: {**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا**}[6] وإنّما المقصود: أنّ فطرته موجبة ومقتضية لدين الإسلام، فنفس الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئًا فشيئًا، بحسب كمال الفطرة واستعدادها وسلامتها من العوارض ؛ فكلّ مولود يولد على الإقرار بخالقه، والإذعان له بالعبودية، فلو خلّي وعدم العوارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره[7]، كما أنّه يولد على محبّة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، كما قال تعالى: {**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**}[8]، فهو سبحانه خلق الحيوان مهتديًا إلى حبّ ما ينفعه وجلبه، و بغض ما يضرّه ودفعه، ثمّ هذا الحبّ والبغض يحصل فيه شيئًا فشيئًا، بحسب حاجته، ولكن قد يعرض لبعض الأبدان ما يفسد طبيعتها السليمة وعادتها الصحيحة، وهكذا ما ولد عليه من الفطرة .

---

(1) نفس المصدر السابق 359/5

(2) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر -باب: معنى كلّ مولود يولد على الفطرة 2048/4 برقم (2658)

(3) درء تعارض العقل والنقل 371/8

(4) نفس المصدر السابق 372/8

(5) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنّة والجماعة 202/1

(6) سورة النحل: 78

(7) منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنّة والجماعة 203/1 -بتصرّف

(8) سورة طه: 50

ولهذا شبّهت الفطرة باللبن حينما عرض على نبيّنا محمّد ❐ ليلة الإسراء والمعراج اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقيل له: أصبت الفطرة، أو هديت للفطرة[1].

فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره، كمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها.

وهكذا يترجّح لدينا القول بأنّ الفطرة هي دين الإسلام[2].

وهنا مسألة متعلّقة بالفطرة وهي: معرفة الله تعالى هل هي فطرية أم نظرية[3]؟ وما هو موقف الثعالبي منها ؟

اختلف النّاس في أصل المعرفة بالله تعالى هل هي فطرية أم نظرية ؟

فذهب المعتزلة والجهمية ومن وافقهم إلى أنّ معرفة الله ليست فطرية، بل نظرية.[4] وخالفهم أهل السنّة والجماعة، فذهبوا إلى أنّها فطرية، وإنّما تكون نظرية عند من فسدت فطرته، فاحتاج إلى النّظر والبرهان[5]، حينها يصبح الدليل ضرورة واقعية.

وقد ترتّب على هذا الاختلاف اختلاف آخر، هو: هل النّظر واجب أم لا ؟

اختلفوا فيه إلى عدّة أقوال[6]، أهمّها ما يلي:

الأوّل: أنّ النظر في معرفة الله واجب شرعًا، وإليه ذهب الأشاعرة، بينما أوجبه المعتزلة عقلاً[7].

الثاني: يجب في حال دون حال، وكلام السلف يدلّ عليه[8].

الثالث: يمكن حصول المعرفة بدون النّظر، لكنّه طريق صحيح، وهو قول السمناني[1] من الأشاعرة.

---

(1) هو معنى لحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء -باب: قول الله(واذكر في الكتاب مريم) 1269/3 برقم (3254) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان-باب: الإسراء برسول الله ❐ إلى السّماوات 154/1 برقم (168)

(2) درء تعارض العقل والنقل 383/8، 384 ؛ شفاء العليل ص: 289 ؛ منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنّة والجماعة 203/1، 204

(3) النّظر **لغة**: التأمّل بالعين، تقول: نظره نظرًا ومنظرًا: إذا تأمّله بعينه. أي: عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته. وقيل: عبارة عن تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته. انظر: القاموس المحيط149/2 فصل النّون-باب: الراء -مادة(نظر)، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 518، 519، الكلّيات ص: 904. و**اصطلاحًا**: هو ترتيب لأمور معلومة على وجه يؤدّي إلى استعلام ما ليس بمعلوم. وعرّفه الباقلاّني من هذه الزاوية بقوله: « النّظر: الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظنّ ». وقد استعمله علماء التوحيد بالمعنى الأعمّ، أي: إعمال البصر بالنّظر في الآيات الكونية، والبصيرة باستنباط الأدلّة والبراهين من المشاهدات بإعمال البصر.

(4) المواقف ص: 28 ؛ مجموع فتاوى ابن تيمية 330/16 ؛ ومجموع الرسائل الكبرى له 340/2، 341 مطبعة علي صبيح -مصر 1386هـ

(5) مجموع الرسائل الكبرى 354/2

(6) نقلاً عن كتاب منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنّة والجماعة 211/1 -بتصرّف

(7) المواقف ص: 28 ؛ الإرشاد ص: 09

(8) مجموع الرسائل الكبرى 347/2، 348

الرابع: ليس بواجب مطلقًا، وإليه ذهب ابن حزم[2].
الخامس: أنّه واجب في الجملة، وهو قول المقدسي[3].

وأمّا الثعالبي فقد ذهب إلى أنّ النّظر واجب من جهة الشرع، خلافًا للمعتزلة الذين أوجبوه من جهة العقل، وهو بذلك يوافق الأشاعرة في المسألة، سالكًا في بيان موقفه مسلك الاستدلال بالظواهر الكونية المؤدّية إلى معرفة الله والإيمان به، بناءً على قاعدة ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب.

فالنّظر-عنده- هو تأمّل حال المخلوقات للتوصّل منها إلى توحيده وعبادته دون غيره، وهذا ما نراه واضحًا في معرض تفسير قوله تعالى: {**قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ**}[4]، فيشير إلى أنّ هذه الآية أمر للكفّار بالاعتبار والنّظر في المصنوعات الدالّة على الصانع من آيات السّماوات وأفلاكها وكواكبها وسحابها ..، والأرض نباتها، ومعادنها، وغير ذلك ؛ والمعنى: انظروا في ذلك بالواجب عليكم فهو ينهيكم إلى المعرفة بالله ووحدانيته[5].

وكذا قوله ﷻ: {**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**}[6]، فيذكر بأنّ: « كلمة (شيء) الواردة في الآية هي لفظ واقع على الموجودات، يعمّ جميع ما ينظر فيه، ويستدلّ به من الصنعة الدالة على الصانع، ومن نفس الإنسان وحواسه ومواضع رزقه »[7]، وهكذا الأمر في تفسير قوله سبحانه: {**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ**}[8]، حيث يصرّح بأنّها: « التفكّر في قدرة الله ومخلوقاته التي بثّها في الكون، كما قال الشاعر :

وفي كلّ شيء له تدلّ على أنّه واحد آيـــــة[9]

وقد بنى الشيخ موقفه من إيجاب النّظر المؤدّي إلى معرفة الله وتوحيده بناءً على ما تقرّر عند متكلّمي الأشاعرة من كون الشرع هو الذي يوجب وليس العقل ؛

---

(1) هو: محمّد بن أحمد بن محمّد السمناني الحنفي الأشعري، ولد سنة 361هـ، ونشأ ببغداد، وولي القضاء بالموصل إلى أن توفّي بها سنة 444هـ. انظر: تاريخ بغداد 355/1، مترجم برقم (2284) ؛ سير أعلام النبلاء 651/17، 652، مترجم برقم (441).

(2) الفصل في الملل و الأهواء والنحل 67/4 وما بعدها.

(3) هو: عبد الواحد بن محمّد بن علي بن أحمد الأنصاري الشيرازي، المعروف بالمقدسي. من تآليفه: المبهج والإيضاح والتبصرة في أصول الدين. توفّي سنة 406 هـ انظر: طبقات الحنابلة 248/2، 249، مترجم برقم (685) ؛ سير أعلام النبلاء 51/19-53 مترجم برقم (32).

(4) سورة يونس: 101

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 261/2

(6) سورة الأعراف: 185

(7) نفس المصدر السابق 92/2

(8) سورة آل عمران: 191

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 403/1

وسيأتي معنا الحديث عن هذه القضيّة في مبحث القضاء والقدر، وهي التي تعرف بمسألة التحسين والتقبيح، والذي يهمّنا هنا هو ما نصّ عليه الثعالبي في هذا الشأن، حيث يقول: « فواجب على الآدمي أن يبحث عن الشرع الآمر بتوحيد الله تعالى، وينظر في الأدلّة المنصوبة على ذلك، بحسب إيجاب الشرع النّظر فيها، ويؤمن، ولا يعبد غير الله . فمن فرضناه لم يجد سبيلاً إلى العلم بشرع آمر بتوحيد الله، وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنمًا، بل تخلّى، فأولئك أهل الفترات الذين أطلق عليهم أهل العلم أنّهم في الجنّة، وهم بمنزلة الأطفال والمجانين، ومن قصّر في النّظر والبحث، فعبد صنمًا أو غيره وكفر، فهو تارك للواجب عليه، مستوجب للعقاب بالنّار »[1].

والحقيقة أنّ ما قرّره الثعالبي من إيجاب النّظر لمعرفة الله تعالى فيه تفصيل، ذلك لأنّ معرفة الله فطرية، وإنّما تكون نظرية عند من فسدت فطرته، فيحتاج حينها إلى النّظر والاستدلال، ولهذا ذهب بعض المحقّقين من العلماء أنّ النّظر يجب في حال دون حال، وعلى شخص دون شخص. فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض النّاس في بعض الأحوال، لا من اللوازم العامّة، فيقال: كلّ علم وجب ولم يحصل إلاّ بالنّظر، وجب فيه النّظر، وأمّا إذا حصل ضرورة، أو حصل بدون النّظر، أو لم يكن العلم واجبًا، لم يكن النّظر فيه واجبًا ؛ وهذا الذي رجّحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، واعتبره أعدل الأقوال[2]، ووافقه شارح الطحاوية بقوله أنّ: « المقدّمات وإن كانت خفيّة، فقد يسلّمها بعض النّاس، وينازع فيما هو أجلى منها، وقد تفرح النّفس بما علمته بالبحث والنّظر ما لا تفرح بما علمته من الأمور الظاهرة، ولا شكّ أنّ العلم بإثبات الصانع ووجوب وجوده أمر ضروريّ فطريّ، وإن كان يحصل لبعض النّاس من الشّبه ما يخرجه إلى الطرق النّظرية »[3].

وبهذا يتقرّر أنّ قلوب البشر مفطورة على الإقرار به سبحانه وتعالى أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما يقول الغزالي: « في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة برهان »[4]. ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها ويشوّه سلامتها، حينها يصبح الدليل ضرورة واقعية لابدّ منها.

ويتفرّع عمّا سبق ذكره في حكم النّظر في معرفة الله تعالى، مسألة التقليد[5] في العقائد، أيكتفى بالظنّ فيها أم يعتمد على اليقين ؟

---

(1) نفس المصدر السابق 644/1

(2) مجموع الرسائل الكبرى 347/2، 348. مطبعة محمّد علي صبيح، القاهرة-مصر 1386هـ-1966م

(3) شرح العقيدة الطحاوية 77/1

(4) إحياء علوم الدين 106/1

(5) التقليد لغة: مأخوذ من الفعل قلّد، تقول: قلّدت المرأة قلادة: إذا جعلتها في عنقها، ومنه تقليد البدنة شيئًا يعلم به أنّها هدي، وقلّدته السيف: ألقيت حمالته في عنقه، فتقلّده، ومنه: تقليد الولاّة الأعمال: بمعنى إلقاء المسؤولية عليهم. انظر: القاموس المحيط 342/1 فصل القاف-باب الدال مادة(قلّد)، أساس البلاغة ص: 375. و**اصطلاحًا**: قبول قول الغير بلا دليل. انظر: الكلّيات ص: 305

يرى الثعالبي أن التقليد في العقائد غير كاف، فهي لا تبنى على الظنّ، بل على اليقين . وهذا ما يورده عند تفسير قوله ﷻ: {**وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا**}[1] أي: « في المعتقدات والمواضع التي يريد الإنسان أن يحرّر ما يعقل ويعتقد، فإنّها مواضع لا تنفع الظّنون فيها، وأمّا في الأحكام وظواهرها- يقصد الفروع الفقهية- فيجتزئ فيها بالمظنونات »[2].

فالتقليد في العقائد باطل في نظر الشيخ، يؤكّده ما يذكره في معرض تفسير قوله جلّ وعلا: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**}[3]، حيث يصرّح بأنّ: « قوّة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، وأجمعت الأمّة على إبطاله في العقائد »[4].

وما ذهب إليه الثعالبي في حقيقة الأمر هو رأي من بين آراء عديدة في المسألة[5]، وأهمّها :

الرأي الأوّل: كفاية التقليد في العقائد، فمن قلّد القرآن والسنّة القطعية صحّ إيمانه، ويمثّله جماعة من الحنابلة وأهل الظاهر[6].

واستدلّوا على ما ذهبوا إليه: بأدلّة كثيرة، منها:

قوله صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان: « أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله »[7]، ومحلّ الشاهد فيه: أنّ أوّل واجب على المكلّف هو شهادة أن لا إله إلاّ الله[8].

وكذا ما أثر عن النبيّ صلى الله عليه و سلم قبوله إيمان الأعرابي الجلد البعيد عن النّظر من غير مطالبته بالدليل[9].

---

(1) سورة النجم: 28

(2) لجواهر الحسان في تفسير القرآن 311/4

(3) سورة البقرة: 170

(4) نفس المصدر السابق 159/1

(5) انظر هذه الآراء في: فتح الباري 350/13، 355 ؛ و مجلّة الموافقات (منهج الاستدلال على العقيدة العقيدة للدكتور عمّار جيدل) ص: 30، 31 عدد (02)

(6) الوصول إلى مسائل الأصول لأبي إسحاق الشيرازي ص: 403. تحقيق: عبد المجيد التركي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر 1399هـ-1979م- جزء(02) فقط

(7) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة 17/1 برقم (25) ؛ ومسلم في كتاب الإيمان: باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله 52/1 برقم (21)

(8) شرح العقيدة الطحاوية 23/1

(9) شرح تنقيح الفصول للقرافي ص: 411. راجعه: طه عبد الرؤوف سعد -مكتبة الكلّيات الأزهرية - القاهرة -مصر. (د.ت.ط).

وقد نوقش هذا الرأي من عدّة وجوه، نجملها في النقاط التالية [1] :

i- تقليد النصوص لا يسمّى تقليدًا في عرف العقلاء، وهو ما يصرّح به ابن حجر- أحد الأئمّة المعتبرين في علم الحديث- بقوله: « من قامت عليه الحجّة بثبوت النبوّة حتّى حصل له القطع بها، فمهما سمعه من النبيّ ❐ كان مقطوعًا به عنده بصدقه، فإذا اعتقده لم يكن مقلّدًا، لأنّه لم يأخذ بقول غيره من غير حجّة »[2]؛ وجعل هذا الرأي هو المعتمد عند السّلف بقوله: « وهذا هو مستند السّلف قاطبة في الأخذ بما ثبت عندهم من آيات القرآن وأحاديث النبيّ »[3]، ووافقه الكفوي على ذلك[4]) .

أ- تقليد النّصوص-على قولهم-ممكنة إذا كان المخاطب ممتلكًا لوسائل البحث والنّظر والاستدلال، أمّا إذا لم يكن ممتلكًا لتلك الأدوات المنهجية، فإنّه في أحسن الأحوال آخذ بقول المفسّر أو الشارح، أي: فهو مقلّد له لا محالة، وليس مقلّدًا للنصّ، ولو لم يكن له إلاّ اختيار نصّ عوض نصّ آخر لكان صاحب الاختيار مقلّدًا (بفتح اللام)، ولكان للآخذ بقول صاحب الاختيار مقلّدًا (بكسر اللام).

i- وتجدر الإشارة هنا أننا لا نخالف في عصمة النصّ المنقول إلينا، ولا في مسألة عدم عصمة الشارح أو المفسّر، وعليه فالأخذ بالنّصوص لغير المجتهد يعدّ محالاً شرعًا وعقلاً. (5(

ii- استشهادهم بقوله عليه السّلام: « أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله »، ليس ناهضًا، بل هو حجّة عليهم، لأنّ الشّهادة هي الاعتراف و الإقرار، والإقرار- كما نعلم- مرحلة متأخّرة عن المعرفة، والنّظر أسبق منهما جميعًا، لأنّه طريق المعرفة[6].

iii- واستشهادهم بقبول النبيّ عليه السلام إيمان الأعرابي غير مسلّم، لأنّه كان من أحكام أوائل الإسلام لضرورة المبادئ، أمّا بعد تقرّر الإسلام فيجب العمل بما يقتضيه العصر الذي يلي فترتهم[7]، أي لا يمكن تعميم تجربتهم لما عرفوا به من خصائص[8].

الرأي الثاني: وذهبوا إلى أنّ المكلّفين صنفان: صنف يمتلك القدرة على النّظر والاستدلال، وصنف ليس في مقدوره ذلك، فالأوّل آثم إن لم يبذل وسعه في تحصيل الكمال بالنّظر والاستدلال.

---

(1) مجلّة الموافقات(منهج الاستدلال على العقيدة لعمار جيدل) ص: 31. عدد(2)
(2) فتح الباري 351/13
(3) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(4) الكلّيات ص: 305
(5) مجلّة الموافقات (منهج الاستدلال على العقيدة لعمار جيدل) ص: 31 عدد(2)
(6) نفس المرجع ص: 32
(7) شرح تنقيح الفصول ص: 431
(8) مجلّة الموافقات ص: 32

والثاني يكفيه التقليد، لأنّه ليس أهلاً لذلك؛ وبهذا أخذ ابن حجر العسقلاني[1]، وسائر أئمّة التوحيد من الأشاعرة[2].

واستدلّوا على ما ذهبوا إليه بما يلي :

قبول النبيّ صلى الله عليه و سلم إيمان النّاس دون مطالبتهم بالدليل، وهو ما كان عليه الصحابة- رضي الله عنهم- بالإضافة إلى ذلك فقد ذمّ القرآن التقليد ؛ وجمعًا بين الأدلّة جعلوا النّصوص الآمرة بالنّظر خاصّة بممتلكي القدرة والأهلية، وحملوا النّصوص الأخرى على الصنف الثاني[3].

الرأي الثالث: عدم كفاية التقليد، والمقلّد- حسب مذهبهم- كافر، لأنّ المعرفة واجبة وجوب أصول لا وجوب فروع، وبهذا أخذ جمهور علماء أصول الدّين[4]، بما بما فيهم المعتزلة، كما وضّحه ابن حجر بقوله: « ذهب أبو هاشم من المعتزلة إلى أنّ من لا يعرف الله بالدليل، فهو كافر، لأنّ ضدّ المعرفة النّكرة والنّكرة كفر »[5].

واستدلّوا في تقوية مذهبهم بما يلي:

- الاستدلال بالصيغ القرآنية الدالة على وجوب النّظر، كقوله تعالى: {**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**}[6]، حيث تضمّنت الآية أمرًا بالعلم دون التقليد ؛ وغير هذا من الآيات التي تحثّ على إعمال النّظر في الكون .
- الاستدلال بالصيغ القرآنية الدّامّة للتقليد في العقائد، كقوله سبحانه: {**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ(22)وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**}[7]، ووجه الدليل أنّه ذمّ من هذه مقالته لاتّباعه ملّة أبيه في الدّين، فدلّ على أنّ ذلك لا يجوز [8].

وواضح تمامًا -من خلال ما سبق من كلام الثعالبي- موافقته لهذا الرأي الثالث القائل بعدم كفاية التقليد في العقائد.

ولكن يعترض على صحّة رأيه، وذلك من وجهين:

---

(1) فتح الباري 351/13 ؛ هو: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني محدث حافظ توفي سنة 852 هـ. انظر طبقات الحفاظ السيوطي ص: 552 ؛ حسن المحاضرة 174/2

(2) المعيار المعرب لأحمد بن يحي الونشريسي 270/11. إخراج وإشراف د. محمّد حجّي - دار الغرب الإسلامي- بيروت -لبنان -1401هـ- 1981م

(3) مجلّة الموافقات (منهج الاستدلال على العقبدة لعمار جيدل) ص: 34

(4) الوصول إلى مسائل الأصول ص: 403

(5) فتح الباري 350/13، 351

(6) سورة محمّد: 19

(7) سورة الزخرف: 22، 23

(8) الوصول إلى مسائل الأصول ص: 404

الأوّل: قوله بانعقاد الإجماع على إبطال التقليد في العقائد غير مسلّم له، ويكفي في التشكيك فيه حصول الاختلاف بين العلماء، مع بيان أدلّة كلّ فريق.

الثاني: قوله أنّ العقائد تبنى على اليقين وليس على الظنّ، وإن كان صحيحًا في ظاهره، ولكنّه يحتاج إلى تفصيل، بمعنى أنّ التقليد قسمان: فالمقلّد تقليدًا غير جازم لا يختلف عن الشّاك أو الظان، والحكم بكفره مجمع عليه كالمؤمن احتياطًا، لأنّ الدّين لا يأتلف مع الشّكّ، ويتطلّب الجزم الخالص ؛ ولا يصحّ إيمان المرء احتياطًا ليقي نفسه من العذاب إن كان ما يعتقده المؤمنون حقًّا وهو لا يزال على شكّ في صحّة ما يعتقدونه.

وأمّا المقلّد تقليدًا جازمًا، فلا خلاف في صحّة إيمانه في الدنيا، ومعاملته معاملة عامّة المسلمين بإجراء أحكام الشريعة عليه، إلاّ إذا أحدث ما ينافي إيمانه به ؛ والشواهد على ذلك كثيرة، منها: ما أخرجه النسائي عن أنس بن مالك[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم »[2]. أي: تجري عليه أحكام الدنيا، وعليه فالخلاف منصبّ أساسًا على أحكام أحكام الآخرة، هل يترتّب عليه نجاة عند الله أم لا ؟

وعليه فالمطلوب من المكلّف هو التصديق والإذعان، وأمّا المعرفة من حيث هي فليست إلاّ وسيلة ؛ فإن حصّلنا مقصودنا (الإيمان) بطريق التقليد الجازم مع عدم القدرة على الاجتهاد والتنقيب العقلي فقد حصل المقصود، وهو صحيح معمول به، لأنّ الأمر بعلم العقائد أمر للوجوب الفرعي لا الوجوب الأصلي ؛ فالمطلوب في حدّ ذاته هو الإيمان بأيّ طريق حصل، المهمّ أن يكون إيمانًا جازمًا لا يخامره شكّ.

وبهذا يترجّح لدينا الرأي الثاني، والذي مؤدّاه أنّ المكلّفين صنفان: من يمتلك القدرة على النّظر والاستدلال، يأثم إن لم يبذل وسعه في تحصيل ذلك، ومن ليس أهلاً له فيكفيه التقليد .وهذا لتضمّنه خاصّية من خواص الإسلام وهي: التوسعة على عباد الله بإعمال قاعدة اليسر، يسر في قواعده، ويسر في إ مكان استظلال أيّ عاقل تحت ظلاله، فتضمّن تضييقًا مقارنة بالرأي الأوّل، وتوسعة مقارنة بالرأي الثالث، وهذا التفصيل في المسألة هو الذي قال به أغلب العلماء المحقّقين.

فكلّ من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشكّ فيه، وقال بلسانه لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدًا رسول الله، وأنّ كلّ ما جاء به حقّ، وبرئ من كلّ دين سوى دين محمّد ❐ فإنّه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك..، ونحن لا ننكر الاستدلال، بل هو فعل حسن، مندوب إليه، محضوض عليه، كلّ من أطاقه، لأنّه تزوّد من الخير، وهو فرض على كلّ من لم تسكن نفسه إلى التصديق- نعوذ بالله ✝ من البلاء- وإنّما ننكر كونه فرضًا على كلّ أحد لا يصحّ إسلام أحد دونه، هذا هو الباطل المحض.

---

(1) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خدم النبي عشر سنين مات سنة 92 هـ. انظر تقريب التهذيب ص: 54 برقم (565)

(2) الحديث أخرجه النسائي في سننه: كتاب الإيمان -باب: صفة المسلم 105/8 برقم (4996) ؛ والبخاري في كتاب العيدين-باب: يوم الفطر قبل الخروج 325/1 برقم (912)

وهذا ما قرّره ابن حزم رحمه الله[1]، ووافقه الإسفراييني[2] بقوله: « والحقّ الذي لا محيد عنه ولا انفكاك لأحد منه صحّة إيمان المقلّد تقليدًا جازمًا، وأنّ النّظر والاستدلال ليسا بواجبين، وأنّ التقليد الصحيح محصّل للعلم والمعرفة، نعم يجب النّظر على من لا يحصل له التصديق الجازم أوّل ما تبلغه الدعوة »[3] ، وتبعهم في هذا الغزالي[4]، وابن تيمية[5]، والكفوي[6] وغيرهم.

2 ـ قياس الغائب على الشّاهد [7]

ويقصد به: قياس الذّات العليّة (الله) الغائبة عن أعيننا على الإنسان المشاهد، مع اعتقاد عدم المماثلة المنفية بالنصّ وهو قوله تعالى: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**}[8].

وقد استخدم الثعالبي هذا الدليل واعتبره ضروريًّا لإثبات كلّ صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه عن كلّ صفات النّقصان، لأنّ الكمال لازم للألوهية ؛ غير أنّه لم يتوسّع في شرحه واستعماله، وإنّما اكتفى بالإشارة إليه في معرض تفسير قوله ✞ : {**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(100)بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}[9]، فقد ذكر الله تعالى هنا قبح ما صنعه هؤلاء الكفّار من جعلهم الجنّ شركاء له في الألوهية - وهم بعض العرب العابدين لهم- اعتقادًا منهم أنّها تعلم الغيب، وكذلك الذين نسبوا له البنين والبنات- وهم بعض اليهود في جعلهم عزير ابن الله، والنّصارى في جعلهم المسيح ابن الله، والعرب في جعلهم الملائكة بنات الله- تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا- فكلّ ذلك ادّعاء وزعم باطل وافتراء على الله بغير علم ؛ لهذا نصّ تعالى على قبح صنيعهم، لأنّه منزّه من

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل 35/4، 40

(2) هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الخراساني الإسفراييني، إمام فقيه أصولي متكلم، من تآليفه: جامع الحلى في أصول الدين والرد على اللحدين. انظر: طبقات الشافعية 170/2 برقم (131)

(3) لوامع أنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية 269/1. مؤسّسة الخافقين، دمشق-سوريا (د. ت. ط)

(4) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص: 202، تحقيق: د. سليمان دنيا، طبعة عيسى البابي الحلبي، مصر-1381هـ

(5) مجموع الفتاوى 202/20. جمع وترتيب: عبد الرحمان بن قاسم -مطابع الرياض (ط1) 1381هـ.

(6) الكلّيات ص: 305 ؛ هو: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي أبو البقاء، عالم لغوي متكلم ولد سنة 1028 هـ تولى قضاء القدس، وتوفي بها سنة 1094 هـ. انظر: مقدمة كتابه الكليات ص: 7 و ما بعدها.

(7) استعمله شيخ الإسلام ابن تيمية، وسمّاه (قياس الأولى)، حيث يقول: « إنّ ما ثبت لله من كمال لا نقص فيه، فإنّه ثابت لله بطريق الأولى، وهو أولى بصفة الكمال من الجميع، وما تنزّه غير الله عنه من النّقائص والآفات، فإنّ التنزّه لله أولى عن كلّ النّقائص والآفات ». انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية 116/1 تحقيق: د. محمّد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض ط(1) 1406هـ ؛ الردّ على المنطقيين لابن تيمية ص: 150 مطبعة المعارف لاهور الهند ط(2) 1396هـ، التمهيد للباقلاني ص: 38 (وظّفه دون أن يطلق عليه الاسم نفسه)، منهج الاستدلال على العقيدة عند مصطفى صبري لعمار جيدل ص: ، مجلّة الموافقات (بحث عن منهج الاستدلال على العقيدة لعمّار جيدل) ص: 88 - المجلّة تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين -الخروبة - الجزائر العاصمة عدد (03)

(8) سورة الشورى: 11

(9) سورة الأنعام: 100، 101

وصفهم الفاسد المستحيل عليه تبارك وتعالى، فردّ عليهم زعمهم بأنّ ذلك منفيّ عنه ؛ كيف وهو الذي خلقهم، وخلق السّماوات والأرض على غير مثال سابق، ولم يحتاج في خلقهم إلى شيء: {**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}[1]، فكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟

فالذي احتاج للولد احتاج للزوجة، وهي صفة نقص في الإنسان تدلّ على عدم استغنائه عنها، وأمّا الله فمنزّه عن ذلك، لأنّه مناف للألوهية، ولهذا يقول الثعالبي: « وهذه الآية ردّ على الكفّار بقياس الغائب على الشّاهد »[2].

ويوظّف نفس هذا الدليل دون أن يسمّيه باسمه في معرض تفسير قوله جلّ شأنه: {**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**}[3]، فيذكر أنّ المثال في هذه الآية: عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال، ولا أمر نفسه، وإنّما هو مسخّر بإرادة سيّده، مدبّر له ؛ وبإزاء العبد في المثال: رجل موسّع عليه في المال، فهو يتصرّف فيه بإرادته . ثمّ يشير إلى الخلاف الحاصل في الذي له المثل ؟ حيث يورد قولين لعلماء التفسير من السّلف:

الأوّل: أنّه مثل الكافر والمؤمن، قاله ابن عبّاس وقتادة.

الثاني: أنّ هذا المثال، والمثال الذي بعده[4])، إنّما هو مثال لله تعالى والأصنام، فتلك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، وأمّا الله تعالى فتتصرّف قدرته دون معقّب، وبهذا قال مجاهد، والضحاك، وأيّده الثعالبي بقوله: « أنّ هذا التأويل أصوب، لأنّ الآية تكون من معنى ما قبلها[5]، ومدارها في تبيين أمر الله والردّ على أمر الأصنام »[6] وهذا صريح في أنّ ما تنزّه عنه البشر من العيوب والنّقائص والآفات، والآفات، فإنّ التنزّه لله عنه أولى، وفي ذلك دليل على استحقاق الله تعالى للألوهية من كلّ وجه.

---

(1) سورة يس: 82

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 654/1

(3) سورة النحل: 75

(4) هو الوارد في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} سورة النحل: 76، يشير إلى أنّ هذا مثال لله والأصنام، فهي كالأبكم الذي لا نطق له، ولا يقدر على شيء، والكلّ: الثقيل المؤونة، كما الأصنام تحتاج إلى أن تنقل وتخدم ويتعدّب بها، ثمّ لا يأتي من جهتها خيرًا أبدًا، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى ». انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن 439/2

(5) هي قوله تعالى: {فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} سورة النحل: 74

(6) نفس المصدر السابق 438/2 ؛ 315/3، 316

3 ـ دليل التّمانع :

وقد وظّفه في معرض تفسير قوله جلّ شأنه: {**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا(42)سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**}[1] أي: لابتغوا إليه سبيلاً في إفساد ملكه، ومضاهاته في قدرته، وعلى هذا فالآية بيان للتّمانع، وجارية مع قوله تعالى: {**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**}[2]، ثمّ يستعرض شيئًا من هذا الدليل على أنّه لا يجوز أن يكون مع الله تبارك وتعالى إله غيره- على ما قاله الجويني وغيره[3] -ونصّه :

أنّا لو فرضنا أن يريد أحدهما تسكين جسم، والآخر تحريكه، ومستحيل أن تنفذ الإرادتان، ومستحيل ألاّ تنفذ جميعًا، فيكون الجسم لا متحرّكًا ولا ساكنًا، فإن صحّت إرادة أحدهما دون الآخر، فالذي لم تتمّ إرادته ليس بإله.

فإن قيل: نفرضهما لا يختلفان ؟ قلنا: اختلافهما جائز غير ممتنع عقلاً، والجائز في حكم الواقع.

ودليل آخر: أنّه لو كان الإثنان لم يمتنع أن يكونوا ثلاثة، وكذلك، ويتسلسل إلى ما لا نهاية له.

ودليل آخر: أنّ الجزء الذي لا يتجزأ من المخترعات لا تتعلّق به إلاّ قدرة واحدة لا يصحّ فيها اشتراك، والآخر كذلك دأبًا، فكلّ جزء إنّما يخترعه واحد- وهي نبذة شرحها بحسب التقصّي يطول[4].

ويمكن التعبير عن هذا الدليل السّابق بصيغة أخرى[5]، وهي :

أنّنا لو قدّرنا وجود إلهين في الكون، ثمّ أراد أحدهما تحريك جسم، وأراد الآخر تسكينه، في هذه الحالة:

إمّا أن يحصل مراد الأوّل، أو يحصل مراد الثاني، أو يحصل مرادهما، أو لا يحصل مراد أيّ منهما، وهو ظاهر البطلان.

فإذا حصل مراد الأوّل فقط، كان الثاني عاجزًا ؛ وإذا عجز الثاني، كان الأوّل عاجزًا بحكم تساويهما في المقدّمة، فبطل القول بوجود إلهين.

---

(1) سورة الإسراء: 42-43

(2) سورة الأنبياء: 22

(3) الإرشاد ص: 26 ؛ المواقف ص: 278، 279 ؛ التمهيد ص: 45 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 28/1 ؛ تفسير ابن كثير 36/5

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 475/2، 476، واعتبر رحمه الله قوله تعالى: {وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} سورة المؤمنون: 91. أنّه هو دليل التمانع 160/3

(5) نقلاً عن: منهج الاستدلال على العقيدة عند مصطفى صبري لعمّار جيدل ص: 208، 209 رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية-بإشراف: د. عليّ معبد فرغلي، المعهد الوطني العالي لأصول الدّين- الجزائر 1411هـ-1991م.

وإذا حصل العكس، آل الأمر إلى القول بعجزهما معًا.

والاحتمال الأخير: أن يحصل مرادهما معًا، وفي هذه الحالة، هناك احتمالان: حالة الاتفاق، وحالة الاختلاف.

حالة الاختلاف:

يلزم منه كون الجسم متحرّكًا وساكنًا دفعة واحدة، وهو باطل محال، لأنّ حصول الأوّل مانع من حصول مراد الثاني، كما أنّ حصول مراد الثاني مانع من حصول مراد الأوّل، وعليه لو امتنع حصول المرادين معًا لزم حصول المرادين معًا، حتّى يكون وجود كلّ واحد منهما مانعًا من حصول الآخر، فيثبت أنّ امتناع كلّ واحد منهما يوجد حصول كلّ منهما فهو باطل، لأنّ ما أفضى نفيه إلى ثبوته كان باطلاً.

حالة الاتّفاق: وتشمل احتمالين أساسيين:

إمّا اتّفاق العجز، أو اتّفاق من غير اتّفاق:

أمّا الأوّل: كأن لا يفعل أحدهما إلاّ بمصادقة الآخر، وهذا العمل يستنبط منه عجزهما، وهو مخالف لحقيقة الألوهية.

والثاني: أن يقع الاتفاق من غير اتّفاق، كأن يكون مراد الأوّل نفس مراد الثاني، وهو باطل أيضًا، لأنّنا نبني دليلنا على إمكانية الاختلاف، وإمكان الخلاف وارد، لأنّ الأوّل إله والثاني إله، وإذا ورد الخلاف ورد العجز، والذي يحتمل في حقّه العجز لا يمكن أن يكون إلهًا، فبطل بذلك وجود إلهين في الكون، ونستنبط من ذلك بطلان كلّ الاحتمالات الممكنة .

وبهذا يظهر أنّ الثعالبي قد سلك في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته مسلك المتكلّمين، أي: الاستدلال بحدوث العالم على محدث صانع، هو الله ✝ الذي أخرجه من حيّز العدم إلى حيّز الوجود.

فالعالم- عندهم- إمّا جوهر أو عرض، وقد يستدلّ بكلّ واحد منهما: إمّا بإمكانه أو حدوثه، فهذه وجوه أربعة:

الأوّل: الاستدلال بحدوث الجواهر، وهو أنّ العالم حادث، وكلّ حادث فله من محدث.

الثاني: بإمكانها، وهو أنّ العالم ممكن، لأنّه مركّب وكثير، وكلّ ممكن فله علّة مؤثّرة .

الثالث: بحدوث الأعراض، مثل ما نشاهد من انقلاب النّطفة علقة، ثمّ مضغة، ثمّ لحمًا ودمًا، إذ لابدّ من مؤثر صانع حكيم.

الرابع: بإمكان الأعراض، وهو أنّ الأجسام مماثلة، فاختصاص كلّ بما له من الصفات جائز، فلابدّ في التخصيص من مخصّص له[1].

وهذا خلافًا لمسلك الفلاسفة الذين اعتمدوا في إثبات وجود الله تعالى على طريق الواجب والإمكان[1]، ومعناه: أنّ -في الواقع- موجودًا، فإن كان واجبًا فذلك، وإن

---

(1) المواقف ص: 266 ؛ نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص: 124 تصحيح: ألفرد جيوم (دون معلومات أخرى).

كان ممكنًا احتاج إلى مؤثّر، ولابدّ من الانتهاء إلى الواجب، وإلاّ لزم الدّور[2] والتسلسل[3].

اعتراض ابن رشد على دليل المتكلّمين:

وقد اعترض ابن رشد على دليل المتكلّمين بقوله: « ووجه الضعف في هذا الدّليل أنّه كما يجوز في العقل أن يختلفا..، يجوز أن يتّفقا، وهو أليق بالآلهة من الخلاف..، وإذا اتّفق على صناعة العالم كانا مثل صانعين اتّفقا على صنع مصنوع »[4].

إنّ انتقادات ابن رشد تنصبّ أساسًا على دليله الذي يقول فيه: « إنّ دلالة قوله تعالى: {**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**}[5] مغروزة في الفطر بالطّبع، وذلك أنّه من المعلوم بنفسه أنّه إذا كان ملكان واحد منهما فعله فعل صاحبه، أنّه ليس يمكن أن يكون عن تدبيرهما مدينة واحدة، لأنّه ليس عن فاعلين من نوع واحد، وفعل واحد، فيجب ضرورة أن تفسد المدينة الواحدة، إلاّ أن يكون أحدهما يفعل، ويبقى الآخر عاطلاً، وذلك منتف في صفة الألوهية، فإنّه متى اجتمع فعلان من نوع واحد على محلّ واحد فسد المحلّ ضرورة ».

كما استند إلى دليل آخر مستنبط من قوله تعالى: {**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**}[6]، فهذا ردّ منه على من يضع آلهة كثيرة مختلفة الأفعال، وذلك أنّه يلزم في الآلهة المختلفة الأفعال، التي لا يكون بعضها لبعض ألاّ يكون عنهما موجود واحد، ولمّا كان العالم واحد، أوجب ألاّ يكون موجودًا عن آلهة مختلفة الأفعال[7].

إنّ دليل ابن رشد الذي وضعه كبديل عن دليل المتكلّمين لا يسلم من الاعتراض أيضًا، وهو غير مسلّم من وجوه عدّة، أهمّها :

i- ما الداعي إلى قوله بوجوب فساد المدينة حال وجود ملكين، واحتمال اتّفاقهما وارد، كما أورده في نفس الكتاب[8].

---

(1) نفس المصدر السابق والصفحة ؛ وانظر: النجاة لابن سينا ص: 383 مطبعة السعادة -مصر ط(1) 1331هـ.

(2) **الدور**: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ذلك الشيء، أو هو: ترتب الشيء الذي له صلوحية العلّيّة وجودًا وعدمًا، وهو باطل لما فيه من الجمع بين النقيضين. انظر: التعريفات للجرجاني 140/1 تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت ط(1) 1405هـ.

(3) **التسلسل**: هو ترتيب أمور غير متناهية ؛ انظر: التعريفات 80/1 ؛ التوقيف على التعاريف لعبد الرؤوف المناوي 175/1 تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر-بيروت دمشق 1410هـ.

(4) مناهج الأدلّة في عقائد الملّة لابن رشد ص: 158، 159 تحقيق: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو-المصرية بالقاهرة ط(3).

(5) سورة الأنبياء: 22

(6) سورة المؤمنون: 91

(7) مناهج الأدلّة عقائد الملّة ص: 156، 157 ؛ تهافت الفلاسفة ص: 51

(8) لأنّ اختلاف الإلهين محتمل.

ii-لا يخرجه من المأزق ما ذكره فيما بعد الاستدلال الثاني، لأنّه مبني أساسًا على الاختلاف بين الآلهة، فأين الاتفاق ؟ وعليه لا يكون استدلاله برهانيًا.
iii-لماذا أهمل إيراد احتمال الاختلاف، إذ بطلان وجود إلهين للكون مبنيّ أساسًا على إمكانية العجز، وإمكانية العجز احتمالية، واحتمال عجز ما لا يتصوّر تناقض ما بعده تناقض، فهو باطل[1].

وكما لا يسلّم لابن رشد اعتراضه على مسلك المتكلّمين، لا يسلّم للثعالبي استدلاله بدليل التمانع على الألوهية، ذلك أنّه قد غفل عن مضمون الآيات التي استدلّ بها، اعتقادا منه أنّ توحيد الربوبية الذي قرّره هو توحيد الألوهية الذي بيّنه القرآن الكريم، ودعت إليه الرّسل ؛ وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرّسل والأنبياء هو توحيد الألوهية المتضمّن توحيد الرّبوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإنّ المشركين من العرب كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية، وأنّ خالق السّماوات والأرض واحد، كما أخبر الله تعالى عنهم: {**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**}[2]، وقوله: {**قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(84)سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**}[3])، ومثل هذا في القرآن كثير.

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنّها مشاركة لله في خلق السّماوات والأرض، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من الأمم الأخرى، ولكن الإشكال في توحيد الألوهية الذي أشركوا فيه مع الله تلك الأصنام وغيرها.

والثعالبي نفسه يذكر- في ثنايا تفسيره- ما كان يشركه العرب في عبادتهم لله ﷻ، منها تلك الواردة في قوله سبحانه وتعالى: {**وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**}[4])، حيث يورد في بيان معناها ما رواه البخاري عن ابن عبّاس: « أنّها أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتّى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت، قال ابن عبّاس: ثمّ صارت هذه الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد »[5] [6].

فهذا الحديث يشير إلى أنّ اتّخاذ هؤلاء واسطة بينهم وبين الله كانت مقالة شائعة في العرب في الجاهلية، يقولون في معبوداتهم: {**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ**

---

(1) منهج الاستدلال على العقيدة عند مصطفى صبري ص: 209، 210
(2) سورة لقمان: 25
(3) سورة المؤمنون: 84، 85
(4) سورة نوح: 23
(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-سورة نوح -باب: ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق 1873/4 برقم (4636). مع تغاير وزيادة في الألفاظ
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 484/4

زُلْفَى}[1]، بمعنى: قربة وتوصلة، ذلك لأنّهم يرون أنفسهم أقلّ من أن يتّصلوا هم بالله تعالى[2] .

وكذلك كان حال الأمم السابقة، وهو ما يمكن تلمّسه من قوله ✞ في قصّة صالح عليه السّلام مع قومه: {**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(48)قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**}[3]، يقول الثعالبي: « وكأنّه قال: متقاسمين أو متحالفين بالله »[4] أي: على قتل نبيّهم وأهله. وهذا يبيّن أنّهم كانوا مؤمنين بالله إيمان المشركين.

فعلم بهذا أنّ التوحيد المطلوب في الآيات هو توحيد الألوهية الذي يتضمّن توحيد الربوبية وليس العكس.

وعلى هذا، فإنّ ما ذكره الثعالبي من كون دليل التمانع هو معنى ما ورد في الآيات غير مسلّم، بل عليه ملاحظات، وذلك من وجوه عدّة، أهمّها:

قوله تعالى: {**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**}[5]، فإنّ مضمون الآية: أنّه سبحانه أخبر أنّه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل: أرباب.

وأيضًا، فإنّ هذا إنّما هو بعد وجودهما، وأنّه لو كان فيهما -وهما موجودتان-آلهة سواه لفسدتا.

وأيضًا، فإنّه قال: (لفسدتا): وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا.

ودلّت الآية أيضًا على أنّه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعدّدة، بل لا يكون الإله إلاّ إلهًا واحدًا ؛ وعلى أنّه لا يجوز أن يكون هذا الإله إلاّ الله سبحانه وتعالى، وأنّ فساد السّماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعدّدة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنّه لا صلاح لهما إلاّ بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كلّه، فإنّ قيامه إنّما هو بالعدل، وبه قامت السّماوات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشّرك، وأعدل العدل التوحيد.

وأمّا قوله تعالى: {**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**}[1]، فللمفسّرين فيها قولان:

---

(1) سورة الزمر: 03

(2) نفس المصدر السّابق 68/4 - بتصرّف

(3) سورة النمل: 48، 49

(4)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 257/3

(5) سورة الأنبياء: 22

أحدهما: لاتّخذوا سبيلاً لمغالبته، وهو الذي أخذ به الثعالبي.

الثاني: لاتّخذوا سبيلاً بالتّقرّب إليه، كقوله تعالى: {**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**} [2] قال شارح الطحاوية [3]: « وهو الصحيح المنقول عن السّلف »[4] وبه أخذ ابن كثير[5]؛ ويشهد لهذا أنّ مشركي العرب لم يقولوا: إنّ العالم له صانعان، بل جعلوا معه آلهة اتّخذوهم شفعاء.[6]

وأمّا قوله جلّ و علا: {**وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**}[7]، فهو إشارة إلى أنّ الإله الحقّ لابدّ أن يكون خالقًا فاعلاً، يوصل إلى عابديه النّفع، ويدفع عنه الضّرّ، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضا تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرّده بالملك والألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلوّ عليه . فلابدّ من أحد ثلاثة أمور:

- إمّا أن يذهب كلّ إله بخلقه وسلطانه.
- وإمّا أن يعلو بعضهم على بعض.
- وإمّا أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرّف فيهم كيف يشاء ولا يتصرّفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كلّ وجه.

وانتظام أمر العالم كلّه وإحكام صنعه من أدلّ دليل على أن مدبّره واحد، وملك واحد، وربّ واحد، لا إله للخلق غيره، ولا ربّ لهم سواه، كما قد دلّ دليل التّمانع على أنّ خالق العالم واحد، لا ربّ غيره، فلا إله سواه، فذلك تمانع في الفعل

---

(1) سورة الإسراء: 42

(2) سورة الإنسان: 29

(3) هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي، أبو الحسين ولد سنة 731 هـ، عالم فقيه متكلم، تولى القضاء والتدريس والتعليم، من تآليفه: النور اللامع فيما يعمل به في الجامع، شرح العقيدة الطحاوية، توفي سنة 792 هـ، انظر شذرات الذهب 357/3 ؛ هدية العارفين 726/1.

(4) شرح العقيدة الطحاوية1 /41

(5) تفسير ابن كثير 310/4 ؛ هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن درع القرشي، حافظ فقيه مؤرخ مفسر، من تآليفه: البداية والنهاية، توفي سنة 774 هـ. انظر: الدرر الكامنة 373/1 ؛ تذكرة الحفاظ 361/6.

(6) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 349/9، 350، تحقيق: د. رشاد محمد سالم، مطابع جامعة محمد بن سعود الإسلامية 1402هـ ؛ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 38/5 المكتب الإسلامي-بيروت 1407هـ.

(7) سورة المؤمنون: 91

والإيجاد، وهذا تمانع في العبادة والإلهية ؛ فكما أنّه يستحيل أن يكون للعالم ربّان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان[1].

فالعلم بأنّ وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته، مستقرّ في الفطر، معلوم بصريح العقل بطلانه، فكذا تبطل إلهية اثنين[2].



(1) بسط شيخ الإسلام ابن تيمية هذا البرهان في كتابه: منهاج السنّة 68/2، 72، درء تعارض العقل والنقل 359/9، 368

(2) شرح العقيدة الطحاوية 39/1، 40، التفسير القيّم لابن القيّم ص: 371- تحقيق: محمّد حامد الفقّي- دار الكتب العلمية-بيروت لبنان-1398هـ-1978م.

المبحث الثاني
الشرك والعبادات الوثنية

تقدّم في المبحث السابق أدلّة الثعالبي على وجود الله تعالى ووحدانيته، والواقع أنّ من أهمّ طرق إثبات التوحيد إبطال كلّ أنواع الشرك والعبادات الوثنية، فإنّ بطلان ذلك كلّه يعطي الدليل الواضح على أنّ التوحيد هو الحقّ.

وقبل أن نستعرض مسلك الثعالبي في هذه القضية، يحسن بنا أوّلاً بيان معنى الشرك، والأسباب المؤدّية له.

المطلب الأول: معنى الشرك وأسبابه وأنواعه

1 ـ معنى الشرك لغة وشرعا

الشرك لغة: مأخوذ من الشركة (بكسر الشين وتشديدها، وسكون الراء)، والمشاركة، وهي: خلط الملكين ؛ وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدًا، عينًا كان أو معنًى، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية . وأشرك فلان بالله:كفر، فهو مشرك، ومشركيّ، والاسم الشرك فيهما[1].

واصطلاحًا: هو إثبات الشريك لله تعالى في الألوهية، سواء كان بمعنى وجوب الوجود أو استحقاق العبادة.

لكن أكثر المشركين لم يقولوا بالأوّل، بدليل قوله تعالى: {**لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**}[2]؛ وقد يطلق ويراد به مطلق الكفر، بناءً على عدم خلق الكفر عن شرك ما[3].

2 ـ أنواعه

والشرك أنواع عدّة[4]وهي:

1. **شرك الاستقلال**: وهو إثبات إلهين مستقلّين، كشرك المجوس.
2. **وشرك التبعيض**: وهو تركيب الإله من آلهة، كشرك النّصارى.
3. **وشرك التقريب**: وهو عبادة غير الله ليقرّب إلى الله زلفى، كشرك متقدّمي الجاهلية.
4. **وشرك التقليد**: وهو عبادة غير الله تبعًا للغير، كشرك متأخّري الجاهلية.
5. **وشرك الأغراض**: وهو العمل لغير الله، ويسمّى الشرك الأصغر، أي: مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق.
6. **وشرك الأسباب**: وهو إسناد التأثير للأسباب العادية، كشرك الفلاسفة والطبائعيين، ومن وافقهم.

---

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 266 ؛ الكلّيات ص: 533

(2) سورة العنكبوت: 61، 63 ؛ سورة لقمان: 25 ؛ سورة الزمر: 38 ؛ سورة الزخرف: 87

(3) الكلّيات ص: 121

(4) نفس المصدر السابق ص: 533

فحكم الأربعة الأولى الكفر بإجماع، وحكم الخامس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم السادس التفصيل: فمن قال في الأسباب إنّها تؤثّر بطبعها فقد حكي الإجماع على كفره، ومن قال إنّها تؤثّر بقوّة أودعها الله فيها فهو فاسق، والقول بأن لا تأثير لشيء في شيء أصلاً وما يرى من ترتيب الآثار على الأشياء إنّما هو بطريق إجراء العادة بأن يخلق الله الأثر عقيب ما يظنّ به سببًا). 1)

3 ـ أسباب الشرك:

وأسباب الشرك عند الثعالبي منحصرة في أمور ثلاثة، هي:

تقليد الآباء: وهو ممّا استنكره الله على المشركين في القرآن الكريم، وقد سبق معنا رأي الشيخ في مسألة التقليد في العقائد، وإبطاله له.

رجوع الخير والشرّ إلى إله واحد: خلافًا لما زعمه طائفة من المجوس بأنّ للعالم ربّين، أحدهما خالق الخير والثاني خالق الشرّ، وهذا من أبطل الباطل ؛ وقد سبق معنا أيضًا ردّ الشيخ عليهم في منهجه في عرض مسائل العقيدة .

اتّخاذ الأصنام والأوثان شفعاء: وهو ما وقعت فيه العرب في الجاهلية حيث يزعمون بأنّها تقرّبهم إلى الله زلفى ؛ وهذا السبب الثالث هو صلب مبحثنا هنا.

المطلب الثاني: إبـطـال الـشـرك

1 ـ إبطال عبادة الأصنام والأوثان

ففكرة عبادة الأصنام والأوثان فكرة قديمة، أخبرنا الله بوجودها زمن نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، بعدما انحرف النّاس عن التوحيد الخالص إلى الشرك بالله تعالى، حيث اعتقدوا فيها أنّها قادرة على جلب النّفع ودفع الضّرّ ؛ وذلك من أبين الكذب على الله والافتراء عليه والجهل به، إذ أنّ الأصنام والأوثان لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شيئًا.

والعجيب في هؤلاء المشركين كيف أشركوها في العبادة مع الله تعالى التي لا يستحقّها إلاّ هو، وهم يعلمون أنّها لا تنطق ولا تتحرّك...إلخ.

ولبيان هذا يتّخذ الثعالبي من الآيات القرآنية الكريمة المتعلّقة بهذا الباب سندًا في إبطالها، كما هو الشأن في قصّة إبراهيم عليه السلام وما حدث له مع قومه حين حاورهم في عبادتهم لتلك الأصنام والأوثان، بعدما حطّمها كلّها إلاّ واحدًا فجعل الفأس على رأسه ليدركوا حقارتهم وسفاهتهم في عبادتهم لها عن جهل منهم، لأنّها لم تستطع أن تدافع عن نفسها، فأدركوا ببديهة العقل أنّها لا تنطق، فقالوا لإبراهيم حينها {**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُونَ**}(2)، فوجد عليه السلام عند هذه المقالة موضع الحجّة

---

(1) الكلّيات ص: 533

(2) سورة الأنبياء: 65

ووقفهم موبّخًا لهم بقوله {**أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُمْ**}[1]، ثمّ حقّر شأنهم وشأنها بقوله {**أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**}[2] [3].

وفي آيات أخرى يقول تعالى: {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(26)إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي(27)وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**}[4]، فيشير إلى أنّها حثّ لنبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم أن يفعل مثل ما فعل إبراهيم في دعوته إلى التوحيد، ونبذ الشرك، فالمشركون كانوا يعرفون الله ويعظّمونه إلاّ أنّهم كانوا يشركون معه أصنامهم، فلم يوافقهم إبراهيم على عبادتهم في دعائهم إلى عبادة الله، لأنّه هو المعبود الحقّ الهادي والمنجي من العذاب، وفي ذلك استدعاء لهم وترغيب في طاعة الله وتطميع في رحمته، وجعل هذه الدعوة إلى التوحيد كلمة[5] باقية في ذرّيّته حتّى لا يزيغوا عنها [6].

من هذا المنطلق يستنكر ربّنا تعالى على كفّار قريش عبادتهم للأصنام والأوثان، فيقول: {**أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**}[7]، فعبّر عنها بقوله (ما لا يخلق) وكأنّها تعقل على اعتقاد الكفّار فيها، وبحسب أسمائها ..، وكان حقّهم أن يعبدوا خالقهم لا من لا يخلق شيئًا ؛ ومع هذا فحالها معهم إن دعوها لم تجبهم فكيف بهم يعبدونها وهي حقيرة ؛ ألها حواس الحيّ وأوصافه، فإذا قالوا: لا، حكموا على أنّها جمادات من غير شكّ، لا خير عندها ؛ فهم أفضل منها بهذه الجوارح النّافعة، فكيف يعبدونها ؟[8].

ولهذا يشير الثعالبي إلى بطلان عبادة الأصنام بثلاثة أشياء[9]:

أوّلها: أنّها لا تسمع إن دعيت.
والثاني: أنّها لا تجيب إن لو سمعت، وإنّما جاء بهذه لأنّ القائل متعسّف أن يقول عساها تسمع.
والثالث: أنّها تتبرّأ يوم القيامة من الكفرة.

ويدلّ على هذا قوله ﷻ: {**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ(13)إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**}[1].

---

(1) سورة الأنبياء: 66
(2) سورة الأنبياء: 67
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 89/3 -بتصرّف
(4) سورة الزخرف: 26-28
(5) أي: لا إله إلاّ الله
(6) نفس المصدر السابق 167/4
(7) سورة الأعراف: 191
(8)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 98/2 -بتصرّف. ؛ 121/3، 135، 260، 306، 317، 379
(9) نفس المصدر السابق 393/3

فأيّ الفريقين أحقّ بالعبادة: الله أم تلك الجمادات ؟!، فيجيبهم الله بقوله: {**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**}[2]، والمعنى كما الثعالبي: « أرأيتم إذا خفتم عذاب الله، أو خفتم الساعة أتدعون أصنامكم وتلجأون إليها في كشف ذلك إن كنتم صادقين في قولكم أنّها آلهة، بل إنّما تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه إن شاء وتنسون أصنامكم، أي: تتركونهم، فعبّر عن الترك بأعظم وجوهه الذي هو مع الترك ذهول وإغفال، فكيف يجعل إلهًا من هذه حاله في الشدائد والأزمات »[3].

ويبيّن تعالى عدم التسوية بين دينونة الإنسان لإله واحد ودينونته لآلهة متعدّدة، فيقول: {**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**}[4]، فيشير الثعالبي إلى أنّ: « هذا مثل ضربه الله سبحانه في التوحيد، فمثّل تعالى الكافر العابد للأوثان والشياطين بعبد لرجال عدّة، في أخلاقهم شكاسة، وعدم مسامحة، فهم لذلك يعذّبون ذلك العبد بتضايقهم في أوقاتهم، ويضايقون العبد في كثرة العمل، فهو أبدًا في نصب منهم وعناء، فكذلك عابد الأوثان الذي يعتقد أنّ ضرّه ونفعه عندها هو معذّب الفكر بها وبحراسة حاله منها، ومتى توهّم أنّه أرضا صنمًا بالذبح له في زعمه تفكّر فيما يصنع مع الآخر، فهو أبدًا تعب في ضلال، وكذلك هو المصانع للنّاس الممتحن بخدمة الملوك ؛ ومثّل تعالى المؤمن بالله وحده بعبد لرجل واحد يكلّفه شغله، فهو يعمله على توأدة وقد ساس مولاه، فالمولى يغفر له زلّته على إجادة عمله، ثمّ وقف تعالى الكفّار بقوله (هل يستويان مثلاً): وهذا التوقيف لا يجيب عنه أحد إلاّ بأنّهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أنّهم قد أجابوا، فقال (الحمد لله) أي: على ظهور الحجّة عليكم من أقوالكم »[5].

ويبيّن تعالى أيضًا أنّ تلك المعبودات الباطلة في أحطّ مرتبة، وأخسّ منزلة، وأنّها تتبرّأ من عابديها يوم القيامة، كما في قوله ✞: {**وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ**}[6]، يذكر الثعالبي بأنّ: « هذا توقيف على الخطأ في عبادة الأوثان واعتقادهم أنّها تشفع وتقرّب إلى الله زلفى ؛ فبيّن تعالى أنّ الاتّصال والارتباط ينقطع يوم القيامة بينهم فيما زعموه من دعواهم أنّها تشفع، وأنّها تشارك الله في الألوهية- تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا »[7].

---

(1) سورة فاطر: 13، 14
(2) سورة الأنعام: 40، 41
(3) نفس المصدر السابق 621/1 ؛ 232/2 ؛ 260/3، 306، 317
(4) سورة الزمر: 29
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 79/4
(6) سورة الأنعام: 94
(7) نفس المصدر السابق 650/1 -بتصرّف

ويخبر عن تحسّر الكفرة العابدين لها، لمّا أدركوا فوات الأمر بسبب عدم هدايتهم[1])، فيقول: {**وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ**}[2].

ولهذا يأمر الله جلّ وعلا نبيّنا الكريم أن يتبرّى من شهادة الكفرة، ويعلن التوحيد لله تعالى[3] فيقول: {**قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**}[4].

2 ـ إبطال عبادة الملائكة والجنّ:

وهذه من العقائد الباطلة التي انتشرت في جزيرة العرب، وقد أشار الله إليها في القرآن الكريم، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: {**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ(40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**}[5].

فالآية صريحة في تقريع المشركين وتوبيخهم في عبادة غير الله ﷻ، فقد كانت بعض الطوائف من العرب في الجاهلية ممّن يدعون الملائكة، ويعتقدون أنّهم يعينون في المصائب، ويفرّجون الكرب، ويشفعون لهم، فنصّبوا تماثيلهم، كما صوّر النّصارى صورة عيسى عليه السلام في كنائسهم طلبًا للشفاعة ؛ فأبطل الله ذلك كلّه.

من هذا المنطلق يتّخذ الثعالبي الآيات المتعلّقة بهذا الشأن سندًا قويًّا لإبطال عبادة الملائكة والجنّ، كما هو واضح من قوله جلّ شأنه: {**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ**}[6]، فيذكر أنّ الآية تعديد لقبائح الكفرة في قولهم الملائكة بنات الله- تعالى الله عن قولهم[7].

وكذا قوله سبحانه: {**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**}[8]، فيشير إلى أنّ الله تعالى ذكر السّماوات لأنّ من العرب من يعبد الملائكة..، وبحسب هذا حسن أن يقول: (هؤلاء شفعاؤنا)[9].

والمعنى نفسه يتكرّر في معرض تفسير قوله تعالى: {**قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ**

---

(1) نفس المصدر السابق 282/3، 283 -بتصرّف

(2) سورة القصص: 64

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 610/1 -بتصرّف

(4) سورة الأنعام: 19

(5) سورة سبأ: 40، 41

(6) سورة النحل: 57

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 167/2، 431 ؛ 654/1 ؛ 40/4، 51

(8) سورة يونس: 18

(9) نفس المصدر السابق 231/2

شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ}[1] يريد الأصنام والملائكة، وذلك أنّ منهم من كان يعبد الملائكة، وهذه آية تعجيز وإقامة الحجّة ..، ثمّ جاء بصفة هؤلاء الذين يدعونهم آلهة أنّهم لا يملكون ملك اختراع مثقال ذرّة في السّماوات ولا في الأرض، وأنّهم لا شرك لهم فيهما ؛ وهذان نوعا الملك: إمّا استبداد، وإمّا مشاركة، فنفى عنهم جميع ذلك، ونفى أن يكون منهم لله تعالى معين في شيء[2].

وأمّا بالنّسبة لعبادة الجنّ، فيشير الثعالبي إلى أنّ في القرآن آيات يظهر منها أنّها عبدت[3]، منها: قوله ﷻ: {**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**}[4] يصرّح يصرّح بأنّ هذه الآية مشيرة إلى العادلين بالله تعالى، والقائلين إنّ الجنّ تعلم الغيب، العابدين لها ؛ وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك، وتستجير بجنّ الوادي في أسفارها، ونحو هذا، وأمّا الذين خرقوا البنين فاليهود في ذكر عزير، والنّصارى في ذكر المسيح، وأمّا ذاكروا البنات فالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله- تعالى الله عن قولهم[5].

ويتبيّن لنا بطلان عبادة الجنّ بما أخبرنا الله به، وهو أنّ إبليس اللعين نفسه يتبرّأ ممّن أشركوه في العبادة مع الله[6]، حيث يقول سبحانه: {**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[7].

وبهذا يتبيّن بطلان عبادة الجنّ، ومن باب أولى عبادة الملائكة، لأنّ ذلك من الدين الباطل الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتابًا[8].

3 ـ إبطال تأليه المسيح عيسى عليه السّلام وغيره:

اتّخذ الثعالبي من الآيات المتعلّقة بهذا الأمر فرصة للردّ على النّصارى الذين ألّهوا عيسى عليه السّلام، استغرابًا منهم كيف خلقه الله من أمّ من غير أب ؛ فقد جاء وفد من نصارى نجران إلى النّبيّ صلى الله عليه و سلم يستخبرونه في أمره، فأجابهم الله أنّ المثل الذي تتصوّره النّفوس والعقول من عيسى هو كالمتصوّر من آدم عليه السّلام، إذ النّاس مجمعون على أنّ الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل[9]، حيث يقول

---

(1) سورة سبأ: 22
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 379/3
(3) نفس المصدر السابق 384/3
(4) سورة الأنعام 100-102
(5) نفس المصدر السابق 654/1
(6) نفس المصدر السابق 381/2 -بتصرّف
(7) سورة إبراهيم: 22
(8) مجموع الفتاوى 157/1
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 327/1، 654 ؛ 167/2 ؛ 16/3

تعالى: {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(59)الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنْ الْمُمْتَرِينَ(60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(61) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [1].

ويخبر الثعالبي أنّ اتخاذ النّصارى بعضهم بعضًا أربابًا هو أعلى مراتب الألوهية: أشدّها اعتقادهم الألوهية وعبادتهم لهم، كعزير، وعيسى، ومريم، وأدنى ذلك طاعتهم لأساقفتهم في كلّ ما أمروا به من الكفر والمعاصي والتزامهم طاعتهم شرعًا، لذلك أمر الله سبحانه بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك، وإشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد[2]، وإلى هذا أشار تعالى بقوله: {**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**} [3].

وهكذا في قوله سبحانه وتعالى: {**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا(171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**} [4]، فيشير إلى أنّ قوله (في دينكم) معناه: في دين الله الذي أنتم مطلوبون به، بأن توحّدوا الله (ولا تقولوا على الله غير الحقّ)، وليست الإشارة إلى دينكم المضلّل ؛ ويستشهد على صحّة كلامه، بما رواه عبادة بن الصامت[5] - رضي الله عنه- عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « من قال أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنّ الجنّة حقّ، والنّار حقّ، أدخله الله الجنّة على ما كان من عمل »[6] [7].

وكذلك الأمر في تفسير قوله تعالى: {**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى**

---

(1) سورة آل عمران: 59-62

(2) نفس المصدر السابق 329/1، 330 -بتصرّف ؛ 167/2 ؛ 68/4

(3) سورة آل عمران: 64

(4) سورة النساء: 171، 172

(5) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد شهد بدرا وغيرها، مات سنة 34 هـ بالرملة. انظر: تقريب التهذيب ص: 235 برقم (3157)

(6) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا 57/1

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 517/1

يُؤْفَكُونَ}[1]، يوضّح أنّ: « قوله (كانا يأكلان الطعام): تنبيه على نقص البشرية، وعلى حال من الاحتياج إلى الغذاء تنتفي معها الألوهية »[2].

والحقيقة نفسها تتقرّر عند تفسير قوله جلّ وعلا: {**قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا**}[3]، فينصّ على أنّ: « هذه الآية ليست في عبدة الأصنام، وإنّما هي في عبدة من يعقل كعيسى وأمّه وعزير..، وغيرهم، فلا يملكون كشف الضرّ ولا تحويله، ثمّ أخبر تعالى أنّ هؤلاء المعبودين يطلبون التقرّب إلى الله والتزلّف إليه، وأنّ هذه حقيقة حالهم »[4]

وبهذا يتبيّن أنّ عيسى عليه السلام وغيره، إنّما هم بشر، وأنّ ما نسب إليهم من الألوهية زعم باطل مخالف لنصوص القرآن الكريم وأدلّة العقل.

4 ـ إبطال عبادة الكواكب:

عبادة الكواكب من العبادات القديمة التي قصّها الله علينا في القرآن الكريم، من ذلك: ما كانت عليه بلقيس[5] وقومها من عبادة الشمس من دون الله، فقد حكى تعالى على لسان الهدهد قوله: {**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ**}[6].

واستمرّ هذا الاعتقاد الباطل في العرب وغيرهم إلى عهد النّبيّ صلى الله عليه و سلم ، فقد وجد من قال أنّ: « نزول المطر يكون بالنّوء[7]، كما روى زيد بن خالد الجهني- [8] رضي الله عنه- قال: صلّى بنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلمّا انصرف أقبل على النّاس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربّكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأمّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأمّا من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب »[9].

---

(1) سورة المائدة: 75

(2) نفس المصدر السابق 571/1

(3) سورة الإسراء: 56

(4) نفس المصدر السابق 480/2

(5) هي: بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، من بني يعفر بن سكسك، من قبيلة حمير، ملكة سبأ، ملكت اليمن كلّه، وتزوّجها سليمان عليه السلام بعدما آمنت بالله تعال، وأقامت معه 7سنين وأشهرًا، ولمّا توفّيت دفنها بمدينة تدمر. انظر: الأعلام 73/2، 74

(6) سورة النمل: 24

(7) النوء: واحد الأنواء، وهي: منازل القمر. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 61/2

(8) هو: زيد بن خالد، أبو عبد الرحمان الجهني المدني، اختلف في اسمه ووفاته كثيرًا، كان صاحب جهينة يوم الفتح توفي سنة (68) وقيل بل مات سنة (50) هـ ؛ تهذيب التهذيب 354/3 ؛ الاستيعاب 549/2 ؛ الإصابة 603/2

(9) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان-باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلّم 290/1 برقم برقم (809)

من هنا يفنّد الثعالبي هذه المزاعم الفاسدة التي يعتقدها هؤلاء المشركون، ويبيّن أنّ تلك المعبودات حادثة، وصفة الحدوث تجعلها من جملة مخلوقات الله تعالى التي لا تصلح أن تكون مؤثّرة في الأشياء ؛ ويستعين بالآيات المتعلّقة بهذا الشأن، منها:

ما حدّثنا عنه القرآن الكريم من حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه لإبطال عبادة الكواكب، حيث يقول سبحانه وتعالى: {**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الْآفِلِينَ(76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**}[1]، جاء في تفسير الثعالبي لها: « فلم يبق إلاّ أن يقولها على جهة التقرير لقومه، والتوبيخ لهم، وإقامة الحجّة عليهم في عبادة الأصنام، كأنّه قال: أهذا المنير ربّي- وهو يريد على زعمكم- ثمّ عرّض إبراهيم عليهم من حركة الكواكب وأفوله أمارة الحدوث، وأنّه لا يصلح أن يكون ربًّا، ثمّ في آخر أعظم منه، ثمّ في الشمس كذلك، فكأنّه يقول: فإذا بان في هذه المنيرات الرفيعة أنّها لا تصلح للربوبية، فأصنامكم التي هي خشب وحجارة أحرى أن يبين ذلك فيها »[2].

ويذكر الثعالبي أنّ الله خلق الشمس والقمر لعمل محدّد، وهو معرفة الزمن والجهة، رفقًا بالعباد، ورفعًا للالتباس في معايشهم، وغير ذلك ممّا يضطر فيه إلى معرفة التواريخ[3]، وهو ما يشير إليه تعالى بقوله: {**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**}[4].

ولمّا كان الإنسان يشعر بالضعف والحاجة إلى غيره، فإنّه- عندما يترك دينه- يركن إلى الأشياء التي يظنّ أنّ فيها نفعه أو ضرّه فيعبدها رغبًا أو رهبًا، ومن هنا اتّجه بعض هؤلاء المشركين إلى عبادة الكواكب، واتّجه الآخرون إلى عبادة الأصنام، ولو اتّبعوا ما شرعه الله تعالى لانتقلوا من الكواكب والأصنام إلى خالقها ؛ ولهذا ينهى تعالى عباده أن يسجدوا لغيره فيقول: {**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**}[5]، يشير الثعالبي إلى أنّ: « الله نهى عن السجود للشمس والقمر وإن كانت فيهما منافع للبشر، لأنّ النّفع منهما إنّما هو بتسخير الله إيّاهما، فهو الذي ينبغي أن يسجد له »[6].

---

(1) سورة الأنعام: 76، 78
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 640/1
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 225/2 -بتصرّف
(4) سورة يونس: 05
(5) سورة فصّلت: 37
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 126/4

ويمكننا القول بأنّ الثعالبي- من خلال الصفحات الماضية- قد هاجم الشرك من أغلب زواياه، وأثبت أنّ عبادة الأصنام والأوثان وغيرها غير قادرة على جلب النّفع أو دفع الضرّ، بل هي عاجزة عن نصر نفسها، فضلاً عن نصرة غيرها.

ولهذا اعتبر الشرك أعظم ذنب عصي الله به، فقد سئل النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « أيّ الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك ».[1] فالله وحده هو المستحقّ للعبادة و الطاعة دون غيره وما سواه فهو مفتقر إليه سبحانه وتعالى.

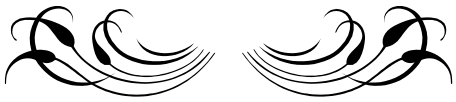

(1) الحديث أخرجه في كتاب: التفسير-باب: قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون 1626/4 برقم (4207) ؛ ومسلم في كتاب: الإيمان -باب: الشرك أقبح الذنوب 90/1 برقم (86)

الفصل الثاني
الصفات الإلهية والأسماء والحسنى

المبحث الأول
صـفـات الله تـعـالـى

المطلب الأول: أهمية مسألة الصفات وطريقة عرضها

تعتبر مسألة الصفات من أهمّ مسائل العقيدة الإسلامية التي دار حولها الخلاف، خاصّة بعد ترجمة كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي تسبّبت في ظهور الجدل بين المسلمين، وانقسامهم إلى فرق ومذاهب لها مبادئها وقواعدها ومناهجها، واشتدّ النزاع بينها في القضايا المتفرّعة عنها، كالخلاف في مسألة الكلام التي امتحن فيها العلماء كثيرًا أيّام الدولة العبّاسية.

وقبل الإطّلاع على موقف الثعالبي من الصفات وأقسامها، نرى أنّه من المناسب أن نستعرض-ولو بإيجاز- آراء أهمّ الفرق الإسلامية التي وقع النزاع بينها، ومن أبرزها : السلف، و الخلف (الأشاعرة)، و الجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة.

1 ـ آراء الفرق والمذاهب في المسألة

السلف: وقد أثبتوا الصفات لله تعالى من غير تشبيه أو تجسيم أو تعطيل..، كما قال تعالى:{**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**}(1). فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، وليس له فيها تشبيه، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنّه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الربّ وبصره، ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيه، إذ صفات المخلوق كما يليق به، وصفات الخالق كما يليق به.

وقد قسّموا الصفات الإلهية إلى قسمين(2):

صفات ذاتية: وهي التي لا تنفكّ عن الذّات المقدّسة كالحياة، والكلام..
صفات فعلية: وهي التي تتعلّق بالمشيئة والإرادة كالخلق، والرزق..

وكلّها صفات كمال لله تعالى، ومنها الصفات الخبرية، كالاستواء، والمجيء، والنزول والرضا..، ونحو ذلك، ممّا وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله، وإن كنّا لا ندرك كنهه وحقيقته، وإن كان أصل معناه معلوم لنا.

ثمّ إن كلاً من الصفات الذّاتية والفعلية: عقلية وخبرية، دلّ العقل على ثبوتها لله تعالى مع ورود السمع على ذلك، فهي عقلية شرعية ؛ إذ الكمال ثابت الله، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، حيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلاّ وهو ثابت للربّ تعالى، يستحقّه بنفسه المقدّسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي

---

(1) سورة الشورى: 11
(2) شرح العقيدة الطحاوية 60/1، 61، 84، 87، 96، 118، 206، 207

العجز ؛ وإنّ هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلّة العقلية والبراهين اليقينية مع دلالة السمع على ذلك[1].

وأمّا المثبتون للصفات من المتكلّمين، وهم الأشاعرة(الخلف)، فيقسّمونها إلى أربعة أقسام[2]، هي:

الصفة النفسية: والمراد بها: صفة ثبوتية يدلّ الوصف بها على نفس الذّات دون معنىً زائد عليها، وهي الوجود.

الصفات السلبية: وهي التي دلّت على سلب ما لا يليق به سبحانه وتعالى، وهي خمس: القدم، والبقاء، وقيامه بنفسه، ومخالفته للحوادث، والوحدانية.

صفات المعاني: وهي كلّ صفة يدلّ الوصف بها على معنىً زائد على الذّات، وهي سبع: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر.

الصفات المعنوية: والمراد بها الأحوال الواجبة للذّات ما دامت المعاني قائمة بالذّات، وهي كونه تعالى حيًّا، عالمًا، قادرًا، مريدًا، متكلّمًا، سميعًا، بصيرًا.

وأمّا الصفات الخبرية، فهم مختلفون فيها: فالمتقدّمون منهم سلكوا فيها مسلك السلف في آخر حياتهم[3]، والمتأخّرون[4] يؤوّلونها من باب التنزيه لله تعالى -على حدّ قولهم. وذلك لسببين، هما:

أ - إثباتها يقتضي التشبيه والتركيب.

ب -أنّ النصوص التي وردت في إثباتها دلالتها ظنّيّة، تعارض الأدلّة العقلية القطعية

الجهمية[5]**:** وهم يرون أنّه لا يجوز أن يوصف الله تعالى بوصف يمكن إطلاقه على غيره من المخلوقين. كشيء وموجود، وحيّ، وعالم، ومريد..، ونحو ذلك ؛

---

(1) مجموع الفتاوى 88/3 ؛ 172/6 ؛ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص: 89 شرح: محمد خليل هرّاس، الجامعة الإسلامية ط(8)، وشرح: د. صالح فوزان الفوزان، مكتبة المعارف-الرياض ط(4) 1407هـ ؛ مختصر الصواعق المرسلة لابن القيّم 296/2 اختصار: محمّد بن الموصلي، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1405هـ.

(2) جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني مع حاشيتها تحفة المريد لإبراهيم بن محمد البيجوري، ص: 54 دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ؛ شرح أمّ البراهين للشيخ محمد السنوسي ص: 25 مطبعة الاستقامة 1351 هـ ؛ حاشية الدسوقي على أمّ البراهين لمحمد الدسوقي ص: 93 مطبعة عيسى الحلبي -مصر ؛ الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ص: 308 تحقيق: عليّ سامي النشار وآخرين، منشأة المعارف الإسكندرية 1969م ؛ شرح المواقف 49/8

(3) التمهيد ص: 258 ؛ العقيدة النظامية للجويني ص: 32 تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ط(1) 1398هـ-1978م ؛ الإبانة ص: 43، 44

(4) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص: 28 الطبعة الأخيرة -مصطفى البابي الحلبي مصر 1385هـ ؛ شرح المقاصد 67/2، 110

(5) هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالجبر والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطلاعات كلّها، وزعم أنّ الجنّة والنّار تبيدان وتفنيان، وأنّ الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنّما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ؛ انظر: الفرق بين الفرق ص: 194 وما بعدها

ووصفوه تعالى بأنّه قادر، وموجد، وفاعل، وخالق، ومحيي، ومميت، لأنّ هذه الأوصاف مختصّة به[1].

المعتزلة: وهم ينفون صفات المعاني لله تعالى من الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة..، وأمّا ما أثبتوه لله تعالى بأنّه: قادر، عالم، حيّ..، فهم مختلفون في كيفية استحقاقه سبحانه لهذه الصفات:

فقد رأى الجبّائيّ [2] وأبو الهذيل[3] أنّ الله يستحقّ هذه الصفات لذاته، فهو سبحانه عالم لذاته، مريد لذاته..، وهكذا.

وأمّا أبو هاشم[4] فذهب إلى أنّ هذه الصفات أحوال وراء الذّات، فهو سبحانه عالم لذاته، مريد لذاته..، أي: ذو أحوال هي صفة معلومة وراء كونه ذاتًا موجودة، وهي صفات لا موجودة ولا معدومة.

وأبرز حجّتهم لإثبات رأيهم هي إنكار زيادة الصفات على الذّات الإلهية المقدّسة- أي: أنّها لو كانت زائدة على الذّات، فهي إمّا أن تكون حادثة، فيلزم منه قيام الحوادث بذاته تعالى، وإمّا أن تكون قديمة فيلزم تعدّد القدماء، وهو محال[5].

أمّا الخبرية فقد رأوا أنّ الأدلّة التي قامت بإثباتها ظنّيّة ومخالفة للأدلّة العقلية القطعية؛ كما يرون أنّ اتّصافه بهذه الصفات يؤدّي إلى التشبيه والتجسيم، فيجب تأويلها[6].

الفلاسفة: وهم متّفقون على نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى بحجّة أنّ اتّصافه بها يلزم منه التركيب، والله تعالى واحد، والمركّب يفتقر إلى غيره، فلا يكون واجبًا بنفسه ؛ وأمّا الصفات الواردة فيزعمون أنّها سلوب وإضافات دون صفات إثبات، فلا يستلزم الكثرة والتركيب، ويصفون الله تعالى بأنّه الموجود المطلق[7].

2 ـ موقف الثعالبي من الصفات:

---

(1) نفس المصدر السابق والصفحة ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص: 68 ؛ مقالات الإسلاميين279/1

(2) هو: محمّد بن عبد الوهّاب البصري، الجبّائي -نسبة إلى جبّى (قرية بالبصرة)، أبو عليّ. شيخ المعتزلة بها. انظر: شذرات الذهب 241/2

(3) هو: محمّد بن هذيل بن عبيد الله البصري، أبو الهذيل الشهير بالعلاف، شيخ المعتزلة. كان يقول بفناء النّار، توفّي سنة 235 هـ. انظر: شذرات الذهب 95/2 ؛ الفرق بين الفرق ص: 119 ؛ سير أعلام النبلاء 542/10

(4) هو: عبد السلام بن محمّد بن عبد الوهّاب البصري الجبّائي. كان ذكيًّا، حسن الفهم، ثاقب الفطنة، صانعًا للكلام، مقتدرًا عليه. من كتبه: الجامع الكبير، كتاب الإنسان، كتاب النقض على أرسطاطاليس في السكون والفساد، وغير هذا. توفّي سنة 321هجرية. انظر: العبر 12/2 ؛ الفهرست ص: 247

(5) شرح الأصول الخمسة ص: 182، 213

(6) نفس المصدر السابق ص: 226

(7) تهافت الفلاسفة ص: 172 ؛ تهافت التهافت لابن رشد 492/2 مطابع دار المعارف-مصر ط(2) 1969م.

وأمّا الثعالبي فقد أثبت الصفات الإلهية، حيث ذكر ما يدلّ على ثبوتها من النقل، مع بيان شبه الخصم، وإبطالها، وقد احتلّت صفات المعاني الصدارة على غيرها من الصفات، ومن الأهمّية بمكان أن نستعرضها مقتصرين على ما ذكره، ولو بإيجاز:

صفة العلم:

أثبت الثعالبي صفة العلم لله تعالى استنادا لآيات القرآن الكريم المتعلّقة بها، ومبطلاً في نفس الوقت زعم من يقول بأنّ علم الله حادث- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- لأنّ كون علمه حادثًا يدلّ على جهله في الماضي، وهذا نقص لا يليق بالله تعالى.

ففي تفسير قوله سبحانه: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}(1) يشير إلى أنّ: « قوله (ليعلم الله من يخافه بالغيب) بأنّ معناه: ليستمرّ علمه تعالى عليه، وهو موجود، إذ قد علم الله تعالى ذلك في الأزل وبالغيب »(2).

ومثل هذا قوله تعالى: {**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**}(3) ومعناه: «لنبيّن في الوجود ما علمناه أزلاً، لكن جرى القول على طريق الإيجاز والفصاحة والمجاز»(4).

وقوله تعالى: {**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى**}(5): « تقرير مضمنه التنبيه وجمع النفس النفس لتلقّي ما يورد عليها، وإلاّ فقد علم سبحانه ما هي في الأزل »(6).

فعلم الله سبحانه صفة أزلية له، تنكشف المعلومات عند تعلّقها بها انكشافا تامًّا، فلم يزل تعالى عالمًا بذاته وصفاته، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها، بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي لا بعلم لاحق يلزم منه جهل سابق- تعالى الله عن علوًّا كبيرًا- وهذا ما يوضّحه عند تفسير قوله ﷻ :{**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}(7) يشير إلى أنّ: « المراد بقوله(ولمّا يعلم الله..) أي: لمّا يعلم الله ذلك موجودًا كما علمه أزلاً بشرط الوجود، وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك »(8).

---

(1) سورة المائدة: 94
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 581/1
(3) سورة يونس: 14
(4) نفس المصدر السابق 230/2
(5) سورة طه: 17
(6) نفس المصدر السابق 42/3
(7) سورة التوبة: 16
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 159/2

ويبيّن رحمه الله بأنّ الأخبار من الله ﷻ لعباده على علم منه سبحانه بباطن أمرهم وظاهره، وإنّما يبتليهم ليظهر منهم سابق علمه فيهم، وهذا في تعقيبه على ابن عطية في حديثه عن الشفاعة أنّها غير نافعة للكفرة يوم القيامة(1)، وذلك عند تفسير قوله تعالى:{**وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**}(2).

ويقرّر أنّ العقيدة: « أنّ علمه سبحانه قديم، عامّ كلّ شيء قبل كونه، فجرى على قدره، لا يكون قول ولا عمل إلاّ وقد قضاه وسبق علمه به سبحانه، لا إله إلاّ هو »(3).

ومع هذا كلّه، فإنّ الشيخ لا يتأخّر في الردّ على المنكرين للصفات، حيث يبطل ادّعاءهم، فيردّ على المعتزلة القائلين بأنّ الله عالم بلا علم، وذلك عند تفسير قوله تعالى:{**لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**}(4)، فيوضّح بأنّ: « هذه الآية من أقوى متعلّقات أهل السنّة في إثبات علم ﷻ، خلافًا للمعتزلة في أنّهم يقولون عالم بلا علم، والمعنى عند أهل السنّة: أنزله وهو يعلم إنزاله ونزوله »(5).

كما يردّ على الفلاسفة القائلين بأنّ الله لا يعلم الجزئيّات -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا- لأنّ ذلك معناه نسبة الجهل له ببعض الأشياء، وهي صفة نقص لا تليق به تعالى، فيتّخذ من قوله جلّ وعلا: {**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ**}(6) نصًّا في دحض زعمهم بقوله: « وهذه الآية خبر عن علم الله تعالى بالأشياء على التفصيل، وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لأحد من المخلوقين »(7).

واعتبر قوله تعالى:{**وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}(8) : « عامّ عمومًا تامًّا في الجزئيّات ودقائق الموجودات، والقول بغير هذا إلحاد في الدين وكفر »(9).

و يشير إلى أنّ علم الله لا يتجزّء، حيث ينقل ما قاله الصفاقسي عند تفسير قوله تعالى:{**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**}(10) أي: « ولا يحيطون بشيء

---

(1) نفس المصدر السابق 131/1 -بتصرّف
(2) سورة البقرة: 123
(3) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(4) سورة النساء: 166
(5) نفس المصدر السابق 516/1
(6) سورة آل عمران: 05
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 291/1
(8) سورة المائدة: 97
(9) نفس المصدر السابق 585/1، 655
(10) سورة البقرة: 255

من معلوماته، لأنّ علم الله تعالى لا يتبعّض، ومعنى الآية: لا معلوم لأحد إلاّ ما شاء الله أن يعلمه »[1].

وهذا الذي قرّره الثعالبي في صفة العلم هو ما أجمع المسلمون عليه قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية[2] على أنّ لله علمًا لم يزل، وأنّه سابق في الأشياء، ولا يمنعون أن يقولوا كلّ حادثة تحدث، ونازلة تتنزّل: كلّ هذا سابق في علم الله، فمن جحد أنّ لله علمًا فقد خالف المسلمين، وخرج عن اتّفاقهم[3].

صفة الكلام:

أثبت الثعالبي صفة الكلام لله تعالى حقيقة، وأنّها صفة من صفاته الأزلية القائمة بذاته المقدّسة[4].

واستخدم في إثباتها عدّة طرق، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

الاعتماد على اللغة -القياس- (ونقصد قياس صفة على صفة أخرى لإثباتها)، مع الاستئناس بأقوال العلماء؛ وهذا الآن تفصيل ذلك:

الاعتماد على اللغة:

يرى رحمه الله أنّ القول (الكلام) هو ما أفاد المعنى القائم في النفس، وهو ما يشير إليه عند تفسير قوله تعالى:{**قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**}[5]، فيبيّن أنّ: « عبارة نوح عليه السلام كانت بلغته، دالة على المعنى القائم بنفسه ؛ وهو هذا المفهوم من هذه العبارة العربية، فبهذا استقام أن يقال: قال كذا وكذا، إذ القول: ما أفاد المعنى القائم بالنفس » [6].

قياسه صفة الكلام على وجوده تعالى، وعلى صفة العلم:

وهو ما نلاحظه عند تفسير قوله تعالى: {**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**}[7]، حيث يبيّن أنّ: « قوله (وكلّمه ربّه) بمعنى: أنّه خلق له إدراكًا سمع به الكلام القائم بالذّات، القديم، الذي هو صفة ذات ؛ وكلام الله سبحانه لا يشبه كلام المخلوقين، وليس في جهة من الجهات، كما هو موجود لا كالموجودات،

---

(1) نفس المصدر السابق 243/1 ؛ 512/4

(2) نسبة إلى حروراء (بفتحتين وسكون الواو وراء وألف ممدودة): قرية بظاهر الكوفة، اجتمع فيها الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فنسبوا إليها. انظر: الفرق بين الفرق ص: 80 ؛ الملل والنحل 85/1 ؛ معجم البلدان 245/2

(3) الإبانة ص: 114، 115

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 252/2 ؛ 144/4

(5) سورة هود: 28

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 274/2، 385

(7) سورة الأعراف: 143

ومعلوم لا كالمعلومات، كذلك كلامه لا يشبه الكلام الذي فيه علامات الحدوث » [1].

الاستئناس بأقوال العلماء:

اعتمد الشيخ في تأكيد رأيه على أقوال العلماء، وبشكل خاص على علماء الأشاعرة، أمثال الباقلاني، والجويني، وابن عطية، والرازي، والغزالي..، وغيرهم، وهو ما يؤكد انتسابه لمذهب الخلف.

فيستأنس بما ذكره عن الباقلاّني، والجويني عند تفسير قوله تعالى:{**الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**}[2]، يقول: « قال القاضي بن الطيّب، وأبو المعالي وغيرهما: إنّ الإنزال لم يتعلّق بالكلام القديم الذي هو صفة الذّات، لكن بالمعاني التي أفهمها الله تعالى جبريل عليه السلام من الكلام»[3].

و بما ذكره -عن ابن عطية- عند تفسير قوله تعالى: {**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**}[4] {**تَكْلِيمًا**}[4] أي: « وكلّم الله سبحانه موسى بكلام دون تكييف، ولا تحديد، ولا حرف، حرف، ولا صوت؛ والذي عليه الراسخون في العلم أنّ الكلام هو المعنى القائم في النفس، ويخلق الله لموسى إدراكًا من جهة السمع يتحصّل به الكلام، وكما أنّ الله تعالى موجود لا كالموجودات، معلوم لا كالمعلومات، فكذلك كلامه لا كالكلام » [5].
(5)

وفي تفسير قوله سبحانه:{**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**}[6]، يشير -نقلا عنه- بأنّ: « قول الله تعالى، وخطابه للملائكة متقرّر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم ؛ وهذا هو الباب كلّه في أوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته » [7] ؛ ثمّ يعقّب على كلامه بأنّ ما ذكره رحمه رحمه الله هو عقيدة أهل السنّة.

ويعضد رأيه بنقله من كلام الأئمّة ما يتبيّن به كلامه السابق، ويزيده وضوحًا:

فيورد ما قاله ابن رشد في بيان معنى قوله صلى الله عليه و سلم : « أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق»[8]: أنّه لا يفهم منه أنّ لله ✠ كلمات غير تامات، لأنّ كلماته هي قوله، وكلامه هو صفة من صفات ذاته، يستحيل عليها النقص، وفي

---

(1) نفس المصدر السابق 68/2
(2) سورة إبراهيم: 01
(3)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 375/2 ؛ الإرشاد ص: 58 ؛ التمهيد ص: 274، 275
(4) سورة النساء: 164
(5) التمهيد 516/1 ؛ المحرّر الوجيز 137/2
(6) سورة البقرة: 33
(7) المحرّر الوجيز 123/1
(8) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء -باب: في التعوّذ من سوء القضاء 2080/4 برقم (2708)

الحديث بيان واضح على أنّ كلماته ✞ غير مخلوقة، إذ لا يستعاذ بمخلوق، وهذا قول أهل السنّة.

والحقّ أنّ كلام الله ✞ صفة من صفات ذاته، قديم غير مخلوق، لأنّ الكلام هو المعنى القائم في النفس، والنطق عبارة عنه. قال الله تعالى:{**وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ**}(1)، فأخبر أنّ القول معنى يقوم في النفس؛ وتقول: في نفسي كلام أريد أن أعلمك به. فحقيقة كلام الرجل هو المفهوم من كلامه، وأمّا الذي تسمعه منه فهو عبارة عنه، وكذلك كلام الله ✞ القديم الذي هو صفة من صفات ذاته هو المفهوم من قراءة القارئ لا نفس قراءته التي تسمعها، لأنّ نفس قراءته التي تسمعها محدثة لم تكن حتّى قرأ بها فكانت، وهذا كلّه بيّن إلاّ من أعمى الله بصيرته »(2).

وقال الغزالي بعد كلام له نحو ما تقدّم لابن رشد: « وكما يعقل قيام طلب التعلّم وإرادته بذات الوالد قبل أن يخلق ولده، حتّى إذا خلق ولده وعقل، وخلق الله سبحانه له علمًا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورًا بذلك الطلب الذي دلّ عليه قوله ✞:{**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**}(3) بذات الله تعالى، ومصير موسى عليه السلام سامعًا لذلك الكلام مخاطبًا به بعد وجوده، إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب، ومعرفة بذلك الكلام القديم »(4) (5).

وفي تفسير قوله تعالى: {**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ**}(6) يشير نقلاً عن الرازي قوله أنّ: « هذه الآية تدلّ على إثبات كلام النفس » (7) (8).

كلمات الله تعالى غير متناهية:

يبيّن الثعالبي عند تفسير قوله تعالى: {**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**}(9) أنّ كلمات الله هي المعاني

---

(1) سورة المجادلة: 08
(2) البيان والتحصيل والشرح والتعليل في مسائل المستخرجة: أبي الوليد بن رشد القرطبي 605/17-606 وضمنه (المستخرجة من الأسمعة) المعروفة بالعتبية لمحمّد العتبي القرطبي، تحقيق: أ. محمّد العرايشي وأ. أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي ط(1) 1406هـ-1986م. ط(2) 1408هـ-1988م.
(3) سورة طه: 12
(4) إحياء علوم الدين 110/1
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 64/1، 65، 127
(6) سورة الأعراف: 205
(7) التفسير الكبير مج (8) ج 111/15
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 104/2
(9) سورة الكهف: 109

القائمة بالنفس، وهي المعلومات، ومعلومات الله ﷻ لا تتناهى، والبحر متناه ضرورة[1].

مسألة خلق القرآن:

ويتعلّق بصفة الكلام مسألة هامة وخطيرة أثارها الجهمية والمعتزلة قديمًا أيّام حكم العبّاسيين، حيث احتدم الصراع بينهم وبين أهل السنّة والجماعة، ألا وهي مسألة خلق القرآن. وقد ابتلي علماء السنّة ابتلاءً عظيمًا، فثبتوا على مبدأهم بصلابة، وعلى رأسهم إمام السنّة أحمد بن حنبل عليه رحمة الله.

فقد زعم المعتزلة ومن وافقهم على قولهم أنّ القرآن مخلوق محدث-تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا- إذ يصرّح القاضي عبد الجبّار بقوله: « وأمّا مذهبنا في ذلك فهو أنّ القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث » [2].

ومن الطبيعي أن يردّ الثعالبي على هذا الزعم الباطل، مقرّرًا بأنّ القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، إذ يشير إلى أنّ قوله سبحانه:{**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**}[3] معناه: « إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر سابق، وليست (خلقنا) في موضع الصفة لشيء، وهذا مذهب أهل السنّة، وهذا المعنى يقتضي أنّ كلّ شيء مخلوق إلاّ ما قام الدليل عليه أنّه ليس بمخلوق كالقرآن والصفات »[4].

واستخدم في إثبات أنّ القرآن كلام الله تعالى حقيقة غير مخلوق، دليل الاستقراء[5]، حيث تتبّع لفظة (الخلق)، وكيف وردت في مواضع القرآن الكريم، وذلك عند تفسير قوله ﷻ:{**الرَّحْمَانُ(1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2) خَلَقَ الْإِنسَانَ(3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**}[6]، فيبيّن أنّه من الدليل على أنّ القرآن غير مخلوق:« أنّ الله تعالى ذكر (القرآن) في كتابه في أربعة وخمسين-موضعًا، ما فيها موضع صرّح فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه؛ وذكر (الإنسان) على الثلث من ذلك في ثمانية عشر-موضعًا كلّها نصّت على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو »[7].

والشيخ بنفيه خلق القرآن وإثباته أنّه كلام الله حقيقة هو ما أجمع عليه أهل السنّة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف[8].

---

(1) نفس المصدر السابق 550/2 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 190/1
(2) شرح الأصول الخمسة ص: 528
(3) سورة القمر: 49
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 326/4، 327
(5) الاستقراء: هو أن ينظر الحكم في كثير من أفراد الحقيقة، فيوجد فيها على حالة واحدة، فيغلب على على الظنّ أنّه على تلك الحالة في جميع أفراد الحقيقة. انظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن الجزري ص: 59 -دراسة وتحقيق: د. محمّد علي فركوس، دار التراث الإسلامي-الجزائر ط(1) 1410هـ-1990م ؛ التعريفات ص: 18
(6) سورة الرحمان: 1-4
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 329/4
(8) شرح العقيدة الطحاوية 185/1 ؛ الإبانة ص: 72 ؛ التمهيد ص: 268

صفة القدرة:

وقد تحدّث عنها في مواضع معيّنة، منها تفسير قوله تعالى:{**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}(1): يشير إلى أنّ: « لفظه عامّ، ومعناه عند المتكلّمين: فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه؛ و(قدير) بمعنى: قادر، وفيه مبالغة، وخصّ هنا سبحانه صفته التي هي القدرة بالذكر، لأنّه قد تقدّم ذكر فعل مضمنه الوعيد »(2).

ويذكر أنّ قوله تعالى:{**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**}(3): « إعلام بأنّ الأمر فوق ما يتوهّم، وأنّ الخبر إنّما هو بعض المقدورات لا عن كلّها » (4).

وفي ضمن هذا الكلام ردّ على الفلاسفة الذين يزعمون أنّ الله لا يقدر على أكثر من واحد(5) ؛ فقدرته تعالى التي هي صفته الأزلية السرمدية تؤثّر في المقدورات عند تعلّقها بها، وهي نافذة على جميع الأشياء، لا يخرج عن قدرته شيء، لأنّ العجز عن البعض نقص وافتقار إلى مخصّص، وهو لا يليق بالله تعالى.

وهذا هوا لحقّ الذي أجمع عليه أهل السنّة، فإنّه لا يؤمن بأنّه ✝ ربّ كلّ شيء إلاّ من آمن أنّه قادر على كلّ شيء(6).

صفة الإرادة:

وهي من الصفات التي نالت عناية كبيرة، لما لها من علاقة وطيدة بمسألة القضاء والقدر.

وقد أثبتها الثعالبي، استنادًا إلى آيات القرآن الكريم، حيث بيّن أنّها صفة ذات لله تعالى(7)، قديمة، أزلية وليست بحادثة.

وهي نوعان(8):إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية.

فالإرادة القدرية الكونية الخلقية: هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، كقوله تعالى:{**فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**}(9).

---

(1) سورة البقرة: 20
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 53/1
(3) سورة المدثر: 31
(4) نفس المصدر السابق 512/4 -بتصرّف
(5) المواقف ص: 283
(6) شرح العقيدة الطحاوية 117/1 ؛ الإبانة ص: 113 ؛ التمهيد ص: 48، 49 ؛ الملل والنحل 68/1
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 535/1
(8) شرح العقيدة الطحاوية 79/1، 80
(9) سورة الأنعام: 125

وأمّا الإرادة الدينية الأمرية الشرعية: فهي المتضمّنة للمحبّة والرضا، كقوله تعالى: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**}(1).

وهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول النّاس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبّه الله ولا يرضاه ولا يأمر به ؛ بخلاف الإرادة الكونية المذكورة في قولهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فالله تعالى وإن أراد الكفر قدرًا إلاّ أنّه لا يحبّه شرعًا، يقول تعالى: {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(31)قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**}(2): يوضّح الثعالبي أنّ: أنّ: « المحبّة إرادة يقترن بها إقبال من النفس، وميل بالمعتقد، وقد تكون الإرادة المجرّدة فيما يكره المريد، والله يريد وقوع الكفر ولا يحبّه، ومحبّة العبد لله تعالى يلزم عنها ولابدّ أن يطيعه، ومحبّة الله تعالى أمارتها للمتأمّل أن يرى العبد مهديًّا مسدّدًا، ذا قبول في الأرض، فلطف الله تعالى بالعبد ورحمته إيّاه هي ثمرة محبّته، وبهذا يفسّر لفظ المحبّة حيث وقع من كتاب الله ✠ »(3).

وفي هذا السياق نفسه، يبيّن رحمه الله أنّ الله لا يحبّ الفساد شرعًا وإن شاءه قدرًا، وذلك عند تفسير قوله سبحانه: {**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ**}(4)، يشير -نقلاً عن ابن عطية- إلى أنّ: « قوله(ولا يحبّ الفساد) معناه: لا يحبّه من أهل الصلاح، أو لا يحبّه دينًا ؛ وإلاّ فلا يقع إلاّ ما يحبّ الله وقوعه، والفساد واقع، وهذا على ما ذهب المتكلّمون من أنّ الحبّ بمعنى الإرادة». قال: « والحبّ له على الإرادة مزيّة إيثار، إذ الحبّ من الله تعالى إنّما هو لما حسن من جميع جهاته »(5) (6).

وفي بيان قوله سبحانه: {**وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلاَمَ دِينًا**}(7) يذكر بأنّ: « الرضا في هذا الموضوع يحتمل أن يكون بمعنى الإرادة، ويحتمل أن يكون صفة فعل: عبارة عن إظهار الله إيّاه، لأنّ الرضا من الصفات المتردّدة بين صفات الذّات وصفات الأفعال، والله تعالى قد أراد لنا الإسلام ورضيه لنا، وثمّ أشياء يريد الله وقوعها ولا يرضاها » (8).

---

(1) سورة البقرة: 185
(2) سورة آل عمران: 31، 32
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 310/1
(4) سورة البقرة: 205
(5) المحرّر الوجيز 280/1-281
(6) نفس المصدر السابق 195/1
(7) سورة المائدة: 03
(8) نفس المصدر السابق 529/1

وهكذا الأمر في قوله تعالى:{**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرضا لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**}(1) : يبيّن اختلاف المفسّرين من أهل السنّة في تأويل قوله(ولا يرضا لعباده الكفر):

فقالت فرقة: الرضا بمعنى الإرادة، والكلام ظاهره العموم، ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالإيمان وحتّمه له، فعباده على هذا ملائكته، ومؤمنو الإنس والجنّ .

وقالت فرقة: الكلام عموم صحيح، والكفر يقع ممّن يقع بإرادة الله تعالى إلاّ أنّه بعد وقوعه لا يرضاه دينًا لهم، ومعنى (لا يرضاه):لا يشكره لهم، ولا يثيبهم به خيرًا. فالرضا على هذا هو صفة فعل، بمعنى: القبول ونحوه ؛ وتأمّل الإرادة، فإنّما هي حقيقة فيما لم يقع بعد، والرضا فإنّما هو حقيقة فيما قد وقع ؛ واعتبر هذا في آيات القرآن تجده، وإن كانت العرب قد تستعمل في أشعارها على جهة التجوّز هذا بدل هذا »(2).

وفي تفسير قوله تعالى:{**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**}(3): يذكر ما قاله ابن عطية-أنّ اللفظ عموم في جميع أمور الدين، يفسّره قول النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « دين الله يسر »(4).

ويعضده بما قاله ابن الفاكهاني في (شرح الأربعين للنووي)(5) : « فإن قلت: قوله تعالى {**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**}(6) يدلّ على نفي العسر قطعًا، لأنّ ما لا يريده تعالى لا يكون بإجماع أهل السنّة ؟ قلت: العسر المنفي غير المثبت، فالمنفي إنّما هو العسر في الأحكام، فلا تعارض »(7).

كما لم يغفل عن مناقشة القدرية القائلين بخلق أفعال العباد، فينقض زعمهم، موضّحًا أنّ الكافر هو الذي أراد الكفر ولا دخل لإرادة الله سبحانه فيه، فالله أراد الكفر كونًا وقدرًا، ولكن لا يحبّه ولا يرضا به شرعًا، يقول الله تعالى:{**فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**}(8) ؛يصرّح الثعالبي أنّ : « الآية نصّ في أنّ الله يريد هدي المؤمن وضلال الكافر، وهذا عند جميع أهل السنّة بالإرادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى؛ و(الهدي) هنا هو

---

(1) سورة الزمر: 07
(2) نفس المصدر السابق 69/4، 70
(3) سورة البقرة: 185
(4) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: 23/1 برقم (39)
(5)لم أقف على هذا الكتاب
(6) سورة الشرح: 06
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 172/1
(8) سورة الأنعام: 125

خلق الإيمان في القلب، و(شرح الصدر) هو تسهيل الإيمان وتحبيبه وإعداد القلب له وتحصيله، و(الصدر) عبارة عن القلب، وفي(يشرح) ضمير يعود على اسم الله ✝، يعضده اللفظ والمعنى، ولا يحتمل غيره ؛ والقول بأنّه عائد على المهدي قول يتركّب عليه مذهب القدرية في خلق الأعمال، ويجب أن يعتقد ضعفه والحذر منه. وكما كان الهدي كلّه من الله، والضلال بإرادته تعالى ومشيئته(كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون}[1].

فالثعالبي بهذا يكون قد وافق ما قرّره أهل السنّة والجماعة من أنّ إرادة الله صفة ذات له أزلية قديمة، وأنّه وإن كان يريد المعاصي وغيرها قدرًا، فهو لا يحبّها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة[2] .وفي هذا يقول أبو الحسن الأشعري في معرض الرد على المعتزلة المعتزلة في زعمهم أنّ الكفر ليس من إرادة الله تعالى ؟

يقال لهم: « إذا زعمتم أنّه قد كان في سلطان الله ✝ الكفر والعصيان وهو لا يريده، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون، فلم يؤمنوا فقد وجب على قولكم أنّ أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان، لأنّ الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه عندكم أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أنّ ما شاء الله أن يكون كان، وما لا يشاء لا يكون »[3].

المطلب الثاني: الصفات الخبرية

ممّا لا شك فيه أنّ المسلمين يتفقون جميعا على توحيد الله تعالى، ولكنهم يختلفون فيما بينهم -كفرق إسلامية- من ناحية المنهج والتطبيق أي: من حيث استخدّام العقل ومدى صلته بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله ❐، والذي يعنينا هنا هو مسألة الصفات الخبرية وعلاقتها بالذات المقدّسة.

وقبل أن نوضّح موقف الثعالبي من الصفات الخبرية، يستحسن أن نعرّج أوّلاً على موقف السلف- ثمّ موقف الخلف منها، ونقصد الأشاعرة للاطّلاع بعد ذلك:هل أخذ الشيخ بالمذهب الأوّل أم بالمذهب الثاني؟

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 665/1، 666

(2) شرح العقيدة الطحاوية 79/1

(3) الإبانة ص: 123 ؛ التمهيد ص: 317، 323 ؛ الملل والنحل 68/1

1 ـ موقف السلف والخلف من المسألة:

1. جمهور أهل السنّة من السلف وأهل الحديث على إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل[1]؛ أخرج اللالكائي[2] عن أم سلمة[3] -رضي الله عنها- في بيان قوله تعالى: {**الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**}[4] قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان والجحود به كفر »[5]، وأخرج أيضا عن ربيعة[6] أنه سئل عن قوله تعالى: {**الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**}[7] فقال: « الإيمان غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق »[8]

وأخرج أيضًا عن مالك أنه سئل عن الآية، فقال: « الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة »[9].

2. وذهبت طائفة من أهل السنة إلى أنّنا نؤوّلها على ما يليق بجلال الله تعالى، وهذا هو مذهب الخلف، ونعني بهم الأشاعرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الأشاعرة قد انقسموا في هذه القضية إلى قسمين:

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير 178/3 ؛ 66/4 ؛ تفسير البغوي (معالم التنزيل) لأبي الحسين البغوي 196/2 تحقيق: خالد عبد الرحمان العكّ، ومروان سوار، دار المعرفة-بيروت ط(2) 1407هـ-1987م ؛ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرّب عز وجل لابن خزيمة ص: 10، 11 تحقيق: عبد العزيز الشهوان، دار الرشد-الرياض ط(1) 1408هـ ؛ ذمّ التأويل لابن قدامة المقدسي ص: 18 تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية-الكويت 1406هـ ؛ مجموع فتاوى ابن تيمية 409/16

(2) هو: هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي، أبو القاسم، الحافظ المجوّد، توفي سنة 418 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 419/17

(3) هي: هند بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية/ أم سلمة، أمّ المؤمنين، تزوّجها النبي-صلى الله عليه وسلّم-سنة أربع، وعاشت بعد ذلك ستين سنة، ماتت بعد سنة (62 هـ) انظر: تقريب التهذيب ص: 671 برقم(8694) ؛ الاستيعاب 1920/4 ؛ الإصابة 221/8

(4) سورة طه: 04

(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي مج(2) 397/3 تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع 1402هـ.

(6) هو: ربيعة بن أبي عبد الرحمان، التّيْمِي، مولاهم، أبو عثمان المدني، المعروف بربيعة الرأي، ثقة، فقيه مشهور، مات سنة 136 هـ انظر: تقريب التهذيب ص: 147 مترجم برقم(1911) ؛ تذكرة الحفاظ 157/1 ؛ سير أعلام النبلاء 89/6

(7) سورة طه: 04

(8) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة مج(2) 398/3

(9)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة مج(2) 398/3

الأوّل: المتقدمون منهم: أمثال الإمام الأشعري والباقلاني والجويني..، في أواخر أيّامهم قد رجعوا عن مبدأ التأويل، وأخذوا بمذهب السلف عليهم رحمة الله وهو: الإيمان بها دون التعرّض للكيفية، وبتعبير أدقّ: إمرارها كما جاءت دون تكييف أو تعطيل أو تأويل أو تشبيه، وفي ذلك يقول أبو الحسن الأشعري: « قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا ﷻ وبسنّة نبيّنا صلى الله عليه و سلم وما رُوِيَ عن السادة: الصحابة والتابعين وأئمّة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل[1] -نضّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون ... إلى أن يقول - « وأنّ الله استوى على عرشه كما قال: {**الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**}[2]، وأنّ له وجها بلا كيف كما قال: {**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**}[3].. »[4].

الثاني: المتأخرون منهم: وقد أخذوا بمبدأ التأويل، فأوّلوا آيات الصفات على ما يليق بجلال الله تعالى-على حدّ قولهم- لأنّها تفيد التشبيه، أي: تشبيه الله بخلقه، وذلك نقص لا يليق به تعالى.

وفي هذا يقول البغدادي[5]: « والصحيح عندنا أنّ وجهه ذاته، وعَيْنُه رؤيته للأشياء، وقوله: {**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**}[6] معناه: ويبقى ربّك، ولذلك قال (ذو الجلال والإكرام) بالرفع، لأنّه نعت الوجه، ولو أراد الإضافة لقال: ذي الجلال والإكرام بالخفض، وقوله: {**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**}[7] أي: على رؤية منّي كما قال: {**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**}[8] [9].

---

(1) هو: أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، أبو عبد الله، إمام أهل السّنة وإليه ينسب في الفقه طائفة من المسلمين، ولد سنة 164 هـ ببغداد، صنّف كتابه المسند، ودُعِي إلى القول بخلق القرآن فلم يجب، فَضُرِبَ وحُبِسَ وهو مصر على الإمتناع، توفي سنة 241 هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 23 مترجم برقم(96) ؛ الطبقات الكبرى لابن سعد 354/7 دار صادر- بيروت؛ التاريخ الكبير25/2

(2) سورة طه: 04

(3) سورة الرحمان: 27

(4) الإبانة عن أصول الديانة ص: 43، 44

(5) هو: هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي البغدادي الشافعي، أبو منصور: فقيه، أصولي، متكلم، أديب، من تآليفه: الفرق بين الفرق، كتاب أصول الدين، توفي سنة 429 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 128/11، وفيات الأعيان 375/1؛ البداية والنهاية 44/12 ؛ معجم المؤلفين 201/2 برقم (7613).

(6) سورة الرحمان: 27

(7) سورة طه: 39

(8) سورة طه: 46

(9) انظر: كتاب: أصول الدين ص: 110 -دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ط(03) 1401 هـ - 1981م

2 ـ موقف الثعالبي من الصفات الخبرية

وحتى نتبيّن موقف الثعالبي من الصفات الخبرية، يجدر بنا أن نعرّج على بيان حقيقة المحكم والمتشابه، وكذا بيان معنى التأويل، لأنّ لهذه المسائل علاقة وطيدة بمسألة تأويل الصفات أو عدمها.

ينطلق الشيخ في هذه القضية من قوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**}(1)

فيبدأ في تفسير معنى الآية ببيان معنى المحكمات والمتشابهات من آيات القرآن الكريم، فيقول:

المحكمات: المفصّلات المبيّنات(2) الثابتات الأحكام.

والمتشابهات: هي التي تحتاج إلى نظر وتأويل، ويظهر فيها ببادئ النّظر: إمّا تعارض مع أخرى، وإمّا مع معقول..، إلى غير ذلك من أنواع التشابه(3).

كما ذكر تعريفا آخر لهما، وهو أنّ: **المحكم**: المتّضح المعنى نصًّا(4) كان أو ظاهرًا(5).

والمتشابه: مقابله، أي: غير المتّضح المعنى: إمّا للاشتراك(6)، مثل:{**ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ**}(7)، أو للإجمال(1)، مثل:{**الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**}(2)، وما ظاهره التّشبيه،

المواقف ص: 272 ؛ الإرشاد ص: 67 وما بعدها

(1) سورة آل عمران: 07

(2) المبيّن: هو اللّفظ الدّال على المراد بخطاب لا يستقلّ بنفسه في الدلالة على المراد؛ وقيل: " ما يحتاج إلى البيان ". انظر: المحصول من علم الأصول للرازي 461/1 دار الكتب العلمية-بيروت لبنان ط(1) 1408هـ-1988م ؛ التحصيل من المحصول للأرموي 411/1 دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمان عليّ أبو زيد، مؤسسة الرسالة-بيروت 1308هـ-1988م.

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 292/1

(4) النّصّ، هو: « ما دلّ على المعنى دلالة قطعية ". انظر: أصول السرخسي لأبي سهل السرخسي 164/1 تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة-بيروت (د. ت. ط) ؛ المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي للدريني ص: 144 مؤسسة الرسالة-بيروت ط(3) 1418هـ-1997م.

(5) الظّاهر، هو: « ما احتمل معنيين أحدهما أظهر من الآخر، يتبادر معناه اللغوي إلى العقل دون الحاجة إلى دليل خارجي في فهمه » انظر: التحصيل من المحصول 411/1 ؛الكلّيات ص: 846 ؛ أصول السرخسي 163/1 ؛ المناهج الأصولية ص: 62.

(6) المشترك: " هو اللفظ الموضوع للدّلالة على معنيّين فأكثر " انظر: أصول السرخسي 126/1 ؛ الكليات ص: 846 ؛ أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي 283/1 دار الفكر المعاصر-بيروت لبنان، دار الفكر-دمشق سورية، إصدار 1416هـ-1996م.

(7) سورة البقرة: 228

مثل: {**مِنْ رُوحِي**}[3]، و{**أَيْدِينَا**}[4] و{**بِيَدَيّ**}[5] و{**بِيَمِينِهِ**}[6] و{**يَسْتَهْزِئُ**}[7] و{**مَكْرَ اللَّهِ**}[8].. ونحوه[9].

فهذا الشبه الذي من أجله توصف بمتشابهات إنّما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنّها أهل الزيغ، ومن لم ينعم النّظر، وهذا نحو الحديث الصحيح عن النّبيّ ﷺ: « الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات.. »[10] ؛ أي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبه عند من لم ينعم النّظر شيئًا حلالاً، وكذلك الآية تكون لها في نفسها معنى صحيح، فيشبه عند من لم ينعم النّظر، أو عند الزّائغ معنى آخر فاسدًا، فربّما أراد الاعتراض به على كتاب الله، يقول: « هذا عندي معنى الإحكام والتّشابه في هذه الآية »[11].

---

(1) المجمل: « هو اللفظ الذي خفي المراد منه بنفس اللّفظ خفاء لا يدرك إلاّ ببيان من التكلم به »، انظر: الكليات ص: 846 ؛ أصول الفقه 340/1 ؛ المناهج الأصولية ص: 108

(2) سورة البقرة: 237

(3) سورة الحجر: 29 ؛ سورة ص: 72

(4) سورة مريم: 64 ؛ سورة يس: 71

(5) سورة ص: 75

(6) سورة الإسراء: 71 ؛ سورة الزّمر: 67 ؛ سورة الحاقة: 19 ؛ سورة الانشقاق: 70

(7) سورة البقرة: 15

(8) سورة الأعراف: 99

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 293/1 ـ بتصرّف

(10) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في: كتاب الإيمان ـ باب: فضل من استبرأ لدينه، 28/1 برقم (52) من طريق النعمان بن بشير رضي الله عنه ؛ ومسلم في كتاب: المساقات 1219/3 برقم (1599)

(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 292/1 ؛ و**المحكم لغة:** المتقن، وسورة محكمة: أي غير منسوخة، والآيات المحكمات: التي أحكمت فلا يحتاج سامعها إلى تأويلها لبيانها كأقاصيص الأنبياء ؛ فالمحكم: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللّفظ ولا من حيث المعنى. انظر: القاموس المحيط 99/4، 100 فصل الحاء-باب الميم مادة(الحكم) أساس البلاغة ص: 91 ؛ الكلّيات ص: 845 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 126، 127 **والمتشابه لغة**: هو المتماثل، والشّبهة: هو أن لايتميّز أحد الشّيئين من الآخر لما بينهما من التّشابه عَيْنًا كان أو معنًى؛ فالمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللّفظ أو من حيث المعنى. انظر: الكلّيات ص: 538 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 260
واصلاحا: المحكم هو: ما عرف المراد منه إما لظهوره أو لأنّ تأويله لا يحتمل إلاّ وجهًا واحدًا ؛ والمتشابه هو: ما خفى معناه المراد منه من ذات اللّفظ خفاءً لا يسع العقل البشري إدراكه في الدّنيا، لعدم وجود قرينة تدلّ عليه ولم يصدر من الشّارع بيان له، أو لا يدركه إلاّ الرّاسخون في العلم ؛ انظر: الإتقان 02/2، 03 ؛ تفسير الطبري 3/ 172 وما بعدها ؛ وتفسير ابن كثير 05/2 والكلّيات ص: 845، 846 ؛ المناهج الأصولية ص: 137

ويستأنس في هذا السياق -نقلا عن ابن عطية- بما قاله محمّد بن جعفر بن الزبير أنّ: المحكمات هي: التي فيهنّ حجّة الرّب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عمّا وضعن عليه.

والمتشابهات: لها تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد »[1].

وقوع التشابه في الشرع فعلا:

ويواصل حديثه عن وقوع التشابه في الشرع فعلاً، وأنّه ممّا لا ينازع فيه، وأنّه بالنسبة إلى المحكم قليل، فيرى أنّ الآيات المحكمات { **هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**}[2] أي: معظمه وعمدة ما فيه، إذ المحكم في آيات الله كثير، قد فُصِّل ولم يفرّط في شيء منه..، فجميع المحكم هو أمّ الكتاب.

ومعنى الآية: الإنحاء على أهل الزيغ والذمّة لهم والإشارة بذلك أوّلاً إلى نصارى نجران، وإلى اليهود الذين كانوا معاصرين لمحمّد صلى الله عليه و سلم فإنّهم كانوا يعترضون معاني القرآن، ثمّ يعمّ بعد ذلك كلّ زائغ، فذكر تعالى أنّه نزّل الكتاب على نبيّه محمّد صلى الله عليه و سلم أفضالاً مِنْهُ ونِعْمَةً، وأنّ مُحْكَمُهُ وبيّنَهُ الذي لا اعتراض فيه هو معظمه والغالب فيه، وأنّ مَشابهه الذي يحتمل التأويل ويحتاج إلى التفهّم هو أقلّه، ثمّ إنّ أهل الزيغ يتركون المحكم الذي فيه غنيتهم، ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وأن يفسدوا ذات البَيْن، ويردّوا النّاس عن دينهم[3].

منشأ اختلاف العلماء في المتشابه من القرآن:

ثمّ يعرّج الثعالبي إلى بيان منشأ اختلاف العلماء في المتشابه من القرآن، أي: هل هو ممّا يمكن الإطّلاع على علمه أو ممّا لا يعلمه إلاّ الله تعالى؟

فيذكر بأنّ قوله تعالى: {**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ**}[4] أي: وما يعلم تأويله على الكمال إلاّ الله سبحانه، ثم يتطرّق إلى الاختلاف الحاصل بين العلماء في الوقف على قوله ✞: {**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**}[5] وانقسامهم إلى فريقين:

1. فرأت فرقة: أنّ رفع الراسخين هو بالعطف على اسم الله ✞ وأنّه مع علمهم بالتشابه (يقولون آمنا به)، معتبرة أنّ هذا هو الظاهر، ومحتجّة بأنّ الخطاب بما لا يفهم بعيد »[1].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 292/1 - بتصرف ؛ المحرّر الوجيز 401/1
(2) سورة آل عمران: 07
(3)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 293/1 -بتصرف
(4) سورة آل عمران: 07
(5) سورة آل عمران: 07

2. وقالت طائفة أخرى: (والراسخون) رُفِعَ بالابتداء، وهو مقطوع من الكلام الأوّل، وخبره (يقولون)، والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده، وهو المروي عن الجماعة، منهم: ابن عبّاس[2]، وابن عمر[3]، وابن مسعود[4]، ومالك، وغيرهم واحتجّوا بأدلة، منها قراءة أبيّ بن كعب[5]: «وما يعلم تأويله إلاّالله ويقول الراسخون في العلم آمنا به »[6].

ولم يكتف الثعالبي بهذا القدر، بل أردفه بما قاله ابن عطية في هذه المسألة التي إذا تؤمّلت قرب الخلاف فيها من الاتفاق -حسب رأيه- وذلك: أنّ الله تعالى قسّم آي الكتاب إلى قسمين: محكمًا ومتشابهًا:

فالمحكم هو: المتّضح المعنى لكلّ من يفهم كلام العرب، لا يحتاج فيه إلى نظر، ولا يتعلّق به شيء يلبس، ويستوي في علمه الراسخُ وغيره.

والمتشابه على نوعين:

الأوّل: منه ما لا يعلم البتّة، كأمر الروح، وآماد المغيبات التي قد أعلم الله بوقوعها إلى سائر ذلك.

الثاني: ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناحٍ في كلام العرب، فيتأوّل ويُعْلَمُ تأويله، ولا يسمّى أحدٌ راسخًا إلاّ أن يعلم من هذا النوع كثيرًا بحسب ما قدّر له.

فمن قال: إنّ الراسخين يعلمون تأويل المتشابه، فمراده النّوع الثاني الذي ذكرناه، ومن قال: إنّ الراسخين لا يعلمون تأويله فمراده النّوع الأوّل كأمر الروح ووقت الساعة... »[7].

---

(1) وهذا اختيار ابن قتيبة كما في تأويل مشكل القرآن ص: 72 تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية-مصر (د. ت. ط) ؛ وبه أخذ أبو سليمان الدمشقي كما نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير 354/1، وعزاه القرطبي في تفسيره 17/1 إلى محمّد بن جعفر بن الزبير وغيره

(2) هو: عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم - ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبّيّ -صلّى الله عليه وسلّم - بالفهم في القرآن، فكان يسمّى الحِبْر، لِسِمَةِ علمه، مات سنة 68 هـ بالطائف انظر: تقريب التهذيب ص: 251 مترجم برقم (3409). الإصابة 141/4 ؛ الاستيعاب 935/3 ؛ الجرح والتعديل 116/5

(3) هو: عبد الله بن عمر بن الخطّاب العَدَوي، أبو عبد الرحمان، ولد بعد المبعث بيسير، واسْتُصْغِرَ يوم أحد، وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأشدّ النّاس اتّباعًا للأثر، مات سنة 73 هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 256، 257 مترجم برقم(3490)؛ التاريخ الكبير 2/5 ؛ تذكرة الحفاظ 37/1 ؛ تهذيب الكمال 332/15

(4) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمان، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، أمّره عمر على الكوفة، ومات سنة 32 هـ بالمدينة. انظر: تقريب التهذيب ص: 256 مترجم برقم(3613) ؛ سير أعلام النبلاء 461/1 ؛ الاستيعاب 987/3 ؛ الإصابة 233/4

(5) هو: أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن معاوية بن عَمرو بن مالك بن النّجّار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، سيّد القرّاء، ومن فضلاء الصحابة اختلف في سنة وفاته فقيل: 19 هـ وقيل غير ذلك. انظر: تقريب التهذيب ص: 36 برقم(283) ؛ سير أعلام النبلاء 389/1، 400 ؛ الإصابة 28/1 ؛ طبقات المحدثين 19/1

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 293/1

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 294/1، 295 ؛ المحرّر الوجيز 403/1

إنّ كلام الثعالبي السابق عن معنى المحكم والمتشابه من حيث التعريف الاصطلاحي لهما مبني أساسًا على موقفه من مسألة التأويل، وبتتّبعنا لتفسيره أمكننا الوقوف على معنيين لهذه اللفظة، أشار إليهما وهما:

1. التأويل: بمعنى المرجع والمآل والعاقبة:

وهذا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: {**وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**}(1) حيث يصّرح بأنّ التأويل: هو مردّ الكلام ومرجعه، والشيء الذي يقف عليه من المعاني، وهو من آل يؤول: إذا رجع، فالمعنى: وطلب تأويله على منازعهم الفاسدة، وهذا في ما له تأويل حسن، وإن كان ممّا لا يتأوّل، بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه..، فنفس طلب تأويله هو اتّباع ما تشابه »(2).

ومثل هذا قوله تعالى: {**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ**}(3) أي: مآله وعاقبته يوم القيامة، القيامة، وقيل: مآله في الدنيا وقعة بدر وغيرها..، فالتأويل على هذا من آل يؤول »(4)، وكذلك قوله سبحانه: {**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**}(5) يقول: وتأويلاً: معناه مآلاً، وقيل: أحسن عاقبة.. »(6).

2. التأويل بمعنى التفسير والبيان:

وهذا ما يمكن تلمّسه من تفسيره لقوله سبحانه: {**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**}(7) أي: تفسيره وبيانه، والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنّه مفترى »(8)

ومن ذلك العبارة المتداولة بين العلماء « وهذا المختار عند أهل التأويل »(9) أي: أي: أهل التفسير(10).

---

(1) سورة آل عمران: 07
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 294/1
(3) سورة الأعراف: 53
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 32/2، 322، 239، 349
(5) سورة النساء: 59
(6) نفس المصدر السابق 458/1
(7) سورة يونس: 39
(8) نفس الصدر السابق 239/2
(9) نفس المصدر السابق 307/2، 350
(10) وهذين المعنيين المستخلصين من تفسير الثعالبي هما نفس ما قرّرته معاجم اللغة، وتفصيل ذلك أن يقال:
أ. التأويل بمعنى: المرجع والمصير والعاقبة، تقول: آل يؤول أوْلاً: إذا رجع وآل الرجل: أهله وأتباعه وأولياؤه، يعني: مَنْ آلَ إليه بدين أو مذهب أو نسب. فالتأويل: مأخوذ من الأول وهو الرجوع إلى

من خلال هذا العرض السابق لكلّ من معنى المحكم والمتشابه وكذا مسألة التأويل، يظهر لنا أنّ الثعالبي يأخذ بمذهب الخلف، ونقصد بهم متأخّري الأشاعرة الذين أثبتوا بعض الصفات، وأوّلوا باقيها تنزيهًا لله تعالى عمّا لا يليق -على حدّ قولهم- وقد رأينا أنّ موقفه هذا لم يكن تلقائيًا بل كان مبنيًا على مقدّمات أوّلية، فبيّن معنى المحكم في آيات القرآن الكريم والمتشابه منها، ثمّ بعد ذلك حدّد موقفه بوضوح في مسألة تأويل الصفات.

3 ـ نماذج لموقفه من آيات الصفات

وهذه الآن نماذج من ثنايا تفسيره تبيّن وتؤكّد في نفس الوقت موقفه بوضوح من تأويل آيات الصفات (الخبرية) وهي كالآتي:

الأصل، ومنه المَوْئل: للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علمًا كان أو فعلاً انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 27 ؛ لسان العرب لابن منظور 11/32-40 مادة (أول) القاموس المحيط 341/3 فصل الهمزة-باب اللام- مادة (آل).

ب. التأويل بمعنى: التفسير والبيان، تقول: أوّل الكلام تأويلاً وتأوّله: دبّره وقدّره وفسّره. قال الجوهري: التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء " انظر: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري 1627/4 تحقيق: أمحمد عبد الغفور عطار ط(2) 1402هـ؛ القاموس المحيط 341/3 فصل الهمزة-باب اللام-مادة (آل).

وأمّا التأويل في اصطلاح العلماء فهو على التفصيل الآتي:

=

= **عند السلف وله معنيان:**

الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وهو نوعان: =

- **الإنشاء**: فتأويل الأمر هو نفس الفعل المأمور به، كما قالت عائشة -رضي الله عنها- كان الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- يقول في ركوعه وسجوده: « سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي » يتأوّل القرآن تعني قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} سورة النصر: 3. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن -سورة النصر 1901/4 برقم (4684) ومسلم في كتاب الصلاة -باب: ما يقال في الركوع والسجود 350/1 برقم (484)
- **الإخبار:** فتأويله عين الأمر المجبر به إذا وقع، وهذا يشتمل على إخبار الله عن الأمور الغيبية كاليوم الآخر، والجنّة والنّر. . إلخ، انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 277/13 ؛ مختصر الصواعق لابن القيم 12/1 =

= **الثاني**: التفسير والبيان، وذلك في اصطلاح كثير من المفسّرين كابن جرير الطبري ونحوه، وأهل الحديث والفقه. انظر: شرح العقيدة الطحاوية 252/1، 254 ؛ تفسير الطبري 184/3 مجموع الفتاوى 55/3 ؛ 35/5، 36

بينما عند الخلف هو: « صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع على أنّ ظاهره محال » انظر: أساس التقديس ص: 222، وقريب منه تعريف ابن الجوزي في غريب الحديث 37/1 ؛ ثمّ انتشر هذا المعنى الثالث للتأويل انتشارًا عجيبًا، خاصة في كتب الفقه وعلم الكلام، فصار إذا ذكر التأويل انصرفت الأذهان إليه دون المعنيين الأصليين ؛ والثعالبي -رحمه الله- وإن لم يذكر هذا التعريف في تفسيره، فإنّه في حقيقة الأمر قد عمل به تطبيقًا كما سنراه في النماذج التوضيحية لموقفه من تأويل الصفات. وللإشارة فإنّ علماء الأصول قد تواضعوا على شروط للتأويل حتى يكون صحيحًا مقبولاً ؛ انظرها في: الأحكام 199/2، وإرشاد الفحول ص: 176، 177

1.استواء الله تعالى على عرشه:

يرى الثعالبي أنّ ما ورد في بعض الآيات القرآنية الكريمة أنّ الله استوى على العرش معناه القدرة والسلطان، وليس بمعنى المماسّة والاستقرار والتمكّن والحلول والانتقال ومع ذلك فقد كان منهجيًا وأمينا في نقله حيث أشار إلى مذهب السلف وهو الإيمان بذلك دون تكييف أو تشبيه.

وهذا ما نلاحظه عند تفسير قوله تعالى: {**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}(1) يورد أولاً مذهب السلف حيث يشير إلى أنّ قوله (استوى) معناه: علا دون كيف ولا تحديد، وهذا اختيار الطبري(2). والتقدير: علا أمره وقدرته وسلطانه، وقيل معناه: قصد إلى السماء، أي: بخلقه واختراعه، والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث، ويبقى استواء القدرة والسلطان »(3).

ويوضّح رأيه أكثر في معرض تفسير قوله تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى**}(4)، « والمعتقد في هذا أنّه سبحانه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواءً منزّهًا عن المماسة والاستقرار والتمكّن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، كان الله ولا شيء معه، كان سبحانه قبل أن يخلق المكان والزمان، وهو الآن على ما عليه كان »(5).

وهو إذ يبيّن رأيه، يؤكّده بما قرّره أئمة المذهب، وهو ما نلاحظ عند قوله تعالى: {**إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**}(6) يشير إلى أنّ معناه -عند حذّاق المتكلّمين- الملك والسلطان(7)، وخصّ العرش بالذكر تشريفًا، إذ هو من أعظم المخلوقات »(8).

2.العلوّ:

يرى-رحمه الله- أنّ العلوّ يُراد به القدر والمنزلة، لا علوّ المكان، تنزيهًا له عن الجهة والتحيّز، ففي تفسيره لقوله تعالى: {**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ**

---

(1) سورة البقرة: 28
(2) انظر: تفسير الطبري 191/1، 192 ؛ تفسير البغوي 196/2
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 59/1 - بتصرف
(4) سورة الرعد: 02
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 357/2، 358
(6) سورة الأعراف: 54
(7) انظر: المواقف ص: 297 ؛ الإرشاد ص: 69
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 32/2 -بتصرف

إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(1) يقول: « ورافعك إليّ »: عبارة عن نقله من سفل إلى علوٍّ، وإضافة الله سبحانه إضافة تشريف، وإلاّ فمعلوم أنّه سبحانه غير متحيّز في جهة »(2).

ويكرّر المعنى نفسه ويؤكّده عند تفسيره قوله ✞ : {**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**}(3) حيث يذكر أنّ (العليّ) يُراد به علوّ القدر والمنزلة، لا علوّ المكان، لأن الله سبحانه منزّه عن التحيّز، وكذا (العظيم) هو صفة عظم القدر والخطر، لا على عظم الإجرام »(4).

3.الفوقية والعندية ونفي المكان:

وهذه المصطلحات مرادفة للفظة العلوّ، ولهذا فإنّ الشيخ يرى أنّ في إثبات الفوقية لله تعالى إثبات الجهةله، وهو تعالى منزّه عنها، وإنّما يراد بها علوّ القدر والشأن والعظمة والقهر، وهو ما قرّره عند تفسير قوله تعالى: {**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ**}(5)، {**يُفَرِّطُونَ**}(5)، يقول: (القاهر) إن أخذ صفة فعل أي مظهر القهر بالصواعق والرياح والرياح والعذاب، فيصحّ أن تجعل فوق ظرفية للجهة، لأنّ هذه الأشياء إنّما تعاهدها العباد من فوقهم، وإن أخذ (القاهر) صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز أن تكون للجهة، وإنّما هي لعلوّ القدر والشأن، على حدّ ما تقول: الياقوت فوق الحديد، والأحرار فوق العبيد »(6).

ويكرّر كلامه على معنى الفوقية عند تفسير قوله تعالى: {**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**}(7)، « يريد فوقية القدر والعظمة والقهر »(8).

وفي نفس هذا السياق، أي نفي الجهة عن الله تعالى، يقرّر الثعالبي بأنّ لفظة (عند) إنّما يراد بها المنزلة والتشريف..، وليس المكان يوضّح ذلك عند تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**}(9)، يقول:

---

(1) سورة آل عمران: 55
(2)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 325/1، 326
(3) سورة البقرة: 255
(4) نفس المصدر السابق 244/1
(5) سورة الأنعام: 61
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 630/1، 631 ؛ المواقف ص: 270، 273
(7) سورة النحل: 50
(8) نفس المصدر السابق 430/2
(9) سورة الأعراف: 206

« وقوله (عند) إنّما يريد به المنزلة والتشريف والقُرْب في المكانة لا في المكان فهم بذلك عنده »[1].

والثعالبي وهو بصدد بيان رأيه في الصفات الخبرية، وبالضبط نفي الجهة عن الله ✞ ، لم يفته عن ذهنه أن يَرُدَّ على إحدى المذاهب الفكرية المنحرفة في آرائها ألا وهي الحلولية، فقد ردّ على دعاة هذا المذهب، المعروفون بـ(أهل الحلول والاتحاد) القائلين بأنّه تعالى بذاته في كلّ مكان تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

نرى ذلك عند تفسير قوله تعالى: {**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**}[2]، يقول: « وقاعدة الكلام في هذه الآية أن حلول الله في الأماكن مستحيل تعالى أن يحويه مكان كما تقدّس أن يحدّه زمان، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان. وإذا تقرّر هذا فقالت فرقة من العلماء تأويل ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة في المعنى، كأنّه قال: وهو الله المعبود في السماوات والأرض. قال الزجاج: (في) متعلّقة بما تضمّنه اسم الله من المعاني كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في الشرق والغرب »[3].

4.المعيّة « معية الله لخلقه »:

يثبت الثعالبي صفة المعيّة لله تعالى، لما تقرّر بالأدلة من الكتاب والسنة أنّه تبارك وتعالى مع خلقه عامة بعلمه وقدرته وسلطانه، وأنّه مع عباده المؤمنين خاصة بنصره وتأييده ومعونته.

يقول الله تعالى: {**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}[4] يذكر أنّ قوله ✞: (وهو معكم أينما كنتم) معناه بقدرته وعلمه وإحاطته، وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها »[5]. ومثلها قوله جلّ وعلا: {**أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**}[6] أي: بعلمه وإحاطته وقدرته »[7].

ما أثبته -رحمه الله- هنا هو معيّة عامة، ومقتضاها إحاطته سبحانه بخلقه وعلمه بجميع أعمالهم؛

---

(1) نفس المصدر السابق 105/2
(2) الأنعام: 03
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 603/1 ؛ 357/2، 358
(4) سورة الحديد: 04
(5) نفس المصدر السابق 362/4
(6) سورة المجادلة: 07
(7) نفس المصدر السابق 381/4

وأمّا المعيّة الخاصة فهي حاصلة لعباد الله المؤمنين، وقد وردت في العديد من آيات القرآن الكريم منها قوله سبحانه وتعالى: {**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**}[1] أي بمعونته وإنجاده »[2] وقوله {**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**}[3] أي بنصره وتأييده »[4] وهو وهو لفظ خَبَرٍ في ضمنه وَعدٌ وحضٌّ على الصبر، ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بأنه يُغلَبْ »[5].

وقوله: {**وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ**}[6] أي: معكم بنصري وحياطي وتأييدي »[7]، وكذا قوله تعالى: {**إِنَّنِي مَعَكُمَا**}[8] أي: بالنصر والمعونة »[9]، وغير ذلك من الآيات التي يستفاد منها هذه المعيّة الخاصة.

وقد دلّ عليها الحديث القدسي: « أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني.. »[10]، ففيه تصريح بأنّ الله تعالى مع عباده عند ذكرهم له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إلى عبده برحمته ويمدّه بتوفيقه وتسديده.

وهذا التقسيم بين المعيّة العامة والمعية الخاصة تقسيم صحيح دلّت عليه النصوص السابقة وغيرها، فلا مناقاة بينهما.

والثعالبي مصيب في ذلك لأنّه فسّر المعية في الآيتين الأوليين بأنّها معية العلم والقدرة والإحاطة، وفي بقية الآيات بمعية النصر والتأييد، وليس بمعنى أنّ ذاته تعالى تحلّ في ذوات المخلوقين -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. وهذا في الحقيقة ردٌّ على القائلين بالحلول والاتحاد، ويؤيّد هذا أنّ الله سبحانه افتتح الآيتين بالعلم بهم وختمهما به، فدلّ هذا على أنّه أراد العلم بهم وبأعمالهم، لا أنّه نفسه في كلّ مكان معهم.

هكذا قال الإمام أحمد[1]، والدارمي[2]، والآجري[3]، وابن قتيبة[4]، والبيهقي[5]، وابن جرير الطبري [6]، وابن القيم[7]، وابن كثير[8]، والجويني[9] والجويني[9] وغيرهم.

---

(1) سورة البقرة: 153
(2) نفس المصدر السابق 149/1
(3) سورة البقرة: 249
(4) نفس المصدر السابق 238/1
(5) نفس المصدر السابق 145/2
(6) سورة المائدة: 12
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 537/1
(8) سورة طه: 46
(9) نفس المصدر السابق 47/3
(10) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب التوحيد -باب: قول الله تعالى {ويحذّركم الله نفسه} 2694/6 برقم (6971) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار -باب: فضل الذكر والدعاء والتقرّب إلى الله 2102/4 برقم (2675)

5.النزول:

يرى الثعالبي أنّ نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا ليس هو كالمتعارف عند البشر من أعلى إلى أسفل، وإنّما هو الإقبال على الشيء[10]، هذا ما نلاحظ عند تفسير قوله تعالى: {**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**}[11] حيث يبيّن بأنّ الاستغفار هو: طلب المغفرة من الله سبحانه، وخصّ تعالى السحر لما فيها من الفضل، حسبما ورد فيه من جميع الأحاديث، ومنها حديث النزول الذي رواه أبو هريرة-رضي الله عنه- عن النبي ❐ أنّه قال: « ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له »[12].

وهنا يعقّب مبيّنا معنى النزول -حسبما نقله عن القرطبي[13]-فيشير إلى أنّ الحديث جاء مفسّرًا مبيّنًا في ما خرّجه النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قال: قال النّبي صلى الله عليه و سلم : « إنّ الله ✞ يمهل حتّى يمضي شطر الليل الأوّل، ثمّ يأمر مناديًا يقول: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفرٍ يغفر له، هل من سائل يعطى »[14] ؛ويعضده بما خرّجه أبو بكر بن الخطيب بسنده عن عبد الرحمان بن

---

(1) الردّ على الزنادقة والجهمية ص: 95، 97 ضمن عقائد السلف للأئمّة: أحمد بن حنبل، البخاري، ابن قتيبة، الدارمي، اعتناء: د. عليّ سامي النشار وعمار طالبي، مكتبة الآثار السلفية-جلال حزي وشركاه 1971م.

(2) الردّ على الجهمية ص: 268، 269 ضمن عقائد السّلف ؛ هو: عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي أبو سعيد حافظ محدث، ثقة ثبت صنف المسند الكبير، توفي سنة 280 هـ. انظر: شذرات الذهب 176/1 ؛ طبقات الحفاظ 277/1 ؛ النجوم الزاهرة 85/3

(3) الشريعة للآجري ص: 288 تحقيق: حامد الفقي، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ.

(4) تأويل مختلف الحديث ص: 171

(5) الأسماء والصفات للبيهقي ص/541، 542 دار الكتب العلمية-بيروت (د. ت. ط).

(6) جامع البيان 216/27 ؛ 12/28

(7) مختصر الصواعق المرسلة ص: 392، 395

(8) تفسير ابن كثير 547/6، 580

(9) الإرشاد ص: 69

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 301/1، 360

(11) سورة آل عمران: 16

(12) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجّد-باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل 384/1 برقم (1094) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها. -باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه 521/1 برقم (758)

(13) التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة 71/2 تحقيق وتعليق: يوسف عليّ بديوي، دار ابن كثير-دمشق 1419هـ-1999م.

(14) الحديث أخرجه النّسائي في السنن الكبرى 124/6 برقم (10316)

عون عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: « إنّ نزول الله تعالى إلى الشيء: إقباله عليه من غير نزول »[1].

وهذا صريح منه -رحمه الله- في تأويل لفظة النزول عن حقيقتها، وفي هذا يقول الجويني -رحمه الله-: « ولا وجه لحمل النزول على التحوّل وتفريغ مكان وشغل غيره، فإنّ ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدّي إلى طرفي نقيض: أحدهما: الحكم بحدوث الإله، والثاني: القدح في الدليل على حدوث الأجسام »[2].

6.الساق:

إنّ كلام الشيخ في تفسيره صريح في حمل لفظة الساق على غير ظاهرها المتبادر منها، بل هي -على حدّ قوله- عبارة عن شدّة الهول، وهذا على خلاف ما ذهب إليه سلف الأمة من إمرارها كما جاءت دون تكييف أو تعطيل أو تشبيه..، وهو بهذا يوافق مذهب الخلف -الأشاعرة- نرى ذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**}[3] يقول: « فما ورد في الحديث[4] والآية من كشف الساق فهو عبارة عن شدة الهول »[5].

7.المجيء « الإتيان »:

الظاهر من كلام الثعالبي في تفسيره أنّه يحمل لفظة الإتيان على معنى أمر الله تعالى، وليس بمعنى الإتيان المفهوم في عرف البشر.

ففي تفسير قوله سبحانه وتعالى: {**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ**}[6] يورد -رحمه الله- هنا ما ذكره العلماء في بيان معنى الإتيان في حق الله تعالى.

---

(1) الحديث أخرجه أبو بكر بن الخطيب في تاريخ بغداد 245/2. انظر: ميزان الاعتدال 385/4 وقال وقال بعده: إسناده مظلم ومتنه مختلق. ذكره في ترجمة عبد العزيز بن إسحاق البقال. قال فيه ابن أبي الفوارس: كان له مذهب خبيث ولم يكن في الرواية بذاك. انظر: الميزان ؛ تهذيب التهذيب 335/6.

(2) انظر الإرشاد ص: 69

(3) سورة القلم: 42

(4) هو: الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير -سورة القلم- باب: يوم يكشف عن ساق 1871/4؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب خروج الدجال 2259/4 برقم (2940)

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 457/4، وهذا التأويل الذي ذهب إليه الثعالبي هو ما ذكره ابن ابن حجر في فتح الباري 664/8 ؛428/13، والجويني في الإرشاد ص: 68

(6) سورة الأنعام: 158

فقوله ✞ (أو يأتي ربّك): أي لموقف الحساب يوم القيامة، أسنده الطبري إلى قتادة وجماعة من المتأوّلين، وقال الزجّاج: إنّ المراد: أو يأتي عذاب ربّك. ويستأنس الثعالبي بما نقله عن ابن عطية أنّه على كلا التأويلين فإنّما هو بحذف مضاف تقديره أمر ربّك، أو بطش ربّك، أو حساب ربّك، وإلاّ فالإتيان المفهوم من اللغة مستحيل على الله تعالى، ألا ترى أنّ الله ✞ يقول: {**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا**}(1) فهذا إتيان قد وقع وهو على المجاز، وحذف المضاف »(2).

8.اليد:

كرّر الشيخ تعليقه على المراد من لفظة اليد في بعض المواضع من تفسيره، حيث يرى بأنّ هذه اللّفظة قد يقصد بها القدرة، وقد يراد بها النّعمة، وليست هي بمعنى الجارحة:

فالمعنى الأوّل وهو القدرة نجده عند تفسير قوله تعالى: {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**}(3) ؛ يشير إلى أنّ: « قوله (أيدينا) عبارة عن القدرة والله تعالى منزّه عن الجارحة »(4)، وهذا الكلام منه ردّ على المشبّهة الذين شبّهوا الله تعالى بخلقه.

والمعنى الثاني من لفظة اليدّ وهو النعمة يذكره عند تفسير قوله تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**}(5) يبين بأنّ (اليد) في قوله: (يد الله) بمعنى النّعمة -على ما قاله جمهور المتكلّمين(6)- إذ نعمة الله في نفس هذه المبايعة لما لما يستقبل من محاسنها (فوق أيديهم) التي مدّوها لبيعتك، وقيل: قوّة الله فوق قواهم في نصرك، ثمّ يعقّب على ما سبق ذكره فيقول:" قال الثعلب (يد الله فوق أيديهم) أي بالوفاء والعهد، وقيل: بالثواب، وقيل يد الله في المنّة عليهم، فوق أيديهم في الطاعة عند المبايعة "، وهذا حسن قريب من الأوّل "(7)، وأوضح من هذا كلّه في بيان رأيه، ما صرّح به عند تفسير قوله تعالى: {**وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**}(8)، يقول:" وقوله تعالى:(بل يداه مبسوطتان) العقيدة في هذا المعنى نفي التشبيه عن الله سبحانه، وأنّه ليس بجسم، ولا له جارحة، ولا يُشْبَه ولا يُكَيَّف ولايَتَحَيَّز، ولاتحلّه الحوادث، تعالى عمّا يقول المبطلون علوّا كبيرا، قال ابن عباس في هذه الآية:(يداه) نعمتاه، ثمّ اختلفت عبارة النّاس في تعيين النّعمتين: فقيل: نعمة الدّنيا ونعمة الآخرة، وقيل: النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة؛ والظاهر أنّ قوله سبحانه (بل يداه مبسوطتان) عبارة عن أنعامه على الجملة، وعبّر

---

(1) سورة الحشر: 02
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 682/1 -بتصرف ؛ الإرشاد ص: 69 ؛ المواقف ص: 273
(3) سورة يس: 71
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/ 238
(5) سورة الفتح: 10
(6) انظر: الإرشاد ص: 67 ؛ المواقف ص: 298
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 362/4
(8) المائدة: 64

عنها باليدين جريًا على طريقة العرب في قولهم: فلان ينفق بكلتا يديه، ومنه قوله الأعشى:(1)

يَـدَاكَ يَـدَا مَجـْدٍ فَكَفٌّ مـفِيـدَةٌ وَكَـفٌّ إِذَا مـَا ضَنَّ بالـمَالِ تُـنْفِقُ

« يؤيّد أنّ اليدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الإنفاق »(2).

9. النّفس والوجه:

يرى -رحمه الله- الله أنّ إطلاق لفظه النّفس على الله تعالى يراد بها ذاته المقدّسة، وليس بمعنى الجسم، تنزيها وتقديسا له تعالى عن مشابهة خلقه، وهذا ما يصرّح به عند تفسير قوله تعالى:{**وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ**}(3) يقول: « وقوله (نفسه)نائبة عن إياه، وهذه مخاطبة على معهود ما يفهمه البشر، والنّفس في مثل هذا راجع إلى الذات، وفي الكلام حذف مضاف، لأنّ التحذير إنّما هو من عقاب وتنكيل ونحوه، قال ابن عباس والحسن: « ويحذّركم الله عقابه »(4)، ومزيدا منه في الإيضاح يكرّر هذا هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: {**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**}(5)، يقول: « وقوله (لا أعلم ما في نفسك) معناه: ولا أعلم عندك من المعلومات وما أحطت به، وذِكْرُ النّفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها الإيجاز، وهذا يُنَظَر من طرف خفيّ إلى قوله {**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**}(6) و {**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**}(7) فتسمية العقوبة باسم الذنب إنّما قاد إليها طلب المقابلة اللفظية، إذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة »(8).

والثعالبي -على عادته في الكثير من الأحيان - لا يكتفي ببيان رأيه هكذا، بل يؤكّده بأقوال أئمة مذهبه العقدي وهو ما فعله هنا، فقد نقل كلام الإمام فخر الدين الرّازي في المراد من لفظة النفس الواردة في قوله تعالى: {**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ**

---

(1) هو: أعشى همدان شاعر مفوّه شهير كوفي: أبو الصبح عبد الرحمان بن عبد الله بن الحارث الهمذاني كان متعبّدا فاضلاً ثم عبث بالشعر وامتدح النعمان بن بشير به وجمع له من جيش حمص أربعين ألف دينارًا ثم إن الأعشى خرج مع القرّاء مع ابن الأشعث وكان زوج أخت الشعبي وكان الشعبي زوج أخته. قتله الحجاج سنة نيف وثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء 185/4

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 565/1، 566

(3) سورة آل عمران: 28

(4) نفس المصدر السابق 307/1 ؛ 46/3

(5) سورة المائدة: 118

(6) سورة آل عمران: 54

(7) سورة البقرة: 15

(8) نفس المصدر السابق 598/1 ؛ انظر: المواقف ص: 298

الرَّحْمَةَ}[1]، يقول: « قال الفخر: قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) النفس ها هنا بمعنى الذات والحقيقة، لا بمعنى الجسم، والله تعالى مقدس عنه »[2].

وفيما يتعلق بلفظة الوجه يذكر احتمالان في تفسير المقصود منها دون ترجيح بينهما.

نرى ذلك عند تفسير قوله تعالى: {**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**}[3].

فيقول:« قالت فرقة: المعنى: كلّ شيء هالك إلاّ هو سبحانه، قاله الطبري وجماعة منهم أبو المعالي -رحمه الله- [4] وقال الزجاج: إلاّ إياه »[5].

10.العين:

يرى -رحمه الله- أنّ لفظة العين: عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ وليس بمعنى الحاسة، وهذا تنزيها لله تعالى عن مشابهة خلقه، على خلاف ما قال به السلف من إثبات الصفة بلا كيف.

فإذا جئنا إلى قوله تعالى: {**وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**}[6] نراه يقول: « قوله تعالى (بأعيننا) يمكن أن يريد بمرأى منّا، فيكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير، كما قال عزّ من قائل {**فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**}[7] والعقيدة أنّه تعالى منزّه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا ربّ غيره. ويحتمل قوله (بأعيننا) أي ملائكتنا الذين جعلناهم عيونًا على مواضع حفظك ومعونتك، فيكون الجمع على هذا التأويل للتكثير »[8].

وممّا يؤكّد أخذه بالاحتمال الأوّل وهو الإدراك والرعاية والحفظ تكريره مرّة أخرى عند تفسير قوله تعالى: {**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**}[9] يقول: « معناه بمرأى منّي »[10].

11.الغضب:

يذكر الشيخ هنا وجهين تحتملهما لفظة الغضب الواردة في قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي**

---

(1) سورة الأنعام: 55
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 626/1 ؛ التفسير الكبير مج(7) 05/13.
(3) سورة القصص: 88
(4) الإرشاد ص: 68 ؛ الموافق ص: 298
(5) نفس المصدر السابق 290/3
(6) سورة هود: 37
(7) سورة المرسلات: 23
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 277/2
(9) سورة طه: 39
(10) نفس المصدر السابق 46/3 ؛ الإرشاد ص: 67 ؛ الموافق ص: 298

الْمُفْتَرِينَ}[1] يقول: « والغضب من الله ﷻ إن أُخِذ بمعنى الإرادة، فهو صفة ذات، وإن أخذ بمعنى العقوبة وإحلال النقمة فهو صفة فعل »[2].

12.الاستهزاء:

وقد تعرّض لمعناه عند بيانه لقوله تعالى: {**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**}[3] حيث يذكر: « اختلاف المفسّرين في هذا الاستهزاء، فقال جمهور العلماء هي تسمية العقوبة باسم الذنب، والعرب تستعمل ذلك كثيرًا. وقال قوم إنّ الله سبحانه يفعل بهم أفعالاً هي في تأمّل البشر هزء، وقيل: استهزاؤه بهم هو استدراجهم بدور النّعم الدنيوية »[4].

13.التعجب:

ولمّا كان الثعالبي على اطّلاع بعلم القراءات، فإنه يستفيد من ذلك، من خلال عرض أوجه القراءات في لفظة من ألفاظ القرآن وهي التعجّب، فينقل قراءة النّصب في قوله تعالى: {**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ**}[5] أي: بل عجبتَ يا محمّدُ من إعراضهم عن الحقّ ثم يردفها بقراءة الضم -أي ضم التاء- في قوله (بل عَجِبتُ) وهي قراءة حمزة[6] والكسائي[7] - وذلك على أن يكون تعالى هو المتعجّب، ومعنى ذلك من الله الله تعالى أنّه صفة فعل، ونحوه قوله صلى الله عليه و سلم : « يعجب الله من الشاب ليست له صبوة »[8] فإنّما هي عبارة عمّا يظهره الله تعالى في جانب المُتَعَجَّبِ مِنْهُ من التعظيم أو التحقير حتى يصير النّاس متعجّبين منه؛ ويعضد -رحمه الله- كلامه بما ذكره الثَّعْلَبِيُّ عن الحسين بن الفضل[9] بأنّ: التَعَجُّبُ من الله إنكار الشيء وتعظيمه »[10].

14.المكر:

---

(1) سورة الأعراف: 152

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 73/2 ؛ تفسير الطبري 234/11 ؛ فتح القدير الجامع بين فنّي فنّي الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني 380/3 دار الفكر-بيروت ط(3) 1393هـ-1973م.

(3) سورة البقرة: 15

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 50/1 -بتصرّف

(5) سورة الصافات: 12

(6) هو: حمزة بن حبيب الزّيات القارئ، أبو عمارة، الكوفي، التّيميُّ، مولاهم، صدوق، زاهد، ربّما وَهِمَ، ولد سنة 80 هـ، وتوفي سنة 156 هـ انظر: تقريب التهذيب ص: 119 مترجم برقم(1518)

(7) هو: عليّ بن حمزة الكسائي، أبو الحسين، أحد القرّاء السبعة، شيخ نحويي الكوفة، انتهت إليه رئاسة الإقراء فيها بعد حمزة الزيّات، توفي سنة 189 هـ. انظر بغية الوعاة 162/2، 164

(8) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده 151/4 ؛و الهيثمي في مجمع الزوائد 270/10 وقال: " إسناده حسن".

(9) هو: الحسين بن حفص بن الفضل بن يحي الهمذاني (بسكون الميم) الأصبهاني، القاضي، صدوق، صدوق، مات سنة 210 هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 106 مترجم برقم(1319)

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 22/4، 23

كلام الثعالبي في تفسيره في بيان معنى مكر الله بالكافرين: أنه فاعل حقٍّ في ذلك، وليس بمعنى الحيلة والخبّ المتبادر من فعل المخلوق، بل هو الاستدراج، وهذا ما نستخلصه من تفسيره لقوله تعالى: {**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**}(1) يقول: (ومَكَرُوا): يريد تحيّل بني إسرائيل في قتل عيسى عليه السلام ـ بزعمهم ـ فهذا هو مكرهم، فجازاهم الله تعالى بأن طرح شبه عيسى على أحد الحواريّين ـ في قول الجمهور، أو على يهودي منهم كان جسوسًا، فأعقبهم مذلّة وهوانًا في الدنيا والآخرة، فهذه هي العقوبة التي سمّاها الله تعالى مكرًا، وذلك مَهيعٌ أن تسمّى العقوبة باسم الذنب، وقوله (والله خير الماكرين): معناه: فاعل حقّ في ذلك؛ ويستأنس في تقوية رأيه بما ذكره القشيري(2) عن ميمون بن مهران(3) حين سئل عن معنى الآية فقال: تخليته إيّاهم مع مكرهم، وهو مَكرُهُ بهِمْ ؛ ويعضده بقول الفرّاء(4) أنّ المكر من المخلوق الخبّ والحيلة، ومن الإله الاستدراج، كما قال تعالى: {**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ**}(5) أي كلّما أحدثوا خطيئة أحدثنا لهم نعمة »(6).

15.النّداء:

يثبت نداء الله موسى عليه السلام دون تشبيهه بخلقه كما قد يخطر في بال الإنسان، إذ هو منزّه عن جميع ما تتوهّمه الأوهام، نرى ذلك في قوله تعالى: {**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**}(7) جاء في تفسيره قوله: « وقوله تعالى (سبحان الله ربّ العالمين) هو تنزيه لله تعالى ممّا عساه أن يخطر ببال في معنى النداء من الشجرة، أي هو منزّه من جميع ما بتوهمه وعن التشبيه والتكييف »(8).

فهذه جملة من صفات البارئ تعالى التي تحدّث عنها الثعالب في تفسيره، حيث أوّلها بما يوافق مذهب الخلف؛ والمذهب الحق في الصفات وهو الأسلم والأعلم والأحكم ما عليه السلف رحمهم الله من إثبات صفات الله تعالى وهو آمراها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل، ذلك أنّ القول في الصفات كالقول في الذات.

---

(1) سورة آل عمران: 54

(2) لم أقف على هذا الكتاب

(3) هو: ميمون بن مهران الجَزَري، أبو أيوب، أصله كوفي، ثقة، فقيه، ولاّه عمر بن عبد العزيز الجزيرة، وكان يرسل، مات سنة 117 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 488 مترجم برقم(50)

(4) هو: العلامة صاحب التصانيف، مؤدب ولدي المأمون صاحب معرفة واسعة بالعربية كان يسمى أمير المؤمنين في النحو، مات في طريق الحج سنة 207 هـ.

(5) سورة الأعراف: 182

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 325/1

(7) سورة النمل: 08

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 246/3

المبحث الثاني
أسماء الله الحسنى

المطلب الأول: السماء الحسنى ومصادر التعريف بها

تقرّر في العقيدة الإسلامية أنّ الله تعالى متصف بأسماء كلّها حسنى، وأنّها أعلام عليه، وأنّ كلّ اسم منها يدل على صفة أو صفات له سبحانه وتعالى وكلّ اسم مشتقّ من مصدره، كالسميع، والبصير، والقدير، والعليم، والحيّ ونحوها، فالحيُّ مثلاً مشتق من الحياة، ويدلّ على صفة الحياة لله سبحانه وهكذا بقية الأسماء، وهذا مع تنزيهه ✞ في نفس الوقت عن جميع ما بتوهمه الأوهام وعن التشبيه والتكييف.

وقد وردت نصوص عديدة في القرآن الكريم قرّر فيها الله ✞ هذه الحقيقة، منها قوله ✞: {**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}(1)، وقوله تعال: {**قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**}(2) وقوله أيضاً: {**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**}(3)، وأمّا من السنّة السنّة فقد ثبت في الصحيح: « أنّ لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنّة »(4).

فهذه النصوص تشير إلى أمر الله تعالى عباده بأن يدعوه بها، لأنّها من أسباب إجابة الله لدعائهم إيّاه ؛ لذلك أثبت الثعالب أسماء الله تعالى كغيره من علماء أهل السنّة والجماعة وفق ما جاءت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وأثبت ما دلّت عليه من الصفات الجليلة، لأنّ أسماء الله دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني لها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال.

---

(1) سورة الأعراف: 180

(2) سورة الإسراء: 110

(3) سورة طه: 08

(4) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد-باب: أنّ لله مائة اسم إلاّ واحدًا 2691/6 برقم برقم (6957) ؛ ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر-باب: أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها 2063/4 برقم (2677)

يقول الثعالبي وهو يتحدّث عن التسبيح في الركوع والسجود الوارد في قوله تعالى: {**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**}[1]، وقوله: {**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**}[2] فيحتمل أن يكون المعنى: سبح الله بذكر أسمائه العلا، والاسم هنا: بمعنى الجنس، أي: بأسماء ربّك...»[3].

وهذا في حقيقته تنزيه لله تعالى كما قال تعالى: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**}[4]، ومعناه: تنزيهاً لله من كلّ سوء[5]، أي: في ذاته، وصفاته وأسمائه الحسنى، ولهذا قال سبحانه وتعالى: {**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**}[6] أي: موافقاً في الاسم، وينقل هنا رحمه الله ما ذكره ابن عطية بقوله: وهذا يحسن فيه أن يريد بالاسم ما تقدّم من قوله تعالى: {**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**}[7] أي: هل تعلم من من يسمّى بهذا أو يوصف بهذه الصفة، وذلك أنّ الأمم والفرق لا يسمون بهذا الاسم وثناً ولا شيئاً سوى الله تعالى ". وقيل: سمياً: معناه: مثيلاً أو شبيها ونحو ذلك. قال الثعالب: وهذا قول حسن، وكأن السميّ بمعنى السامي والمضاهي، فهو من السموّ[8].

يتبيّن من خلال ما ذكره الثعالب في بيانه لمعاني هذه الآيات القرآنية أنّ الله تعالى له كلّ الأسماء الحسنى والصفات العلا التي يستحقّ بها الطاعة والعبادة، وأمّا تسمية الخلق ببعض أسماء الله ✝ لا يقتضي تشبيها ولا تمثيلاً، لأنّ معناها في حقّ الله ✝ على ما يليق بجلاله وعظمته وحقّ غيره على ما يليق بهم، ولهذا نراه رحمه الله يؤكّد مراراً تنزيهه تعالى عن كلّ ما يضاهيه كما هو الشأن في تفسير قوله سبحانه: {**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**}[9] ومعناه: ليس له ضدّ ولا ندّ ولا شبيه، {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} [10] [11].

وهذا الآن عرض لبعض أسماء الله الحسنى ممّا تكلّم فيها الثعالب في ثنايا تفسيره:

---

(1) سورة الواقعة: 74
(2) سورة الأعلى: 01
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 360/4
(4) سورة الإسراء: 01
(5) نفس المصدر السابق 456/2
(6) سورة مريم: 65
(7) سورة مريم: 65
(8) نفس المصدر السابق 24/3 -بتصرّف
(9) سورة الإخلاص: 04
(10) سورة الشورى: 11
(11) نفس المصدر السابق 688/4

الله: أبهر أسمائه تعالى، وأكثرها استعمالا، وهو المتقدّم لخسائرها في الأغلب، وإنمّا تجيء الأُخر أوصافاً، وحذفت الألف الأخيرة من الله لئلاّ يشكل بخطّ (اللاتي)، وقيل: طرحت تخفيفاً[1].

الرحمان الرحيم: الرحمان: صفة مبالغة من الرحمة، معناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي صفة تختصّ بالله تعالى، ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فعيل، فعيل أبلغ من فاعل، لأنّ راحماً يقال لمن رحم ولو مرّة واحدة، ورحيماً يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمان: النّهاية في الرحمة[2].

القيُّوم: بناء مبالغة، أي هو: القائم على كلّ نفس بما كسبت ..[3]، وهي قراءة الجمهور، وقرئ خارج السبع: القيّام، والقيّم، وهذا كلّه من قام بالأمر، يقوم به: إذا اضطلع بحفظه، وبجميع ما يحتاج إليه في وجوده. فالله تعالى القيّام على كلّ شيء ممّا ينبغي له، أو فيه، أو عليه[4].

مالك الملك: هو سبحانه وتعالى مالك الملك كلّه مطلقاً في جميع أنواعه[5].

أحد: ومعناه: واحد فرد من جميع جهات الوحدانية، ليس كمثله شيء

الصمد: يقول -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى {**اللَّهُ الصَّمَدُ**}[6]، والصمد في كلام العرب السيّد الذي يصمد إليه في الأمور ويستقلّ بها، وانشدوا:

لَـقَـدْ بَكَّرَ النـَّاعِي بِخَيْرِ بنِي أسَـدٍ بـعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وبهذا تفسر هذه الآية، لأنّ الله تعالى جلّت قدرته هو موجد الموجودات، وإليه تصمد وبه قوامها سبحانه وتعالى[7].

القابض الباسط: يذكر الثعالبي ما قاله الرّازي في كتابه شرح أسماء الله[8] ولفظه: "الأحسن في هذين الاسمين أن يقرن أحدهما في الذكر بالآخر ليكون ذلك أدلّ على القدرة والحكمة، ولهذا السبب قال الله تعالى: {**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ**}[9]،

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 34/1
(2) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة ؛ 369/1 ؛ 224/3
(3) نفس المصدر السابق 242/1
(4) نفس المصدر السابق 289/1
(5) نفس المصدر السابق 305/1
(6) سورة الإخلاص: 02
(7) نفس المصدر السابق 687/1
(8) انظر: شرح أسماء الله الحسنى ص: 242 وما بعدها، واسم الكتاب (لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى والصفات)، راجعه وقدّم له وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد دار الكتاب العربي. ط(1): 1404 هـ -1984م.
(9) سورة البقرة: 245

وإذا ذكرت القابض منفرداً عن الباسط كنت قد وصفته بالمنع والحرمان وذلك غير جائز، وقول المعزّ المذلّ، وقد عرفت أنّه يجب في أمثال هذين ذكر كلّ واحدٍ منهما مع الآخر(1)، وكذلك القول في الخافض والرافع" (2).

الحفيظ: يقول في تفسير قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**}(3)، هذه آية تسلية للنّبيِّ صلى الله عليه و سلم ووعيد للكافرين: والمعنى: ليس لك إلاّ البلاغ، فلا تهتم بعدم إيمان قريش وغيرهم، الله هو الحفيظ عليهم كفرهم، المحصّي لأعمالهم، المجازي عليها، وأنت لست بوكيل عليهم. ويستأنس بما قاله الإمام الرّازي في شرحه لأسماء الله الحسنى عند كلامه على اسمه سبحانه (الحفيظ)، قال بعضهم: ما من عبد حفظ جوارحه إلاّ حفظ الله عليه قلبه، وما من عبدٍ حفظ الله عليه قلبه إلاّ جعله حجّة على عباده » (4) (5).

ومن أسماء الله الحسنى ما ذكره الله ﷻ: {**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ(23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}(6).

يشير رحمه الله تعالى في بيان معاني هذه الأسماء الحسنى:

القدّوس: (بضم القاف): من تقدّس إذا تطهّر وتنزّه.

السلام: أي ذو السلام، لأنّ الإيمان به، وتوحيده وأفعاله هي لمن آمن سلام كلّها(7)

والمؤمن: اسم فاعل من آمن، بمعنى: أمن من الأمن، وقيل معناه: المصدّق عباده المؤمنين.

والمهيمن: معناه الحفيظ والأمين.

والجبّار: هو الذي لا يدانيه شيء، ولا تلحق رتبته؛ ويستعين رحمه الله في بيان معنى هذا الاسم بما قاله الإمام الرّازي: « وفي اسمه تعالى الجبّار وجوه: أحدها: أنّه فعّال من جبر: إذا أغنى الفقير وجبر الكسير. والثاني: أن يكون الجبّار: من جبره: إذا أكرهه..»(8).

والمتكبّر: معناه: الذي له التكبّر حقًّا.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 232/1
(2) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(3) سورة الشورى: 06
(4) شرح أسماء الله الحسنى ص: 272
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 134/4 ؛ 469/1
(6) سورة الحشر: 23، 24
(7) نفس المصدر السابق 396/4 ؛ 667/1
(8) شرح أسماء الله الحسنى ص: 206

والباري: بمعنى الخالق يقول في تفسير قوله تعالى: {**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**}(1) (2) أي إلى خالقكم، من برأ الله الخَلقُ. أي خلقهم

والمصوّر: هو الذي يوجد الصور(3).

الوليّ الحميد: يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {**وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**}(4) أي: من هذه أفعاله هو الذي ينفع إذا والى وتحمد أفعاله ونعمه؛ ويستأنس بما قاله القشيري أنّ: « أسمه تعالى الوليّ، أي المتوليّ لأحوال عباده، وقيل: هو من الوالي وهو النّاصر، فأولياء الله: أنصار دينه وأشياع طاعته .. »(5) (6).

ومن أسمائه ✞ أيضاً ما ذكره في قوله تعالى: {**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}(7) يشير الثعالبي هنا إلى أنّ الله تعالى ظاهر من خلال أدلّته ونظر العقول في مخلوقاته. فهو سبحانه:

الأوّل: أي الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة.

والآخر: الدائم الذي ليس له نهاية منقضية.

ويستعين رحمه الله في بيان هذين الاسمين بقول أبو بكر الورّاق: « هو الأوّل بالأزليّة والآخر بالأبدية.

---

(1) سورة البقرة: 54
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 84/1 ؛ 374/4
(3) نفس المصدر السابق 396/4
(4) سورة الشورى: 28
(5) التحبير: (لم أقف عليه على هذا الكتاب)
(6) نفس المصدر السابق 136/4، 146 ؛ 246/1-249 ؛ 350/2
(7) سورة الحديد: 03

والظاهر: معناه بالأدلة ونظر العقول في صنعته **والباطن:** بلفظه وغوامض حكمته، وباهر صفاته التي لا تصل إلى معرفتها على ما هي الأوهام »[1].

ما أثبته الثعالبي هنا هو الصواب والحق الذي عليه السلف والخلف خلافاً لما أدخله بعض المتكلّمين في أسماء الله الحسنى، حيث أطلقوا عليه لفظ (القديم)[2]، وليس هو مِن أسمائه الحسنى، فإنّ القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدّم على غيره، فيقال هذا قديم للعتيق[3] وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلاّ في المتقدّم على غيره، لا فيما لم يسبقه عَدَمٌ، كما قال تعالى: {**حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**}[4] والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأوّل قديم وقال تعالى: {**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**}[5] أي متقدّم في الزّمان، وقال تعالى: { **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(75)أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ**}[6]، فالأقدم: مبالغة في القديم، ومنه القول القديم والجديد للشافعي للشافعي رحمه الله. وقال تعالى: {**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمْ النَّارَ**}[7] أي يتقدّمهم، ويستعمل منه الفعل لازماً ومتعدياً، كما يقال: أخذني ما قَدُمَ وما حَدُثَ، ويقال: هذا قَدَمَ هذا وهو يَقْدُمُهُ، ومنه سميّت القَدَمُ قَدَمًا، لأنّها تقدم بقية بدن الإنسان

ويتضح بهذا أنّ مقصود المتكلّمين من إطلاق لفظ القديم على الله تعالى أنّه الموجود الذي ليس وجوده مسبوقاً بالعدم، فالقِدَمُ: صفة سلبية، أي ليست بمعنى أنّها موجودة في نفسها كالعلم مثلا، وإنّما هي: عبارة عن سلب العدم السابق الموجود، أو عدم الأوّليّة للوجود، أو عدم افتتاح الوجود، أو استمرار الوجود في الماضي، والكلّ بمعنى واحد في حقّه تعالى بذاته وصفاته[8].

إلاّ أنّ ما جاء به الشرع باسمه « الأوّل » هو الأحسن والأليق والأفضل من لفظ « القديم »، لأنه يشعر بأنّ ما بعده آيل إليه، وتابع له، بل هو الواجب الذي يجب التوقّف عنده دون غيره، ولهذا لا غرابة أن يقرّر الثعالبي رحمه الله أنّ طريقة إثبات أسماء الله تعالى هي طريقة التوقيف، فليس هناك وسيلة لمعرفتها إلاّ عن طريق

---

(1) التحبير 4/361-362

(2) وهو ما ورد في تفسير الثعالبي، فقد نقل قولاً للمحاسبي في نظر أهل الجنّة إلى الله تعالى جاء فيه « فما ظنّك بنظرهم إلى العزيز العظيم الجليل، الذي لا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأفهام، ولا تحدّه الفطن، ولا تكيّفهُ، الأزليّ القديم، الذي حارت العقول عن إدراكه، وكلّت الألسن عن كنه صفاته » نفس المصدر السابق 4/328

(3) يقول الثعالبي في تفسيره 4/12: « والقديم: معناه العتيق الذي قد مرّ عليه زمن طويل » ؛ وانظر: وانظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 411، 412 مادة(قدم) ؛ والكليات ص: 727

(4) سورة يس: 39

(5) سورة الأحقاف: 11

(6) سورة الشعراء: 75، 76

(7) سورة هود: 98

(8) الكليات ص: 727

الكتاب والسنّة، وهذا ما يثبته في معرض تفسير قوله تعالى {**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**}(1) حيث يقول: « ومن أسماء الله تعالى ما ورد في القرآن، ومنها ما ورد في السنة، وتواتر هذا هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه »(2).

وهذا هو الحقّ الذي عليه عامّة أهل السنّة والجماعة(3)، فالكلام في أسمائه تعالى تعالى مأخذها التوقيف عليها من القرآن، أو السنة الصحيحة أو إجماع الأمة عليه، ولا يجوز إطلاق اسم عليه بالقياس، وهذا خلاف قول المعتزلة وكذا الكرامية في إجازتها إطلاق الأسماء عليه بالقياس، حيث قالوا: إذا دلّ العقل على أنّ معنى اللّفظ ثابت في حقّ الله تعالى جاز إطلاقه على الله(4). وقد أفرط الجبّائي في هذا الباب حتى سمّى الله مطيعا لعبده إذا أعطاه مراده، وسمّاه محبلا للنّساء إذا خَلَقَ فيهنّ الحَبَلُ، وظلّلته الأمّة في هذه الجسارة التي تورثه الخسارة(5).

يقول الجويني مقرّرا مذهب أهل السنّة في هذه المسألة: « ما ورد الشرع بإطلاقه في أسمائه تعالى وصفاته أطلقناه؛ وما منع الشرع من إطلاقه منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم؛ فإنّ الأحكام الشرعية تتلقّى من موارد السمع »(6).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:" واتّفقوا على أنّه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصا، ولو ورد ذلك نصّا، فلا يقال: مَاهِدَ، ولا زارع، ولا فالق، ولا نحو ذلك، وإن ثبت في قوله {**فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**}(7)، {**أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**}(8)، {**فَالِقُ**} {**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**}(9)ونحوها، ولا يقال: ماكر ولا بنّاء وإن ورد {**وَمَكَرَ اللَّهُ**}(10) {**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا**}(11)، وقال أبو القاسم القشيري: الأسماء تؤخذ توقيفا من الكتاب والسنّة، فكلّ اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صحّ معناه »(12)

---

(1) سورة الأعراف: 180
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 90/2
(3) انظر: المواقف ص: 333 ؛ الفرق بين الفرق ص: 296 ؛ مجموع فتاوى ابن تيمية 3/3، 5 ؛ 57/5 ؛ بدائع الفوائد لابن القيّم 183/1، تصحيح: محمود غانم غيث، مكتبة القاهرة ط(2) 1392هـ.
(4) فتح الباري 223/11.
(5) الفرق بين الفرق ص: 296
(6) الإرشاد ص: 61
(7) سورة الذاريات: 48
(8) سورة الواقعة: 64
(9) سورة الأنعام: 95
(10) سورة آل عمران: 54
(11) سورة الذاريات: 47
(12) فتح الباري 11/ 223

الحسيب: معناه الحفيظ، وهو فعيل من الحساب[1]، يقول رحمه الله نقلا عن ابن عطية: « والأظهر أنّ (حسيباً) في قوله تعالى: {**وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**}[2] معناه: حاسباً أعمالكم، ومجازيا بها »[3].

المقيت: يقول في قوله تعالى: {**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**}[4]: ومقيتاًمعناه قديرًا، ومنه قول الزبير بن عبد المطّلب:

وذي ضَـــغْنٍ كففت النـفس عـنـه وكـنـت على إســـــاءتـــه مـقـــيـتاً

أي: قديرًا، وقيل مقيتاً: معناه شهيدًا، وقيل حفيظاً، وذهب مقاتل إلى أنه الذي يقوت كلّ حيوان. قال الداودي: قال الكلبي: المقيت: هو المقدّر بلغة قريش »[5].

الرقيب: الحافظ المراعي[6]. ويستأنس رحمه الله في تفسير قوله ✞: {**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**}[7] بما قاله المحاسبي في كتابه القصد إلى الله تعالى[8] أنّ أجمل أجمل حالات العارفين هي المراقبة، « فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله إليك في حركتك وسكونك، وجميع أحوالك، فإنّك بعين الله ✞ في جميع تقلباتك، وإنّك في قبضته حيث كنت، وإنّ عين الله على قلبك، وناظر إلى سرّك وعلانيتك، فهذه الصفة يا فتى بحر ليس له شطّ، بحرٌ تجري منه السواقي والأنهار، وتسير فيه السفن إلى معادن الغنيمة [9].

الفتّاح: يقول رحمه الله عند قوله تعالى : {**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**}[10]. يفتح معناه يحكم، والفتّاح: القاضي، وهو مشهور في لغة اليمن »[11].

الرؤوف: يقول الثعالبي: « فسبحان ما أرحمه بعباده »[12].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 473/1
(2) سورة النساء: 06
(3) نفس المصدر السابق 417/1
(4) سورة النساء: 85
(5) نفس المصدر السابق 472/1-473
(6) نفس المصدر السابق 598/1
(7) سورة النساء: 01
(8) لم أقف على هذا الكتاب
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 214/1
(10) سورة سبأ: 26
(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 381/3 ؛ 51/2 ؛ 233/3
(12) نفس المصدر السابق 308/1

العليّ: يراد به علوّ القدر والمنزلة، لا علوّ المكان، لأنّ الله سبحانه منزّه عن التحيّز[1].

العظيم: هو صفة بمعنى عظم القدر والخطر، لا على معنى عظم الأجرام

فاطِرِ السماوات والأرض: « بِخَفْضِ الرّاء »: نعت لله ﷻ، ومعناه: ابتدع وخلق، وأنشأ[2].

اللطيف: المتلطّف في خلقه واختراعه[3]، وفي موضع آخر اللطف: المحكم للأمور برفق »[4].

الخبير: اسم فاعل من خبر إذا تقصّ علم الشيء[5]. وفي تفسير قوله تعالى: {**وَلاَ** {**وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**}[6]، الخبير هنا: هو الله سبحانه، فهو الخبير الصادق الخبر »[7].

القدير: اسم فاعل على المبالغة: قال القشيري: « وإنّ من علم أنّ مولاه قدير على ما يريد، قطع رجاءه عن الأغيار »[8]. وقدير بمعنى قادر، وفيه مبالغة[9].

---

(1) نفس المصدر السابق 244/1
(2) نفس المصدر السابق 608/1
(3) نفس المصدر السابق 655/1 ؛ 141/4
(4) نفس المصدر السابق 133/2
(5) نفس المصدر السابق 221/1 ؛ 145/4، 659 ؛ 480/1
(6) سورة فاطر: 14
(7) نفس المصدر السابق 393/3 ؛ 480/4 ؛ 215/3
(8) نفس المصدر السابق 121/1-122
(9) نفس المصدر السابق 53/1

الواسع: لأنّه وسع كلّ شيء رحمه وعلماً[1]. وفي موضع آخر قال: معناه: وسعت قدرته وعلمه كلّ شيء[2]، وفي موضع آخر قال: « معناه: ذو سعة فيما يملك، ويعطي وينعم به سبحانه[3].

الحميد: أي المحمود بإطلاقٍ[4]، أي هو مستحقّ ذلك بذاته وصفاته[5].

الودود: بناء مبالغة من ودّ الشيء: إذا أحبّه وآثره، ومعناه: أنّ أفعاله سبحانه ولطفه بعباده لمّا كانت في الإحسان إليهم كفعل من يتودّد، ويوّد الموصنوع له[6].

الشاكر: أي يبذل الثواب والجزاء، عليم بالنيّات والأعمال، لا يضيع معه لعامل عمل »[7]. وفي موضع آخر يقول: « شاكراً: أي يتقبّل أقلّ شيء من العمل وينمّيه، فذلك شكر منه سبحانه لعباده »[8].

الشكور: معناه: مجاز على الدقيقة من الخير لا يضيع عنده لعامل عمل وفي موضع آخر يقول: « يجازي على القليل من الأعمال بالكثير من الثواب، وهذا هو شكره لا رب سواه »[9].

المبدئ-المعيد: ومعناه يبدئ الخلق بالإنشاء، ويعيدهم بالحشر، وذلك عام في جميع الأشياء، فهي عبارته على أنّه يفعل كلّ شيء أي يبدئ كلّ ما يبدأ، ويعيد كلّ ما يعاد، وهذان قسمان يستوفيان جميع الأشياء[10].

البَرُّ: الذي يَبَرُّ ويُحْسِنُ[11].

النّور: معناه مُنَوِّر السماوات والأرض أي به وبقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها كما تقول الملك نور الأمّة أي به قوام أمورها وصلاح جملتها[12].

الحقّ: ومعناه الذي ليس بباطل ولا مجاز[1].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 262/1، 126
(2) نفس المصدر السابق 235/1
(3) نفس المصدر السابق 562/1
(4) نفس المصدر السابق 394/2 ؛ 261/1 ؛ 117/3
(5) نفس المصدر السابق 325/3
(6) نفس المصدر السابق 293/2
(7) نفس المصدر السابق 154/1
(8) نفس المصدر السابق 509/1
(9) نفس المصدر السابق 400/3
(10) نفس المصدر السابق 595/4
(11) نفس المصدر السابق 297/4
(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 185/3

المَلِكُ: معناه ذو الملك، وهذا ما يمكن استقراؤه من خلال تفسيره رحمه الله، منها مثلاً قوله تعالى: {**قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**}(2)، نفى تعالى عن الأصنام والأوثان وغيرهم أن يتصفوا بذلك، أي: لا يملكون مُلْكَ اختراع مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض، وأنّهم لا شرك لهم فيهما، وهذان نوعا الملك إمّا استبداد وإمّا مشاركة، فنفى عنهم جميع ذلك.. »(3)، ويقول تعالى: {**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**}(4) أي تعالى وتعاظم وتقدس الذي بيده الملك في الدنيا والآخرة(5)، والآيات في هذا كثيرة جدًّا. وفيما أشرنا إليه كفاية.

الغنيّ: ومعناه المستغني عن خلقه. يقول رحمه الله في بيان معنى قوله تعالى: {**فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ**}(6): عمّم اللفظ ليبرع المعنى، وتنتبه الفكر لقدرته سبحانه، وعظيم سلطانه، واستغنائه عن جميع خلقه، لا ربّ سواه(7)، وفي تفسير قوله تعالى: {**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ**}(8). يبيّن أنّ الآية تحتمل أن تكون مخاطبة لجميع الناس، لأنّ الله سبحانه غنيٌّ عن جميع الناس وهم فقراء إليه »(9).

الشهيد: أي الشاهد(10). يقول رحمه الله في بيان معنى قوله تعالى: {**ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ**}(11) أي: فالله شهيد من أوّل تكليفهم على جميع أعمالهم »(12).

المغني: ويمكن استخلاصه من قوله تعالى: {**وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ**}(13) أي: أنّ الله تعالى يغني كلّ واحد منهما على صاحبه بفضله، ولطائف صنعه في المال، والعشرة، والسعة، وجود المرادات، والتمكّن منها »(14) وقوله ✞

---

(1) نفس المصدر السابق 631/1 ؛ 236/2 ؛ 166/3
(2) سورة سبأ: 22
(3) نفس المصدر السابق 379/3
(4) سورة الملك: 01
(5) نفس المصدر السابق 439/4 ؛ 248/2
(6) سورة آل عمران: 98
(7) نفس المصدر السابق 349/1 ؛ 501/1
(8) سورة الزمر: 07
(9) نفس المصدر السابق 69/4 ؛ 233/4
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 373/2
(11) سورة يونس: 46
(12) نفس المصدر السابق 240/2 ؛ 499/2 ؛ 517/1، 469
(13) سورة النساء: 130
(14) نفس المصدر السابق 500/1

أيضاً: {**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**}[1] فهو وعد منه تعالى بإغناء الفقراء الفقراء المتزوّجين طلب رضا الله عنهم واعتصاماً من معاصيه[2].

العزيز: الذي لا يغلب ويتمّ مراده[3]. وفي موضع آخر يقول: وعزيز: صفة مقتضية أنّه قادر عليكم لا تعجزونه، ولا تمتنعون منه[4]. وفي آخر يقول: مقتضاه: لا يردّ أمره[5].

الكبير: صفة تعظيم[6].

المتعال: من العلوّ[7]. يقول رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**}[8]: « وحسن هنا الاتّصاف بالعلوّ والكِبَر أي: قَدَرُهُ سبحانه فوق كلّ قدر، ويَدُهُ بالقدرة فوق كلّ يد »[9].

المجيب: ويرجع معناه إلى إجابة دعاء الداعين[10]، وهذا ما يمكن ملاحظته من قوله تعالى: {**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ**}[11]، أي أجابه إلى إرادته، وصرف عن كيدهنّ، في أن حال بينه وبين المعصية[12].

أرحم الرّاحمين: يقول الثعالبي: « هذا الاسم المبارك مناسب لحال أيوب عليه السلام[13] ذكر هذا عند قوله تعالى: {**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**}[14].

الوكيل: ومعناه القائم على خلقه بما يصلحهم. يقول رحمه الله: «والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضي لإيمان من شاء وكفر من شاء »[15] ويقول أيضاً:

---

(1) سورة النور: 32
(2) نفس المصدر السابق 182/3
(3) نفس المصدر السابق 137/1، 291
(4) نفس المصدر السابق 196/1 ؛ 392/2 ؛ 224/3، 394 ؛ 193/4
(5) نفس المصدر السابق 206/1، 228، 516، 598
(6) نفس المصدر السابق 361/2
(7) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(8) سورة النساء: 34
(9) نفس المصدر السابق 441/1
(10) نفس المصدر السابق 174/1، 407 -بتصرّف ؛ 106/4
(11) سورة يوسف: 34
(12) نفس المصدر السابق 320/2
(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 95/3.
(14) سورة الأنبياء: 83
(15) نفس المصدر السابق 269/2

« والوكيل: القيّم الحافظ الضامن »[1]، وفي موضع آخر يقول: « والوكيل: الشاهد القائم بالأمر »[2]، ويقول: « والوكيل: القائم بالأمور المصلح لما يخاف من فسادها »[3]، والوكيل: « القائم بالأمور المنفّذ فيها ما رآه »[4].

ذي الطوْل: معناه: ذي التَطوُّل والمنّ بكلّ نعمة، فلا خير إلاّ منه سبحانه. ومعنى الطوْل: التفضّل والإنعام والسعة والغنى[5].

ذو انتقام: يشير رحمه الله إلى أنّ النقمة والانتقام معناها معاقبة المذنب بمبالغة في ذلك[6].

ذو الجلال والإكرام: يقول رحمه الله: هذا الموضع ممّا أريد فيه بالاسم مسماه والدعاء بهاتين الكلمتين حسن مرجو الإجابة، وقد قال صلى الله عليه و سلم : « ألِظُّوا بيَاذَا الجلال والإكرام »[7] [8].

الحَيُّ: يستعين في بيانه بما نقله عن القشيري في التحبير بقوله: « وإذا علم العبد أنّ مولاه حيٌّ لا يموت صحّ توكّله عليه كما قال تعالى: {**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ**}[9] [10].

علاّم الغُيوب: والغُيوب جمع الغيب وهو: ما غاب عن مدارك الإنسان[11] وهو ممّا انفرد الله بعلمه، ولذلك سميّ غيباً لغيبه عن المخلوقين[12]، والمعنى: أنّه تعالى هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال، لا يغيب عنه شيء، الكلّ معلوم له[13].

عالم الغيب والشهادة: الغيب ما غاب عن الإدراكات، والشهادة: ما شوهد من الأمور [14].

---

(1) نفس المصدر السابق 334/2
(2) نفس المصدر السابق 274/3 ؛ 457/2 ؛ 499/4
(3) نفس المصدر السابق 469/1
(4) نفس المصدر السابق 502/1
(5) نفس المصدر السابق 91/4، 92
(6) نفس المصدر السابق 291/1، 583 ؛ 392/2
(7) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات 539/5 برقم (3524)، من حديث ربيعة بن عامر، وهو حديث صحيح. ؛ وأحمد في مسند الشاميين 177/4 برقم (17632)
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 341/4
(9) سورة الفرقان: 58
(10) نفس المصدر السابق 213/3
(11) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 319/1
(12) نفس المصدر السابق 261/3
(13) نفس المصدر السابق 64/1، 581، 594، 598، 629 ؛ 304/2، 361 ؛ 22/3
(14) نفس المصدر السابق 361/2 ؛ 160/3

الحكيم: معناه الحاكم، وبينهما مزيّة المبالغة، وقيل: المُحْكِمُ، وقال قوم: الحكيم: المانع من الفساد، ومنه حكمة الفرس: مانعته[1]، وفي مواضع أخرى يقول: « الحكيم: المصيب مواقع الفعل، المحكم له[2].

العليم: ومعناه العالم، ويزيد عليه معنًى من المبالغة والتكثير في المعلومات[3].

السميع: أي لأقوال عباده[4].

البصير: أي بأفعال عباده، وبمصالحهم فهو ينزّل لهم من الرزق القدر الذي به صلاحهم فربّ إنسان لا يصلح وتنكف عاديته إلاّ بالفقر[5] هذا ما أشار رحمه الله إليه عند تفسير قوله ﷻ: {**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**}[6].

القاهر: يقول رحمه الله في معرض تفسير قوله سبحانه: {**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**}[7] (القاهر): إن أخذ صفة فعل أي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب، فيصحّ أن تجعل فوق طرفيه للجهة، لأنّ هذه الأشياء إنّما تعاهدها العباد من فوقهم، وإن أخذ (القاهر) صفة ذات معنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز أن تكون الجهة، وإنّما هي لعلو القدر والشأن، على حدّ ما يقول الياقوت فوق الحديد، والأحرار فوق العبيد »[8].

المولى-النصير: يقول تعالى: {**نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**}[9] يشير رحمه الله إلى أنّه: الموالي والمعين، والمولى في اللغة على معانٍ، هذا هو الذي يليق بهذا الموضع منها، والمولى الذي هو السيّد المقترن بالعبد يعم المؤمنين والمشركين[10] وفي موضع آخر يقول: « المَولى: معناه الذي يليكم نصره وحفظه »[11].

---

(1) نفس المصدر السابق 64/1
(2) نفس المصدر السابق 137/1، 196، 206، 228، 425، 516، 598 ؛ 147/2 ؛ 193/4
(3) نفس المصدر السابق 64/1، 126، 140، 154، 167، 210، 246، 303، 311، 345، 366، 366، 572، 585، 655 ؛ 101/2، 118، 147 ؛ 262/4
(4) نفس المصدر السابق 1/ 140، 167، 210، 246، 311، 345، 366، 572 ؛ 101/2، 118، 118، 456، 521
(5) نفس المصدر السابق 145/4
(6) سورة الشورى: 27
(7) سورة الأنعام: 61
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 630/1، 631
(9) سورة الأنفال: 40
(10) نفس المصدر السابق 130/2 ؛ 434/4
(11) نفس المصدر السابق 138/3

المحصي: يقول تعالى: {**وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**}[1] يشير رحمه الله أنّ لفظ أحصى لله سبحانه لا غير[2].

العَفُوُّ: أي أنّ الله تعالى يعفو عن كثير من الذنوب والمعاصي والخطايا - فلا يعاقب عليه بالمعصية، بل يستره على العبد حتّى لا يحدّ عليه[3]، يقول رحمه الله في في تفسير قوله ✞: {**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}[4]: والعَفْوُ: تغطية تغطية الأثر، وإذهاب الحال الأوّل من الذنب أو غيره..، ولا يستعمل العَفْوُ بمعنى الصفح إلاّ في الذنب »[5].

الغفور - الغفّار - غافر الذنب: أي الذي يغفر الذنوب[6] ويمحوها، بمعنى المريد المريد لإزالة العقوبة عن مستحقّها.

المتين: الشديد[7].

الإلحاد في أسماء الله تعالى:

وقد ذمّ الثعالبي الإلحاد في أسماء الله ✞ وحذّر منه، لأنّه خروج عن جادة الحقّ والصواب يقول الله تعالى: { **وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}[8]، ومعناه: أتركوهم، لأنّ الإلحاد في اللغة هو الميل، إلاّ أنه قد صار في عرف الشرع ميلاً مذموماً أي ميلاً عن الحقّ. يقال: ألحد الرجل ولَحَدَ بمعنى: جار ومال وانحرف، وألحد أشهر، ومنه لَحْدُ القبر، أو لحد الميّت لأنّه في جانب.

يقول الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**}[9] وهو هنا: ميل عن الحقّ، واختلف المفسرون في إلحادهم هذا ما هو؟ فقيل هو: إلحاد بالتكذيب، وقيل هو: بالمكاء والصفير واللغو الذي ذهبوا إليه، وقيل: هو وضعهم للكلام غير موضعه، ولفظة إلحاد تعمّ هذا كله[10].

ويدخل تحت هذا الميل بالظلم داخل الكعبة الشريفة -الحرم- كما قال تعالى: {**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**}[11].

---

(1) سورة الجنّ: 28
(2) نفس المصدر السابق 493/4
(3) نفس المصدر السابق - بتصرف 184/4، 380
(4) سورة البقرة: 52
(5) نفس المصدر السابق 84/1
(6) نفس المصدر السابق 247/3، 400، ؛ 83/2 ؛ 168/1، 369
(7) نفس المصدر السابق 289/4
(8) سورة الأعراف: 180
(9) سورة فصّلت: 40
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 90/2 ؛ 117/3 ؛ 127/4 - بتصرّف.
(11) سورة الحج: 25

وبعد هذا العرض اللغوي والشرعي لكلمة (الإلحاد) يشير الثعالبي إلى أنّ الإلحاد في أسماء الله ﷻ معناه: أن يسمّوا اللات[1] نظير اسم الله تعالى، والعزّى[2] نظير العزيز، ويسمّون أوثانهم أرباباً[3].

ونفي أسماء الله أو نفي معانيها من أعظم الإلحاد فيها، ذلك أنّ الله تعالى أخبر عن هذه الأسماء وما تدلّ عليه من المعاني الجليلة وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله، كما يقول جلّ وعلا: {**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**}[4]، ويقول: {**فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**}[5] فالعزيز من له العزّة، والقويّ معناه الموصوف بالقوة، فلولا ثبوت العزّة والقوّة لم يسمّ عزيزاً ولا قوياً، وهكذا باقي أسمائه وصفاته، والقول بخلاف هذا يعدّ مكابرة للعقل والشرع واللغة والفطرة ولهذا نُدْرِكُ شناعة قول المعتزلة المعطلين لصفاته، القائلين سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر..، وأشنع منه إنكار الجهمية لها كلية، وذلك من أعظم أنواع الإلحاد في أسمائه تعالى.

المطلب الثاني: الأسماء والتوقيف

1 ـ اسم الله الأعظم

ذهب الثعالبي إلى أنّ اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى أنّه الحيّ القيوم[6]، وقد أورد عدّة روايات في تعيينه، وهي:

1. ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه قال: قال النّبيّ صلى الله عليه و سلم لفاطمة: « ما يَمنعُكِ أن تسمعي ما أوصيك به، تقولين: إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حيّ، يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّه ولا تكلني إلاّ نفسي طرفة عين »[7].

---

(1) اللاّت صنم كانت العرب تعظّمه. نفس المصدر السابق 308/4 ؛ وانظر: تفصيل عبادة هذا الصنم الصنم ونشأته في أخبار مكة للفاكهي 164/5 تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر-بيروت ط(2) 1414هـ.

(2) العزّى: صخرة بيضاء كانت العرب تعبدها نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

(3) نفس المصدر السابق 90/2

(4) سورة الذاريات: 58

(5) سورة فاطر: 10

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 242/1، 244، 245، 230 ؛ والغريب في الأمر أنّ الثعالبي الثعالبي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: {فسبّح باسم ربّك العظيم} سورة الواقعة /96 يشير إلى احتمال أن يكون الاسم هنا واحداً مقصوداً، ويكون العظيم صفة له، فكأنه أمره أن يسبّحه باسمه الأعظم، وإن كان لم ينصّ عليه، ويؤيّده هذا ويشير إليه اتّصال سورة الحديد، وأوّلها فيها التسبيح وجملة من أسماء الله تعالى، وقد قال ابن عباس: اسم الله الأعظم موجود في ستّ آيات من أوّل سورة الحديد. يقول رحمه الله معقّباً: « فتأمّل هذا، فإنّه من دقيق النّظر، ولله تعالى في كتابه العزيز غوامض لا تكاد الأذهان تدركها » نفس المصدر السابق 360/4. وليس في كلامه هذا ما يدلّ على أنّه يأخذ به. وأمّا ما ذكرناه أعلاه هو الذي صرّح به وهو المعتمد من قوله.

(7) الحديث أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة -باب: ما يقوله إذا أمسى 147/6 برقم (10405) ؛ والحاكم في مستدركه 730/1 برقم (2000) واللفظ له، وقال: "صحيح على شرط الشيخين" ؛ والترمذي بلفظ: " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث "كتاب الدعوات عن رسول الله-باب: مِنْهُ 539/5 برقم (3524)

2. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم كان إذا نزل به همّ أو غمّ قال:« يا حيّ، يا قيّوم برحمتك أستغيث »[1].

3. وعن علّي -رضي الله عنه - قال: « لمّا كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثمّ جئت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أنظر ما صنع، فجئت فإذا هو ساجد يقول: يا حيّ يا قيّوم، يا حيّ يا قيّوم، ثمّ رجعت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد لا يزيد على ذلك، ثمّ ذهبت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد يقول ذلك، ففتح الله عليه »[2].

4. وعن أسماء بنت يزيد[3] رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين {**وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ**}[4]، وفاتحة آل عمران: {**الم(1) اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**}[5] [6].

5. وعن أبي أمامة الباهلي[7] -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: « اسم الله الأعظم في ثلاث سور: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه، قال القاسم فالتمستها أنها الحيّ القيّوم »[8].

ويستعين الثعالبي في تقوية رأيه بما نقله عن الغزالي في كتابه الجواهر[1] بقوله عن آية الكرسي: إنمّا وصفت بكونها سيدة آي القرآن، لا شتما لها على اسم الله

---

(1) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه 689/1 برقم (1875) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجا ".
(2) الحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى 156/6 برقم (10447)
(3) هي: أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الأنصارية الأوسية، تكنّى أمّ سلمة، زوجة أبو سعيد الأنصاري: صحابية جليلة، يقال لها خطيبة النساء، روت عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عدّة أحاديث، حضرت بيعة الرضوان وبايعت يومئذ، وشهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت إلى دولة يزيد بن معاوية، ودفنت بعد وفاتها بمقبرة الباب الصغير بدمشق. انظر: الإصابة 498/7 ؛ تقريب التهذيب ص: 661 برقم(8532) ؛ سير أعلام النبلاء 297/2
(4) سورة البقرة: 163
(5) سورة آل عمران: 1، 2
(6) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة -باب: الدعاء 80/2 برقم (1496) ؛ والترمذي في كتاب الدعوات 517/5 برقم (3478) وقال: "هذا حديث حسن صحيح" ؛ وابن ماجة في سننه: كتاب الدعاء-باب: اسم الله الأعظم 1267/2 برقم (3855) ؛وحسّنه الألباني في صحيح الجامع 229/1 برقم(980)
(7) هو: صدي بن عجلان أبو أمامة الباهلي صحابي جليل نزيل حمص توفي سنة 86 هـ. انظر الجرح والتعديل 454/4 ؛ السير 359/3
(8) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه 684/1 برقم(1861) ؛ وابن ماجة في سننه: كتاب الدعاء- باب: اسم الله الأعظم 1267/2 برقم (3856)، ولفظ الحديث عن النبي ❐ قال: « اسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن: البقرة، وآل عمران، وطه » قال أبو أمامة: فالتمستها فوجدت في البقرة في آية الكرسي « الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم » البقرة /255، وفي آل عمران « الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم » البقرة /02، وفي طه /111 « وعنت الوجوه للحيّ القيوم ».

الأعظم، وهو الحيّ القيّوم »[2]، ويعضد هذا الكلام أيضاً بما أسنده صاحب كتاب « غاية المغنم في اسم الله الأعظم »[3] عن غالب القطان[4]، قال مكثت عشر سنين أدعو الله أن يعلّمني اسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، فأتاني آتٍ في منامي ثلاث ليال متواليات، يقول: يا غالب قل: يا فارج الهمّ، ويا كاشف الغمّ، يا صادق الوعد، يا موفّياً بالعهد، يا منجزاً للوعد، يا حيّ يا قيّوم لا إله إلاّ أنت »[5].

وما ذهب إليه الثعالبي في تعيين اسم الله الأعظم مع سنده، هو قول من بين الأقوال التي اختلف فيها العلماء، وقد ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح أوصلها إلى أربعة عشر قولاً: منهم من أثبته معيّناً، واضطربوا في ذلك، ومنهم من أنكره، كأبي جعفر الطبري، وأبي الحسن الأشعري وأبي حاتم ابن حبّان وأبي بكر الباقلاني، فقالوا: لا يجوز تفصيل بعض الأسماء على بعض، ونسب ذلك بعضهم لمالك لكراهته أن تعاد سورة أو تردّد دون غيرها من السور، لئلاّ يظنّ أنّ بعض القرآن أفضل من بعض، فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل، وحملوا ما ورد من ذلك على أنّ المراد بالأعظم العظيم، وأنّ أسماء الله كلّها عظيمة، وعبارة أبي جعفر الطبري: اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم، والذي عندي أنّ الأقوال كلّها صحيحة، إذ لم يرد في خبر منها أنّه الاسم الأعظم ولاشيء أعظم منه، فكأنّه يقول: كلّ اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم، فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم[6].

والظاهر أنّ ما قرّره الثعالبي في اسم الله الأعظم أنّه الحيّ القيّوم هو الأقرب للصواب الذي عليه كثير من العلماء وإليه مال ابن كثير[7] وابن أبي العزّ الدمشقي، حيث ينصّ هذا الأخير على أنّ مدار الأسماء الحسنى كلّها على هذين الاسمين وإليهما يرجع معانيها، فإنّ الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلّف عنها صفة منها إلاّ لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمّها، استلزم إثباتها إثبات كلّ كمال يُضادّ نَقْيَهُ كمال الحياة، وأما القيّوم، فهو متضمّن كمال غِنَاهُ وكمال قدرته، فإنّه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلاّ بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتمّ انتظام[8]. وقوّاه الفخر

---

(1) لم أقف على هذا الكتاب
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 244/1، 245
(3) لم أقف على هذا الكتاب
(4) هو: غالب القطان، أبو سلمة بن أبي غيلان، سمع من الحسن وابن سرين، اختلف في توثيقه وتضعيفه في الرواية ومن وثّقه الإمام أحمد ويحي بن معين وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: سير أعلام النبلاء 205/6 ؛ الحرج والتعديل (48/7) ؛ تهذيب التهذيب 217/8
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 245/1
(6) فتح الباري 244/11
(7) تفسير ابن كثير 546/1 ؛ 03/2
(8) شرح العقيدة الطحاوية 91/1، 92

الرّازي، واحتجّ بأنّهما يدلاّن من صفات العظمة بالربوبية ما لا يدلّ على ذلك غيرهما كدلالتهما[1].

2 ـ أسماء الله غير محصورة في عدد معين

وأسماء الله الحسنى غير محصورة في عدد معين، وهو ما قاله جمهور العلماء، وقرره الثعالبي، حيث يورد ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « ما قال عبدٌ قطّ إذا أصابه همّ أو حزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمتك عدل في قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك أو انزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همّي إلاّ أذهب الله غمّه وأبدله مكان حزنه فرحًا. قالوا يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلّم هذه الكلمات قال: أجل ينبغي لمن يسمعهن أن يتعلّمهنّ » [2] [3].

فدّل هذا الحديث على أنّه ✠ له أسماء غير التسعة والتسعين، وهو الحقّ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية نقلا عن الخطابي[4] وغيره: « فهذا يدلّ على أنّ له تعالى أسماء استأثر بها، وذلك يدل على أنّ قوله: (إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنّة » أنّ في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنّة، كما يقول القائل: إنّ لي ألف درهم أعددتها للصدقة، وإن كان مَالُهُ أكثر من ذلك، والله في القرآن قال: {**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**}[5]. فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقًا، ولم ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلاّ تسعة وتسعين اسمًا، والحديث قد سلم معناه »[6]. معناه »[6].

ويقول البيهقي: (وليس في قوله عليه الصلاة والسلام:« إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا » نفي غيرها، وإنّما وقع التخصيص بذكرها، لأنّها أشهر الأسماء وأبينها معاني، وفيها ورد

---

(1) فتح الباري 224/11

(2) الحديث أخرجه أحمد في مسنده 391/1 برقم (3712)؛ والحاكم في المستدرك 690/1 برقم (1877)

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 59/4

(4) هو: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، فقيه، محدّث، له مؤلفات في الحديث وغيره، توفي سنة 388 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 23/17 ؛ ومفتاح السعادة 128/2 ؛ الأعلام 274/2 ؛ تذكرة الحفاظ 1018/3)

(5) سورة الأعراف: 180

(6) مجموع الفتاوى 482/22-486 ؛ شرح السنة للبغوي 35/5 تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي بيروت 1391هـ ؛ شرح النّووي على صحيح مسلم 05/17 دار التراث العربي-بيروت ط(2) 1392م ؛ فتح الباري لابن حجر 223/11 ؛ وقد ردّ رحمه الله -بإسهاب على قول ابن حزم في حصر الأسماء في التسعة والتسعين ؛ وشفاء العليل لابن القيم ص: 553، وقد صرّح رحمه الله بأنّ هذا رأي الجمهور، وما خالفهم في ذلك إلاّ ابن حزم؛ بدائع الفوائد188/1 ؛ إيثار الحقّ على الخلق ص: 158-159 ؛ تفسير ابن كثير 257/3

الخبر أنّ من أحصاها دخل الجنّة[1]، سواء أحصاها ممّا ورد في الحديث، أو من سائر ما دلّ عليه الكتاب أو السنة أو الإجماع)[2].

ونقل النّووي اتّفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنّه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنّما مقصود الحديث أنّ هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنّة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنّة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء[3].

وقد أورد الترمذي في سننه تعيين التسعة والتسعين اسمًا لله تعالى وزاد فقال: « هو: الله الذي لا إله إلاّ هو الرحمان الرحيم، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، الخالق، البارئ، المصوّر، الغفّار، القهّار، الوهاب، الرزّاق، الفتّاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزّ، المذلّ، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحقّ، الوكيل، القوي، المتين، الوليّ، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحيّ، القيّوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدّم، المؤخّر، الأوّل، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البرّ، التوّاب، المنتقم، العفوّ، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغنيّ، المانع، الضارّ، النّور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور »[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الثعالبي لم يورد هذا الحديث المعيّن لهذه الأسماء، ممّا يدلّ على أنّ سردها لم يصحّ رفعها للنبي صلى الله عليه و سلم عنده، ويقوّي هذا، اختلاف العلماء في ذلك.

يقول الحافظ ابن حجر: « واختلف العلماء في سرد الأسماء: هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرّواة؟ فمشى كثير منهم على الأوّل، واستدلّوا به على جواز تسمية

---

(1) الأسماء والصفات ص: 17
(2) الاعتقاد ص: 32
(3) فتح الباري 220/11
(4) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات-باب: ذكر أسماء الله عزّ وجلّ 496/5 برقم (3507) من طريق صفوان عن الوليد بن مسلم به. وقال الترمذي: "هذا حديث غريب. . .، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النّبيّ ❐، ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلاّ في هذا الحديث"؛ وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص: 16 ؛ والاعتقاد ص: 31 ؛ والبغوي في شرح السنّة 35/5 برقم (1257)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقاق-باب الأذكار 88/3 برقم (808) قال المحقق: رجاله ثقات"؛ وصححه الحاكم في المستدرك 16/1، وسكت عنه الذهبي, هذا مع وجود الاختلاف في سرد الأسماء بين رواية وأخرى"؛وأخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب الدعاء-باب: أسماء الله عزّ وجلّ 1369/2 برقم (3861)، من طريق أبي هريرة مرفوعًا فسرد الأسماء المتقدّمة أعلاه بزيادة ونقصان.

الله تعالى بما لم يَرِدْ في القرآن بصيغة الاسم، لأنّ كثيرا من هذه الأسماء كذلك؛ وذهب آخرون إلى أنّ التعيين مدرج لخلوّ أكثر الروايات عنه[1].

والظاهر القريب من الصحّة، والذي رجّحه كثير من العلماء المحقّقين أنّ هذا التعيين ليس ثابتًا عن النبي صلى الله عليه و سلم ، ذلك لأنّ الوليد بن مسلم[2] راوي الحديث يذكر عن بعض العلماء أنّ سَرْد الأسماء في الحديث مدرج فيه، وهذا ما يذكره الحافظ ابن كثير [3] بقوله: « والذي عوّل عليه جماعة من الحفّاظ أنّ سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنّما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك بن محمّد الصنعاني[4] عن زهير بن محمّد[5]، أنه بلغه من غير واحد من أهل العلم أنّهم قالوا ذلك، أي أنّهم جمعوها من القرآن، كما ورد عن جعفر بن محمّد[6]، وسفيان بن عيينه[7]، وأبي زيد اللغوي ».

وأيّد ابن العربي هذا بقوله: (ويحتمل أن تكون من جمع بعض الروّاة وهو الأظهر عندي)[8].

---

(1) فتح الباري 215/11 وقد بيّن رحمه الله طرق الحديث وسنده وأهمّ الأئمة الذين أخرجوه في كتبهم. ومال رحمه الله إلى أنّ الأسماء مدرجة حيث يقول " ورواية الوليد تشعر بأنّ التعيين مدرج " 216/11

(2) هو: الوليد بن مسلم القرشي، مولاهم، الدمشقي، أبو العبّاس الإمام الحافظ عالم دمشق ولد سنة 119هـ: ثقة لكنّه كثير التدليس والتسوية. مات آخر سنة 194 هـ أو أوّل سنة 195 هـ. انظر التقريب ص: 513 مترجم برقم(7456) ؛ الجرح والتعديل 16/9 ؛ تذكرة الحفاظ 302/1

(3) انظر: تفسير ابن كثير 257/3 ؛ الأسماء والصفات ص: 19 ؛ شرح السنّة 35/5 ؛ مجموع فتاوى ابن تيمية 482/22-483

(4) هو: عبد الملك بن محمّد الحِمْيَرِي البَرْسَمِيُّ (بفتح الموحّدة والمهملة بينهما راء ساكنة)، من أهل صنعاء دمشق، ليّن الحديث. انظر التقريب ص: 306 مترجم برقم(4211)

(5) هو: زهير بن محمّد التميمي، أبو المنذر الخراساني، سكن الشام ثم الحجاز، رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة، فَضُعِّفَ بسببها. ، قال أبو حاتم: حدّث بالشام من حفظه فكثر لفظه، مات سنة 162 هـ. انظر التقريب ص: 158 مترجم برقم(2049)

(6) لعلّه جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، المعروف بالصادق صدوق، فقيه، إمام، مات سنة 148 هـ. انظر: التقريب ص: 80 برقم (950)

(7) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي، أبو محمّد الكوني، ثم المكيّ، ثقة، حافظ فقيه فقيه إمام حجّة، إلاّ أنّه تغيّر حفظه بآخره، وكان ربّما دلّس لكن عن الثقات، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، مات في رجب سنة 198 هـ، وله 91 سنة. انظر: التقريب ص: 184 مترجم برقم (2451)؛ الجرح والتعديل 32/1 ؛ سير أعلام النبلاء 454/8

(8) فتح الباري 217/11

وأمّا معنى الإحصاء الوارد في الحديث فقد اختلف العلماء في بيان معناه، حيث أورد ابن حجر في الفتح أغلب أقوال العلماء فيها [1]:

فقال الخطابي الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يعدّها حتّى يستوفيها، يريد أنّه لا يقتصر على بعضها لكن يدعو الله بها كلّها ويثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

ثانيها: المراد بالإحصاء الإحاطة كقوله تعالى: {**عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ**}[2]، ومنه حديث: « استقيموا ولن تحصوا »[3] أي لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى من أطاق أطاق القيام بحقّ هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها فإذا قال (الرّزّاق) وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بالإحصاء: الإحاطة بمعانيها، من قول العرب فلان ذو حصاة أي: ذو عقل ومعرفة.

وقيل: « المرجو من كرم الله تعالى أنّ من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحّة النيّة أن يدخله الله الجنّة، وهذه المراتب الثلاثة للسابقين والصّديقين وأصحاب اليمين ».

وقيل: معنى أحصاها: عرفها، لأنّ العارف بها لا يكون إلاّ مؤمنًا، والمؤمن يدخل الجنّة.

وقيل: معناه عدّها معتقدًا، لأنّ الدّهري لا يعترف بالخالق، والفلسفي لا يعترف بالقادر.

وقيل: أحصاها: يريد بها وجه الله وإعظامه.

وقيل: أحصاها: عمل بها، فإذا قال (الحكيم) مثلاً سلّم جميع أوامره لأنّ جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال (القدّوس) استحضر كونه منزّهًا عن جميع النقائص، وهذا اختيار أبي الوفا بن عقيل.

وقال ابن بطّال: طريق العمل بها أنّ الذي يسوغ الإقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإنّ الله يحبّ أن يرى حُلاَهَا على عبده، فليمرّن العبد نفسه على أن يصّح له الاتصاف بها، وما كان يختصّ بالله تعالى كالجبّار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التخلّي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة، فهذا معنى أحصاها وحفظها، ويؤيّده أنّ من حفظها عدًّا وأحصاها سردًا ولم يعمل بها يكون

---

(1) فتح الباري 225/11، 227-بتصرف
(2) سورة المزمل: 20
(3) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك 221/1 برقم (448)

كمن حفظ القرآن ولم يعمل بما فيه، وقد ثبت الخبر في الخوارج أنّهم يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم.

قال ابن حجر معقّبًا: « والذي ذكره مقام الكلام، ولا يلزم من ذلك أن لا يرد الثواب لمن حفظها وتعبّد تلاوتها والدعاء بها وإن كان متلبّسًا بالمعاصي كما يقع مثل ذلك في قارئ القرآن سواء، فإنّ القارئ ولو كان متلبسًا بمعصية غير ما يتعلّق بالقراءة يثاب على تلاوته عند أهل السنّة، فليس ما يحثه ابن ابطال بدافع لقول من قال: أنّ المراد حفظها سردًّا والله أعلم.

وقال النووي: قال البخاري وغيره من المحقّقين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر لثبوته نصًّا في الخبر، وقال في (الأذكار): هو قول الأكثرين(1).

وقال ابن الجوزي: لمّا ثبت في بعض طرق الحديث (من حفظها) بدل (أحصاها) اخترنا أنّ المراد العدّ، أي من عدّها ليستوفيها حفظًا.

يعقّب ابن حجر على هذا بقوله: « وفيه نظر، لأنّه لا يلزم من مجيئه بلفظ حفظها تعيّن السرد عن ظهر قلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي.

وقيل: المراد بالحفظ حفظ القرآن لكونه مستوفيًا لها، فمن تلاه ودعا بما فيه من الأسماء حصل المقصود، قال النووي: وهذا ضعيف، وقيل المراد من تتبّعها من القرآن وقال ابن عطية: معنى أحصاها عدّها وحفظها، ويتضمّن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والاعتبار بمعانيها.

وقال: ليس المراد بالإحصاء عدّها فقط لأنّ قد يعدّها الفاجر، وإنّما المراد العمل بها.

وقيل: الإحصاء المذكور في الحديث ليس هو التعداد، وإنّما هو العمل والتعقّل بمعاني الأسماء والإيمان بها.

وقيل: من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم المعرفة بالأسماء والصفات وما تضمّن من الفوائد وتدلّ عليه من الحقائق، ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالمًا لمعاني الأسماء ولا مستفيدًا بذكرها ما تدّل عليه من المعاني.

وقيل: يحتمل الإحصاء معنيين:

أحدهما: أنّ المراد تتبعّها من الكتاب والسنّة حتى يحصل عليها.

والثاني: أنّ المراد أن يحفظها بعد أن يحدها محصاة، قال: ويؤيّده أنّه ورد في بعض طرقه (من حفظها)، قال: ويحتمل أن يكون صلى الله عليه و سلم أطلق أوّلاً قوله (من أحصاها دخل الجنة) ووكّل العلماء إلى البحث عنها ثمّ يسّر على الأمّة الأمر فألقاها إليهم محصاة وقال (من أحصاها دخل الجنة).

---

(1) الأسماء والصفات ص: 17 ؛ شرح النووي لمسلم 05/17 ؛ وفتح الباري 226/11

يقول ابن حجر معقّبًا: « وهذا الاحتمال بعيد جدًّا لأنّه يتوقف على أنّ النّبي صلى الله عليه و سلم حدّث بهذا الحديث مرتين إحداهما قبل الأخرى، ومن أين يثبت ذلك ومخرج اللفظين واحد؟ وهو أبو هريرة، والاختلاف عن بعض الروّاة عنه في أيّ اللفظين قاله ».

قال: وللإحصاء معانٍ أخرى، منها: الإحصاء الفقهي وهو العلم بمعانيها من اللغة وتنزيلها على الوجوه التي تحملها الشريعة، ومنها الإحصاء النظري وهو أن يعلم معنى كلّ اسم بالنظر في الصفحة ويستدل عليه بإثره الساري في الوجود فلا تمرّ على موجود إلاّ يظهر لك فيه معنى من معاني الأسماء وتعرف خواص بعضها وموقع القيد ومقتضى كلّ اسم..، وهذا أرفع مراتب الإحصاء..، وتمام ذلك أن يتوجه إلى الله تعالى من العمل الظاهر والباطن بما يقتضيه كل اسم من الأسماء فيعبد الله بما يستحقّه من الصفات المقدسة التي وجب لذاته، فمن حصلت له جميع مراتب الإحصاء حصل على الغاية، ومن منح منحى من مناحيها فثوابه بقدر ما نال والله أعلم.

3 ـ هل الاسم عين المسمّى أو غيره؟

تطرق الثعالبي لهذه المسألة في تفسيره، ولكن بإيجاز شديد، وقبل بيان موقفه يستحسن بنا أن نذكر أهمّ الأقوال الواردة فيها.

1. فزعمت المعتزلة والجهمية ومن وافقهم أنّ الاسم غير المسمّى، وأنّه قول المُسَمِّي وتسميته لما سَمَّاهُ(1).
2. وذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى أنّ الاسم هو المسمّى نفسه، أو صفة متعلقة به، وأنّه غير التسمية(2).
3. وتوقّف البعض -وهو قول جماعة من السلف- حيث ذكر ابن تيمية أنّهم توقّفوا في ذلك نفيًا وإثباتًا، بمعنى أنّهم لا يقولون: إنّ الاسم هو المسمّى ولا غيره إذ كان كلّ من الإطلاقين بدعة، لا يعرف فيها قول لأحد(3).
4. وذهب البعض إلى أنّ الاسم والمسمّى والتسمية أمور ثلاثة متباينة وهذا الذي اختاره الغزالي ورجّحه ابن حجر(4).

---

(1) الكشّاف 272/1 ؛ التمهيد ص: 258 ؛ الإرشاد ص: 61 ؛ مجموع فتاوى ابن تيمية 168/6، وقد ذكر رحمه الله أنّ الجهمية بنوا رأيهم هذا على أساس أنّ أسماء الله مخلوقة، وما دامت كذلك فهو غيره، وهذا كلام باطل، لأنّ أسماء الله من كلامه، وكلامه غير مخلوق، بل هو المتكلّم به، وهو المسمّى لنفسه بما فيه من الأسماء.

(2) المواقف ص: 333 ؛ الإرشاد ص: 60 ؛ التمهيد ص: 258 ؛ شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة مج(1) 204/2

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية 185/6

(4) فتح الباري 222/11.

هذه هي أهّم الآراء في القضية، فما هو موقف الثعالبي منها ؟

الظاهر -من خلال ما صرّح به الثعالبي في مواضع من تفسيره- يدلّ على أنّه يرى أن الاسم هو المسمّى نفسه، أو صفة متعلقة به، وأنّه غير التسمية، وهذا ما يبدو من كلامه الذي نقله عن الصفاقسي، حيث ينصّ على أنّ:

الاسم: هو الدال بالوضع على موجود في العيان، إن كان محسوسًا، وفي الأذهان إن كان معقولاً، من غير تعرّض ببنيته للزمان، ومدلوله هو المسمّى، والتسمية جعل ذلك اللفظ دليلاً على المعنى.

فهي أمور ثلاثة متباينة، فإذا أسندت حكمًا إلى لفظِ اسم، فتارة يكون حقيقة نحو: زيد اسم ابنك، وتارة يكون مجازًا، وهو حيث يطلق الاسم، ويراد به المسمّى، كقوله تعالى: {**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**}(1) و {**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**}(2) (3)، يقول الثعالبي في تفسير الآية -ما قبل هذه الأخيرة: « هذا الموضع ممّا أريد فيه بالاسم مسمّاه »(4) وقوله تعالى: {**أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا**}(5) أي في مسميات سمّيتموها آلهة ؟(6).

ويدل على هذا كثرة أسماء الله تعالى على معنى كثرة التسميات والعبارات عنها لا على أنّ الذات أشياء كثيرة.(7) كما قال تعالى: {**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**}(8) وقال: {**قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**}(9) فقد بيّنت هاتين الآيتين أنّها أسماء لمسمّى واحد، وتقديرها: أي الأسماء تدعو به فأنت مصيب، فله الأسماء الحسنى(10).

وإذا جئنا إلى قوله سبحانه: {**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ**}(11) فإنّنا نراه يشير إلى أنّها مسمّيات، ويحتمل، وهو الراجح المختار أن يريد: ما تعبدون من دونه ألوهية ولا لكم تعلّق بإله إلاّ بحيب أن سمّيتم أصنامكم آلهة، فليست عبادتكم لا لله إلاّ بالاسم فقط لا بالحقيقة، وأمّا الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سواء، وإنّما تعلقت عبادتكم بحسب الاسم الذي وضعتم فذلك هو معبودكم ..، على أنّ الأسماء يراد

---

(1) سورة الرحمان: 78
(2) سورة الأعلى: 01
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 34/1
(4) نفس المصدر السابق 341/4
(5) سورة الأعراف: 71
(6) نفس المصدر السابق 42/2
(7) التمهيد ص: 262
(8) سورة الأعراف: 180
(9) سورة الإسراء: 110
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 504/2
(11) سورة يوسف: 40

بها ذوات الأصنام، وأمّا على المعنى المختار من أنّ عبادتهم إنّما هي لمعانٍ تعطيها الأسماء، وليست موجودة في الأصنام، فقوله (سميّتموها) بمنزلة وضعتموها[1].

هذا أهم ما وقفت عليه من كلام الثعالبي في هذه المسألة، والغريب في الأمر أننا نجده في موضع آخر يومئ إلى خلاف ما قرّره من قبل ممّا يجعل موقفه غامضًا-إن صحّ هذا التعبير، حيث يشير إلى أنّ الاسم غير المسمّى، وهذا ما يبدو جليًّا في معرض تفسير قوله ﷻ: {**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}[2] يقول: « وليس في هذه الآية ما يدلّ أنّ أنّ الاسم هو المسمّى كما ذهب إليه مكّي والمهدوي، والذي يظهر: أنّ الله تعالى علّم آدم الأسماء وعرض مع ذلك عليه الأجناس أشخاصًا، ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسميّاتها التي قد تعلّمها آدم، ثم إنّ آدم قال لهم: هذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا »[3].

ويظهر بهذا أنّ الثعالبي قد أخذ بالقول الذي رجحه ابن حجر، وهو: أنّ الثلاثة أمور متباينة لأنّ الأهمّ إن كان عبارة اللفظ الدال على الشيء بالوضع وكان المسمّى عبارة عن نفس ذلك الشيء المسمّى فالعلم الضروري حاصل بأنّ الاسم غير المسمّى وهذا مما لا يمكن النزاع فيه.

والذي نراه الأقرب إلى الصواب في المسألة هو ذلك التفضيل الذي أورده ابن أبي العّز بقوله: « فالاسم يراد به المسمّى تارة، ويُرَادُ به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمّى نفسه، وإذا قُلْتَ: الله اسم عربي، والرحمان اسم عربي، والرحمان من أسماء الله تعالى، ونحو ذلك، فالاسم ها هنا للمسمّى ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أنّ اللفظ غير المعنى فحقّ، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتّى خلق لنفسه أسماء، أو حتّى سمّاه خَلْقُه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى[4].

---

(1)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 323/2 ؛ 309/4
(2) سورة البقرة: 31
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 63/1
(4) شرح العقيدة الطحاوية 102/1

الفصل الثالث
الـنـــبـــوّات

المبحث الأول
الـنـبـي ومـهـمـتـه

المطلب الأول: النبوة وأهميتها

1 ـ تعريف النبوة:

النبوة لغة لها ثلاثة اشتقاقات:

أ. إمّا أن تكون مشتقّة من النبأ، فتكون بمعنى الإخبار، إذ النبأ هو الخبر، وجمعه أنباء، والنّبيّ: المخبر عن الله تعالى، وجمعه أنبياء[1]. تقول أتاني نبأ من الأنباء، وأُنْبِئْتُ بكذا وكذا، ونُبِئْتُ، واستَنْبَأْتَهُ: استخبرتُهُ[2]. يقول الرّاغب[3] النبأ: خبرٌ ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة[4].

ب.وإما أن تكون مشتقة من النَّبَوَة أو النَّبَاوَةُ، وكلاهما يدل على الارتفاع، فتكون بمعنى الرفعة والعلوّ.

ت.وإما أن تكون مشتقّة من النّبيّ، وهو بمعنى الطريق، فتكون النبوة بمعنى الطريق إلى الله ﷻ.

جاء في لسان العرب: النّبأ: الخبر، والجمع أنباء، وإنّ لفلانٍ نبأ: أي خبرًا، والنّبيّ المخبر عن الله، وقيل النبيّ مشتقّ من النّباوة: وهي الشيء المرتفع، والنّبيّ أيضا: الطريق الواضح[5].

والمتمعن في هذه الاشتقاقات السابقة يُدرك أن النبوّة الشرعية تشمل كلّ هذه المعاني، إذ النبوة إخبار عن الله ﷻ، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطريق الموصلة إلى الله سبحانه؛ ومع ذلك فإن أولى هذه المعاني بلفظ النبوّة وكذلك النّبيّ، هو اشتقاقها من النّبأ، لأن النبيّ مُنَبَّأ من الله، وهو كذلك ينبئ الناس عن الله، وتتحقق نبوتّه بمجرّد ذلك، وبهذا التحقّق تثبت له أوصاف العلوّ

---

(1) القاموس المحيط 30/1 فصل الميم والنون. باب الهمزة -مادة (النّبأ) ؛ النبوّات ص: 255
(2) أساس البلاغة ص: 442
(3) هو: الإمام أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، صاحب المصنفات في التفسير واللغة ؛ انظر: كشف الظنون 377/1
(4) معجم مفردات القرآن ص: 500
(5) لسان العرب 162/1، 164. مادة: نبأ ؛ النبوّات ص: 225

والرفعة، وكونه طريقا إلى معرفة الله تعالى[1] ويؤيِّد ذلك ما ورد في القرآن الكريم في عدّة آيات من إطلاق النّبأ على الخبر كقوله تعالى: {**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**}[2]، وقوله سبحانه: {**نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**}[3].

أمّا النبوّة شرعا: فهي صفة تحدث في الشخص بعد أن يصطفيه الله ✞، فيخبره بخبر السماء، فإن كلّفه بتبليغه إلى الناس يكون نبيّا ورسولاً، وإن لم يكلّف فهو نبيّ فقط[4].

وعلى هذا فإن النبوّة فضلٌ إلهيٌ ومنحة ربّانية، يهبها الله ✞ لمن يشاء من عباده، ويختار لها من يريد من خلقه، وهي لا تُدْرَكُ بالجدّ والتعب، ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة، وإنّما هي اصطفاء واختيار، فلا تكون إلاّ لمن اختاره الله تبارك وتعالى لها ممّن هم أهل لحملها، كما قال تعالى: {**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**}[5]، وقال في معرض الحديث عن بعض الرسل: {**وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**} [6] [7].

تعريف النبي والرسول:

النّبيّ لغة: مشتق ممّا اشتقت منه كلمة النبوّة، أي من النّبأ، وهو الخبر، كما في قوله تعالى: {**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(1) عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**}[8]. وقيل من النَبْوَة: وهو ما ارتفع ارتفع من الأرض. قال في الصحاح: « إن جعلت لفظ النّبيّ مأخوذاً من ذلك فمعناه أنّه شرف على سائر الخلق. وأصله غير الهمزة، فهو فعيل بمعنى مفعولٌ[9]، ومنه قوله تعالى: {**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**}[10]. وقيل النّبيّ هو الطريق الواضح، لأن العرب تطلق لفظ النّبيّ على عَلَم من أعلام الأرض التي يهتدي بها، وسمّي النّبيّ بذلك، لأنّه علم يهتدي بها الخلق إلى الله تبارك وتعالى.[11]

---

(1) اقتباسا من كتاب منهج الإمام الشوكاني في العقيدة د. عبد الله نسوموك 641/2 مؤسسة الرسالة - بيروت ط(2) 1414 هـ -1994م.
(2) سورة الحجر: 49
(3) سورة التحريم: 03
(4) نقلا عن كتاب منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ص: 642
(5) سورة الحج: 75
(6) سورة ص: 47
(7) نفس المصدر السابق والصفحة
(8) سورة النبأ: 1، 2
(9) الصحاح 2500/6. مادة (نبأ) ؛ النبوات ص/225، 227 ؛ الموافق ص: 337
(10) سورة مريم: 57
(11)الصحاح 74/1 مادة (نبأ) و 2500/6 مادة (نبأ) من المعتل ؛ لسان العرب 162/1، 164 مادة (نبأ)

والرسول لغة: مشتق من الإرسال، ومعناه البعث والتوحيد، فإذا بعثت شخصا في القيام بمهمّة ما فهو رسولك.

قال تعالى حكاية عن ملكة سبأ: {**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**}(1). ويجمع الرسول على أرْسُل، ورُسُل ورُسْل، ورُسَلاء، وسُمُّوا الرُّسُل الرُّسُل بذلك لأنهم مبعوثون وموجهون من قبل الله ﷻ، لتبليغ الخلق أمر الله ووحيه (2).

أما تعريف النبي والرسول شرعاً: فتعددت أقوال العلماء فيهما، وقد ذكر الشوكاني بعض هذه الأقوال(3)، فقال:

- و**النبي** في لسان الشرع: من بُعِثَ إليه بشرع، فإن أمر بتبليغه فرسول.
- وقيل: **هو**: المبعوث إلى الخلق بالوحي لتبليغ ما أوحاه، و**الرسول**: قد يكون مرادفا له، وقد يختص بمن هو صاحب كتاب.
- وقيل: **هو**: المبعوث لتجديد شرع أو تقريره، و**الرسول** هو: المبعوث للتجديد فقط وعلى هذه الأقوال: النبي أعم من الرسول.

وقال في موضع آخر(4):

- وقيل: **الرسول**: الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عيانا ومحاورته شفاها، و**النبي**: الذي يكون إلهاما أو مناما.
- وقيل: **الرسول**: من بعث بشرع وأمر بتبليغه، و**النبي**: من أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، ولم ينزل عليه كتاب، ولا بد لهما جميعا من المعجزة الظاهرة.

والقول المشهور في تعريفهما هو القول الأول الذي ذكره الشوكاني وقرره، وهو أن **الرسول** من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، و**النب**ي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا (5).
(5).

---

(1) سورة النّمل: 35
(2) الصحاح 1709/4 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 200 ؛ ولسان العرب 283/11، 284
(3) نيل الأوطار للشوكاني 19/1 دار الجيل-بيروت 1973م.
(4) فتح القدير 3/ 361
(5) شرح العقيدة الطحاوية 1/ 155 ؛ التعريفات ص: 115، 116

وقد اعترض بعضهم[1] على هذا التعريف بقوله تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ**}[2] الآية. لأنه يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير، موردين القول بأن النّبيّ الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسول الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب، وإنّما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة كما بينه تعالى بقوله {**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا**}[3].

والخلاف الحاصل في تعريف كل من النبي والرسول خلاف لفظي لا كبير أثر يترتب عليه مادام كلاهما مبعوث من عند الله تعالى لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب، والله أعلم.

2 ـ أهمية النبوة والرسالة

خلق الله ✞ الإنسان على هذه الأرض لحكمة جليلة هي عبادته وتوحيده كما قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**}[4]، وميّزه عن غيره من المخلوقات الأخرى بميزة العقل، بها يستطيع التفرقة بين ما ينفعه وما يضره، غير أن الله تعالى جعل له حدودا لايتعدّاها، فهو في هذا العالم المحسوس يستطيع أن يدرك كثيرا من الأمور، وإذا ظهر منه عجز أو قصور فإنه بالتجارب يمكنه أن يتجاوزه، إلا أنه ـ فيما وراء ذلك ـ يقف حَائِرًا، ولن يصل إلى شيء.

فالإنسان بفرطته السليمة يدرك أن له ربًّا هو الذي خلق هذا الكون الفسيح، ويستحيل بالضرورة أن يكون بلا خالق، ومن ثم يدرك وجود الله تعالى، ولكنه بعد ذلك يبقى تائها، يتخبط في متاهات الحيرة والضلال، فيضل عن الطريق الصحيح.

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى إنزال الرسالات السماوية على البشر من أجل إعادتهم إلى جادة الحق والصواب، ألا وهي عبادة الله تعالى الواحد الأحد.

فالعرب ـ مثلا ـ كانوا على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولكنهم مع مرور الأزمنة وتوالي الأحداث انحرفوا عن دينه القويم ـ وهو التوحيد ـ فعبدوا الأصنام والأوثان [5].

---

(1) منهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 735/5. طبعة دار الافتاء بالرياض 1303 هـ ؛ وهو الرأي الذي رجحه د. عبد الله نسوموك في كتابه منهج الشوكاني في العقيدة 2/ 644

(2) سورة الحج: 52

(3) سورة المائدة: 44

(4) سورة الذاريات: 56

(5) انظر الملل والنحل 2/ 207

والهنود[1] عرفوا أنّ لهم خالقا، ولكنهم بعد ذلك ضلّوا، فأنكروا النبوات أصلا محتجين بأن العقل التام كفاهم بإدراكه والوصول إليه، حتى أدى بهم الأمر إلى أن عبدوا الحيوانات وغيرها.

وهكذا باقي الشعوب والأمم التي قصّ الله علينا بعض أخبارهم في القرآن الكريم، وما حدث للأنبياء والرسل معهم، لهذا كان من كمال رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم الأنبياء والرسل لهدايتهم وإرشادهم إلى صراطه المستقيم، ولإقامة الحجّة عليهم، كقوله ﷻ: {**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ**}[2]، وقوله سبحانه: {**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ**}[3] إذ بدون هؤلاء الرسل والأنبياء ما كان الإنسان يستطيع أن يتخلص ممّا هو فيه من الضلالة والغواية. ومن هنا لا غرابة أن يوضح سبحانه وتعالى الغاية من بعثهم بقوله: {**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**}[4] يشير الثعالبي في تفسير هذه الآية إلى أنه سبحانه أراد أن يقطع بالرسل احتجاج من يقول: لو بعث إليّ رسول لآمنت، والله سبحانه عزيز لا يغالبه شيء، ولا حجّة لأحد عليه، حكيم في أفعاله، فقطع الحجّة بالرسل حكمة منه سبحانه[5].

من هنا تظهر بوضوح حاجة الناس إلى الرسالة والنبوة فوق حاجتهم إلى كل شيء.

المطلب الثاني: الإيمان بالأنبياء والرسل والمفاضلة بينهم ومهمتهم في العقائد

1 ـ الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

الإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان العبد إلاّ بها، وهو ما دلت عليه نصوص القرآن الكريم والسنّة المطهّرة.

يقول الله تعالى: {**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**}[6].

---

(1) هم أمة كبيرة وملة عظيمة، وآراؤهم مختلفة، فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلا، ومنهم من يميل إلى الدهر، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية ويقول بملة إبراهيم عليه السلام، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها نفس المصدر السابق 2/ 218 ؛ إحياء علوم الدين 113/1

(2) سورة فاطر: 24

(3) سورة المؤمنون: 44

(4) سورة النساء: 165

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 516/1، ؛541، 623 ؛ 395/3 ؛ 88/4

(6) سورة البقرة: 285

يبيّن الثعالبي معنى هذه الآية أنّ: « المؤمنين ليسوا كاليهود والنّصارى في أنّهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض »[1]، فالمؤمنون من صفاتهم السمع والطاعة، وفي ذلك مدحٌ يقتضي الحضّ على هذه المقالة، وأن يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر[2].

ويخاطب ✞ أهل الكتاب مستقبحا غلوّهم في عيسى عليه السلام ومبطلاً زعمهم، ومبّينا بأنّه رسول كغيره من الرسل عليهم السلام الواجب على المؤمن الإيمان بهم، وأنهم مبلّغون عن الله ما أمرهم بتبليغه حيث يقول: {**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**}[3].

فقوله تعالى: (فآمنوا بالله ورسله) أي الذين من جملتهم عيسى ومحمّد عليهما السلام[4]، وفي السنّة ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم حيث سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان، فأجابه: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه » [5].

والإيمان برسل الله ✞ وأنبيائه معناه: التصديق الجازم بأن الله تعالى أرسلهم لهداية الخلق إلى صراط الله المستقيم، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، ويجب على المؤمن أيضا الإيمان تفصيلا بكل رسول أو نبيّ ممّن ذكره الله في القرآن، والإيمان جملة بأنّ لله تعالى رسلاً غيرهم وأنبياء لا يعلمهم إلاّ هو سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول تعالى: {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**}[6]، ويقول أيضا: {**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**}[7]، يشير الثعالبي إلى أن المعنى إنّما أنت منذر ولكل أمة سلفت هادٍ، أي نبيّ يدعوهم، أي فليس أمرك يا محمّد ببدع ولا منكر، وهذا يشبه غرض الآية[8]. ثم إن الإيمان بجميع الأنبياء والرسل يقتضي عدم التفريق بينهم، فمن آمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر فقد كفر بالجميع، وفي ذلك يقول ربّنا ✞: {**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 283/1
(2) نفس المرجع السابق 284/1
(3) سورة النساء: 171
(4) نفس المصدر السابق 518/1
(5) سبق تخريج الحديث
(6) سورة غافر: 78
(7) سورة الرعد: 07
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 360/2

وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا(150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا(151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا{(1) يذكر رحمه الله بأنّ سبحانه وتعالى لما ذكر أن المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقاً، عقّب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعا، وهم المؤمنون بمحمّد صلى الله عليه و سلم ليصرّح بوعد هؤلاء، كما صرّح بوعيد أولئك، فبيّن الفرق بين المنزلتين(2).

وفي هذا السياق، فإن الأنبياء والرسل الواجب علينا الإيمان بهم، وتصديق رسالاتهم على التفصيل قد ذكر عدد منهم في القرآن الكريم، وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، منهم ثمانية عشرة ذكروا في قوله ✞: {**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ(85) وَإِسماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**}(3).

أما السبعة الباقون فذكرهم الله تعالى مفرّقين في عدّة سور من القرآن الكريم، وهم آدم(4)، وإدريس(5)، وهود(6)، وصالح(7)، وشعيب(8)، وذو الكفل(9) وخاتمهم وخاتمهم محمّد(10)صلى الله عليه و سلم .

هذا ما ذكره ✞ في القرآن، وأما ما لم يذكره فيجب علينا الإيمان بهم إجمالاً، وهو معنى قوله تعالى: {**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**}(11).

2 ـ المفاضلة بين الأنبياء والرسل

---

(1) سورة النساء 150-152
(2) نفس المصدر السابق 510/1
(3) سورة الأنعام: 83-86 ؛ وذكر عدد منهم في سورة النساء: 163
(4) سورة آل عمران: 33
(5) سورة مريم: 56
(6) سورة هود: 50
(7) سورة الأعراف: 73
(8) سورة الأعراف: 85
(9) سورة الأنبياء: 85
(10) سورة الأحزاب: 40
(11) سورة النساء: 164

وهي مسألة وردت في القرآن الكريم، حيث قرّر الله فيها المفاضلة بين الرسل والأنبياء، وأن بعضهم أفضل من بعض كما في قوله جلّ وعلا: {**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا**}(1) وكذا قوله ﷻ: {**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**}(2). يقول الثعالبي: « ونصّ الله سبحانه في هذه الآية الآية على تفضيل بعض النبيّين على بعض من غير تعيين »(3).

وقد أجمعت الأمة على أنّ الرسل أفضل من الأنبياء، ثمّ الرسل متفاضلون فيما بينهم، وأفضلهم أولو العزم(4)، وهم خمسة: نبينا محمّد صلى الله عليه و سلم ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، غير أن الثعالبي توقف في تعيين أولي العزم، واكتفى بالإشارة إلى الخلاف في ذلك دون أن يوضّح كلامه، قائلا: « لا محالة أنّه لكلّ نبيٍّ ورسولٍ عزماً وصبراً »(5)، ثم تبيّن لنا أنّه يأخذ بما أجمعت عليه الأمة كما سيأتي ؛ وهو الراجح أي تعيين أولي العزم من الرسل، وهم الخمسة المذكورون، يدل على ذلك تخصيص الله لهم بالذكر في آيتين من كتابه العزيز:

الأولى: وهي قوله تعالى: {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**}(6).

الثانية: وهي قوله تعالى: {**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**}(7). يقول رحمه الله بأن الله تعالى ذكر النبّيين جملة ثمّ خصّص أولي العزم منهم تشريفا لهم » (8).

وكلامه هذا كافٍ في الدلالة على صحّة ما قلناه سابقاً. وتقديم الله تعالى ذكر نبيّنا محمّد ﷺ مع تأخر زمانه في الآية السابقة فيه من التشريف له والتعظيم ما لا يخفى، ويظهر ذلك في أمور عديدة، أشار الشيخ إلى بعضها في معرض تفسير قوله ﷻ: {**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**}(9) حيث يذكر عن بعض السلف بأنّها إشارة إلى نبيّنا محمّد

---

(1) سورة الإسراء: 55
(2) سورة البقرة: 253
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 240/1
(4) شرح العقيدة الطحاوية 158/1 وما يليها ؛ 442/2 ؛ تفسير ابن كثير 192/6، 307
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 216/4
(6) سورة الأحزاب: 07
(7) سورة الشورى: 13
(8) نفس المصدر السابق 344/3
(9) سورة البقرة: 253

محمّد ﷺ، لأنه بعث إلى الناس كافة، وأعطي الخمس التي لم يعطها أحد قبله[1]، وهو أعظم الناس أمة، وختم الله به النبوات إلى غير ذلك، ممّا أعطاه من الخلق العظيم، ومن معجزاته، وباهر آياته[2].

وقد يعترض هنا على جواز التفضيل بين الأنبياء والرسل بما ورد في بعض الأحاديث التي يوهم ظاهرها النهي عن ذلك، منها:

- ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ ـ قال: « لا تخيروا بين الأنبياء » [3]، وفي رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ « لا تفضلوا بين الأنبياء » [4].
- وكذا ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النّبي ﷺ ـ قال: « ... لاتخيروني على موسى، فإنّ النّاس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان صعق فأفاق قبلي، أو كان ممّن استثنى الله » [5].

وقد استشكل بعض العلماء الجمع بين ما قرّره الله ﷻ في الآية الكريمة وبين ما ورد في الأحاديث الصحيحة، فذهبوا في ذلك إلى عدّة أقوال أشار إليها الحافظ ابن حجر رحمه الله[6] وهي:

1. إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل؛ أو من يقوله بحيث يؤدّي إلى تنقيص المفضول. أو يؤدّي إلى الخصومة والتنازع[7].
2. أو المراد: لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة، فالإمام ـ مثلاـ إذا قلنا إنه أفضل من المؤذّن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذّن بالنسبة إلى الآذان.

---

(1) الحديث أخرجه: البخاري في كتاب التيمّم -باب: وقول الله فلم تجدوا ماءً 127/1 برقم (327) ؛ ومسلم: في كتاب المساجد ومواضع الصلاة 370/1 برقم (521)

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 240/1

(3) أخرجه البخاري في كتاب الخصومات باب: ما ذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود 850/2 برقم(850)؛ ومسلم: في كتاب الفضائل -باب: من فضائل موسى عليه السلام 1845/4 بقرم (2374)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء باب: قول الله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا) 1254/3 برقم(3233) ؛ ومسلم في كتاب الفضائل باب: من فضائل موسى صلّى الله عليه وسلّم 4/ 1844 برقم (2373)

(5) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل. باب: من فضائل موسى صلىّ الله عليه وسلّم 1844/4 برقم (2373) " مكرر "

(6) فتح الباري 446/6

(7) أي إنمّا نهى النبي عن ذلك قطعاً للجدال والخصومة في الأنبياء، والرسل، فيكون ذلك مخصوصاً بمثل ذلك، لا إذا كان صدور ذلك مأموناً، وإليه مال شارح العقيدة الطحاوية 159/1

3.وقيل النّهي عن التفضيل إنّما هو في النبوّة نفسها[1] كقوله تعالى: {**لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**}[2]، ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله: {**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**}[3].

4.الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنّما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة، لأنّ المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر، لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النّهي[4]؛ وهناك أقوال أخرى غير ما ذكر، منها:

5.أنّ نهيّهُ ﷺ - كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، وإن القرآن ناسخ للمنع عن التفضيل.

6.وقيل إنّه عليه السلام قال ذلك تواضعاً منه، مع علمه أنه أفضل الأنبياء[5] يدل عليه قوله ﷺ: « أنا سيّد ولد آدم ولا فخر »[6].

7.وقيل: إنّ المراد النّهي عن التفضيل لمجرّد الأهواء والعصبية[7]

وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو أن نهيه عليه الصلاة والسلام في عدم تفضيله على موسى أو غيره من الأنبياء، والرسل إنّما هو نهي عن التفضيل الخاص، أي لا يُفَضَّلُ بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)[8]، فإنه تفضيل عام، فلا يمنع منه، وهذا كما لو قيل لأحدهم، فلان أفضل أهل البلد، لا يصعب على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل لأحدهم، فلان أفضل منك[9].

وينبغي التنبيه هنا إلى أنّ الثعالبي رحمه الله ـ من خلال تتبّعنا لتفسيره ـ لم يتطرق للإجابة عن هذا الإشكال، رغم إثباته وتجويزه التفضيل بين الأنبياء و الرسل من

---

(1) وهو ما رجحه القرطبي في تفسيره 3/262-263
(2) سورة البقرة: 285
(3) سورة البقرة: 253
(4) قاله الحليمي، انظر: فتح الباري 6/446
(5) وهو قول ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) ص: 88
(6) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب: تفضيل نبيّنا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق 4/1782 برقم (2278)
(7) انظر هذه الأقوال في: تفسير القرطبي 3/262-263، تفسير ابن كثير 1/539-540 ؛ فتح القدير القدير 1/269 ؛ شرح النووي لمسلم 15/38
(8) الحديث أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن -باب: ذرية من حملنا مع نوح 4/1745 برقم (4435) ؛ وفي كتاب أحاديث الأنبياء -باب: قوله تعالى إنّا أرسلنا نوحًا 3/1215 برقم (3169) ؛ ومسلم في كتاب الفضائل -باب: تفضيل نبينا على جميع الخلائق 4/1782 برقم (2278) واللفظ له
(9) شرح العقيدة الطحاوية 1/160

غير تعيين[1] كما سبق ذكره وربما يعدّ هذا أحد عيوب كتابه، لاعتماده في كثير من من المواضع على الاختصار الشديد ممّا يصرفه عن مناقشة مثل هذه القضايا والمواضيع.

ويمكننا القول أن تقريره للتفضيل من غير تعيين، هو موقف قريب من القول الأخير المذكور في التفضيل العام دون الخاص.

والذي نراه الحقّ أنّه لا تعارض بين تلك الأقوال السابقة للعلماء فلكل قول منها وجه من الصواب، ولا يمنع من الأخذ بها جمعاً بين ما تقرّر في الآية الكريمة وما ورد في الأحاديث الصحيحة، ثم إنّ التفضيل ليس إلينا، وإنّما هو إلى الله ✞ [2]، وعلينا الإيمان بذلك، ولكن لا يخفى على أحد أنّ تفضيل الله بعض رسله وأنبيائه على بعض إنّما هو بما منح من الفضائل وأعطى من الوسائل، أمّا النبوة في نفسها فلا تتفاضل. والله أعلم بالصواب.

3 ـ مهمة الأنبياء في العقائد واحدة

تقرر في القرآن الكريم أنّ الله بعث الرسل والأنبياء لأداء وظيفة أساسية هي دعوة الخلق إلى توحيد الله تعالى ونبذ كلّ أنواع الشرك، ومن ثم إفراده ✞ بكل أنواع العبادة، فما من رسول أو نبي بعثه الله إلى أمّة إلاّ ودعا قومه إلى ذلك، يقول جلّ وعلاّ: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**}[3] {**فَاعْبُدُونِ**}[3] ويقول تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**}[4] ويقول سبحانه أيضاً: {**شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**}[5] يقول الثعالبي في تفسير هذه الآية: « المعنى شرع لكم وبين من المعتقدات والتوحيد ما وصّى به نوحاً قبل ...، وكذلك ما ذكر بعد من إقامة الدين مشروع اتفقت النبوّات فيه، وذلك في المعتقدات. وأما الأحكام بانفرادها فهي في الشرائع مختلفة، وهي المراد في قوله تعالى: {**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**}[6]، {**وَمِنْهَاجًا**}[6]، وإقامة الدين هو: توحيد الله ورفض سواه[7]. وعليه فلكلّ أمّة شرعة شرعة ومنهاج وهي بمعنىً واحد عند أكثر المفسرين، بخلاف ابن عباس وغيره

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 240/1

(2) وهو القول الذي ذهب إليه الشوكاني في كتابه فتح التقدير 269/1 ط(2): 1383 هـ مصطفى البابي الحلبي ـ مصر. وأيده في ذلك د. عبد الله نومسوك في كتابه منهج الشوكاني في العقيدة 657/2

(3) سورة الأنبياء: 25

(4) سورة النحل: 36

(5) سورة الشورى: 13

(6) سورة المائدة: 48

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 137/4

فإنها عنده بمعنى: سبيلا وسنة، وهذا عندهم في الأحكام، وأمّا فيما يخصّ المعتقدات فالدين واحد لجميع العالم ».[1] وهذا المعنى هو الذي خاطب الله تعالى نبيّه الكريم محمّد صلى الله عليه و سلم في قوله ✞: {**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**}[2] حيث يذكر الثعالبي أنّ الظاهر في الإشارة بـ(أولئك) إلى المذكورين قبل من الأنبياء ومَن معهم من المؤمنين المهديين، ومعنى الاقتداء: إتّباع الأثر في القول والفعل والسيرة، وإنما يصحّ اقتداؤه صلى الله عليه و سلم في العقود والإيمان والتوحيد الذي ليس بينهم فيه اختلاف، وأمّا أعمال الشرائع فمختلفة[3].

وما أثبته الثعالبي من اتّفاق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى عقيدة التوحيد وتصديق بعضهم بعضاً رغم اختلاف شرائعهم هو ما قرّرته السنة المطهّرة، من ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: « الأنبياء إخوة لعِلاّتٍ، أمهاتهم شتّى ودينهم واحد »[4]. قال العلماء: أولاد العلاّت: هم الأخوة الأخوة لأب من أمهات شتّى، وأما الأخوة من الأبوين فيقال لهم أولاداً لأعيان. ومعنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متّفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها اختلاف [5].



(1) نفس المصدر السابق 557/1 - بتصرّف
(2) سورة الأنعام: 90
(3)الصحاح 644/1
(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ إذ انتبذت من أصلها مكانا شرقيا) 1270/3 برقم (3259) ؛ ومسلم في كتاب الفضائل باب: عيسى عليه السلام 1837/4 برقم (2365)
(5) شرح النووي لمسلم 119/15، 120

المبحث الثاني
صفات الأنبياء ووظائفهم والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم والملائكة

اقتضت حكمة الله ﷻ أن لا يختار لإبْلاَغ دينه، وتحمّل رسالته إلاّ صفوة الخَلْق وأفضلهم، إذ أنّ اختصاصهم بالكمال والفضل يوجب على الأمم تصديقهم والسير على نهجهم في جميع شؤون الحياة.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هؤلاء الصفوة المختارة بالثناء العاطر، فعدّد مناقبهم، ووصفهم بأسمى الصفات، فيصفهم تارة بالطاعة والإنابة، وأخرى بالصدق والنزاهة، وبالتضحية والإيثار ... وكلّ ذلك لبيان أنهم أفضل الخلق وأكرمهم. ولهذا مدحهم الله تعالى بقوله: {**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**}(1)، وصفات الأنبياء والرسل الكرام كثيرة، وردت في كتاب الله تعالى وفي سنّة رسوله ﷺ، ولكنّ سنقتصر هنا في هذا المبحث على بعض أهم الصفات التي بيّنها الثعالبي رحمه الله، ومنها:

المطلب الأول: الصفات والوظائف

1 ـ الصفات

أ- البشرية:

أي كون الرسل والأنبياء بشرا، كقوله ﷻ: {**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**}(2)، وقوله تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**}(3) يشير الثعالبي إلى أنّ هذه الآية ردّ على من استبعد منهم أن يبعث الله بشرا رسولا(4)، ومن هؤلاء المكذّبين قوم ثمود القائلين لصالح عليه السلام {**فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ**}(5) وهو حسد منهم واستبعاد منهم أن يكون نوع البشر يفضّل هذا التّفضيل، ولم يعلموا أنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويفيض نور الهدى على من رضيه(6).

كما أمر تعالى نبيّه الكريم محمّد صلى الله عليه و سلم أن يردّ على كفّار قريش وغيرهم حين كذبوه بقوله سبحانه {**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**}(7)

---

(1) سورة الأنبياء: 73
(2) سورة إبراهيم: 11
(3) سورة الأنبياء: 07
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 3/ 76 ؛ 2/ 352
(5) سورة القمر: 24
(6) نفس المصدر السابق 323/4

وَاحِدٌ}[1] أي أنا بشر ينتهي علمي إلى حيث يوحى إليّ، وأهمّ ما يوحى إليّ إنّما إلهكم إله واحد[2].

وتظهر حكمة الله عز وجلّ في جعل الأنبياء والرسل بشرا:

• كونهم من جنس قومهم، يحسّون بمثل إحساسهم، فيعرفون طبائعهم وميولهم ..إلخ، ومن ثم يصلحون قدوة لهم، ولو جعلهم الله ملائكة لما استطاعوا مخاطبة الناس والفهم منهم، وهذا مانبّه إليه جلّ وعلا بقوله {**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا(94)قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا**}[3].

• ثم إنّ في ذلك إكرام وتفضيل لهم على سائر الخلق، وإليه أشار ✞ بقوله {**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**}[4].

وكون الأنبياء والرسل بشرا يقتضي اتصافهم بصفات أهل جنسهم من أكل وشرب، وصحة ومرض، وزواج، ومشي في الأسواق، ويعتريهم من العوارض ما يعتري غيرهم من ضعف، وشيخوخة وموت.

يقول تعالى حاكيا مزاعم كفّار قريش واستغرابهم أن يبعث الله عليهم رسولا بشرا: {**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**}[5] والمعنى عندهم أنّ من كان رسولا فهو مستغن عن الأكل والمشي في الأسواق[6].

وفي هذا الشأن يقرر الله ✞ أنّ النبي صلى الله عليه و سلم يجوز عليه الموت كغيره من الأنبياء حيث يقول: {**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**}[7] والمعنى: أنّ أنّ محمّدا عليه السّلام رسول كسائر الرسل، قد بلّغ كما بلّغوا، ولزمكم أيّها المؤمنون العمل بمضمن الرسالة، وليست حياته وبقاؤه بين أظهركم شرطا في ذلك، لأنّه يموت كما ماتت الرسل قبله »[8].

ب ـ الذكورة:

---

(1) سورة الكهف: 110
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 2/ 551
(3) سورة الإسراء: 94-95
(4) سورة مريم: 58
(5) سورة الفرقان: 07
(6) نفس المصدر السابق 202/3
(7) سورة آل عمران: 144
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 377/1

أي كون الرسل والأنبياء من الرجال دون النساء، ويدّل على هذا صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**}[1]، فهذه الآية الكريمة تدّل على أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من النّساء ولا من الجنّ، بل من الرجال، وهذا يرّد على من قال أنّ من النساء من نبّئ، وهو رأي مرجوح، قال به بعض العلماء[2]، ومنهم القرطبي حيث يقول: « والصحيح أنّ مريم نبّية، لأنّ الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك »[3]، وقد نقل عن الأشعري أنّ أنّ من النساء من نبّئ، وهنّ ستّ: حواء، وسارة، وأم موسى، وهاجر، وآسية، ومريم[4].

والضابط عنده أنّ من جاءه الملك بحكم من أمر أو نهي، أو بإعلام ممّا سيأتي فهو نبّي، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتّى من عند الله ✠ وبهذا أخذ الإمام ابن حزم[5] مؤيدا رأيه بأنّ الآية السابقة لم تشر إلى النبوة، وإنمّا حصرت الرسالة في الرجال. قال: « وهذا لا حجة فيه فإنّ أحداً لم يدع فيهن الرسالة، وإنما الكلام في النبّوة فقط[6] ويحاول تقوية مذهبه، بأنّ الله بعد أن ذكر قصّة مريم والأنبياء بعدها قال: {**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ**}[7]، فدخلت في عمومه. واستدلّ من من قال بنبوّة مريم وآسية، بقوله عليه السلام: « كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النّساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران... »[8] الحديث.

يقول ابن حجر[9]: « استدلّ بهذا الحصر على أنهما نبيّتان، لأنّ أكمل النّوع الإنساني الأنبياء ثم الأولياء والصدّيقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيتين للزم ألاّ يكون في النساء ولية صدّيقة ولا شهيدة، والواقع أنّ هذه الصفات في كثير منهنّ موجودة،

---

(1) سورة يوسف: 109
(2) فتح الباري 542/6، وقد حكاه عن الأشعري وابن حزم
(3) تفسير القرطبي 83/2 عند تفسير سورة آل عمران: 42
(4) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(5) فتح الباري 542/6
(6) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(7) سورة مريم: 58
(8) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-باب: قول الله تعالى(وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) 1252/3 برقم (3230) ؛ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة -باب فضائل خديجة 1886/4 برقم 2431
(9) هو: أحمد بن عليّ بن محمد بن عليّ بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد الكناني العسقلاني، ثمّ المصري الشافعي، شيخ الإسلام أبو الفضل، محدّث، حافظ، مؤرّخ، شاعر، لغّوي، فقيه، كان فريد عصره، توفي ـ رحمه الله ـ سنة 852 هـ، من كتبه فتح الباري، الإصابة ؛ انظر: طبقة الحفّاظ للسيوطي ص: 552

فكأنّه قال: ولم ينبّأ من النّساء إلاّ فلانّة وفلانة، ولو قال لم تثبت صفة الصدّيقة أو الولاية أو الشهادة إلاّ لفلانة وفلانة لم يصحّ لوجود ذلك في غيرهنّ »[1].

أمّا الثعالبي رحمه الله فإنه يأخذ بالرأي الأوّل، وهو كون الرسل والأنبياء من الرجال دون النساء، وهذا ما تطرّق إليه في معرض ردّه على من زعم بأنّ مريم عليها السلام قد نبّئت، وذلك عند تفسير قوله تعالى: {**وَإِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**}[2]، ينقل هنا ما أورده ابن عطية من أنّ بعض النّاس ـ ويقصد بعض العلماء ـ قالوا: أنّ مريم نبيّة من أجل مخاطبة الملائكة لها، وجمهور الناس على أنّها لم تنبّأ امرأة[3].

والموقف نفسه ـ وهو نفي نبّوة مريم ـ يؤّكده عند تفسير قوله تعالى: {**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ**}[4]، حيث يقرّر بأن قوله تعالى (وأمّة صديقة) بناء مبالغة من الصدق، ويحتمل من التصديق، وبه سمّي أبو بكر الصديق[5] ـ رضي الله عنه ـ وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال إنها نبيّة [6].

وما ذهب إليه الثعالبي هو الصحيح الذي قرره جمهور العلماء، وفي ذلك يقول الإمام الشوكاني في تعقيبه على قوله تعالى:{**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**}[7] وتدل الآية على أنّ الله سبحانه لم يبعث نبيّا من النساء ولا ولا من الجنّ، وهذا يرد على من قال: إنّ في النساء أربع نبيّات: حواء، وآسية، وأمّ موسى، ومريم، وقد كان بعثة الأنبياء من الرجال دون النساء أمرا معروفا عند العرب، حتى قال قيس بن عاصم[8] في سجاح[9] المتنبّئة:

---

(1) فتح الباري 447/6

(2) سورة آل عمران: 42

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 318/1

(4) سورة المائدة: 75

(5) هو: عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، أفضل الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خليفة رسول الله وصاحبه في الغار، وصِدّيقه الأكبر، فضائله وأخباره ومناقبه أكبر من أن تحصى من العشرة المشرين بالجنة ؛ انظر: التاريخ الكبير 1/5 ؛ الاستيعاب 963/3 ؛ معجم الصحابة 61/2

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 571/1

(7) سورة يوسف: 109

(8) هو: قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أبو عليّ: اشتهر وساد في الجاهلية، وهو ممّن حرّم على نفسه الخمر فيها، ووفد على النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم في وفد تميم عام 09 هـ فأسلم، وقال النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم لمّا رآه: هذا سيّد أهل الوبر. واستعمله على صدقات قومه. توفي نحو 20 هـ. انظر: البداية والنهاية 45/5 ؛ وتقريب التهذيب ص: 393 برقم (5581) ؛ الأعلام 206/5

(9) هي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية من بني يربوع، أمّ صادر: متنبّئة مشهورة، كانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار، رفيعة الشأن في قومها، ادّعت النبوة بعد وفاة النبي ـ صلىّ الله

أضْحَتْ نبيّتنا أنثى نطيف بها وأصْبَحَت أنبياء الله ذكرانًا
فلعنة الله والأقوامُ كلهم على سجاح ومن باللّوم أغرانا[1]

أما استدلالهم بقوله عليه السلام: « كمل من الرجل كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ آسيا امرأة فرعون، ومريم بنت عمران .. » الحديث، فإنّ المراد به: « كمال غير الأنبياء ولا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتها، لأنه يطلق لتمام الشّيء وتناهيه في بابه، فالمراد: بلوغها النّهاية في جميع الفضائل التي للنّساء »[2].

ويتأكّد القول بعدم نبوة النّساء إذا علمنا بأنّ الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة تقتضي التستّر، وتنافي الاشتهار، لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع[3]. ولا يخفى أنّ الذّكورة أكمل من الأنوثة، ولذلك جعل الله القوامة للرجال على النّساء في قوله تعالى:{**الرِّجَالُ قوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**}[4]، وأخبر الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم أنّ: « النّساء ناقصات عقل ودين »[5] [6].

ج ـ العصمة:

أي كون الأنبياء والرسل معصومين في تحمّل الرسالة والتبليغ عن الله، فلا ينسون شيئا ممّا أوحاه الله إليهم، ولا يكتمون شيئا منه. قال تعالى:{**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**}[7].

وقال سبحانه: {**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**}[8]، ومعصومين أيضًا عن ارتكاب الذنوب والمعاصي ممّا يزري بمناصبهم.

فما المقصود بالعصمة لغة واصطلاحًا ؟

العصمة لغة: اَلمَنْعُ[9]، وعِصْمَةُ الله عَبْدَهُ: أن يَعْصِمَهُ ممّا يُوبِقَهُ، تقول: عَصَمَهُ يَعْصِمَهُ عَصْمًا: منعه ووقاه، وفي التنزيل:{**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ**

عليه وسلّم، وكانت في بني تغلب بالجزيرة، وتزوّج بها مسليمة الكذّاب، وبعد مقتله أسلمت وهاجرت إلى البصرة، وتوفيت بها نحو 55 هـ. انظر البداية والنهاية 34/6 ؛ الأعلام 78/3

(1) فتح القدير 60/3
(2) فتح الباري 447/6
(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني 266/2 طبعة المدني -القاهرة (د. ت. ط).
(4) سورة النّساء: 34
(5) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحيض ـ باب ترك الحائض الصوم 116/1 برقم (298) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان ـ باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات 86/1 برقم (79)
(6) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة 671/2
(7) سورة المائدة: 67
(8) سورة النجم: 3، 4
(9) القاموس المحيط 152/4 - فصل العين باب الميم - مادة (عصم)

رَحِمَ}[1]، أي: لا معصوم إلاّ المرحوم. وقوله تعالى: {**سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ مِنْ الْمَاءِ**}[2] أي: يمنعني من الماء. واعتصم فلان بالله: إذا امتنع به وتأتي العصمة العصمة بمعنى: الحفظ، تقول: عصمته فانعصم، واعتصمت بالله: إذا امتنع وأبى، ومنه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز حين راودت يوسف عن نفسه {**فَاسْتَعْصَمَ**}[3] [4].

وعلى كلّ حال، فالعصمة فيها معنى المنع، لأنّ الله منع أنبياءه ورسله الكرام من الوقوع في كبائر الذنوب وغيرها، وفي ذلك حفظ لهم بما أفضاه عليهم من ألفاضه ورحماته.

واصطلاحا: يراد بها حفظ الله أنبياءه ورسله من الذنوب والرذائل[5] وقد فصّل الراغب الأصفهاني في بيان معناها حيث يقول: « وعصمة الأنبياء: حفظه إيّاهم أوّلاً بما خصّهم به من صفاء الجوهر، ثمّ بما أولادهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثمّ بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثمّ بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق ...»[6]، وتعرف العصمة بأمور وأسباب ثلاثة[7]، وهي:

السّبب الأوّل: أن يخلقهم الله ✝ في سلامة الفطرة وكمال اعتدال الأخلاق، فلا يرغبون في المعاصي بل ينفرون منها، كحال نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم الذي بغضّت إليه عبادة الأصنام والأوثان .

السّبب الثاني: أن يوحي إليهم أنّ المعاصي يعاقب عليها، والطّاعات يثاب عليها، فيكون ذلك ردعا عن المعاصي .

السّبب الثالث: أن يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصي بأحداث لطيفة غَيْبِيَة.

وقبل أن نستعرض رأي الثعالبي في مسألة عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام وردّه للروايات الإسرائيلية التي تقدح في مرتبتهم وشرفهم...، وكذا انتقاده للتأويلات المبنية على غير أساس شرعي ولا توافق اللسان العربي ولا الدليل العقلي، نودّ أن نشير هنا إلى الخلاف الحاصل فيها، فقد انقسم الناس فيها إلى فرق مختلفة، يمكن تصنيفها كالآتي:

الفرقة الأولى: وترى أنّ الأنبياء غير معصومين عن الكبائر والصغائر، وبهذا قال بعض الرافضة[8]، وبعض المرجئة[9].

---

(1) سورة هود: 43
(2) سورة هود: 43
(3) سورة يوسف: 32
(4) لسان العرب 403/12، 404 ـ مادة (عصم) ؛ أساس البلاغة ص: 304
(5) شرح جوهرة التوحيد ص: 134 ؛ مختصر لوامع الأنوار ص: 165
(6) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 349
(7) نقلا عن كتاب: صدّيق حسن القنّوجي وآراؤه الاعتقادية ص: 419 ـ بتصرّف
(8) مقالات الإسلاميين ص: 48 ؛ منهاج السنّة 226/1
(9) الفصل في الملل والأهواء والنحل 02/4

الفرقة الثانية: وترى أنّهم معصومون من الكبائر والصغائر مطلقاً، وبهذا قال المعتزلة[1]. وبعض الأشاعرة[2]، وفرقة من الرافضة[3].

الفرقة الثالثة: وترى أنّهم معصومون عن الكبائر والصغائر التي فيها رذيلة، دون باقي الصغائر، وبهذا قال أكثر علماء الإسلام وهو قول السلف من الصحابة والتابعين والأئمة، وهو قول الأشاعرة[4].

موقف الثعالبي من العصمة

عصمة الأنبياء والرسل عن الكبائر، وكذا الصغائر التي فيها رذيلة:

يرى رحمه الله أنّ أنبياء الله ورسله معصومون عن كبائر الذنوب، وكذا الصغائر التي فيها رذيلة، وهو ما يوضّحه في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**}[5]، فيورد فيورد هنا ما قرّره العلماء من أن سيّدنا إبراهيم عليه السلام حين طلب من الله ﷻ أن يُرِيَهُ كيفية إحياء الموتى: لم يكن شاكا في ذلك قطّ، وإنّما طلب المعاينة حتّى يطمئنّ قلبه. موضحًا -في نفس الوقت- قوله عليه السلام: « نحن أحقّ بالشك من إبراهيم »[6] بأن معناه: أن لو كان شكّ لكنّا نحن أحق به، ونحن لا نشكّ، فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشكّ، فالحديث مبنيّ على نفي الشكّ عن إبراهيم[7].

كما يحاول في هذا السياق توجيه ما ورد عنه صلى الله عليه و سلم أنّه قال: « ذلك محض الإيمان »[8]، فيعلّل أنّه في الخواطر الجارية التي لا تثبت، وأما الشكّ، فهو توقّف بين أمرين لا مزيّة لأحدهما على الآخر، وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام.

---

(1) شرح النووي على مسلم 53/3 ؛ عصمة الأنبياء للرازي ص: 27 تصحيح وتنقيح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية -بيروت ط(1) 1401 هـ

(2) الفرق بين الفرق ص: 222

(3) منهاج السنّة 226/1

(4) الشفا 85/2 ؛ مجموع الفتاوى 319/4 ؛شرح النووي على مسلم 53/3

(5) سورة البقرة: 260

(6) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن ـسورة البقرة ـباب: وإذ قال إبراهيم ربّ أرني 1650/4 برقم (4263) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه في: كتاب الإيمان باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة 133/1 برقم (151)، وفي كتاب الفضائل ـ باب: من فضائل إبراهيم الخليل ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال: « نحن أحقّ بالشكّ من إبراهيم إذ قال: ربّ أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الدّاعي » 1839/4 برقم (151

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 251/1

(8) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان-باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من من وجدها 119/1 برقم (132)، ولفظ الحديث عنده: « ذاك صريح الإيمان » ؛ وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب. باب: في ردّ الوسوسة 329/4 برقم (5111)

وإحياء الموتى إنّما يثبت بالسمع، وقد كان إبراهيم أعلم بذلك، يدلّك على ذلك قوله تعالى: {**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**}[1]، والشكّ يبعد على من ثبت قدمه في الإيمان فقط، فكيف بمرتبة النبوة والخلّة ؟!

والأنبياء معصومون عن الكبائر، ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً، وإذا تأملت سؤاله عليه السلام، وسائر ألفاظ الآية لم تعط شكًّا، وذلك أنّ الاستفهام بـ **كيف** إنّما هو عن حال شيء موجود ومتقرّر الوجود عند السائل والمسؤول، نحو قولك: كيف علم زيد ؟ وكيف نسج الثوب ؟ (فكيف) في هذه الآية إنّما استفهام عن هيئة الإحياء، والإحياء متقرّر[2].

العصمة من الكفر:

وقد أشار الثعالبي إليها صراحة، حيث نفي تصميم سيّدنا إبراهيم عليه السلام على الكفر، سواء في حال صغره أو كبره، وذلك حين حاور قومه في بيان بطلان عبادة الكواكب، وإثبات ألوهية الله تعالى واستحقاقه العبادة والطاعة، وهذا ما وضّحه عند تفسير قوله تعالى: {**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**}[3].

يشير هنا إلى ما تحتمله هذه الآيات من معانٍ، فيذكر احتمالين ذهب إليهما علماء التفسير، دون أن يرجّح أحدهما على الآخر، وإن كانا كلاهما يؤيِّد القول بعصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهما:«

- إن قلنا بأنّ القصّة وقعت له في الغار في حال الصَبْوَةِ وعدم التكليف على ما ذهب إليه بعض المفسرين، ويحتمله اللفظ، فذلك ينقسم على وجهين:

1. إمّا أن يجعل قوله (هذا ربّي) تصميما واعتقادا، وهذا باطل[4]، لأنّ التصميم على الكفر لم يقع من الأنبياء صلوات الله عليهم.
2. وإمّا أن نجعله تعريضاً للنّظر والاستدلال، كأنّه قال: أهذا المنير البهيّ ربّي؟! إن عضدت الدلائل.

---

(1) سورة البقرة: 258
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 251/1 ؛ الشفا 86/2
(3) سورة الأنعام 76-79
(4) لأنه عليه السلام لم يبلغ سنّ التكليف، فالاعتقادات قبل البلوغ غير معتبرة، بمعنى: لا يعاقب عليها عليها إن كانت باطلة ـ والله أعلم بالصواب.

- وإن قلنا إنّ القصّة وقعت له في حال كبره، وهو مكلّف، فلا يجوز أن يقول هذا مصمّماً ولا معرضًا للنظر، لأنّها رتبة جهل أو شكّ، وهو عليه السلام منزّه معصوم من ذلك كلّه، فلم يبق إلاّ أن يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم، وإقامة الحجّة عليهم في عبادة الأصنام »[1].

وينفي أيضاً صدور الكفر عن الأنبياء والرسل عليهم السلام، وذلك في ردّه على الذين زعموا أنّ معنى قوله تعالى حكاية عن سيدنا يونس عليه السلام {**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ**}[2] أنّ الله عاجز عن معاقبته، وغير قادر على عقابه، فينتقد هذا الزعم الباطل، ويدحضه بما نقله عن القاضي عياض، وهو أنّ يونس عليه السلام ذهب مغاظبا لقومه لكفرهم لا لربّه، إذ مغاضبة الله تعالى معاداة له، ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء عليهم السلام[3] [4].

كما أنكر رحمه الله إطلاق لفظة الشحّ على سيّدنا آدم عليه السلام، لأنّ ذلك حَطٌّ من رتبته ورتبة الأنبياء، وهي رذيلة ينتزّهون عنها، وهذا ما فصّله عند تفسير قوله تعالى: {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**}[5]، فيورد هنا: « ما رواه ابن القاسم[6] عن الإمام مالك أنّه بلغه أنّ أوّل معصية كانت الحسد والكبر والشحّ: حسد إبليس آدم وتكبر، وشحّ آدم في أكله من شجرة قد نُهي عن قربها »؛ ثم يعقّب الثعالبي على هذا الكلام بقوله أنّ: إطلاق الشحّ على آدم فيه ما لا يخفى عليك، والواجب: اعتقاد تنزيه الأنبياء من كلّ ما يحطّ من رتبهم وقد قال الله تعالى في حقّ آدم: {**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**} [7] [8].

وفي نفس هذا السياق يرى رحمه الله أنّ إخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء أثناء قصّ يوسف على سيدنا يعقوب عليه السلام ما رآه في المنام وهو صغير: من سجود الكواكب والشمس والقمر له. نرى هذا جليًّا عند تفسير قوله تعالى: {**قَالَ يَابُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**}[9]،

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 640/1
(2) سورة الأنبياء: 87
(3) الشفا 92/2
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 97/3
(5) سورة البقرة: 34
(6) هو عبد الرحمان بن القاسم بن خالد بن جُنَادة العُتَقِي (بضمّ المهملة وفتح المثنّاة بعد قاف)، الفقيه، صاحب مالك. روى عن مالك ونافع، وعنهُ: أصنع وسحنون والحارث بن مسكين عرف في زمانه بالورع وله أخبار في التعبّد والتزهّد ثقة، مات سنة 291 هـ انظر تقريب التهذيب ص: 290، مترجم برقم (3980). تذكرة الحفاظ 365/1 ؛ سير أعلام النبلاء 120/9.
(7) سورة طه: 115
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 67/1

مُبِينٌ}[1]، يقول: « من هنا ومن فِعْل إخوة يوسف بيوسف يظهر أنّهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت. وما وقع في كتاب الطبري لابن زيد أنّهم كانوا أنبياء يردّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوي، وعن عقوق الآباء وتعريض مؤمن للهلاك والتآمر في قتله »[2].

ويؤكّد رحمه الله عصمة سيّدنا يحي عليه السلام، حيث ينقل كلام القاضي عياض في ردّه على من زعم أنّ يحي عليه السلام كان هيوبا أو لا ذكر له، وتلك نقيصة لا تليق به ولا بغيره من أنبياء الله ورسله عليهم السلام. وهذا ما قرّره عند تفسير لفظة (حصوراً) الواردة في قوله تعالى: {**فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ**}[3].

ينقل رحمه الله في تعقيبه ما ذكره عياض بقوله: « اعلم أنّ ثناء الله تعالى على يحي عليه السلام بأنّه حصور ليس كما قال بعضهم أنّه كان هيوباً أو لا ذكر له، بل أنكر هذا حذّاق المفسرين ونقّاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب، ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه: معصوم من الذنوب، أي لا يأتيها كأنه حصر عنها. وقيل: مانعاً نفسه من الشهوات. وقيل: ليست له شهوة في النّساء كفاية من الله له، لكونها مشغلة في كثير من الأوقات، حاطة إلى الدنيا، ثمّ هي في حقّ من أقدر عليها، وقام بالواجب فيها، ولم تشغله عن ربّه، دَرَجَةٌ عُلْيَا، وهي درجة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم وسائر النبيّين (انتهى من الشفا)[4] [5].

ولم يكتف الشيخ بهذا القدر في بيان عصمة الأنبياء عن الكبائر والرذائل، بل توسّع كثيراً في الردّ على القادحين في العصمة؛ وهذا التوسّع له ما يبرّره، وهو كون القدح في شرف الأنبياء ومرتبتهم هو في حقيقة الأمر قدحٌ في نبوّتهم ورسالتهم التي كلّفهم الله بها.

ولهذا نجده ينتقد القائلين بأنّ سيّدنا يوسف عليه السلام قد همّ بالمعصية، حيث اعتمد في انتقاده على أقوال العلماء كابن عطية والقاضي عياض والداودي...، ليبيّن بأنّ الأنبياء معصومون قبل وبعد النبوّة.

نرى هذا مبسوطاً عند تفسير قوله تعالى: {**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**}[6]، يذكر ما قاله ابن عطية في بيان هذه الآية: « أنّ كون يوسف عليه السلام نبياً في

---

(1) سورة يوسف: 05
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 306/2، 307
(3) آل عمران: 39
(4) الشفا 76/1
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 315/1، 316
(6) سورة يوسف: 24

وقت هذه النازلة لم يصحّ ولا تظاهرت به رواية، فإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكماً وعلماً، ويجوز عليه الهمّ الذي هو إدارة الشيء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة؛ وإن فرضناه نبياً في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلاّ الهمّ الذي هو الخاطر، ولا يصحّ عندي شيء ممّا ذكر من حلّ تكّة ونحو ذلك لأنّ العصمة مع النبوّة، وللهمّ بالشيء مرتبتان:

فالخاطر المجرّد دون استصحاب يجوز عليه ؛ومع استصحاب لا يجوز عليه، إذ الإجماع منعقد أنّ الهمّ بالمعصية واستصحاب التلذّذ بها غير جائز ولا داخل في التجاوز »[1]؛ ثم يعقب على هذا الكلام مُشيرًا إلى ما ذكره عياض بقوله[2]: « والصحيح ـ إن شاء الله تنزيههم أيضاً قبل النبّوة من كلّ عيب وعصمتهم من كلّ ما يوجب الريب »، قال: « وأما قول الله سبحانه (ولقد همّت به وهّم بها لولا أن رأى برهان ربّه) فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين أنّ همّ النّفس لا يؤاخذ به وليس بسيئة لقوله عليه السلام عن ربّه: « إذا همّ عبدي بسيّئة فلم يعملها كتبت له حسنة »[3] فلا معصية في همّه إذن، وأمّا على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإنّ الهمّ إذا وطّنت عليه النّفس سيّئة، وأمّا ما لم توطّن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو العفو عنه، وهذا هو الحقّ، فيكون إن شاء الله همّ يوسف من هذا، ويكون قوله: {**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي**}[4] أي: ما أبرّئها من هذا الهمّ، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع [5].

واختلف في البرهان الذي رآه يوسف؟

فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء. وقيل: بل كان البرهان فكرته في عذاب الله ووعيده على المعصية، والبرهان في كلام العرب الشيء الذي يعطي القطع واليقين كان ممّا يعلم ضرورة أو بخبر قطعي أو بقياس نظري.

وفي قوله (لولا أن رءا) في موضع رفع تقديره: لَوْلاَ رؤيته برهان ربّه لفعل.

---

(1) المحرّر الوجيز 234/3

(2) الشفا 146/2

(3) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان-باب: إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا همّ بالسيئة لم تكتب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت » 117/1 برقم (128) ؛ والبخاري: في كتاب الرقاق -باب: من همّ بحسنة أو بسيئة 2380/5 برقم (6126)

(4) سورة يوسف: 53

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 315/2

وذهب قوم إلى أنّ الكلام تَمَّ في قوله (ولقد همّت به) وأنّ جواب (لَوْلاَ) في قوله (وهمّ بها)، وأنّ المعنى: لَوْلاَ أن رأى البرهان لهمّ، أي لم يهمّ عليه السلام، وهذا قولٌ يردّه لسان العرب وأقوال السلف.

ثمّ يعقّب رحمه الله على هذا الكلام فيقول: « وقد ساق عياض[1] هذا القول مساق الاحتجاج به متصلاً بما نقلناه عنه آنفا، ولفظه: « فكيف وقد حكى أبو حاتم[2] عن أبي عبيدة[3]: أن يوسف لم يهمّ وأنّ الكلام فيه تقديم وتأخير، أي: ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها، وقد قال الله تعالى عن المرأة: {**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**}[4]، وقال تعالى: {**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**}[5] وقال: {**مَعَاذَ اللَّهِ**}[6] ؛ وكذا نقله الداودي، ولفظه: « وقد قال سعيد بن الحدّاد[7]: في الكلام تقديم وتأخير معناه: أنه لولا أن رءا برهان ربّه لهّم بها فلمّا رءا البرهان لم يهمّ »، قال ابن العربي[8] في « أحكامه »: « وقد أخبر الله سبحانه عن حال يوسف من حين بلوغه بأنّه آتاه حكماً وعلماً، والحكم هو العمل بالعلم وكلام الله صادق وخبره صحيح ووصفه حقّ، فقد عمل يوسف بما علّمه الله من تحريم الزنى وتحريم خيانة السيّد في أهله، فما تعرّض لامرأة العزيز ولا أناب إلى المراودة بل أدبر عنها، وفرّ منها، حكمة خصّ بها وعمل بما علمه الله تعالى، وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم إلى الصدّيق ما لا يليق، وأقل ما اقتحموا من ذلك: هتك السراويل والهمّ بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحشاه من ذلك، فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثاً يقولون: فَعَلَ فَعَلَ، والله تعالى إنّما قال (همّ بها) »[9].

ويكرر الشيخ رحمه الله تأكيده نفي العيوب والنقائص عن رسل الله وأنبيائه وذلك عند تفسير قوله تعالى: {**حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**

---

(1) الشفا 145/2

(2) هو: أبو حاتم محمّد بن حبّان البستي، صاحب التصانيف، ولي قضاء سمرقند وكان من فقهاء الدين وحفّاظ الآثار. قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه، والحديث، واللغة، وكانت الرحلة إليه، مات سنة 354 هـ. له ترجمة في: طبقات الحفّاظ ص: 375، 376

(3) هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم: الإمام النحوي اللغوي، ولد سنة 110 هـ، وكان صاحب علم واسع بالغريب وأيام العرب، له تصانيف كثيرة منها: مجاز القرآن، غريب الحديث، توفي سنة 211 هـ. سير أعلام النبلاء 445/9 ؛ الجرح والتعديل 259/8 ؛ تاريخ بغداد 252/13

(4) سورة يوسف: 32

(5) سورة يوسف: 24

(6) سورة يوسف: 23

(7) هو: الإمام سعيد بن محمد بن الحدّاد، أبو عثمان شيخ المالكية، صاحب سحنون وكان من المجتهدين، بصيرًا بالسنن مدافعًا عن السنة، مع زهد وورع واحتياط في الدين، توفي سنة 302 هـ. انظر سير أعلام النبلاء 207/14

(8) أحكام القرآن 1082/3

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 315/2، 316

فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}(1)، يقول-نقلا عن ابن عطية-: « « فرضي الله عنهم كيف كان خلقهم في العلم، وقال بهذا التأويل جماعة وهو الصواب، وأمّا تأويل من قال: إنّ المعنى: وظنّوا أنّهم قد كذبهم من أخبرهم عن الله فغير صحيح، ولا يجوز هذا على الرسل وأين العصمة والعلم؟ »(2) ؛ ثم يعقّب عليه ذاكرًا ما قاله عياض: فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: (حتّى إذا استيئس الرسل وظنّوا أنّهم قد كُذِبُوا...) على قراءة التخفيف ؟ قلنا: المعنى في ذلك ما قالته عائشة -رضي الله عنها-: « معاذ الله أن تظنّ الرسل ذلك بربّها، زإنّما معنى ذلك: أنّ الرسل لمّا استيأسوا ظنّوا أنّ من وعدهم بالنّصر من أتباعهم كذّبوهم، وعلى هذا أكثر المفسرين؛ وقيل: الضمير في (ظنّوا) عائد على الأتباع والأمم لا على الأنبياء والرسل، وهو قول ابن عبّاس والنخعي(3) وابن جبير(4) وجماعة، وبهذا المعنى قرأ مجاهد (كَذَبُوا) بالفتح، فلا تشغل بالك من شاذّ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء؟ انتهى من الشفا (5) (6).

2 ـ الوظائف

ركّز الله ✞ في القرآن الكريم على ذكر بعض المهام الجليلة التي كلّف بها أنبياءه ورسله الكرام، فبيّنها وأكّد عليها في آيات كثيرة، نقتصر على ذكر بعضها حسب ما أشار إليها الثعالبي في تفسيره وهي:

أ. دعوة الخلق إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والطاعة:

وهي الوظيفة الأساسية التي بعثوا من أجلها كما قال الله تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**}(7) ولهذا قصّ الله تعالى علينا في كتابه العزيز ما جرى لأنبيائه ورسله مع قومهم حين دعوهم إلى توحيد الله ✞ والكفر بتلك الأصنام والأوثان التي عبدوها واتخذوها واسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا على حدّ قول قوم عاد لسيدنا هود عليه السلام حين دعاهم للتوحيد: {**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ**}(8).

---

(1) سورة يوسف: 110
(2) المحرّر الوجيز 288/3
(3) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النّخَعِيُّ، أبوا عمران الكوفي الفقيه. ثقة إلاّ أنّه يُرسِل كثير، مات سنة 196 هـ، وهو ابن خمسين أو نحوها ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 35 مترجم برقم (270)
(4) هو: نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم النوفلي، أبو محمّد وأبو عبد الله، المدني. ثقة فاضل، مات سنة 199 هـ ؛ انظر تقريب التهذيب ص: 490 مترجم برقم (7072)
(5) الشفا 89/2
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 354/2
(7) سورة الأنبياء: 25
(8) سورة الأعراف: 70

يشير الثعالبي إلى أنّ ظاهر قولهم (وحده) أنّهم أنكروا أن يتركوا أصنامهم ويفردون العبادة لله مع إقرارهم بالإله الخلق المبدع، وهذا هو الأظهر فيهم وفي عبّاد الأوثان كلهم ...»[1]. كما أخبرنا سبحانه وتعالى بأنه أرسل نوحا إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله ولكنهم قابلوه بالإنكار والتكذيب والاستهزاء واستمروا على ذلك إلى أن أخذهم الله ✞ بالطوفان، وإليه الإشارة بقوله: {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمْ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**}[2]. فالعطف بالفاء في قوله (فلبث) يقتضي ظاهره أنّه لبث هذه المدة رسولاً يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده[3].

وهكذا الأمر في قوله تعالى: {**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ(13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**}[4] يذكر الثعالبي بأنّ اللازم من الآية أنّ الله تعالى بعث إليها رسولين فدعيا أهل القرية إلى عبادة الله وتوحيده فكذّبوهما فشدّد الله أمرهما بثالثٍ، وقامت الحجّة على أهل القرية...[5] وهكذا الأمر بالنسبة لكل نبي أورسول إلاّ ودعا أمته إلى التوحيد وعبادة الله ✞ وحده.

ب. تبليغ شريعة الله إلى الخلق:

وهي وظيفة قام بها الأنبياء والرسل على أحسن وجه وأكمله، وفي ذلك يقول ✞ مثنياً عليهم: {**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**}[6] وقد نبّه الله تعالى إلى هذه الوظيفة في آيات كثيرة من القرآن الكريم الكريم منها على سبيل المثال: قوله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاس**}[7].

يذكر الثعالبي بأنّ هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيّه عليه السلام بالتبليغ على الاستيفاء والكمال، لأنّه قد كان بلّغ صلى الله عليه و سلم ، وإنّما أمر في هذه الآية بأن لا يتوقّف عن شيء مخافة أحد، وذلك أنّ رسالته عليه السلام تضمّنت الطعن على أنواع الكفرة، وبيان فساد حالهم، فكان يلقى منهم صلى الله عليه و سلم عَنَتاً، وربّما خافهم أحياناً ـ قبل نزول هذه الآية ـ فقال الله تعالى له: {بلّغ ما أنزل إليك من ربّك} أي كاملاً (والله يعصمك من الناس) ..[8].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 41/2
(2) سورة العنكبوت: 14
(3) نفس المصدر السابق 294/3
(4) سورة يس: 13، 14
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 08/4
(6) سورة الأحزاب: 39
(7) سورة المائدة: 67
(8) نفس المصدر السابق 567/1، 568

ومثل هذه الآية قوله تعالى: {**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ**}[1] وهو إخبارٌ للمؤمنين مضمنه الوعيد إن انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلّغ الرسول إليهم[2] والأمثلة في هذا ممّا كلّف به رسل الله وأنبياؤه أكثر من أن تذكر.

جـ . التبشير والإنذار:

وهما أيضاً من أهم الوظائف التي كلّفوا بها فالبشارة مأخوذة من البَشْرَةِ لأنّ ما يُبَشَّرُ به الإنسان من خير أو شر يظهر عنه أثر في بشرة الوجه، والأغلب استعمال البشارة في الخير، وقد تستعمل في الشرّ مقيّدة به، كما قال تعالى: {**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**}[3]، ومتى أطلق لفظ البشارة، فإنما يحمل على الخير[4] ؛ والإنذار: إخبار فيه فيه تخويف، كما أنّ التبشير إخبار فيه سرور[5].

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبيّن هذين المعنيين، منها قوله تعالى: {**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**}[6]، وقوله ✠ خطاباً لنبيّنا عليه السلام: {**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**}[7]، أي بشيراً لمن آمن، ونذيراً لمن كفر[8]، ومثل هذه الآية قوله سبحانه: {**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**}[9]، والمعنى: شاهداً على النّاس بأعمالهم وأقوالهم حتّى بَلَّغْتَ ومبشراً أهل الطاعة برحمة الله، ونذيراً من عذاب الله أهل المعصية[10].

وهذا سيّدنا هود ينذر قومه ويخوفهم بطش الله حين كفروا بما جاءهم من عند الله حيث يقول جلّ وعلاّ: {**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(21)قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ(22)قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**}[11] والمعنى: قال لهم هود إنّ هذا الوعيد ليس من قلبي وإنمّا

---

(1) سورة المائدة: 99
(2) نفس المصدر السابق 585/1 ؛ 372/2
(3) سورة آل عمران: 21 ؛ سورة التوبة: 34 ؛ سورة الانشقاق: 24
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 56/1 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 45 ؛ الكليات ص: ص: 293
(5) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 508 ؛ الكليات ص: 201
(6) سورة الأنعام: 48 ؛ سورة الكهف: 56
(7) سورة البقرة: 119
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 128/1
(9) سورة الفتح: 08
(10) نفس المصدر السابق 237/4 ؛ 269/2
(11) سورة الأحقاف: 21-23

الأمر فيه إلى الله وعلم وقته عنده، وإنمّا عليّ أن أبلّغ فقط[1]، وهكذا كل نبّي أو رسول إلاّ وبشر قومه برضوان الله وجنّته، وخوفهم سخط الله وعقابه كما قال تعالى: {**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ**}[2] ومعناه أنّ دعوة الله تعالى قد قد عمّت جميع الخلق، وإن كان فيهم من لم تباشره النّذارة فهو ممّن بلغته، لأنّ آدم عليه السلام بعث إلى بنيه ثمّ لم تنقطع النذارة إلى زمن محمّد صلى الله عليه و سلم [3].

هذه إشارة إلى بعض مهام الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وهناك مهام أخرى كثيرة تتفرّع عمّا سبق ذكره، كتصحيح العقائد المنحرفة، وإصلاح النفوس وتزكيتها، ووعظ الناس وتذكيرهم بأصل منشأهم وتكوينهم ومصيرهم وغير ذلك ممّا كلّفهم به سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بنبوة محمد ﷺ والملائكة

1 ـ الإيمان بنبوة محمد ﷺ

الإيمان بنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ورسالته، وأنّ الله تعالى بعثه إلى الخلق جميعًا لهدايتهم وإرشادهم إلى صراط الله المستقيم، وأنّه أفضل رسل الله وأنبيائه أصل عظيم من أصول الإيمان، إذ لا يصحّ إيمان أحد حتّى يؤمن بالنّبيّ صلى الله عليه و سلم وبما جاء به من عند الله تعالى، ويعتقد اعتقادا جازمًا أنّه إمام الهدى الذي يجب طاعته، والإقتداء به.

وقد أولى الثعالبي عناية كبيرة لهذه المسألة في تفسيره، حتّى أننا نجده -في كثير من المواضع- يحثّ على محبّة النّبيّ عليه السلام، والتمسّك بسيرته العطرة، وسنّته الشريفة المطهّرة، مستندًا في ذلك إلى آيات القرآن الكريم، وأحاديث النّبيّ عليه السلام، ومستأنسًا بأقوال أهل العلم، أمثال القاضي عياض، والغزالي، وغيرهما.

ففي قول الله تعالى: {**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**}[4]: يشير إلى أنّ: « هذه الآية حضّ على اتّباع نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم يدلّ عليه قوله (فاتّبعوه)، فهو لفظ عامّ يدخل تحته جميع إلزامات الشريعة »[5].

---

(1) نفس المصدر السابق 212/4 ؛ 266/2

(2) سورة فاطر: 24

(3) نفس المصدر السابق 395/3

(4) سورة الأعراف: 158

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 78/2 -بتصرّف

وفي قوله ✞ : {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(1) يبيّن أنّها: « تحتمل أن تكون نزلت في حقّ قوم على عهد النّبيّ صلى الله عليه و سلم قالوا: إنّا نحبّ ربّنا، ويحتمل أن تكون الآية عامّة في أهل الكتاب(اليهود والنصارى)، لأنّهم كانوا يدّعون أنّهم يحبّون الله..، فألزمهم الله اتّباع النّبيّ عليه السلام، وإلاّ كان زعمهم باطلاً » ؛ ويستأنس بما قاله عياض: « أنّ من أحبّ شيئًا آثره، وآثر موافقته، وإلاّ لم يكن صادقًا في حبّه، وكان مدّعيًا ؛ فالصادق في حبّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم من تظهر علامات ذلك عليه، وأوّلها الإقتداء به، واتّباع سنّته، واتّباع أقواله وأفعاله، والتأدّب بآدابه في عسره ويسره » (2) (3).

ولا غرابة أن يحثّ الثعالبي غيره للاتّصاف بهذه المناقب بعد أن حقّقها في نفسه، حيث يقول: « فإن أردت الفوز أيّها الأخ، فعليك باتّباع النّبيّ صلى الله عليه و سلم وتعظيم شريعته، وتعظيم جميع أسبابه » (4)، ويقول أيضًا: « فإن أردت اتّباع النّبيّ صلى الله عليه و سلم على الحقيقة، واقتفاء أثره، فابحث عن سيرته وخلقه في كتب الحديث والتفسير » (5).

ويجب على كلّ مخلوق مكلّف أن يعتقد أنّه عليه السلام مرسل إلى جميع الثقلين الإنس والجنّ، كما قال تعالى: {**قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**}(6)، فهو: « أمر من الله سبحانه لنبيّه بإشهار الدعوة العامّة التي هي إحدى خصائصه(7)، التي خصّ بها من بين سائر الأنبياء، فكلّ نبيّ إنّما بعث إلى فرقة دون العموم » (8)، وفي ضمن هذا الكلام إثبات قاطع بأنّه عليه السلام خاتم الأنبياء الأنبياء والرسل، كما يقول تعالى: {**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**}(9)، ويقول {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**}(10).

---

(1) سورة آل عمران: 31
(2) الشفا 22/2
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 309/1 -بتصرّف
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 77/2
(5) نفس المصدر السابق76/2 ؛ وانظر: حبّه للنّبيّ صلى الله عليه و سلم 79/2، 80، 328، 408، 427، 427، 428
(6) سورة الأعراف: 158
(7) هي معنى ما ورد في قول النّبيّ صلى الله عليه و سلم : "أعطيت خمسًا لم يعطهنّ أحد من قبلي: نصرت نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيّما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النّبيّ يبعث إلى قومه [خاصّة]، وبعثت إلى النّاس عامّة ". الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التيمم-باب: قوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا) 128/1 برقم(328)، وكتاب الاعتصام بالكتاب و السنة 2654/6 برقم(6845) ؛ ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة 370/1 برقم(521)
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 78/2 ؛ 240/1 ؛ 381/3
(9) سورة الأحزاب: 40
(10) سورة سبأ: 28

ومن لا يؤمن به عليه السلام فمصيره النّار، كما يقول سبحانه: {**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**}(1) ؛ يؤيّده ما جاء في الحديث من رواية سعيد بن جبير(2) عن أبي موسى الأشعري(3) عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه أنّه قال: « ما من أحد يسمع بي من هذه الأمّة، ولا من اليهود والنصارى ثمّ لا يؤمن بي إلاّ دخل النّار. قال سعيد: فقلت أين مصداق هذا في كتاب الله ؟ حتّى وجدته في هذه الآية، وكنت إذا سمعت حديثًا عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم طلبت مصداقه في كتاب الله ✠ »(4) (5).

وأمّا ما زعمه بعض اليهود والنصارى من أنّه عليه الصلاة السلام رسول إلى العرب خاصّة، فهو ادّعاء باطل، تردّه نصوص القرآن والسنّة، ومبادئ العقل الصحيحة، ويكفي في الردّ عليهم إقرارهم بنبوّته، فإنّ تصديقهم بالرسالة يقتضي تصديقهم في كلّ ما يخبر به، لأنّ الرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتمًا، وهذا ما شهد الله به عليهم، حيث يقول سبحانه: {**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**}(6): يذكر أنّ: « الآية نزلت في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين: نحن نحن نؤمن أنّه نبيّ، ولكن ليس إلينا، وإنّما هو إليكم خاصّة، فلمّا خلوا قال بعضهم:لم تقرّون بنبوّته »(7).

ولهذا مدح الله تعالى أتباع النّبيّ صلى الله عليه و سلم حين آمنوا به بقوله: {**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ**}(8)، فهذه الألفاظ أخرجت اليهود والنصارى من

---

(1) سورة هود: 17

(2) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، مولاهم، الكوفي: إمام، حافظ، مقرئ، مفسّر، ثقة، ثبت، فقيه، من كبار التابعين، قتل بين يدي الحجاج سنة 95هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 174برقم(2278) ؛ تذكرة الحفاظ 76/1 ؛ سير أعلام النبلاء 321/4 ؛ طبقات الحفاظ 38/1

(3) هو: عبد الله بن قيس بن سليم(بضمّ السين وفتح اللام) بن حضّار (بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة)، أبو موسى الأشعري: صحابي مشهور، أسلم قبل الهجرة إلى الحبشة، كان حسن الصوت بالقرآن، استعمله النبيّ على زبيد وعدن، واستعمله أبو بكر على الكوفة، وأمّره عمر وعثمان، وهو أحد الحكمين بصفّين، مات سنة 50هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 260 برقم(3542) ؛ الاستيعاب 1763/4 ؛ الإصابة 211/4

(4) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه 372/2 من حديث ابن عباس، وأصله قد رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان-باب: وجوب الإيمان برسالة محمد 134/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 272/2

(6) سورة البقرة: 76

(7) نفس المصدر السابق 102/1، 103

(8) سورة الأعراف: 157

الاشتراك الذي يظهر في قوله {**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**}[1]، وخلصت هذه العدة لأمّة محمّد صلى الله عليه و سلم .

فهذه الآية الكريمة معلمة بشرف هذه الأمّة على العموم في كلّ من آمن بالله تعالى وأقرّ برسالة النّبيّ صلى الله عليه و سلم ثمّ هم متفاوتون بعد في الشرف بحسب تفاوتهم في حقيقة الاتّباعية للنّبيّ صلى الله عليه و سلم .

ويستأنس الثعالبي في هذا الصدد بما ذكره الغزالي بقوله: « وإنّما أمّته صلى الله عليه و سلم من اتّبعه، وما اتّبعه إلاّ من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة، فإنّه عليه السلام ما دعا إلاّ إلى الله واليوم الأخر، وما صرف إلاّ عن الدنيا والحظوظ العاجلة، فبقدر ما تعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة تسلك سبيله الذي سلكه صلى الله عليه و سلم وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتّبعته، وبقدر ما اتّبعته صرت من أمّته » [2] [3].

إشارة القرآن والسنّة إلى بشارات الكتب السماوية بمحمّد صلى الله عليه و سلم **:**

إنّ ممّا يدلّ على ثبوت رسالة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم ونبوّته ما حكاه الله في القرآن عمّا تضمّنته الكتب السماوية المنزّلة قبله، من ذكر بعض صفاته والتبشير ببعثته.

من ذلك: دعاء إبراهيم عليه السلام أن يرسل الله في ذرّيّته من يهدي الخلق إلى صراط الله المستقيم: {**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}[4]، يشير: « أنّ هذا الدعاء هو الذي أراد النّبيّ صلى الله عليه و سلم بيانه بقوله في الحديث: « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى[5] عيسى » [6] ؛ وقد تواترت أخبار نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم وبعثته في في الكتب السالفة، وعلم بذلك الأحبار، وأخبروا به وبتعيين الزمن الذي يبعث فيه » [7].

ويورد ما رواه البيهقي عن طلحة بن عبيد الله[8] -رضي الله عنه- قال: « حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعة، يقول: سلوا أهل الموسم أفيهم من

---

(1) سورة الأعراف: 156
(2) إحياء علوم الدين /
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 75/2، 76
(4) سورة البقرة: 129
(5) وإليها أشار الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: {ومبشّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} أحمد} سورة الصفّ: 06
(6) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه 433/2 وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 135/1
(8) هو: طلحة بن عبيدة بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي، أبو محمد المدني، أحد العشرة المبشرين بالجنّة، استشهد يوم الجمل سنة 36 هـ، وهو ابن 63سنة. انظر: تقريب التهذيب ص: 225 برقم(3027) ؛ الإصابة 529/3 ؛ الاستيعاب 764/2

هو من هذا الحرم ؟ قال: قلت: أنا فما تشاء ؟ قال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد ؟ قال: أحمد بن عبد الله بن عبد المطّلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو خاتم الأنبياء، مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وسباخ، إذا كان فلا تسبقنّ إليه، فوضع في قلبي ما قال، وأسرعت اللحاق بمكّة، فسألت هل ظهر بعدي أمر ؟ فقالوا: محمّد الأمّيّ قد تنبّأ، وتبعه أبو بكر بن أبي قحافة، فمشيت إلى أبي بكر، وأدخلني إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلمت » (1) (2).

هذا، وقد أخذ الله العهد على كلّ نبيّ ورسول أن يؤمن بمحمّد- عليه الصلاة والسلام، وينصره إن بعث وهو حيّ، فيقول: {**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**}(3) يورد الثعالبي قول بعض السلف من الصحابة وغيرهم: « أنّ الله لم يبعث نبيًّا آدم فمن بعده إلاّ أخذ عليه العهد في محمّد صلى الله عليه و سلم لئن بعث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، فالرسول في هذه الآية اسم جنس يراد به نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم وهو قول كثير من المفسّرين »(4).

والتوراة والإنجيل قد بشّرتا ببعثته، حيث يقول تعالى: {**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}(5)، قيل: الإشارة إلى من تقدّم ذكره من بني إسرائيل، والمعنى: يتّبعونه باعتقاد نبوّته من حيث وجدوا صفته في التوراة والإنجيل؛ وقيل: بل المراد من لحق من بني إسرائيل أيّام النّبيّ صلى الله عليه و سلم فبيّن تعالى أنّ هؤلاء اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الآخرة إلاّ إذا اتّبعوا النّبيّ الأمّيّ، وهذا القول أقرب-كما يقول الرازي(6).

ويعضده الثعالبي بما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- أنّ هذه الآية التي في القرآن: {**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**}(7)، قال في في التوراة: « يأيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا وحرزًا للأمّيّين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكّل، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب بالأسواق، ولا يدفع السيّئة بالسيّئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه حتّى يقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلاّ الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا »(8) (1).

---

(1) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوّة 50/1 تحقيق: عبد الرحمان محمد عثمان، المكتبة السلفية- المدينة المنورة، دار النصر للطباعة ط(1) 1389هـ-1969م.
(2) نفس المصدر السابق 135/1، 136
(3) سورة آل عمران: 81
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 339/1، 340 -بتصرّف
(5) سورة الأعراف: 157
(6) التفسير الكبير مج (8) ج 25/15
(7) سورة الأحزاب: 45
(8) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-سورة الفتح-باب: (إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا) 1831/4 برقم(4558)

ومن هنا كان اليهود ينكرون صفات النّبيّ الواردة في كتبهم، فاستحقّوا لعنة الله والطرد من رحمته، حيث يقول تعالى: {**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**}(2).

والملاحظ هنا أنّ الثعالبي لم يعتمد في بيان هذه البشارات على النسخ الأصلية ممّا هو متداول بين اليهود والنصارى، اعتقادًا منه أنّها حرّفت وبدّلت وغيّرت، لذلك اقتصر على ما تقرّر في القرآن الكريم(3) الذي هو كلام المحيط بكلّ شيء سبحانه، فهو منزّه عن التناقض والتنافي الموجود في كلام البشر، كما يقول تعالى: {**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**}(4).

وأمّا التوراة والإنجيل فقد وقع فيهما التحريف والتبديل والتغيير، وشهد الله عليهم بذلك في القرآن، حيث يقول: { **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**}(5)، ويقول: { **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**}(6): فقوله (بما استحفظوا) أي: بسبب استحفاظ الله تعالى إيّاهم أمر التوراة، وأخذه العهد عليهم في العمل والقول بها، وعرّفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه، وهؤلاء ضيّعوا لما استحفظوا حتّى تبدّلت التوراة(7).

وتحريفهم لكلام الله تعالى المنزّل قبل القرآن على وجهين (8) **:**

إمّا بتغيير اللفظ، بمعنى: أنّهم بدّلوا ألفاظًا من تلقائهم، وذلك ممكن في التوراة والإنجيل، لأنّهم استحفظوها فلم يحفظوها، وقد فعلوا ذلك في الأقلّ.

وإمّا بتغيير التأويل، ولفظ التوراة باق، وقد فعلوا ذلك في الأكثر .

ومن هذا التبديل والتحريف الذي وقع: ما يشير إليه في بيان قوله تعالى: {**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا**}(9)، حيث يورد ما روي: «أنّ يهود فدك قالوا ليهود المدينة المنوّرة

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 77/2
(2) سورة البقرة: 89
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 76/1، 104، 106، 110، 154، 155، 161، 196، 197، 343، 455
(4) سورة النساء: 82
(5) سورة البقرة: 75
(6) سورة المائدة: 44
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 554/1
(8) نفس المصدر السابق 102/1، 450، 538
(9) سورة المائدة: 41

استفتحوا محمّدًا، فإن أفتاكم بما نحن عليه من الجلد والتجبية فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا الرجم » (1) (2).

ومن ذلك: قولهم(راعنا)، فقد صرفها اليهود إلى الرعونة، ويظهرون أنّهم يريدون المراعاة(3).

وقولهم (واسمع غير مسمع): فكانوا إذا خاطبوه بذلك أرادوا في الباطن الدعاء عليه، وأروه ظاهرًا أنّهم يريدون تعظيمه(4)، وإلى هذا المعنى أشار تعالى حين قالوا: {**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ**} (5).

وبهذا تتبيّن حقيقة هؤلاء اليهود، وسوء فعلهم بأنفسهم، فقد كان لهم حظٌ عظيم فيما ذكّروا به، فنسوه وتركوه (6)، فاستحقّوا بذلك غضب الله تعالى ومقته، كما قال تعالى: {**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**} (7).

وكما أمر الله اليهود باتّباع نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم أمر النصارى باتّباعه أيضًا، حيث يقول سبحانه: {**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ**} (8)، يقول الثعالبي: « وإذ من لازم حكمهم بما أنزل الله فيه إتّباعهم لنبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم والإيمان به كما يجدونه مكتوبًا عنهم في التوراة والإنجيل » (9).

ومن هنا ندرك الحكمة التي من أجلها جعل الله تعالى القرآن الكريم هو الفيصل في أيّ مسألة أو قضيّة، وجعله مهيمنًا على الكتب السماوية التي أنزلت من قبل، فيشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسبه المحرّفون إليها، فيصحّح الحقائق، ويبطل التحريف، فهو شاهد، ومصدّق، ومؤتمن، وأمين عليها(10) ؛ وهذا معنى قوله تعالى: {**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**} (11).

---

(1) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره 235/6 عند قوله تعالى: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) سورة المائدة: 41
(2) نفس المصدر السابق 551/1
(3) نفس المصدر السابق 118/1 -بتصرّف
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 450/1 -بتصرّف
(5) سورة النساء: 46
(6) نفس المصدر السابق 538/1 -بتصرّف
(7) سورة المائدة: 13
(8) سورة المائدة: 47
(9) نفس المصدر السابق 556/1
(10) نفس المصدر السابق 556/1، 557 -بتصرّف
(11) سورة المائدة: 48

من دلائل نبوّته ورسالته صلى الله عليه و سلم **:**

اقتضت حكمة الله ﷻ أن لا يبعث نبيًّا أو رسولاً إلاّ وهو مؤيّد بالحجج والمعجزات والبراهين التي تدلّ على صدق دعواه، لتقوم الحجّة على النّاس، فيؤمن من سبق في علم الله أنّه يؤمن، ويكفر من سبق في علمه أنّه يكفر.

وقد تنوّعت معجزات الأنبياء والرسل حسب ما وصلت إليه الأمم من العلوم والتطوّرات التي فاقت فيها الأمم الأخرى، إذ الغرض منها ليس إلاّ الدلالة على صدق النّبيّ أو الرسول في نبوّته أو رسالته، لكونها معجزات خارجة عن قدرة البشر.

والمتصفّح لآيات القرآن الكريم سيقف على كثير منها، ولكنّنا سنقتصر في مبحثنا هذا على ذكر بعض دلائل نبوّة سيّدنا محمّد صلى الله عليه و سلم لأنّ ثبوت نبوّته ورسالته تستلزم ثبوت نبوّة ورسالة جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، والكفر بالبعض منهم يستلزم الكفر بالكلّ [1].

وقبل الوقوف على بعض تلك الدلائل والمعجزات التي تحدّث عنها الثعالبي في تفسيره، نرى من المناسب أن نعرّف بحقيقة المعجزة في اللغة والاصطلاح، ثمّ بيان شروطها.

حقيقة المعجزة في اللغة والاصطلاح:

المعجزة لغة [2]**:** مأخوذة من العجز، وأصله: التأخّر عن الشيء، وحصوله عند عَجُز الأمر، أي: مؤخّره، وصار في التعارف: اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة، كما قال تعالى: {**أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي**}[3]، وأعجزت فلانًا، وعجّزته، وعاجزته: جعلته عاجزًا. والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز.

واصطلاحًا: هي أمر خارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوّة، قصد بها إظهار صدق من ادّعى أنّه رسول الله[4].

يتبيّن لنا من هذا التعريف أنّ المعجزة لا تحصل إلاّ بتوفّر شروط حتّى تدلّ على صدق الرسول أو النّبيّ فيما جاء به عن الله تعالى، وهذه الشروط هي[5]:

1. أن يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه، لأنّ التصديق منه لا يحصل بما ليس من قبله، ليتناول مثل ما إذا قال: معجزتي أن أضع يدي على رأسي وأنتم لا تقدرون عليه، ففعل وعجزوا، فإنّه معجز، ولا فعل لله ثمّة.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 111/1 -بتصرّف

(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 334 ؛ القاموس المحيط 187/2 فصل الضاد إلى العين-باب الزاي -مادة(العجز) ؛ الكلّيات ص: 149

(3) سورة المائدة: 31

(4) التعريفات ص: 219 ؛ المواقف ص: 339

(5) المواقف ص: 339 -بتصرّف

2. أن يكون خارقًا للعادة، إذ لا إعجاز دونه.
3. أن يتعذّر معارضته، فإنّ ذلك حقيقة الإعجاز.
4. أن يكون ظاهرًا على يدي مدّعي النبوّة ليعلم أنّه تصديق له.
5. أن يكون موافقًا للدعوى، فلو قال: معجزتي أن أحيي ميّتًا ففعل خارقًا آخر لم يدلّ على صدقه.
6. ألاّ يكون ما ادّعاه وأظهره مكذّبًا له، فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الضبّ، فقال: إنّه كاذب، لم يعلم به صدقه، بل ازداد اعتقاد كذبه.
7. أن لا يكون متقدّمًا على الدعوى، بل مقارنًا لها، لأنّ التصديق قبل الدعوى لا يعقل.

وبعد عرضنا لأهمّ شروط المعجزة، يمكننا الآن بيان بعض تلك الدلائل والمعجزات المثبتة لنبوّة ورسالة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم وهي كما يلي:

القرآن الكريم: وهو معجزة الرسول الخالدة، ومن أعظم الدلائل على صدق دعوته عليه السلام، فقد تحدّى به العرب فلم يستطيعوا معارضته، على الرغم ممّا أوتوه من البلاغة والفصاحة والبيان، فثبت بذلك أنّه كلام الله تعالى وليس كلام البشر.

فقد عجّزهم سبحانه بقوله: {**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**}(1)، ثمّ بقوله: {**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}(2)، ثمّ بقوله: {**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(23)فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}(3): يذكر الثعالبي في بيانه للآية أنّ: « قوله(في ريب) أي: في شكّ، وأنّ الضمير في (مثله): عائد على القرآن عند جمهور المفسّرين، (وادعوا شهداءكم) أي: من شهدكم وحضركم من عون ونصير (إن كنتم صادقين) أي: فيما قلتم من أنّكم تقدرون على معارضته، (ولن تفعلوا): إثارة لهممهم، وتحريك لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهو أيضًا من الغيوب التي أخبر بها القرآن »(4).

وبعد هذا بيّن الله تعالى عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثل القرآن، فقال: {**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**}(5): يشير إلى ما قالته جماعة من قريش للنّبيّ صلى الله عليه و سلم : « لو جئتنا

---

(1) سورة الطور: 34
(2) سورة هود: 13
(3) سورة البقرة: 23، 24
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 55/1 ؛ 298/4
(5) سورة الإسراء: 88

جئتنا بآية غريبة غير هذا القرآن فإنّا نقدر نحن على المجيء بمثله، فنزلت هذه الآية المصرّحة بالتعجيز لجميع الخلق » [1] ؛ ويقوّيه بما ذكره -نقلاً عن الرازي- أنّه لمّا ظهر عجزهم عن المعارضة صحّ عندهم صدق النّبيّ صلى الله عليه و سلم وإذا صحّ ذلك ثمّ لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنّار، واتّقاء النّار يوجب ترك العناد[2] [3].

ويحتجّ ✞ على كفّار قريش وغيرهم ممّن كذّب النّبيّ صلى الله عليه و سلم ولم يصدّقه في دعوته: أنّه لم يسبق له تعلّم أو دراسة على أحد، بل كان أمّيّا لا يكتب ولا يقرأ، حيث يقول تعالى: {**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ(48)بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ**}[4]: جاء في تفسيره للآية: « أنّ الله ✞ بيّن الحجّة، وأوضح البرهان أنّ ممّا يقوّي أنّ نزول القرآن من عند الله أنّ محمّدًا عليه السلام جاء به في غاية الإعجاز والطول والتضمّن للغيوب، وغير ذلك، وهو أمّيّ لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يتلو كتابًا، ولا يخطّ حروفًا، ولا سبيل له إلى التعلّم، ولو كان ممّن يقرأ أو يخطّ لارتاب المبطلون، وكان لارتيابهم معلق، وأمّا ارتيابهم مع وضوح هذه الحجّة فظاهر فساده »[5].

أوجه إعجاز القرآن الكريم:

تعرّض الثعالبي لأوجه إعجاز القرآن الكريم التي وقع بها التحدّي، وقبل الوقوف على رأيه فيها، يستحسن أن نذكر الاختلاف الحاصل فيها[6]:

- فقيل: هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه، ومقاطعه، وفواصله، وعليه بعض المعتزلة .
- وقيل: كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها، وعليه الجاحظ[7].
- وقيل: هو إخباره عن الغيب .
- وقيل: هو بالصرفة، بمعنى: أنّ الله صرف العرب عن الإتيان بمثل القرآن مع قدرتهم على ذلك، وهو قول النظّام[1] ؛ وهذا القول ظاهر الفساد والبطلان.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 497/2
(2) التفسير الكبير مج(11) ج 55/21
(3) نفس المصدر السابق 55/1
(4) سورة العنكبوت: 48، 49
(5) نفس المصدر السابق 302/3 ؛ 238/2
(6) المواقف ص: 349، 350
(7) هو: عمرو بن يحي بن محبوب البصري، المعتزلي، أبو عثمان العلّام المتبحّر، ذو الفنون، عرف بالحفظ والذكاء، وله النوادر، من تآليفه: البيان والتبيين، الحيوان، الردّ على أصحاب الإلهام، توفي سنة 150هـ، وقيل في غيرها. انظر: تاريخ بغداد 212/12 ؛ سير أعلام النبلاء 526/11 ؛ ميزان الاعتدال 300/5

وذهب أهل السنّة والجماعة من سلف الأمّة وخلفها إلى أنّ القرآن منطوٍ على وجوه كثيرة في إعجازه، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه[2]:

أوّلها: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم أرباب هذا الشأن.

الثاني: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آيه، وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه.

الثالث: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيّبات، وما لم يكن ولم يقع ؛ فوجد كما ورد، وعلى الوجه الذي أخبر به.

الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة، ممّا لم يكن يعلمه إلاّ القليل من أحبار أهل الكتاب، فيورده النّبيّ صلى الله عليه و سلم على وجهه، ويأتي به على نصّه، وقد علموا أنّه عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب.

موقف الثعالبي من هذه المسألة:

من الطبيعي جدًّا أن يصرّح الثعالبي بأنّ أوجه الإعجاز كثيرة، غير أنّه يجمع هذه الوجوه الأربعة السابقة في قسمين، وهو ما نلاحظه في تفسير قوله تعالى: {**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}[3]: حيث يشير إلى أنّ التحدّي في هذه الآية-عند جمهور العلماء- قد وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن:

إحداهما: النظم والرصف والإيجاز والجزالة.

والأخرى: المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل.

ويحاول هنا توجيه رأي ابن عطية الذي ذهب إلى أنّ الله حين تحدّى العرب بعشر سور مفتريات إنّما تحدّاهم بالنظم وحده دون الإخبار بالغيوب، غير أنّه تراجع عنه في تفسير سورة هود، وهو أنّ أوجه إعجاز القرآن أكثر من هذا؛ وهذا هو الصواب[4].

---

(1) هو: إبراهيم بن سيار البصري، أبو إسحاق، شيخ المعتزلة، كانت له آراء شذّ بها عن المسلمين أنكرت عليه، من تآليفه: الجواهر والأعراض، كتاب النبوة. انظر: تاريخ بغداد 97/6 ؛ لسان الميزان 09/7 ؛ سير أعلام النبلاء 541/10

(2) الشفا 197/1 -بتصرّف

(3) سورة يونس: 38

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 238/2، 239 -بتصرّف

وهذه أمثلة من تفسيره رحمه الله توضّح القسمين السابقين:

فأمّا مثال القسم الأوّل وهو: النظم والرصف والإيجاز والجزالة..، وغيرها من الأساليب المعهودة في كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها، ممّا يبيّن تلك الروعة التي تلحق قلوب سامعي القرآن وقارئيه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته، كما حدث لجماعة قبل الإسلام وبعده، فمنهم من أسلم لها لأوّل وهلة وآمن به، ومنهم من كفر، كما هو الشأن بالنسبة لعتبة بن ربيعة (1) حين ذهب إلى النّبيّ صلى الله عليه و سلم ليحتجّ عليه، ويبيّن له أمر مخالفته لقومه، فلمّا فرغ عتبة من كلامه. قال النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « باسم الله الرحمان الرحيم {**حم(1) تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ(2)كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**}(2) إلى قوله تعالى: {**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**}(3)، فأرعد الشيخ، وقف شعره، وأمسك على فم النّبيّ صلى الله عليه و سلم وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئًا ما هو بالشعر، ولا هو بالكهانة، ولا هو بالسحر، ولقد ظننت أنّ صاعقة العذاب على رأسي »(4) (5).

ومثل هذا ما وقع للوليد بن المغيرة (6): أنّه سمع من القرآن ما أعجبه، ومدحه، ثمّ ثمّ كذلك مرارًا حتّى كاد أن يقارب الإسلام، وقال: « والله لقد سمعت من محمّد كلامًا ما هو من كلام الإنس، ولا هو من كلام الجنّ، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه يعلو، ما يُعْلَى، فقالت قريش: صبأ الوليد، والله لتصبأنّ قريش، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فحآجّه أبو جهل وجماعة حتّى غضب الوليد، وقال: تزعمون أنّ محمّدًا مجنون، فهل رأيتموه يخنق قطّ ؟ قالوا: لا، قال: تزعمون أنّه شاعر، فهل رأيتموه ينطق شعرًا قطّ ؟ قالوا: لا، قال: تزعمون أنّه كذّاب، فهل جرّبتم عليه شيئًا من الكذب قطّ ؟ قالوا: لا، وكانوا يسمّونه قبل النبوّة الأمين، لصدقه، فقالت قريش: ما عندك فيه؟ فتفكّر في نفسه، فقال: ما أرى فيه شيئًا ممّا ذكرتموه، فقالوا: هو ساحر، فقال: أمّا هذا فيشبه، فأنزل الله فيه: {**إِنَّهُ فَكَّرَ**

---

(1) هو: أحد زعماء قريش، ومن أشدّ الناس عداوة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كان أحد قادة المشركين في غزوة بدر، أخباره معروفة في كتب السير والتاريخ.

(2) سورة فصلت: 1-3

(3) سورة فصّلت: 13

(4) قصّة سماع عتبة بن ربيعة قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخرجها البيهقي في دلائل النبوة 194/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 111/4

(6) هو: أحد زعماء قريش، والد خالد بن الوليد، وفيه نزل قوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيدًا. .)) انظر شيئًا من أخباره في تفسير الآية للقرطبي 70/19، ابن كثير 443/4

وَقَدَّرَ(18)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(19)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(20)ثُمَّ نَظَرَ(21)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(22)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(23)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ} (1) »(2).

وممّن أثّرت فيه روعة القرآن عند سماعه فأسلم، ما ثبت في السنّة عن مطعم بن جبير قال: « سمعت النّبيّ ❐ يقرأ في المغرب بالطور فلمّا بلغ قوله تعالى: {**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ(35)أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ(36)أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ**}(3)، كاد قلبي أن يطير " وفي رواية (وذلك أوّل ما وقر الإيمان في قلبي) »(4)(5).

وعلى كلّ حال، فقد فهمت العرب الفصحاء بخلوص فهمها في ميز الكلام، ودربتها به ما لا نفهمه نحن، ولا كلّ من خالطته حضارة، ففهموا العجز عنه ضرورة ومشاهدة، وعلمه النّاس بعدهم استدلالاً ونظرًا، ولكلٍّ حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة (6).

وأمّا أمثلة القسم الثاني: وهو الإخبار بالمغيّبات الماضية والمستقبلة، فقد انطوى القرآن على ذكر العديد منها:

أوّلاً: الأخبار الماضية ممّا وقع للأمم البائدة، وما جرى للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما حدث من الوقائع والقصص المثيرة، كقصّة أصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان وابنه..، وغير ذلك.

ولعلّ أفضل مثال هنا ما ذكره تعالى لنا من قصّة مريم عليها السلام وعبادتها لله تعالى، وكيف أنّ الله يرزقها بالطعام في غير وقته، حيث يقول سبحانه: {**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**}(7) : يشير الثعالبي إلى أنّ: « في هذه الآية بيان لنبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم إذ جاءهم بغيوب لا يعلمها إلاّ من شاهدها، وهو لم يكن لديهم ؛ أو من قرأها في كتبهم، وهو صلى الله عليه و سلم أمّيّ من قوم أمّيّين ؛ أو من أعلمه الله بها، وهو ذاك صلى الله عليه و سلم » (8).

وفي قصّة موسى عليه السلام حين أنجاه الله ومن معه من بطش فرعون وجنوده، الواردة في قوله سبحانه: {**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ**

---

(1) سورة المدثر: 18-24
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 509/4
(3) سورة الطور: 35-37
(4) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-باب: (دون ترجمة) 1839/4 برقم(4476)
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 299/4
(6) نفس المصدر السابق 497/2
(7) سورة آل عمران: 44
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 319/1

تَنظُرُونَ}[1]: يذكر الثعالبي-نقلاً عن الطبري- أنّ: « في إخبار القرآن على لسان النّبيّ صلى الله عليه و سلم بهذه المغيّبات التي لم تكن من علم العرب، ولا وقعت إلاّ في خفيّ علم بني إسرائيل دليل واضح عند بني إسرائيل، وقائم عليهم بنبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم » [2] [3].

ثانيًا: الإخبار بالمغيّبات المستقبلة: وقد اشتمل القرآن على العديد منها، كقوله سبحانه: {**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**}[4]، فهذه عدة من الله تعالى لرسوله أنّ جمع قريش سيهزم، سيهزم، فكان كما وعد سبحانه، ويشهد له ما قاله عمر بن الخطّاب-رضي الله عنه-: « كنت أقول في نفسي أيّ جمع سيهزم ؟ فلمّا كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يثب في الدرع وهو يقول: سيهزم الجمع ويولّون الدبر »[5][6].

وأخبر تعالى أيضًا عمّا فعله أبناء وقرابة قتلى قريش في بدر من جمع المال لإنفاقه في غزوة أحد ثأرًا من النّبيّ صلى الله عليه و سلم فقال: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ**}[7] يذكر الثعالبي أنّ: « هذا من إخبار القرآن بالغيوب قبل أن تكون، فكان كما أخبر »[8].

وهكذا في إخبار القرآن عن المعركة التي ستحدث بين الروم والفرس في بضع أعوام، حيث يقول تعالى: {**الم(1)غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**}[9]. يشير الثعالبي أنّ أنّ الروم غلبت فارس في أثناء الأجل يوم بدر بعد تسعة أعوام[10].

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة، ومن أراد المزيد فعليه بكتب التفسير وغيرها، فقد توسّعت في بيانها ولله الحمد.

---

(1) سورة البقرة: 50
(2) تفسير الطبري /
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 81/1
(4) سورة القمر: 45
(5) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 495/4 برقم(3841) تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف-الرياض ط(1) 1415هـ-1995م ؛ ورواه البخاري بغير هذا اللفظ من حديث ابن عباس في: كتاب التفسير -باب: قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر 1845/4 برقم (4594). قال ابن حجر في الفتح 619/8 هو: " من مرسلات ابن عباس لأنه لم يحضر القصة. . .، فكأنّ ابن عباس حمل ذلك عن عمر ".
(6) نفس المصدر السابق 326/4 -بتصرّف
(7) سورة الأنفال: 36
(8) نفس المصدر السابق 128/2
(9) سورة الروم: 1-4
(10) نفس المصدر السابق 309/3 -بتصرّف

انشقاق القمر:

وهو معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام، أشار إليها تعالى في قوله: {**اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**}(1)، حيث يبيّن الثعالبي أنّه: « إخبار عمّا وقع، وذلك أنّ قريشًا سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم آية فأراهم انشقاق القمر، فرآه النّبيّ ❐ وجماعة من المسلمين والكفّار، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم اشهدوا »(2)، ولكن هؤلاء الكفّار لم يؤمنوا، بل كذّبوه، فخلّد تعالى تكذيبهم بقوله: {**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**}(3)، فجاء اللفظ مستقبلاً لينتظم ما مضى وما يأتي، فهو إخبار بأنّ حالهم هكذا(4).

الإسراء والمعراج:

وهو معجزة أخرى من معجزاته، ويراد بها: الإسراء به عليه الصلاة والسلام من مكّة المكرّمة إلى بيت المقدس، ثمّ العروج به إلى فوق السموات العلى، تكرمة من الله له وتشريفًا، وإليها الإشارة بقوله سبحانه: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**}(5) يذكر الثعالبي أنّ: « قوله(لنريه): يريد لنري محمّدًا بعينه آياتنا في السموات والملائكة والجنّة والسدرة(6)، وغير ذلك من العجائب ممّا رآه تلك اللّيلة..، وقوله(إنّه هو السميع البصير): وعيد شديد للمكذّبين بأمر الإسراء، أي: هو السميع لما تقولون، البصير بأفعالكم »(7).

ولهذا يستنكر تعالى على كفّار قريش حين كذّبوا هذه الحقيقة، فيقول: {**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى(12)وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى(15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى(16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى(17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**}(8)، أي: أنّ النّبيّ رأى الكبرى من آيات ربّه ممّا يمكن أن

---

(1) سورة القمر: 01

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب-باب: سؤال المشركين أن يريهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم آية 1330/3 برقم(3477) ؛ ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنّة والنار-باب: انشقاق القمر 2159/4 برقم(2802)

(3) سورة القمر: 02

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 319/4 -بتصرّف

(5) سورة الإسراء: 01

(6) هي: شجرة نبق في السماء السابعة ؛ وقيل لها المنتهى لأنّها إليها ينتهي علم كلّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صعدًا إلاّ الله تعالى ؛ وقيل: لأنّها ينتهي إليها من مات على سنّة النّبيّ ❐ نفس المصدر السابق 307/4 ؛ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 353/2 تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة (د. ت. ط) ؛ فتح الباري 213/7 ؛ شرح النووي على صحيح مسلم 214/2.

(7) نفس المصدر السابق 465/2 -بتصرّف

(8) سورة النجم: 12-18

يراها البشر ؛ ويستأنس الثعالبي هنا بما ذكره عياض من: « أنّ الأفهام انحصرت عن تفصيل ما أوحى، وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات، وقد اشتملت هذه الآيات على إعلام الله بتزكية جملته عليه السلام وعصمته من الآفات في هذا المسرى، فزكّى فؤاده وجوارحه ولسانه: فقلبه بقوله: {**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**}(1)، ولسانه بقوله: {**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى**}(2)، وبصره بقوله: {**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**} (3) »(4).

وعلى كلٍّ، فمعجزاته عليه الصلاة والسلام الدالة على نبوّته ورسالته كثيرة، ونكتفي بما ذكرناه، إذ فيه غنية عن تتبّع غيرها.

2 ـ الوحي وصوره

الوحي هو الأساس الأول الذي تقوم عليه النبوة والرسالة، ومن ثمّ فقضايا العقيدة وأحكام الشريعة تنبع كلّها منه، لذلك فإن حقيقة الوحي هي الفيصل الوحيد في التفريق بين من يبلّغ عن الله تعالى، وبين من يشرّع بواسطة رأيه وهواه، من هنا تكمن أهمية الوحي في بيان صدق دعوة النّبيّ والرسول فيما جاء به عن الله تعالى ولفهمه لابدّ من الوقوف على حقيقته ومعانيه وأهمّ صوره.

تعريف الوحي:

الوحي لغة (5): الإشارة السريعة والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام والكلام والكلام الخفيّ، وكل ما ألقيته إلى غيرك، والصوت يكون في النّاس وغيرهم.

واصطلاحاً: الكلمة الإلهية التي تلقي إلى أنبيائه وأوليائه(6) وبعبارة أخرى هو ما يوحيه الله تعالى إلى نبيّ من أنبيائه أو رسولٍ من رسله، فيثبته في قلبه فيتكلمّ به ويكتبه، وهو كلام الله .

ومنه ما لا يتكلّم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته ولكنّه يحدث به الناس حديثاً ويبيّن لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه(7).

فالوحي إذن هو الخبر الذي نقل إلينا عن طريق القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة، لذلك نرى أنّه من الضروري الوقوف على أهمّ إطلاقاته في القرآن الكريم.

إطلاقات الوحي وبيان الثعالبي لها:

تحدّث الثعالبي عن الوحي في العديد من مواضع تفسيره، حيث بيّن من خلالها أهمّ معانيه في لغة العرب ومعتمداً على ما دلّت عليه آيات القرآن الكريم، ومستأنساً في

---

(1) سورة النجم: 11
(2) سورة النجم: 03
(3) سورة النجم: 17
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 308/4 ؛ الشفا 36/1 -بتصرّف
(5) القاموس المحيط 401/4 فصل النون والواو. باب الواو والياء. مادة (الوحي) ؛ أساس البلاغة ص: 494 ؛ والكليات ص: 918، 936 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 552
(6) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 552
(7) الإتقان في علوم القرآن 44/1

بعض الأحيان بأقوال أهل العلم تقوية لرأيه. فمثلاً عند تفسير قوله ✞ : {**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**}(1) يشير إلى أنّ الوحي في كلام العرب هو: « إلقاء المعنى من الموحي إلى الموحي إليه في خفاء » (2) ولفظة الوحي قد استعملت في عدّة معانٍ، وأطلقت على عدّة أمور، يمكننا ذكرها على الشكل الآتي.

1. الإرسال، ومعناه: الوحي إلى الأنبياء برسالة الملك، وعرفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام(3) ومن هذا قوله تعالى: {**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**}(4) {**إِلَيْكَ**}(4) وقوله تعالى: {**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**}(5).

2. الرؤيا في النوم(6).

3. الإشارة والكتابة وهذين المعنيين أشار إليهما الثعالبي في معرض تفسير قوله جلّ وعلا: {**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**}(7) قيل: « كان ذلك بإشارة، وقيل: بل بل بكتابة في التراب وكلا الوجهين وحي »(8).

4. وقد يطلق الوحي ويقصد به وسوسة الشياطين وما يصدر على ألسنة الكهان(9) وغيرهم، يدل عليه قوله تعالى {**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**}(10)، ومثله قوله سبحانه {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**}(11).

يقول: و(يوحى) معناه: يلقيه في اختفاء، فهو كالمناجاة والسرار و(زخزف القول):محسنه ومزيّنه بالأباطيل، والزخرفة أكثر ما تستعمل في الشرّ والباطل »(12).

5. الوحي بمعنى الأمر(13)، يدل عليه قوله ✞ {**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**}(1).

---

(1) سورة النحل: 68
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 435/2
(3) نفس المصدر السابق 516/1 ؛ 309/2
(4) سورة آل عمران: 44
(5) سورة يوسف: 15
(6) نفس المصدر السابق 435/2، 309، 349، 350
(7) سورة مريم: 11
(8) نفس المصدر السابق 08/3 ؛ 319/1
(9) نفس المصدر السابق 664/1
(10) سورة الأنعام: 121
(11) سورة الأنعام: 112
(12) نفس المصدر السابق 660/1
(13) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 435/2، 654/4

6.قد يأتي الوحي بمعنى القرآن الكريم، أي ما نزل على نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلم من كلام الله تعالى، يدل عليه قوله تعالى: {**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ**}(2) أي اتّبع، وقيل أسرد بتلاوتك ما أوحي إليك من كتابة ربّك لا نقض في قوله (ولا مبدّل لكتابه) وليس لك سواه جانبٌ تميل إليه وتستند(3)، ومثله قوله تعالى:{**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**}(4)، يقول: « المعنى، وكما قضينا أمرك هكذا وأمضيناه في هذه السورة كذلك أوحينا إليك قرآناً عربيا مبيناً لهم لا يحتاجون إلى آخر سواه إذ فهمه متأتٍّ لهم ولم نكلفك إلاّ إنذار من ذكر »(5).

الوحي بمعنى: ما جاء من عند الله تعالى من الوحي المتلو (القرآن) وغيره(6)، يدل عليه قوله ✞: {**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ**}(7)، ويؤكّد الثعالبي هذا المعنى عند تفسيره قوله جلّ وعلا: {**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**}(8) حيث يقرّر بأنّ معناه: ما نطقه في الدين إلاّ بوحي، وهو بذلك ينتقد قوله ابن عطية رحمه الله من أنّ المراد به القرآن إجماعاً(9)؛ ويستعين في تقوية رأيه بما نقله عن الرّازي من أنّ الوحي اسم ومعناه: الكتاب، أو مصدر وله معانٍ، منها: الإرسال؛ والإلهام؛ وكتابة؛ والكلام؛ والإشارة، وإن قلنا هو: ضمير القرآن، فالوحي: اسم، معناه: الكتاب، ويحتمل أن يقال مصدر أي: ما القرآن إلاّ إرسال، أي مرسل؛ وإن قلنا المراد من قوله: (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ): قول محمّد وكلامه، فالوحي حينئذ هو الإلهام، أي كلام ملهم من الله أو مرسل (10).

ويستأنس في هذا المقام أيضاً بما قاله عياض في معراج النبيّ صلى الله عليه و سلم « ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمْل سماع أدُناه العقول، ورمز عنه تعالى بالإيماءة والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى {**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**}(11)، وهذا النّوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز(12) (1).

---

(1) سورة الزلزلة: 05
(2) سورة الكهف: 27
(3) نفس المصدر السابق 521/2
(4) سورة الشورى: 07
(5) نفس المصدر السابق 135/4
(6) نفس المصدر السابق 171/4 ؛ 277/2
(7) سورة الزخرف: 43
(8) سورة النّجم: 04
(9) المحرر الوجيز 196/5
(10) التفسير الكبير مج(14) 282/28
(11) سورة النجم: 10
(12) الجواهر الحسان في القرآن 304/4، 305، 306

7.الوحي بمعنى الإلهام[2] دليله قوله سبحانه {**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**}[3] ومثله قوله تعالى:{**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى**}[4] وقوله تعالى:{**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**}[5] غير أن الثعالبي يكتفي هنا بسرد الأقوال في معنى الوحي إلى أمّ موسى، فقيل: هو وحي إلهام، وقيل بملك، وقيل برؤيا رأتها [6] (أي في المنام) وجملة الأمر أنها علمت أنّ هذه الذي وقع في نفسها هو من عند الله[7]، ونفس هذا التردد في بيان الوحي في الآيتين السابقتين، نجده عند تفسيره قوله ✞: {**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ**}[8]، حيث يشير إلى أن لفظ (أوحيت) في هذا الموضع: إمّا أن يكون وحي إلهام أو وحي أمر، وبالجملة فهو إلقاء معنى في خفاء، أوصله سبحانه إلى نفوسهم كيف شاء [9].

وفي هذا السياق يعتبر-رحمه الله- ما يقع في القلوب من الإلهام وحياً لأن الله سماه كذلك، وهذا ممّا يطلقه شيوخ المتصوفة، وينكره جهال المتوسمين بالعلم، ولم يعلم أن الوحي على ثمانية أقسام، وأن إطلاقه في جميعها جائز في دين الله[10].

كان هذا بالنسبة لأهم اطلاقات الوحي في القرآن، وأما ما يتعلق بكيفياته التي تخص النبي صلى الله عليه و سلم وتعتريه فهي على الصور الآتية:

صور الوحي « كيفياته »:

ذكر التعالبي بعض كيفيات وحي الله تعالى إلى أنبيائه وأوليائه، وهي:

1.**أن يتشكل الملك في صورة الرجل فيكلم النبيّ أو الوليّ، يدلّ** على ذلك ما وقع لمريم عليها السلام حين جاءها جبريل عليه السلام يبشّرها بعيسى { **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا**}[11] والمعنى: قالت مريم للملك الذي تتمثل لها بشرًا لما رأته قد خرقا لحجاب الذي اتخذته فأساءت به الظنّ أعوذ بالرحمن منك إن كنت ذا تقى، فقال لها جبريل عليه السلام: { **إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**}[12]

---

(1) الشفا 36/1
(2) نفس المصدر السابق 309/2، 349، 350، 435
(3) سورة النحل: 68
(4) سورة طه: 38
(5) سورة القصص: 07
(6) نفس المصدر السابق 44/3
(7) نفس المصدر السابق 268/3
(8) سورة المائدة: 111
(9) نفس المصدر السابق 595/1
(10) نفس المصدر ا لسابق 664/1، وهذا المعنى ذكره الثعالبي نقلاً عن ابن العربي في كتابه أحكام القرآن 751/2
(11) سورة مريم: 18
(12) سورة مريم: 19

[1]، ومن هذا ما حدث النبي صلى الله عليه و سلم حين جاءه جبريل في صفة رجل شديد بياض الثياب ... » الحديث بطوله [2].

2.**أن يأتيه الملك في مثل صلصلة جرس[3]، أو كجر سلسلة الحديد على الصفوان**[4] وبذلك تضاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من ذلك: ما ما ثبت في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أنّ الحارث بن هشام[5] رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس؛ وهو أشده عليّ فيفصم عنيّ [6]وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقًا »[7].

وللعلم فإنّ الثعالبي لم يذكر هذا الحديث السابق وإنما أورد ما تبث في الصحيح من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: « إذا قضى الله أمرا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قلوا الحق وهو العليّ الكبير » [8] [9].

3.**أن ينفث في روعه الكلام نفثا،** يدل عليه قوله عليه السلام: « أنّ روح القدس نفث في روعي ... »[10] الحديث.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 10/3

(2) الحديث سبق تخريجه

(3) الصلصلة: صوت الحديد إذا تحرّك وتداخل ؛ والمراد: صوت الملك بالوحي. انظر: فتح الباري 538/8

(4) الصفوان: هو الحجر الأملس، يكون الصوت النّاشئ عنهما سواء, نفس المصدر السابق 538/8

(5) هو الحارث بن هشام المخزومي أخو أبي جهل شقيقه أسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح الشام انظر: فتح الباري 18/1 ؛ تهذيب التهذيب 140/2

(6) بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة، أي يقلع ويتجلى ما يغشاني ويروى بضم أوله وفتح الصاد على البناء للمجهول وأصل الفصم القطع، ومنه قوله تعالى {لا انفصام لها } انظر: فتح الباري 21-20/1

(7) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 04/1 برقم (02)؛ ومسلم في كتاب الفضائل -باب: عرق النّبي صلى الله عليه وسلم في البرد، وحين يأتيه الوحي 1816/4 برقم (2333)

(8) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير -باب: قوله إلاّ من استرق السمع 1736/4 برقم (4424)؛ و-باب: قوله تعالى (حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم) 1804/4 برقم (4522)

(9) الجوهر الحسان في تفسير القران 379/3، 380

(10) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 71/4: "رواه البزّار، وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة، ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات "؛ ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة

4.أن يكلمه الله يقظة كما في ليلة الإسراء التي أشار إليها جل وعلا بقوله:{**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**}(1) وهنا يشير التعالبي إلى اختلاف العلماء في إسرائه عليه السلام: هل كان بروحه أو بجسده ؟(2)

ـ فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيا منام، معا اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حقّ ووحي، وإلى هذا ذهب معاوية، وحكي ذلك عن عائشة، وحجّتهم قوله تعالى:{**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاس**}(3) وكذا ما ورد في الحديث من قول أنس، وذكر القصة ثم قال في آخرها: « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام »(4)

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح ؛ واحتجّوا بقوله تعالى: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأقْصَى**}(5)، فجعل (إلى المسجد الأقصى) غاية الإسراء الذي وقع التعجّب فيه بعظيم القدرة، والتمدّح بتشريف الله النبيّ محمّد صلى الله عليه و سلم به، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه.

قالوا: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ في المدح.

وذهب معظم العلماء من السلف والخلف إلى أنّه إسراء بالجسد والروح، وفي اليقظة(6) ؛ وهذا هو الحقّ الذي قرّره الثعالبي، معتبرًا أنّه الصحيح الذي عليه الجمهور، ولو كان منامًا ما أمكن قريشًا التشنيع، ولا فضّل أبو بكر بالتصديق..، إلى غير هذا من الدلائل(7) .

وفي هذا الشأن يقول القاضي عياض: « والحقّ من هذا، والصحيح إن شاء الله، أنّه إسراء بالجسد والروح في القصّة كلّها، وعليه تدلّ الآية، وصحيح الأخبار،

الرشد -الرياض ط(1) 1409هـ. 79/7 من حديث ابن مسعود ؛ قال ابن حجر في الفتح 20/1: "وحديث إنّ روح القدس نفث في روعي أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة وصححه الحاكم ".

(1) سورة الإسراء: 01

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 379/3، 380

(3) سورة الإسراء: 60

(4) الحديث بهذا اللفظ لم أجده، وقد ورد ذكره بلفظ (فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام) في كتاب جمع الفوائد جامع الأصول ومجمع الفوائد للإمام محمّد بن سليمان المغربي 438/3-439 برقم(8437) وقال: " رواه البخاري"، تحقيق وتخريج: أبو عليّ سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، دار ابن حزم، ط(1) 1418هـ-1998م.

(5) سورة الإسراء: 01

(6) الشفا 147/1

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 455/2

والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلاّ عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة ؛ إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده، ولم يقل بعبده، وقوله:{**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**}(1)، ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفّار، ولا كذّبوه فيه، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن منهم ذلك إلاّ وقد علموا أنّ خبره إنّما كان عن جسمه وحال يقظته »(2).

5.أن يأتيه الملك في النوم، يدلّ على ذلك ما ثبت في الصحيح عن عائشة-رضي الله عنها-قالت: « أوّل ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح .. »(3) الحديث بطوله.

رؤية الأنبياء والرسل هل هي وحي أم لا؟

وقد تعرّض الثعالبي لمسألة رؤيا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشيء من الاختصار، ولكنّها كافية في دلالتها على المراد، ألا وهو بيان ما يجوز في حقّ أنبياء الله تعالى ورسله، وما لا يجوز، حيث صرّح بأنّ رؤيا الأنبياء وحي من الله ✞، غير أنّه لم يرجّح: هل كانت الرؤيا بالعين؟ أم هي رؤية في المنام؟

وعليه فمن الصعب أن نتعرّف على موقف الشيخ: هل يأخذ بالقول الأوّل بأنّها كانت بالعين؟ أم يأخذ بالقول الثاني بأنّها كانت في المنام؟

وأيًّا كان الأمر، فلا حرج في ذلك، إذ لا أثر كبير يترتّب عليهما مادامت الرؤيا ثابتة بأيّ كيفية، وهذا ما نجده في معرض تفسير قوله تعالى: {**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ**}(4) حيث يشير إلى أنّ قوله (إنّي أرى في المنام) يحتمل أن يكون رأي رأي ذلك بعينه، ورؤيا الأنبياء وحي، وعيّن له وقت الامتثال ؛ ويحتمل أنّه أمر في نومه بذبحه، فعبّر عن ذلك بقوله (إنّي أرى) أي: أرى ما يوجب أن أذبحك(5).

وممّا يؤكد أنّ رؤيا الأنبياء حقّ ما أخبرنا به سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام بقوله: {**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**}(6) قيل: إنه رأى كواكب حقيقة والشمس والقمر، فتأوّلها فتأوّلها يعقوب إخوته وأبويه، وهذا قول الجمهور(7). وتتحقق هذه الرؤية بعد سنين

---

(1) سورة النجم: 18
(2) الشفا 148/1
(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي -باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 04/1 برقم (3)؛ وفي كتاب التعبير -باب: أوّل ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة 2561/6 برقم (6581)
(4) سورة الصافات: 102
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 35/4
(6) سورة يوسف: 04
(7) نفس المصدر السابق 306/2

حين خروا له سجدا، بعد أن أصبح مسؤولا وأمينا على خزائن مصر وفي ذلك يقول تعالى حكاية على لسان يوسف: {**وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**}(1)؛ والمعنى: قال يوسف ليعقوب: « هذا السجود الذي كان منكم هو ما آلت إليه رؤياي قديما في الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر قد جعلها ربي حقا »(2)؛ ويستأنس رحمه الله في هذا الشأن بما نقله عن الإمام ابن العربي في أحكامه(3) من أن رؤيا الأنبياء وحي، فما ألقي إليهم ونفت به الملك في روعهم وَضَرْبِ المَثَلَ لهُ عليهم فهو حق، ولذلك قالت عائشة: « وما كنت أظنّ أنّه ينزل في قرآن يتلى، ولكنيّ رجوت أن يرى رسول الله صلى الله عليه و سلم رؤيا يبرئني بها »(4) وقد بيّنا حقيقة الرؤيا، وأن الباري تعالى يضربها مثلا للناس، فمنها أسماء وكنى، ومنها رؤيا تخرج بصفتها، ومنه رؤيا تخرج بتأويل وهو كنيتها (5).

وما قرره الثعالبي من أن رؤيا الأنبياء حق ووحي هو الذي اتفق عليه العلماء من السلف والخلف(6).

الكرامة (7)**:**

المتفحّص لتفسير الثعالبي يلاحظ بوضوح المسحة الصوفية فيه، ولا غرابة في ذلك، فإنّه أحد أقطابها السنيّين، وطريقته طريقة القشيري في رسالته، والغزالي في إحيائه وغيرهما من علماء أهل هذا الشأن، خلافًا لمذاهب أهل الحلول والقائلين بوحدة الوجود.

ولهذا يثبت الكرامة للوليّ وفق ما يحكم به الشرع(8)، ومفهوم الوليّ عنده مفهوم مفهوم قرآنيّ، مستمدّ من قوله تعالى: {**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**}(9) حيث يذكر بأنّ : « أولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة، وهذه الآية يعطي ظاهرها أنّ من آمن واتّقى

---

(1) سورة يوسف: 100

(2) نفس المصدر السابق 349/2 ؛ 35/4، 36، الرؤيا: اسم لما يرى من قبل الله تعالى، والمنام والحلم: اسم لما يرى من قبل الشيطان ومنه الحديث الصحيح « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان » أخرجه البخاري في كتاب التعبير باب: الرؤيا من الله 2563/6 برقم (6583)

(3) أحكام القرآن 1073/3

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات « حديث الإفك ». باب: تعديل النساء بعضهن بعضا 942/2 برقم (2518) الحديث بطوله

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 35/4

(6) الشفا 147/1

(7) الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقرون بالتحدّي ودعوى النبوّة، يظهره يظهره الله على أيدي أوليائه" انظر: التعريفات ص: 184 ؛ المواقف ص: 370

(8) الجامع -مخطوط بـ (م. و. ج.) برقم (851) ورقة: 139 (وجه)، وفيه يقول: « والقاعدة أنّ كلّ ما يعرض للأولياء ممّا يكاشفون به يعرضونه على الشريعة فما وافق منه الشريعة قبلوه، وما لم يوافق تركوه، والمحقّقون منهم لا يقع لهم ما يخالف الشريعة أبدًا، فظاهر الشريعة هو الميزان »

(9) سورة يونس: 62، 63

الله فهو داخل في أولياء الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الوليّ »[1] ؛ ويعضده بما رواه الدارقطني في سننه عن النبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال: « خيار عباد الله الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله، وشرُّ عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة البالغون للبرآء العيب »[2].

وكذا ما أخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « إنّ من عباد الله عبادًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله، قالوا: ومن هم يا رسول؟ قال: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال "، ثمّ قرأ (ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) »[3].

وممّا يؤكّد إثباته للكرامة إثباتًا شرعيًا، ما صرّح به عند تفسير آخر سورة الكهف حيث يذكر تجربة وقعت له، وهو أنّ من أراد أن يستيقظ أيّ وقت شاء من الليل، فليقرأ عند نومه قوله سبحانه: {**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ**}[4] إلى آخر السورة، فإنّه يستيقظ بإذن الله في الوقت الذي نواه، ولتكن قراءته عند آخر ما يغلب عليه النعاس بحيث لا يتجدّد له عقب القراءة خواطر، هذا ممّا لا شكّ فيه، وهو من عجائب القرآن المقطوع بها »[5]؛ ويستشهد بما رواه مسلم مسلم عن جابر-رضي الله عنه- قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه و سلم يقول: « إنّ في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه إيّاه »[6] إلى أن يقول: « وللقرآن العظيم أسرار يطلع الله عليها من يشاء من أوليائه، أوليائه، جعلنا الله منهم بفضله »[7].

وفي هذا السياق ينتقد-رحمه الله-ظاهرة التصنّع والريّاء لدى بعض المتصوّفة المخالفين لقواعد الشرع والمتّبعين لطريقة أهل الأهواء والبدع، الواقعين في عماية وجهل وضلال، وهو ما نجده عند تفسير قوله ﷻ: {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى**

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 245/2، 246
(2) قال الهيثمي مجمع الزوائد: رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد وبقية رجال أحد أحد أسانيده رجال الصحيح 93/8 ورواه الطبراني في المعجم الكبير 167/24
(3) أخرجه أبو داود في كتاب الإجازة باب: في الرّهن 288/3 برقم (3526)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 673/2، 674 برقم (3527) مكتب التربية العربي لدول الخليج-الرياض، اختصر أسانيده وعلّق عليه وفهرسه: زهير الشاويش ط(1) 1409هـ-1989م.
(4) سورة الكهف: 102
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 274/1 ؛ 495/2، 496، 552
(6) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين -باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء 521/1 برقم (757)
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 552/2

ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[1]، حيث يعقّب بقوله:" أنّ هذا كلّه تغليظ على المرائين والمتصنّعين، ولا خلاف أعلمه بين أرباب القلوب وأئمة التصوّف أنّ المتصنّع عندهم بهذه الأمور[2] ممقوت، وأمّا من غلبه الحال لضعفه وقوي الوارد عليه حتّى أذهبه عن حسه فهو إن شاء الله من السادة الأخيار والأولياء الأبرار[3]، وقد وقع ذلك لكثير منهم، ابن وهب[4] ومالك بن دينار[5] وغيرهما؛ ويستشهد بما ذكره عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- في قواعده قواعده الصغرى من أنّه: قد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه وإلجائها إياه إلى الصياح، وهو في ذلك معذور، ومن صاح لغير ذلك فمتصنّع ليس من القوم في شيءٍ، وكذلك من أظهر شيئًا من الأحوال ريّاء أو تسميعًا فإنّه ملحق بالفجار دون الأبرار »[6].

3 ـ الإيمان بالملائكة (حقيقتهم، أوصافهم، وظائفهم، فضلهم)

الملائكة الكرام خلق من مخلوقات الله تعالى، قصّ تعالى علينا بعض أخبارهم في القرآن الكريم، فمدحهم وأثنى عليهم بجميل الصفات، وجعل الإيمان بهم أحد أركان الإيمان التي لا يقوم إلاّ عليها حيث يقول الله ﷻ : {**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**}[7] ويقول تعالى: {**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**}[8] كما دلّت السنّة الشريفة على ذلك، فقد ورد في الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب، عندما سأل جبريل عليه السلام النّبيّ صلى الله عليه و سلم عن الإيمان فقال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه »[9].

وقد سمّى الله ﷻ من آمن بهذه الأركان مؤمنين، وجعل من جحدها من الكافرين، بقوله: {**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً**

---

(1) سورة الزمر: 23

(2) مثل أن يخرّ الإنسان مغشيا عليه إذا سمع القرآن متصنّعًا

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 77/4، 78

(4) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري أبو محمد، ولد سنة 125 هـ. فقيه، ثقة، حافظ، عابد، مات سنة 297هـ. انظر: الجرح والتعديل 189/5 ؛ شذرات الذهب 347/1 ؛ تقريب التهذيب ص: 271 برقم (3694) ؛ سير أعلام النبلاء 460/1.

(5) هو: مالك بن دينار بن الجنيد البصري أبو يحي، عالم، زاهد، نظار، كثير الورع، مجاب الدعوة، توفي بالبصرة سنة 131 هـ. انظر: وفيات الأعيان 139/4 ؛ الحلية 357/2 ؛ الفهرست 262/1

(6) نفس المصدر السابق 78/4

(7) سورة البقرة: 285.

(8) سورة البقرة: 177.

(9) الحديث أخرجه: البخاري: في كتاب الإيمان -باب: سؤال جبريل النبي عن الإيمان 27/1 برقم (50) ؛ ومسلم في كتاب الإيمان -باب: الإيمان والإسلام والإحسان 37/1 برقم (9)

بَعِيدًا}[1]، وهذا ممّا تقرّر في مذهب السنّة والجماعة[2] ونصوص القرآن الكريم، الكريم، والسنّة المطهّرة بذكر الملائكة وبيان أوصافهم ووضائفهم وبعض ما يتعلّق بهم كثيرة، وقبل الوقوف على كلام الثعالبي رحمه الله في ذلك، يستحسن بنا أوّلاً التعريج على تعريف لفظة الملائكة ومعناها في لغة العرب، واصطلاح العلماء.

1 ـ تعريف الملائكة:

المَلَكُ لغة: محرّكة: واحد الملائكة، والملائك[3]. أصْلُهُ أَلَكَ والمألكة، والمألك: الرسالة، الرسالة، ومنه اشتقّ الملائك، لأنّه رسل الله. وقيل: اشتق من: لأَكَ، والمَلْأَكَة: الرسالة، والمَلاك: المَلَك، لأنّه يبلّغ عن الله تعالى.

قال بعض المحقّقين: والمتولّي من الملائكة شيئًا من السياسات يقال له مَلَكٌ ومن البشر يقال له مَلِكٌ[4].

أمّا حقيقتهم: فقد اختلف العلماء فيها، بعد اتّفاقهم على أنّهم ذوات موجودة قائمة بأنفسهم.

وأكثر المتكلمين على أنهم: أجسام لطيفة قادرة على التشكّل بصورة مختلفة[5]، وهذا ما ذهب إليه الثعالبي، فقد أشار رحمه الله إلى أصل الملائكة ومادة خلقهم في معرض تفسير قوله ﷻ: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**}[6] حيث يذكر أنّ الله سبحانه أخبر الملائكة بعَجَبٍ عندهم من خلق هذا هذا البشر من صلصال من حَمإٍ مسنون، وذلك لأنّهم كانوا مخلوقين من نور، فهي مخلوقات لطاف[7].

ويظهر -والله أعلم- أنّ الشيخ قد استوحى كلامه هذا من قوله عليه السلام: « خلقت الملائكة من نور، وخلق " الجانُّ " من مارج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم »[8].

2 ـ أوصافهم

وسبيلنا لمعرفة ذلك ما ورد في نصوص القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، فقد وصف الله تعالى ملائكته الكرام بأفضل الأوصاف ومحاسنها من ذلك: ما يقوله الله ﷻ في مدحهم، وبيان طاعتهم وامتثال أوامر ربّهم: {**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ**

---

(1) سورة النساء: 136.

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية 401/2

(3) القاموس المحيط 331/3 فصل الميم والنون- باب (ملكه)

(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 494 ؛ الكّليات ص: 853

(5) الكّليات ص: 854

(6) سورة الحجر: 28

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 403/2

(8) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق -باب: في أحاديث متفرقة 2294/4 برقم برقم (2996)

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[1]، وفي وصف حالهم من تواضعهم وعبادتهم يقول: {**وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ(19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ**}[2] ويقول أيضًا: {**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**}[3].

يورد الثعالبي في تفسيره للآية الكريمة ما رواه الترمذي عن أبي ذرّ الغفاري[4]- الغفاري[4]-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « إنّي أرى ما لا لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحقّ لها أن تئط ما فيها موضع أصابع إلاّ وملك واضع جبهته ساجدًا لله .. »[5] [6].

وفي الثناء عليهم يقول تعالى: {**كِرَامٍ بَرَرَةٍ**}[7] وعن القرآن {**لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**}[8] أي الملائكة[9] ومن أوصافهم أيضًا ما أعطاهم الله تعالى من القدرة القدرة على التشكّل في صور مختلفة، فقد أرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم في صورة بشر. يقول سبحانه: {**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا**}[10] والمعنى أنّ مريم عليها السلام قالت للملك الذي تمثّل لها بشرًا لمّا رأته قد خرق الحجاب الذي اتّخذته فأساءت به الظنّ أعوذ بالرحمن منك إن كنت ذا تُقى[11]، فقال لها جبريل عليه السلام: {**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا**}[12].

والملائكة ذوو أجنحة، منها ما له جناحان، ومنها ما له ثلاثة، ومنها ما له أربعة .. ، يدل على ذلك قوله ✞: {**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

---

(1) سورة التحريم: 06
(2) سورة الأنبياء: 19-20
(3) سورة الأعراف: 206
(4) هو: جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري صحابي مشهور أسلم قبل الهجرة، كان شجاعا زاهدا، دعا قومه للإسلام توفي بالربذة خارج المدينة. انظر: الإصابة 134/3 ؛ الطبقات الكبرى 225/4 ؛ تقريب التهذيب 562 برقم (8087)
(5) الحديث أخرجه الترمذي في صحيحه (جامعه): كتاب الزهد -باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم 556/4 برقم (2312)؛ والحاكم في مستدركه -باب: تفسير سورة هل أتى على الإنسان 554/2 برقم (3883) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 105/2 وكذا 79/3، وكذا 41/4.
(7) سورة عبس: 16
(8) سورة الواقعة: 79
(9) نفس المصدر السابق 42/4
(10) سورة مريم: 17-18
(11)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 10/3
(12) سورة مريم: 19

قدِيرٌ}[1]. يقول الثعالبي رحمه الله: وهذا تقرير لما يقع في النّفوس من التعجّب عند الخبر بالملائكة أولى الأجنحة، أي: ليس ببدع في قدرة الله تعالى فإنّه يزيد في الخلق ما يشاء[2]؛ ويستأنس رحمه الله بما روي: « أنّ لجبريل عليه السلام ستّ مائة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق إلى المغرب »[3].

ومن أهم أوصافهم عصمتهم عن الذنوب والمعاصي:

فالملائكة عباد مكرمون، لا يصدر عنهم إلاّ الطاعة والتسبيح..، فهم منزّهون عن الرذائل، وكلّ ما من شأنه أن يحطّ من مرتبتهم وعظيم درجتهم عند الله تعالى، ولهذا اتّخذ الثعالبي من قوله تعالى: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**}[4] سندا في تنزيه الملائكة عن كل نقيصة أو عيب، فبعد أن أن يشرح الآية الكريمة، مع بيان أسباب استفهام الملائكة عن هذا الخليفة، يقرّر عقيدته بأنّ الملائكة معصومون، فلا يقع منهم ما يوجب نقصانًا من رتبتهم وشريف منزلتهم -صلوات الله وسلامه على جميعهم-[5].

ويكرّر حديثه عن العصمة، مبيّنًا عدم ارتياحه لما جاء في تفسير ابن عطية، في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}[6]، حيث أورد بأنّ معنى الآية: إن كنتم صادقين في أنّ الخليفة يفسد ويسفك، فيعقّب عليه بأن النّفس من هذا القول شيء، والملائكة منزهّون معصومون[7] كما تقدم.

وما قرّره الثعالبي هو الحق، وفي ذلك يقول القاضي عياض: « والصواب عصمةٌ جميعهم، وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحطّ من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم »[8].

فهذه الآيات وغيرها، وكذا ما يتبعها من الأحاديث الكثيرة الصحيحة التي تؤيّدها، توجب على المؤمن أن يعتقد عقيدة جازمة بأنّ الملائكة يتّصفون بهذه الصفات

---

(1) سورة فاطر: 01
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 389/3
(3) الحديث أخرجه: البخاري بلفظ رأى جبريل له ست مائة جناح، كتاب بدء الخلق -باب: ذكر الملائكة 1181/3 برقم (3060)؛ و مسلم في كتاب الإيمان -باب: في ذكر سدرة المنتهى 158/1 برقم (174)
(4) سورة البقرة: 30
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 61/1
(6) سورة البقرة: 31
(7) نفس المصدر السابق 63/1، 64
(8) الشفا 155/2

الحسنة، ولا يسعه إنكار شيء منها، فهي تدلّ على أنّ الملائكة الكرام مؤمنون فضلاء معصومون وهذا ما أجمع عليه المسلمون»[1].

3 ـ من وظائف الملائكة:

وأمّا وظائفهم التي كلّفهم الله بها، فهي كثيرة، دلّ القرآن الكريم، والسنة الشريفة المطهّرة على بعضٍ منها، وهي ممّا يجب على المؤمن الإيمان بها طبقًا لما بيّنه الله ورسوله، نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

1. الطاعة والعبادة:

فالملائكة مجبولون على طاعة الله تعالى: {**لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}[2] ويقول تعالى: {**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}[3] فهم فهم عبادٌ يتصرفون بكلّ صفات العبودية، قائمون بتنفيذ أوامر الله ﷻ، وعلم محيط بهم لا يستطيعون مخالفته تعالى، وعلى فرض أنّ أحدهم تعدّى طوره، فإنّ الله يعذّبه جزاء تمردّه، ومن تمام عبوديتهم أنّهم لا يتقدّمون بين يديّ الله مقترحين، ولا يتعرضون على شيء من أمر الله، بل مسارعون مجيبون، يقول سبحانه: {**لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(27)يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**}[4] وأي حركة لهم في السماوات والأرض لا تتمّ إلاّ بأمره تعالى، ففي صحيح البخاري عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لجبريل: ألا تزورنا أكثر ممّن تزورنا؟ قال: فنزلت: {**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**}[5] [6]. وهذه بعض النماذج من طاعة الملائكة لله وعبادتهم له، وهي:

أ- **التسبيح:** وهو من أعظم ذكرهم لله تعالى، ومنه تسبيح حملة العرش. يقول جلّ شأنه: {**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**}[7] [8]، كما يسبحه عموم ملائكته، وفي ذلك يقول سبحانه {**وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**}[9]، وتسبيحهم لله دائم ومستمرٌّ لا ينقطع ليلاً ولا نهارًا {**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ**

---

(1) نفس المصدر السابق 154/2
(2) سورة التحريم: 06
(3) سورة النحل: 50
(4) سورة الأنبياء: 27
(5) سورة مريم: 64
(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-سورة مريم- باب: قوله (وما نتنزل إلاّ بأمر ربّك له ما بين أيدينا وما خلفنا. .) 1760/4 برقم (4454)
(7) سورة غافر: 07
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 92/4-93
(9) سورة الشورى: 05

وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ}[1]، وحقّ لهم أن يفخروا بذلك، وهو ما حكاه تعالى عنهم بقوله: {**وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**}[2]

ب-**الصلاة:** ويدلّ على ذلك قوله جلّ وعلا: {**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**}[3] وكذا قوله عليه السلام يحث الصحابة على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة: « ألا تصفّون كما تصّف الملائكة عند ربّها؟ وعندما سئل عن كيفية اصطفافهم قال: يتمّون الصفّ الأوّل فالأوّل، ويتراصّون في الصفّ »[4].

ج-**السجود:** وهو من تمام عبادتهم لله، ودليل كرامتهم وفضلهم يقول تعالى: {**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**}[5] يذكر الثعالبي رحمه الله أنّ حرف (من) في الآية الكريمة يقع على الملائكة عمومًا وأنّ سجودهم طَوَعٌ [6].

د-**حجّهم إلى بيت الله المعمور:** وهي كعبة في السماء السابعة، أقسم الله بها تعظيمًا لشأنها حيث يقول: {**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**}[7] يقول الثعالبي: وهو الذي ذُكِرَ في حديث الإسراء قال جبريل للنبي صلى الله عليه و سلم هذا البيت المعمور، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم »[8]، وبهذا هي عمارته[9].
عمارته[9].

2. حفظهم للعباد وحراستهم لهم:

فقد جعل الله لبني آدم حفظة ووكلهم بحراستهم من أمامهم وورائهم فإذا جاء قدر الله الذي قدّر أن يصلوا إليه خلّوا عنهم، يقول ﷻ: {**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ**}[10] يشير الثعالبي في بيان معنى الحفظة إلى أنّ المراد بذلك: الملائكة الموكّلون بكَتْب الأعمال.. »[11]، وفي تفسير قوله تعالى: {**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ**

---

(1) سورة الأنبياء: 20
(2) سورة الصافات: 166
(3) سورة الصافات: 165
(4) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة -باب الأمر بالسكون في الصلاة 322/1 برقم (430)
(5) سورة الرعد: 15
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 364/2
(7) سورة الطور: 04
(8) قطعة من حديث الإسراء المطوّل، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب 1173/3 برقم (3035)
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 291/4
(10) سورة الأنعام: 61
(11) نفس المصدر السابق 631/1

مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}[1] يذكر بأنّ المعقّبات: الجماعات التي يعقب بعضها، وهي الملائكة. ويؤيّد كلامه بما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم : «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنّهار.. »[2][3].

3. كتابة أعمال العباد من خير وشرّ:

وهذا هو المراد من قول الله تعالى: {**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(10) كِرَامًا كَاتِبِينَ(11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**}[4] وقد وكلّ الله بكل إنسان ملكين حاضرين لا يفارقانه: يحصيان عليه عليه أعماله وأقواله: {**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ(17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**}[5] ورد في تفسير الثعالبي قوله: « والمتلقيان الملكان الموكّلان بكلّ إنسان، ملك اليمين الذي يكتب الحسنات، وملك الشمال الذي يكتب السيّئات »[6]. وظاهر الآية -والله أعلم- أنّ الملكان الموكلاّن بالإنسان يكتبان جميع الكلام، حتى أنينه في مرضه، بل وتكتب الملائكة أفعال القلوب لقوله تعالى {**يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**}[7].

4. نزع أرواح العباد:

وهو ما اختصّ الله به بعض ملائكته بنزع أرواح العباد عندما تنتهي آجالهم التي قدّرها لهم. قال تعالى: {**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**}[8]، ويعينه في نزع الروح ملائكةٌ مقترنين[9] أمّا المؤمنون فإنّ نزع أرواحهم يكون نزعًا رفيقًا سهلاً، وأمّا الكفرة والمجرمون فإنّ نزع أرواحهم يكون شديدًا عنيفًا على جهة الإهانة وإدخال الرعب عليهم[10]، وفي ذلك يقول تعالى: {**وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**}[11]، {**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاَئِكَةُ**

---

(1) سورة الرعد: 11
(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق -باب: ذكر الملائكة 1178/3 برقم (3051) ؛ ومسلم في كتاب مواقيت الصلاة -باب: فضل صلاة العصر 439/1 برقم (632) بلفظ: " يتعاقبون فيكم "
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 362/2
(4) سورة الانفطار: 10-12
(5) سورة ق: 17-18
(6)الجواهر الحسان في تفسير القرآن؛ 463/2
(7) سورة الانفطار: 12
(8) سورة السجدة: 11
(9) نفس المصدر السابق
(10) نفس المصدر السابق 648/1
(11) سورة الأنعام: 93

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}[1]، **{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}**[2].

5. صلاتهم على المؤمنين:

أخبرنا الله ✞ أنّ الملائكة تصلي على الرسول صلى الله عليه و سلم . **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}**[3] فهذه الآية تضمنت شرف النّبيّ وعظيم منزلته عند الله تعالى، فالضمير في (يصلّون) لله والملائكة، وهذا قولٌ من الله تعالى شرّف به ملائكته[4]، وهم يصلون على المؤمنين أيضًا: **{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}**[5]، وصلاة الله تعالى على العبد هي رحمته له وبركته، وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين[6].

6. التأمين على دعاء المؤمنين:

وبذلك يكون الدعاء أقرب إلى الإجابة، لقوله عليه السلام: « إذا قال الإمام ولا الضالين، فقولوا آمين، فإنّ الملائكة في السماء تقول آمين. فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه »[7].

يعقب الثعالبي على لفظ الحديث بقوله: « واختلف في معنى قوله ❐ (فمن وافق تأمين الملائكة): فقيل في الإجابة، وقيل في خلوص النيّة، وقيل في الوقت، والذي يترجّح أنّ المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النيّة والإقبال على الرغبة إلى الله بقلب سليم، والإجابة تتبع حينئذٍ، لأنّ من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم »[8].
المستقيم »[8].

7. القيام بشؤون النّار وأهلها:

وقد سمّى الله ✞ الملائكة الموكّلين بذلك باسم (الزّبانية)، وذكر أنّ عدّتهم تسعة عشرًا ملكاً، يقول سبحانه وتعالى: **{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(27) لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ(28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ(29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا**

---

(1) سورة الأنفال: 50
(2) سورة محمّد: 27
(3) سورة الأحزاب: 56
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 364/3
(5) سورة الأحزاب: 43
(6) نفس المصدر السابق 359/3
(7) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الآذان -باب: جهر المأموم بالتأمين 271/1 برقم (749) ؛ ومسلم في كتاب الصلاة -باب التسميع والتحميد والتأمين 307/1 برقم (410)
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 41/1

جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}[1] يقول -رحمه الله- : « لا خلاف بين العلماء أنّهم خزنة جهنّم، المحيطون بأمرها الذين إليهم جماع أمر زبانيتها »[2].

8. تبشيرهم المؤمنين برضوان الله وجنته عند نزع أرواحهم

فإذا جاء الموت، ونزل بالعبد المؤمن، فإنّ الملائكة تتنزّل عليه تبشره وتثبّته، كما قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**}[3]:

يذكر -رحمه الله- بأنّ المتكلّم هم الملائكة القائلون للمؤمنين عند الموت وعند مشاهدة الحقّ نحن كنّا أولياءكم في الدنيا وأولياءكم في الآخرة[4].

هذه بعض أهمّ الوظائف المنوطة بملائكة الله الكرام، وهناك مهام أخرى وردت الإشارة إليها في آيات القرآن الكريم، والسنّة المطهرة أعرضنا قصْدًا عن ذكرها وإيرادها خشية الإطالة، وحتى لا نخرج عن الغرض من بحثنا، ومن أراد التوسع والمزيد فعليه بكتب التفسير والحديث وغيرها، وفيما ذكرناه كفاية وغِنًى.

والذي يجب على المؤمن معرفته واعتقاده هو أنّ الله ✞ قد أناط هذه الوظائف المتعدّدة بعدد كبير من الملائكة منها ما أعلمنا إياه، ومنها ما الله أعلمه به من أسمائهم وخصائصهم، ولا يعنيه البحث في التفاصيل ودقائق الأمور.

4 ـ المفاضلة بين الملائكة والأنبياء:

تحدّث الثعالبي -رحمه الله- عن مسألة المفاضلة بين الملائكة والأنبياء في تفسيره، وقبل الوقوف على رأيه، نرى أنّه من المناسب أن نذكر أنّ المسألة مختلف فيها بين العلماء، نقصد: هل الملائكة أفضل من الأنبياء؟ ومن ثمّ على سائر البشر؟ ام العكس؟

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّهم متّفقون على إخراج الكفرة والمنافقين من المفاضلة، لأنّهم أضلّ من البهائم، لقوله تعالى: {**أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**}[5].

فليس المقصود بالمفاضلة: التفضيل بين حقيقة الملائكة وحقيقة البشر، ولكنّ الخلاف حاصل في المفاضلة بين الملائكة وبين الأنبّياء وصالحي البشر فقط هذا هو محل النزاع. ولذلك تعددت أقوالهم:

1) فقالت المعتزلة: الملائكة أفضل[6]، وعليه الفلاسفة، وبه قال الحليمي من الأشاعرة[7].

---

(1) سورة المدثر: 27-31
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 511/4
(3) سورة فصّلت: 30، 31
(4) نفس المصدر السابق 122/4 - بتصرف
(5) سورة الأعراف: 179
(6) الكشاف 586/1 ؛ المواقف ص: 367
(7) المواقف ص: 367

2) وقالت الشيعة: إنّ جميع الأئمّة أفضل من جميع الملائكة[1].
3) وذهب أهل السنّة والجماعة إلى تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة[2] وبهذا قال أكثر أتباع الأشعري -رحمه الله- حيث يقول الإيجي[3] « لا « لا نزاع في أنّهم - أي الأنبياء - أفضل من الملائكة السفلية، إنمّا النزاع في الملائكة العلوية، فقال أكثر أصحابنا الأنبياء أفضل »[4].

4) وتوقّف البعض من أهل السنّة والجماعة في المسألة، ولم يقطع في ذلك قولاً، منهم أبو حنيفة رحمه الله، ووافقه شارح الطحاوية[5].

وبعد هذا العرض الوجيز لأهّم الأقوال في المسألة، نقتصر هنا على ذكر أدلة القائلين بتفضيل الملائكة على الأنبياء وسائر البشر، وأدلّة المخالفين لهم، لنقف بعد ذلك على موقف الثعالبي رحمه الله.

أدلة القائلين بتفضيل الملائكة على الأنبياء: وقد احتجوا على صحة رأيهم بوجوه كثيرة، أهمها:

1) قوله تعالى: {**وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ**}[6] فإنّ إبليس إنّما وسوس إلى آدم، ودلاّه بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكًا، فدلّ أنّ أفضلية الملك أمرٌ معلوم مستقرٌّ في الفطرة، ويشهد لذلك قوله تعالى حكاية عن النّسوة اللآتي قطّعن أيديهنّ عند رؤية يوسف عليه السلام: {**وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**}[7].

وأجاب أهل السنّة: أنّ هذا إنّما كان لما هو مركوز في النّفوس من كون الملائكة أحسن صورة، وأعظم خلقًا وأكمل قوّة، فَمُنَاهُمَا مثل ذلك، وخيِّل أنّه الكمال والفضيلة حتّى أنّ الملائكة كانت معظّمة في نفوس العرب إلى درجة أن قالوا: إن الملائكة بنات الله -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

2) قوله تعالى: {**قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**}[8] فإنّه في معرض التواضع. ومثل هذا يقال، بمعنى: إنّي لو قلت ذلك لادّعيت فوق منزلتي، ولست ممّن يدّعي ذلك. وأجاب أهل السنّة عن ذلك بعدم

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية 410/2
(2) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة ؛ تفسير ابن كثير 462/2
(3) هو: عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي الشيرازي، الشافعي، عضد الدين، الإمام العالم المتكلّم، الفقيه، النحوي، مشارك في علوم كثيرة، ولد سنة 708هـ، من تآليفه: شرح منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل ؛ المواقف في علم الكلام، توفي سنة 756هـ. انظر: الدرر الكامنة 323/2 ؛ طبقات الشافعية 108/6 ؛ شذرات الذهب 174/6 ؛ معجم المؤلفين 76/2برقم(6756)
(4) المواقف ص: 367 ؛ الفرق بين الفرق ص: 302
(5) شرح العقيدة الطحاوية 411/2، 412
(6) سورة الأعراف: 20
(7) سورة يوسف: 31
(8) سورة الأنعام: 50

تسليمهم أنّه في معرض التواضع، بل لمّا نزل: {**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**}(1)، والمراد: قريش استعجلوه بالعذاب تهكّمًا به فنزلت الاية بيانًا، لأنّه ليس له إنزال العذاب كما يحكى أنّ جبريل قلّب بأحد جناحيه المؤتفكات، فقد دلّت الآية على أنّ الملك أقدر وأقوى، فأين الأفضلية؟

3) قوله تعالى: {**لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ**}(2) فهو صريح في تفضيل الملائكة على المسيح، كما يقال: لا أنا أقدر أقدر على هذا ولا من هو فوقي في القوّة، ولا يقال من هو دوني.

وقد ثبت من طريق اللغة أنّ مثل هذا الكلام يدلّ على أنّ المعطوف أفضل من المعطوف عليه، لأنّه لا يجوز أن يقال: لن يستكنف الوزير أن يكون خادمًا ولا الشرطي أو الحارس! وإنّما يقال: لن يستكنف الشرطي أن يكون خادمًا للملك ولا الوزير؛ ففي مثل هذا التركيب يترقّى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام، ثبت في حقّ غيره.

وقد أجاب أهل السنّة: بأنه لا نزاع في فضل قوّة الملك وقدرته وشدّته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوعٌ وذلٌّ وانقياد، وعيسى عليه السلام لا يستكنف عنها، ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقًا، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية من كلّ وجه.

4) ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه -عن النّبيّ- صلى الله عليه و سلم أنّه قال: فيما يروي عن ربّه ﷻ: قال: « يقول الله تعالى أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منه »(3) الحديث

وأجاب أهل السنّة: بأنّه يحتمل أن يكون المراد (خير) منه للمذكور، لا الخيرية المطلقة.

5) أنّ الله تعالى جعل الملائكة، رُسُلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم، فإنّ الأنبياء المرسلين إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإنّ الرسول الملكي يكون رسولاً إلى الرسول البشري.

وأجاب أهل السنّة: أنّه يجب أن يكون واحد من آحاد النّاس إذا أرسله ملك إلى ملِكٍ أفضل من الملك المرسل إليه.

أدلة القائلين بتفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة:

---

(1) سورة الأنعام: 49

(2) سورة النّساء: 172

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد -باب السؤال بأسمائه تعالى 2694/6 برقم (6970) ؛ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء -باب: الحث على ذكر الله تعالى 2061/4 برقم(2675) وغيرهما.

وهم أغلب أهل السنة والجماعة، وقد احتجوا على صحّة رأيهم بوجوه كثيرة، نذكر منها أهمها، وهي:

1) قوله تعالى: {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**}(1)، وأمْرُ الأدنى بالسجود للأفضل هو السابق إلى الفهم وعكسه على خلاف الحكمة.

وردّ المخالف ذلك: بأنّ السجود كان لله، وآدم إنمّا كان قبلة لهم، ولو كان هذا صحيحًا لقال: اسجدوا إلى آدم، ولما قال (اسجدوا لآدم).

غير أنّه يعترض على المخالف بأنّه لو كان المقصود اتّخاذ آدم قبلة لما امتنع إبليس من السجود، ولما زعم أنّه خير من آدم، فإنّ القبلة تكون أحجارًا وليس في اتّخاذها قبلة تفضيل لها.

صحيح أنّ سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر الله تعالى، وعبادة وانقيادًا وطاعة له إلاّ أنّه تشريف لآدم وتكريم وتعظيم.

ولم يأت أنّ آدم سجد للملائكة، بل لم يؤمن آدم وبنوه بالسجود إلاّ لله ربّ العالمين، لأنهم -والله أعلم- أشرف الأنواع -وهم صالحو بني آدم، ليس فوقهم أحد يحسن السجود له إلاّ الله ربّ العالمين(2).

2) قوله تعالى: {**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32) قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**}(3) والعالم أفضل من غيره، لأنّ الآيات سيقت لذلك، ويدل عليه قوله تعالى: {**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**}(4).

وردّ المخالف ذلك: بأنّ هذا دليل على الفضل، لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعملون إلاّ ما علّمهم الله، وليس الخَضِر أفضل أعلم من موسى بكونه عَلِمَ ما لم يعلمه موسى..، ولا الهدهد أفضل من سليمان عليه السلام، بكونه أحاط بما لم يحط به سليمان علمًا.

3) أنّ للبشر عوائق عن العبادة من شهوته وغضبه وحاجاته الشاغلة لأوقاته وليس للملائكة شيء من ذلك، ولا شكّ أنّ العبادة مع هذه العوائق أدخل في الإخلاص وأوثق فتكون أفضل.

---

(1) سورة البقرة: 34
(2) عالم الملائكة الأبرار لعمر سليمان الأشقر ص: 87
(3) سورة البقرة: 31-33
(4) سورة الزمر: 09

ويضاف إلى هذا أنّ الإنسان ركّب تركيبًا بين الملك والبهيمة، فبعقله له حظٌ من الملائكة، وبطبيعته له حظٌ من البهيمة، ثمّ من غلّب طبيعته على عقله فهو شرّ من البهائم لقوله تعالى: {**أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**}(1)، وقوله أيضًا: {**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**}2، وذلك يقتضي أن يكون من غلّب عقله على طبيعته خيرًا من الملائكة.

وردّ المخالف على ذلك بأنّه يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة وتحمّل العبادة، وترك الفتور فيها ما يفي بتجنّب الأنبياء وغيرهم من البشر شهواتهم، مع طول مدّة عبادة الملائكة.

4) قوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**}(3) فلفظة العالمين تشمل كلّ المخلوقات بما فيهم الملائكة.

وردّ المخالف على أنّه قد يذكر (العالَمُون)، ولا يقصد به العموم المطلق، بل في كلّ مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: {**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**}(4)، وقوله: {**قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنْ الْعَالَمِينَ**}(5)، وقوله: {**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ**}(6) وقوله: {**وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**}(7).

5) وقوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**}(8) والبَرِيّة: مشتقّة من البَرَءِ، بمعنى الخلق، فثبت أنّ صالحي البشر خير الخلق.

وردّ المخالف على ذلك أنّه إنّما صاروا خير البريّة لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات، والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنّهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيرًا من الملائكة، هذا على قراءة من قرأ (البريئة) بالهمز، وعلى قراءة من يقرأ بالياء، إن قلنا: إنّها مخفّفة من الهمزة- وإن قلنا إنّها نسبة إلى البَرْي، وهو التراب كما قاله الفرّاء(9) فيكون المعنى: أنّهم خيرُ من خُلِقَ من التراب، فلا عموم فيها إذًا لغير من خلق من التراب؛ تلك هي أهمّ أوجه الاستدلالات التي تمسّك بها كلّ من القائلين بتفضيل الملائكة على الأنبياء ومن على سائر البشر، وكذا القائلين بتفضيل صالحي البشر والأنبياء على الملائكة.

---

(1) سورة الأعراف: 179
(2) سورة الأنفال: 22
(3) سورة آل عمران: 33
(4) سورة الفرقان: 01
(5) سورة الحجر: 70
(6) سورة الشعراء: 165
(7) سورة الدخان: 32
(8) سورة البينة: 07
(9) معاني القرآن للفرّاء 282/3

وهي كما نرى أدلّة متكافئة من الجانبين، وهي إنّما تدلّ على الفضل لا على الأفضلية ولا نزاع في ذلك.

ولذلك ندرك السّر في حقيقة توقّف البعض من أهل السّنة والجماعة في هذه المسألة حيث يقول شارح العقيدة الطحاوية: «فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا -والحالة هذه- أولى»[1]. وبعد هذا العرض لأهّم الأقوال والحجج في المسألة، فبأيّ قولّ يأخذ الثعالبي رحمه الله؟

5 ـ موقف الثعالبي من المسألة:

تعرّض الثعالبي بالحديث عن مسألة المفاضلة بين الملائكة والأنبياء في بعض المواضع من تفسيره، إلاّ أنّها كانت مختصرة ولكنها كافية في تحديد موقفه ووجهة نظره فيها، وقد كان منهجيًا في عرضه لها بحيث تطرّق للرأي القائل بإثبات أفضلية الملائكة على الأنبياء والرأي المخالف له[2].

فقد أشار إلى هذا الاختلاف الحاصل بين الناس في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ**}[3] يذكر ما قاله بعض الناس أنّه يؤخذ من ألفاظ الآية أنّ الملائكة أفضل من البشر[4]، ومثل الآية السابقة قوله تعالى: {**لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**}[5] ينقل رحمه الله هنا ما قاله ابن عطية في تخصيص الملائكة المقربين بعدم بعدم استكبارهم في عبادة الله، بأنّها زيادة في الحجّة وتقريب من الأذهان، أي: وهؤلاء الذين هم في أعلى درجات المخلوقين لا يستكنفون عن ذلك، فكيف بسواهم، وفي هذه الآية دليل على تفضيل الملائكة على الأنبياء[6].

وهذا الكلام هو عين رأي المعتزلة ومن وافقهم فيه، وليس فيه دليل على أنّ الثعالبي قد أخذ به، لأننا قد وجدناه يعارض هذا القول بكلام آخر، وهو ما نلاحظه في معرض تفسير قوله ✞: {**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**}[7] حيث يشير إلى أنّ المراد بالكثير المفضول في الآية: الحيوان والجنّ، وأمّا الملائكة فهّم الخارجون

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية 412/2

(2) مع الأسف الشديد أنّ الثعالبي -رحمه الله- يقتصر كعادته في كثير من الأحيان- على ذكر الأقوال مختصرة دون أن يفصّل فيها أو يستعرض الحجج والبراهين التي استدل بها أصحابها. وهذا يعتبر من أهم عيوب تفسيره المختصر.

(3) سورة الأعراف: 20

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 14/2

(5) سورة النساء: 172

(6) نفس المصدر السابق 518/1

(7) سورة الإسراء: 70

عن الكثير المفضول، وليس في الآية ما يقتضي أنّ الملائكة أفضل من الإنسان، وتحتمل التساوي[1].

فهذا الكلام الذي أورده هنا فيه إشارة قاطعة إلى مخالفة قول المعتزلة ومن رأى رأيهم، ولكنه في نفس الوقت دليل قاطع على تردّده في المسألة، أو بالأحرى توقفه وعدم القطع بترجيح أي قول خاصة وأنّ كلّ فريق متمسّكٍ بظواهر من نصوص الشريعة[2]، وربّما يرجع موقفه هذا كونه يرى قلّة ثمرتها، أو أنّها ممّا لا يعني ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[3].

وهذا الموقف منه -رحمه الله- له قوّته ووجاهته، فإنّ الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيّين، وليس علينا أن نعتقد أيّ الفريقين أفضل، فإنّ هذا لو كان من الواجبات لبُيِّنَ لنا نصًا [4]، وقد قال تعالى: {**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ**}[5] {**دِينِكُمْ**}[5] وقال: {**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**}[6]. ويشهد لهذا ما روي عن النبي صلى الله عليه و سلم : « أنّ الله فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء -رحمة بكم غير نسيان- فلا تسألوا عنها »[7] عنها »[7] [8].

فالسكوت عن الكلام وعدم القطع بترجيح أحد الرأيين على الآخر في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا والحالة هذه أولى لأنّ الأدلة متكافئة.

وبهذا يتبين أنّ الثعالبي برأيه هذا قد وافق مذهب من توقف في المسألة دون أن يقطع فيها بنفي أو إثبات، ومن ثمّ لم يكن منفردًا فيما ذهب إليه بل سبقه في ذلك علماء أجلاء أمثال أبو حنيفة رحمه الله، وكذا ابن أبي العزّ الدمشقي شارح الطحاوية كما سبقت الإشارة إليه.

---

(1) نفس المصدر السابق 486/2
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 14/2 ؛ 66/1
(3) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزهد-باب: فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس 558/4 برقم (2318)، وقال: " هذا حديث غريب" ؛ وأحمد في كتاب مسند أهل البيت، من حديث الحسين بن علي برقم (1642)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 18/8: "رجال أحمد ثقات " ؛ ومالك في موطئه: كتاب الجامع -باب: ما جاء في حسن الخلق 903/2 تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار لإحياء التراث العربي -مصر.
(4) شرح العقيدة الطحاوية 411/2
(5) سورة المائدة: 03
(6) سورة مريم: 64
(7) الحديث أخرجه الدارقطني في سننه 184/4 تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة-بيروت 1386هـ-1966م ؛ والحاكم في مستدركه 115/4 ؛ والبيهقي في سننه الكبرى 12/10، 13 برقم (19509) تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة الباز-مكة المكرمة 1414هـ-1994م.
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 586/1، 587

والذي نراه أقرب للصواب في المسألة -والله أعلم- هو ما حقّقه بعض العلماء منهم ابن تيمية رحمه الله حيث نظر للمسألة[1] من زاويتين وهما:

الأولى: وهي أنّ الملائكة أفضل باعتبار البداية، فإنهم الآن في الرفيق الأعلى، منزّهون عمّا يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الربّ، ولا ريب أنّ هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.

الثانية: وهي صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النّهاية، وذلك إنّما يكون إذا دخلوا الجنّة ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحيّاهم الرحمان وخصهم بمزيد قربة، وتجلى لهم، يستمتعون بالنّظر إلى وجهه الكريم.

وبهذا التفصيل يتبين سرّ التفضيل، وتتّفق أدلّة الفريقين[2].



(1) ومن أراد التوسّع أكثر في هذه المسألة فليرجع إلى: مجموع فتاوى ابن تيمية 11/350-392 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 2/410-423 ؛ لوامع الأنوار البهيّة 2/368 ؛ البداية والنّهاية 1/58

(2) عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر سليمان الأشقر ص: 89 قصر الكتاب-البليدة، طبع: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية -الجزائر 1989م.

الباب الثالث
السمعيات

الفصل الأول
الأسماء والأحكام والقضاء والقدر

المبحث الأول
الإيـمـان ومـتـعـلـقـاتـه

حضيت مسألة حقيقة الإيمان بقسط كبير من اهتمام العلماء قديمًا وحديثًا؛ ولا غرابة في ذلك، فهي تعتبر من أهمّ مسائل العقيدة الإسلامية، خاصّة إذا علمنا أنّها ممّا اختلفت فيها آراء الفرق والمذاهب.

فديننا مبنيّ أساسًا على أركان رئيسية، يجب على كلّ مؤمن أن يعرفها، ويعتقدها، وهي: الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه.

ولا يقبل الله إيمان أحد جحدها، أو جحد واحدًا منها، حتّى يقرّ بها جميعًا.

وعليه، فسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ترتكز على قوّة هذا الإيمان؛ فمن أطاع الله، وآمن به حقّا، واجتنب ما نهى الله عنه فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن عصاه وخالف أمره استحقّ وعيده.

وقد وردت آيات كثيرة تحثّ على الإيمان بالله ﷻ، وتبيّن أهمّيته، منها:

قوله سبحانه وتعالى: {**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}[1] ، و قوله تعالى: {**وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**} [2]، وغير هذا من الآيات.

وقد نالت هذه المسألة وما يتفرّع عنها من المباحث اهتمامًا كبيرًا من الثعالبي؛ وقبل الوقوف على كلامه فيها، يحسن بنا أوّلاً بيان معنى لفظة الإيمان في اللغة، ثمّ اختلاف الفرق والمذاهب فيها، لتحديد موقف الشيخ بعدها.

---

(1) سورة النحل: 97

(2) سورة العصر: 01-03

المطلب الأول: الإيمان: حقيقته، زيادته ونقصانه، الاستثناء فيه

1 ـ حقيقته

الإيمان لغة[1]: التصديق، يقال منه: آمنت به، وآمنت له: إذا صدّقته، ومنه قوله تعالى: {**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا**}[2] أي: بمصدّق لنا. ويطلق أيضًا ويراد به: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة.

وأمّا ما يتعلّق بتحديد حقيقة الإيمان في الاصطلاح؛ فقد اختلفت فيه الأمّة إلى مذاهب شتّى، وهي كالآتي:

السلف[3]، وقالوا: الإيمان هو نطق باللسان، واعتقاد بالجنان (القلب)، وعمل بالأركان[4]

الكرّامية[5] : قالوا: هو الإقرار باللسان فحسب، ومضمر الكفر إذا أظهر الإيمان مؤمن حقًّا -عندهم-، غير أنّه يستوجب الخلود في النّار، ولو أضمر الإيمان ولم يتّفق منه إظهاره فهو ليس بمؤمن وله الخلود في الجنّة [6]، وبعبارة أخرى: يزعمون أنّه الإقرار والتصديق باللسان دون القلب[7].

فالمنافقون-عندهم- مؤمنون، كاملوا الإيمان، لكن يقولون بانّهم يستحقّون الوعيد الذي أوعدهم الله به؛ وقولهم ظاهر الفساد[8].

الجهمية: وقالوا هو المعرفة بالقلب، وأمّا ما سوى ذلك من الإقرار باللسان وأعمال القلوب والجوارح فليست من الإيمان[9].

وهذا القول أظهر فسادًا ممّا قبله، فإنّ لازمه أنّ فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنّهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا

---

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 22؛ القاموس المحيط 199/4 فصل الهمزة -باب النون -مادة (الأمن)؛ أساس البلاغة ص: 10؛ الكليات ص: 212

(2) سورة يوسف: 17

(3) السلف لغة: المتقدّم، فكلّ عمل صالح قدّمته فهو فرط لك، وكلّ من تقدّمك من آبائك وقرابتك فهو سلف، ومنه قوله تعالى: {إلاّ ما قد سلف} سورة النساء: 22 ؛ انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 244، 245 ؛ الكليات ص: 494، 495، 511. واصطلاحًا: يراد بهم القرون الثلاثة الفضّلة من عمر الأمّة الإسلامية؛ انظر: السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي للبوطي ص: 09.

(4) شرح العقيدة الطحاوية 459/2، 460؛ المواقف ص: 385؛ الإبانة عن أصول الديانة ص: 49

(5) هم: أتباع أبي عبد الله محمّد بن كرّام، الذي كان ممّن يثبت الصفات إلاّ انّه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه، وهم طوائف؛ انظر: الملل والنحل 78/1

(6) الإرشاد ص: 224

(7) مقالات الإسلاميين 141/1؛ كتاب الإيمان لابن تيمية ص: 121 تحقيق: د. محمد خليل هراس دار الطباعة المحمدية -القاهرة.

(8) شرح العقيدة الطحاوية 460/2

(9) الفرق بين الفرق ص: 194؛ أصول الدين ص: 249؛ مقالات الإسلاميين 132/1

قال موسى لفرعون: {**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ**}[1] ، وقال تعالى: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**} [2] [3].

الخوارج: قالوا هو الطّاعة، بمعنى: أنّ جميع ما افترضه الله إيمان، مع ترك الكبائر[4].

المرجئة: قالوا هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان فقط[5].

المعتزلة: قالوا هو عبارة عن أداء الطّاعات، الفرائض منها والنّوافل، واجتناب المقبّحات[6].

الأشاعرة: قالوا هو عبارة عن تصديق الرسول بكلّ ما علم بالضرورة مجيئه به[7]. أي: عبارة عن الاعتقاد، والقول سبب لظهوره، والأعمال خارجة عن مسمّى الإيمان[8].

بعد هذا العرض المفصّل لآراء الفرق والمذاهب الإسلامية في حقيقة الإيمان، والاختلاف الحاصل في تحديده، ما هو موقف الثعالبي في ذلك ؟

يتجلّى لنا موقفه بما قرّره في معرض تفسير قوله جلّ شأنه: {**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}[9] حيث يصرّح بأنّ الإيمان لمّا كان ممّا ينطق به اللسان، ويعتقده القلب، حسن في الصفات[10]، وهو بهذا يجعل الأعمال خارجة عن مسمّى الإيمان-كما ذهب إليه الأشاعرة- وممّا يؤكّده، بيانه للعلاقة التي تربط لفظة الإيمان بالعمل، ردًّا على من يقول أنّها بمجرّدها تقتضي الطّاعات، معتمدًا على حرف الواو الذي يفيد المغايرة -كما تقرّر ذلك في علم النحو- وهذا ما يذكره عند تفسير قوله تعالى: {**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [11]، يشير إلى أنّ: « قوله (

---

(1) سورة الإسراء: 102
(2) سورة النمل: 14
(3) شرح العقيدة الطحاوية 460/2، 461
(4) الإرشاد ص: 224؛ أصول الدين ص: 249
(5) الملل والنحل 101/1
(6) شرح الأصول الخمسة ص: 707، 708
(7) محصّل أفكار المتقدمين والمتأخّرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين لفخر الدين الرازي ص: 237 وبذيله: تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكلّيات الأزهرية-القاهرة (د. ت. ط) ؛ أصول الدين ص: ص: 248؛ المواقف ص: 385
(8) معالم أصول الدين ص: 127
(9) سورة البقرة: 256
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 246/1
(11) سورة البقرة: 25

وعملوا الصالحات): ردّ على من يقول: إنّ لفظة الإيمان بمجرّدها تقتضي الطّاعات، لأنّه لو كان كذلك ما أعادها »[1].

ويزداد الأمر وضوحًا إذا عرفنا أنّ الثعالبي يرى بأنّ التوكّل على الله سبحانه وتعالى من فروض الإيمان وفصوله، ولكنّه مقترن بالجدّ في الطّاعات، والتشمير والحزامة بغاية الجهد، وليس الإلقاء باليدّ وما أشبهه بتوكّل، وإنّما هو كما قال تعالى: {**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**} [2]، وكما قال عليه السّلام: « قيّدها وتوكّل »[3] [4].

والمعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله سبحانه: {**فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**}[5] ، فيشير إلى أنّ سيدنا يعقوب عليه السلام قد توثّق في هذه القصّة، وأشهد الله تعالى، ووصّى بنيه، وأخبر بعد ذلك بتوكّله، فهذا توكّل مع سبب، وهو توكّل جميع المؤمنين، إلاّ من شذّ في رفض السعي بالكلّية، وقنع بالماء وبقل البرية[6]، فتلك غاية التوكّل، وعليها بعض الأنبياء عليهم السّلام، والشارعون منهم مثبتون سنن التسبّب الجائز »[7] .

فاتّخاذ الأسباب- في الظاهر وخلوّ الباطن من التعلّق بها- هو من أجلّ فروض الإيمان وفصوله، وأزكاها، لأنّ ذلك جمع بين الحكمة وحقيقة التوحيد، وذلك لا يكون إلاّ للأفذاذ الذين منّ الله عليهم بالتوفيق، لذلك مدح الله تعالى يعقوب عليه السلام فقال: {**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}[8] ، لأنّه عمل الأسباب، واجتهد في توفيتها، وهو مقتضى الحكمة، ثمّ ردّ الأمر كلّه لله، واستسلم إليه، وهو حقيقة التوحيد، فقال: {**وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**}[9] ، فأثنى الله عليه من أجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين »[10] .

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 56/1، 303

(2) سورة آل عمران: 159

(3) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه 722/3 برقم (6616)، قال الذهبي: سنده جيد؛ ورواه بلفظ (أعقلها) ابن حبان في صحيحه 510/2 برقم (731) ؛ قال العراقي: وإسناده صحيح.

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 389/1 -بتصرّف

(5) سورة يوسف: 66

(6) البقل: هو ما نبت على الأرض، وأبقل المكان: صار ذا بقل، فهو مبقل، وأبقلت الأرض: إذا اخضرّت بالنّبات؛ انظر: القاموس المحيط 346/3-فصل الباء-باب اللام-مادة (بقل)؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 54؛ أساس البلاغة ص: 27

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 334/2

(8) سورة يوسف: 68

(9) سورة يوسف: 67

(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 334/2

تعقيب على موقف الثعالبي من مسألة الإيمان:

تبيّن لنا ممّا تقدّم من كلام الثعالبي أنّه يجعل الأعمال خارجة عن مسمّى الإيمان، ومن ثمّ فهو يعني عنده: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وهذا غير مسلّم له، ذلك أنّ المعرفة لا تجزئ بالقلب والتصديق إلاّ أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب واللسان حتّى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت هذه الخصال الثلاث كان الإنسان مؤمنًا[1].

وعلى هذا فالإيمان الشرعي المطلوب- إذا استعمل مطلقًا- لا يكون إلاّ قولاً واعتقادًا وعملاً ؛وهذا الذي عليه أغلب العلماء المحقّقين[2]، يشهد لذلك قوله تعالى: {**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**}[3] ، ووجه الدلالة منه تسميته سبحانه الصلاة إيمانًا، لاجتماعها على نية وقول وعمل[4]، ويقوّيه ما ورد في سبب نزولها، وهم الصحابة الذين ماتوا قبل تحويل القبلة، وهم على الصلاة إلى بيت المقدس، فسئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عنهم فنزلت الآية.[5]

2 - زيادة الإيمان ونقصانه

ويتفرّع عمّا سبق ذكره مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وهي من المباحث التي تطرّق إليها الثعالبي في بعض مواضع كتابه؛ حيث يصرّح بأنّ زيادة الإيمان على وجوه كلّها خارجة عن نفس التصديق[6]، وذلك عند تفسير قوله تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**}[7] ؛ ويضرب لذلك أمثلة توضّح هذه الوجوه، منها:

i- أنّ المؤمن إذا كان لم يسمع حكمًا من أحكام الله ✝ في القرآن، فنزل على النّبيّ صلى الله عليه و سلم فسمعه فآمن به زاد إيمانًا إلى سائر ما قد آمن به، إذ لكلّ حكم تصديق خاصّ[8].

والمعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله سبحانه: {**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**}[1] ،

---

(1) الشريعة للآجري ص: 119 ؛

(2) تفسير ابن كثير 72/1؛ فتح القدير 154/1؛ كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته لأبي عبيد القاسم بن سلام ص: 601 تحقيق: الألباني، دار مصر للطباعة، نشر وتوزيع: دار الأرقم - الكويت.

(3) سورة البقرة: 143

(4) فتح القدير 154/1

(5) هو معنى حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: الصلاة من الإيمان 23/1 برقم (40)

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 109/2

(7) سورة الأنفال: 02

(8) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة.

فهذه الآية نزلت في شأن المنافقين، ردّ الله عليهم بها، وذلك أنّه إذا نزلت سورة حدث للمؤمنين بها تصديق خاص لم يكن قبل»[2].

ii-ترتّب زيادة الإيمان بزيادة الدلائل[3]، بمعنى: أنّ إنزال السورة المشار إليها في الآية السابقة ربّما تضمّن دليلاً أو تنبيهاً على دليل، فيكون المؤمن قد عرف الله بعدّة أدلّة، فإذا نزلت السورة زادت في أدلّته[4].

iii-أنّ الإنسان ربّما عرضه شكّ يسير، أو لاحت له شبهة مشغبة، فإذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهة، وقوي إيمانه، وارتقى اعتقاده عن معارضة الشبهات [5].

ومع هذا فالثعالبي كان منهجيًّا في نقله، ذلك أنّه لم ينس بيان موقف السّلف القائلين أنّ لفظة الإيمان واقعة على التصديق والطّاعات، ومن ثمّ فالإيمان يزيد وينقص[6].

إنّ الشيخ بموقفه هذا يوافق رأيًا من بين الآراء الثلاثة التي قال بها أهل السنّة والجماعة، وهي:

من قال: إنّ الإيمان هو التصديق، فقد منعوا من النقصان فيه [7]؛ وظاهر كلام الثعالبي يميل إليه.

وكلّ من قال إنّه الإقرار المجرّد، منع من الزيادة و النقصان فيه، وإليه ذهب الرازي[8] من الأشاعرة.

وكلّ من قال إنّ الطّاعات كلّها من الإيمان، أثبت فيه الزيادة والنقصان، وهذا مذهب سلف الأمّة[9]، وهو معتقدنا.

وعلى كلّ حال، فالنّزاع في هذه المسألة بين أهل السنّة يعتبر نزاعًا لفظيًا، ولا يجب أن يتّخذ ذريعة إلى الافتراق المذموم بين المسلمين[10].

---

(1) سورة التوبة: 124
(2) نفس المصدر السابق 219/2
(3) نفس المصدر السابق 109/2 -بتصرّف
(4) نفس المصدر السابق 219/2
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 219/2
(6)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 109/2
(7) أصول الدين ص: 252
(8) محصّل أفكار المتقدّمين ص: 239 ؛ الكليات ص: 214 وما بعدها
(9) شرح العقيدة الطحاوية 459/2 وما بعدها
(10) نفس المصدر السابق 470/2

3 ـ الاستثناء في الإيمان

وهي مسألة يراد بها، قول الرّجل: أنا مؤمن إن شاء الله؛ ولم يبد الثعالبي برأي واضح فيها، ممّا يبيّن عدم اهتمامه بها، أو على الأقلّ ليس لها كبير أثر لديه؛ وهذا ما نلاحظه في معرض تفسير قوله تعالى: {**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**} [1]، فيتعرّض إلى اختلاف العلماء[2] في الاستثناء الوارد في الآية :

فقال البعض: إنّما استثنى من حيث إنّ كلّ واحد من النّاس متى ردّ هذا الوعد إلى نفسه أمكن أن يتمّ الوعد فيه وأن لا يتمّ، إذ قد يموت الإنسان أو يمرض لحينه، فلذلك استثنى ✞ في الجملة، إذ فيهم ولابدّ من يموت أو يمرض.

وقال آخرون: هو أخذ من الله تعالى على عباده بأدبه في استعمال الاستثناء في كلّ فعل، بمعنى: أنّ الله استثنى فيما يعلم ليستثني النّاس فيما لا يعلمون.

والحقيقة أنّ تقسيم الثعالبي للمسألة غير كامل، ذلك أنّ العلماء انقسموا فيها إلى ثلاثة أقوال: طرفان ووسط: منهم من يوجبه ؛ ومنهم من يحرّمه؛ ومنهم من يجيزه باعتبار، ويمنعه باعتبار.

فالذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان:

الأوّل: أنّ الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنّما يكون عند الله مؤمنًا أو كافرًا باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله أنّه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به.

قالوا: والإيمان الذي يتعقّبه الكفر فيموت صاحبه كافرًا ليس بإيمان، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلاّبية[3] وغيرهم؛ وعند هؤلاء: أنّ الله يحبّ في الأزل من كان كافرًا، إذا علم منه أنّه يموت مؤمنًا، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتدّ عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد[4].

وهذا القول فاسد، لم يقل به أحد من السلف أو من جاء بعدهم من الذين يستثنون في الإيمان، ولا يعلّلون بهذا[5]، فإنّ الله تعالى قال: {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

---

(1) سورة الفتح: 27

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 246/4، 247 -بتصرّف

(3) الكلابية: هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، كان من أعظم أهل الإثبات للصفات، وهو أوّل من عرف عنه إنكار الأفعال الاختيارية بذات الربّ تعالى، وقال: إنّ القرآن معنىً قائم بالنفس لا يتعلّق بالقدرة والمشيئة، وأنّه لازم لذات الربّ كلزوم الحياة والعلم.. ؛ انظر: الملل والنحل 86/1 ؛ منهاج السنة النبوية 107/2

(4) شرح العقيدة الطحاوية 495/2

(5) الإيمان لابن تيمية ص: 376

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ}[1] ، فأخبر أنّه يحبّهم إن اتّبعوا الرسول، فاتّباع الرسول شرط المحبّة، والمشروط يتأخّر عن الشرط.

ثمّ صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتّى صار الرّجل يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: صلّيت إن شاء الله، ونحو ذلك، ثمّ صار كثير منهم يستثنون في كلّ شيء، فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله، هذا حبل إن شاء الله، فإذا قيل لهم: هذا لا شكّ فيه، يقولون: لكن إذا شاء الله أن يغيّره غيّره[2].

الثاني: إنّ الإيمان المطلق يتضمّن ما أمر الله به عبده كلّه، وترك ما نهاه عنه كلّه، فإذا قال الرّجل: أنا مؤمن بهذا الاعتبار، فقد شهد لنفسه أنّه من الأبرار المتّقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقرّبين، وهذا تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنّة إن مات على هذه الحال، وهذا مأخذ عامّة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوّزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر.

ويحتجّون بجواز الاستثناء فيما لا شكّ فيه بمثل قوله صلى الله عليه و سلم حين وقف على المقابر: « وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون »[3]، وقوله: « إنّي لأرجو أن أكون أخشاكم لله »[4].

وأمّا الذين يحرّمون الاستثناء: وهم المرجئة والجهمية ونحوهم ، ممّن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا، يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالربّ ونحو ذلك ممّا في قلبه، فيقول أحدهم: أنا أعلم أنّي مؤمن كما أعلم أنّي تكلّمت بالشهادتين، وقرأت الفاتحة، وكما أعلم أنّي أحبّ رسول الله، وأنّي أبغض اليهود والنّصارى؛ فقولي: أنا مؤمن كقولي أنا مسلم، وكقولي تكلّمت بالشهادتين، وقرأت الفاتحة، وكقولي: أنا أبغض اليهود و النّصارى، ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعملها وأقطع بها، وكما أنّه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله، وكذلك لا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لكن إذا كان يشكّ في ذلك، فيقول: فعلته إن شاء الله، قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاكّ فيه، وسمّوهم الشّكّاكة[5].

وأجابوا عن الاستثناء الوارد في قوله تعالى: {**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**}[6] ، بأنّه يعود إلى الأمن والخوف، فأمّا الدخول فلا شكّ فيه، وقيل: لتدخلنّ جميعكم أو بعضكم، لأنّه علم أنّ بعضهم يموت؛ وفي كلا الجوابين نظر، فإنّهم وقعوا فيما فرّوا منه:

---

(1) سورة آل عمران: 31

(2) شرح العقيدة الطحاوية 495/2

(3) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة باب: استحباب إطالة الغرة والتعجيل 218/1 برقم (249)؛ وفي كتاب الجنائز 669/22 برقم (973)

(4) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام -باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب 781/2برقم (1110)

(5) شرح العقيدة الطحاوية 496/2، 497 ؛ الإيمان لابن تيمية ص: 373

(6) سورة الفتح: 27

فأمّا الأمن والخوف فقد أخبر أنّهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شكّ في الدخول ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإنّ الله قد علم من يدخل فلا شكّ فيه أيضًا، فكان قول: (إن شاء الله) هنا تحقيقًا للدخول، كما يقول الرّجل فيما عزم على شيء أن يفعله لا محالة: "والله لأفعلنّ كذا إن شاء الله "، لا يقولها لشكّ في إرادته وعزمه، ولكن إنّما لا يحنث الحالف في مثل هذه اليمين، لأنّه لا يجزم بحصول مراده[1].

وأمّا الذين يجوّزون الاستثناء وتركه: -وهو أصحّ الأقوال- فهم أسعد بالدليلين من الفريقين، وخير الأمور أوسطها. فإن أراد المستثني الشكّ في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا ممّا لا خلاف فيه؛ وإن أراد أنّه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**}[2]، وفي قوله : {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**}[3])، فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقًا للأمر بمشيئة الله، لا شكًّا في إيمانه[4].

المطلب الثاني: مرتكب الكبيرة والتوبة

1 ـ حكم مرتكب الكبيرة

ويتفرّع عن قضيّة الإيمان أيضًا، مسألة حكم مرتكب الكبيرة[5]، أهو مؤمن أم لا ؟ وهي مسألة ناقشها الثعالبي في بعض المواضع من تفسيره لما يترتّب عليها من

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية 497/2

(2) سورة الأنفال: 02-04

(3) سورة الحجرات: 15

(4) شرح العقيدة الطحاوية 498/2 ؛ الإرشاد ص: 160؛ الكلّيات ص: 216

(5) الكبيرة **لغة**: مأخوذة من الفعل كبر، كبرًا (بكسر الكاف، مع فتح الباء)، وكبرً (بالضمّ، مع سكون الباء)، فهو كبير. وتجمع الكبيرة على الكبائر، وتستعمل فيما عظم، وشقّ وصعب؛ انظر: القاموس المحيط 128/2 - فصل القاف -باب الراء -مادة (كبر)؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 438 ؛ أساس البلاغة ص: 385. ونقيض الكبيرة الصغيرة، وهي: مأخوذة من الصّغر، والصغارة، أي: خلاف العظم (بكسر العين)، تقول: صغر، صغارة، وصغرًا، فهو صغير، وجمعه صغار، وأصاغر ؛ انظر: القاموس المحيط 72/2 -فصل الصاد -باب: الرّاء -مادة (صغر). وعلى كلّ حال فإنّ لفظة الكبيرة والصغيرة من الأسماء المتضايفة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض، فالشيء قد يكون صغيرًا في جنب شيء، وكبيرًا في جنب غيره. انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 437. وأمّا **اصطلاحًا**: فالعلماء مختلفون في تحديدها إلى أقوال عدّة، أهمّها: كلّ ما نهى الله عنه فهو كبيرة، وإنّما قيل صغيرة بالإضافة إلى أكبر منها، وإلاّ فهي في نفسها كبيرة، من حيث أنّ المعصي بالجميع واحد؛ وبهذا قال الجويني في الإرشاد ص: 156، وأشار إليها الثعالبي في تفسيره436/1 ؛ وقيل: ما يسدّ باب المعرفة بالله، وقيل: ما اتّفقت الشرائع على تحريمه، وقيل: كلّ ما ورد عليه وعيد بنار، أو عذاب، أو لعنة، أو غضب، أو ما يترتّب عليها حدّ أو ما أشبه ذلك؛ وهذا أمثل الأقوال، لأنّه يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنّه يدخل فيه كلّ ما ثبت بالنّصّ أنّه كبيرة، كالشرك، والقتل، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم... ، وغير ذلك؛ وهذا ما رجّحه ابن أبي العزّ الدمشقي في شرحه للعقيدة الطحاوية 552/2؛ وابن تيمية في مجموع الفتاوى 650/11، وابن كثير في تفسيره 268/2. وأمّا الصغيرة فهي: كلّ ذنب لم يختم بلعنة أو غضب ، أو نار؛ أو كلّ ما ليس فيها حدّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة ؛

الأهمّية في واقع حياة النّاس، وكذا مصير مرتكبها في الآخرة أهو في النّار أم سيكون من أهل الجنّة ؟

وبعد استقرائنا لتفسيره، خلصنا إلى أنّه يرى أنّ مرتكب الكبيرة مؤمن، وهو من عصاة الموحّدين، ولا يخلد في النّار، وأنّه تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه.

واستخدم في بيان موقفه منهجًا كلاميًا دقيقًا، وأسلوبًا علميًا رفيعًا، يعرف عند العلماء بتحرير محلّ النّزاع بعد بيان محلّ الاتّفاق في المسألة، والغرض من ذلك إثبات الرأي الرّاجح، والردّ على المذهب المخالف ردًّا مفحمًا. وهذا ما يبسطه في معرض تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**}[1] ، فقد اتّخذ هذه الآية سندًا قويًا في المحاكمة بين الآراء المتضاربة، وبيان ما تعارض من آيات الوعد و الوعيد، فيبدأ أوّلاً بتحرير محلّ الاتّفاق، ملخّصًا الكلام فيها كما يلي[2] :

كافر مات على كفره، فهذا مخلّد في النّار بإجماع.

ومؤمن محسن لم يذنب قطّ، ومات على ذلك، فهذا في الجنّة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى بإجماع.

وتائب مات على توبته، فهو عند أهل السنّة وجمهور فقهاء الأمّة لاحق بالمؤمن المحسن، إلاّ أنّ قانون المتكلّمين أنّه في المشيئة.

ثمّ ينتقل بعد هذا إلى تحرير محلّ الخلاف[3] وهو:

المذنب الذي مات قبل توبته، كيف يكون مصيره ؟ وهنا يعرّج بالذكر على أهمّ الآراء في ذلك:

فالخوارج يقولون: إذا كان صاحب كبيرة أو صغيرة، فهو مخلّد في النّار، ولا إيمان له؛ لأنّهم يرون كلّ الذنوب كبائر، وجعلوا آيات الوعد كلّها في المؤمن الذي لم يعص قطّ، والمؤمن التائب.

والمرجئة يقولون: هو في الجنّة بإيمانه، ولا تضرّه سيّئاته؛ جاعلين آيات الوعيد كلّها في الكفّار وآيات الوعد عامّة في المؤمنين، تقيّهم وعاصيهم.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية 552/2، 553، وقد أشار الثعالبي إلى انقسام العلماء في حكمها إلى قسمين: فجماعة من الفقهاء والمحدّثين يرون أنّ باجتناب الكبائر تكفّر الصغائر قطعًا، وإليه مال رحمه الله؛ وأمّا الأصوليون فقالوا: محمل ذلك على غلبة الظنّ وقوّة الرجاء لا على القطع؛ انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن 436/1-437

(1) سورة النساء: 48

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 451/1، 452 -بتصرّف

(3) نفس المصدر السابق 452/1

والمعتزلة يقولون: إذا كان صاحب كبيرة، فهو في النّار ولابدّ.

وبعد هذا العرض لأهمّ آراء الفرق الإسلامية، يصل الثعالبي لبيان موقفه من مرتكب الكبيرة، وهو أنّه في مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له فبرحمته وفضله وإحسانه، وإن عذّبه فبحكمته وعدله، ولا يظلم ربّك أحدًا، متّخذًا من الآية السابقة هي الحاكمة، وهي النصّ في موضع النّزاع؛ وذلك أنّ قوله تعالى (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به) فصل قاطع، مجمع عليه، وقوله (ويغفر ما دون ذلك) فصل قاطع للمعتزلة، رادّ على قولهم ردًّا لا محيد لهم عنه؛ ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصحّ قول المرجئة، إنّما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنّه مغفور لكلّ مؤمن[1]).

كما يردّ على الخوارج أيضًا في معرض تفسير قوله جلّ شأنه: {**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**}[2]، حيث يذكر تمسّكهم بهذه الآية في التكفير بالذنب[3])؛ وأجيب بأنّها نزلت في اليهود، فتكون مختصّة بهم، ثمّ يورد تضعيف الرازي لهذا المعنى اعتمادًا على قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [4]؛ ويعقّب الثعالبي عليه بأنّ هذه مسألة خلاف في العام الوارد على سبب، هل يبقى على عمومه ؟ أو يقصر على سببه ؟ مرجّحًا ما قاله بعض أهل العلم بأنّ الآية متناولة كلّ من لم يحكم بما أنزل الله، ولكنّها في أمراء هذه الأمّة كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان، قال: وهذا تأويل حسن »[5].

وهكذا الأمر في تفسير قوله تعالى: {**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**}[6]، يذكر أنّ لفظ الآية عام، فالكافر والمؤمن مجازى؛ فأمّا مجازات الكافر فالنّار، وأمّا مجازات المؤمن فبنكبات الدنيا، فمن بقي له سوء إلى الآخرة فهو في المشيئة، يغفر الله لمن يشاء، ويجازي من يشاء[7].

ويعتبر الثعالبي الوعيد الوارد في الآيات القرآنية الكريمة خاصّ بالكفّار، فهم المراد بالخلود في النّار دون عصاة المؤمنين[8]، كما في قوله تعالى: {**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ**

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 452/1

(2) سورة المائدة: 44

(3) وصارت الإباضية منهم إلى أنّه يتّصف بالكفر المأخوذ من كفران النّعم؛ وذهبت الأزارقة منهم إلى أنّ العاصي كافر بالله تعالى كفر شرك؛ انظر: الإرشاد ص: 154 ؛ المواقف ص: 389

(4) مفاتح الغيب مج(06) 06/12، 07

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 554/1، 555

(6) سورة النساء : 123

(7) نفس المصدر السابق 496/1 ؛ 420/1، 548

(8) نفس المصدر السابق 478/1؛ 442/4. وهذا الذي عليه أهل السنّة والجماعة، انظر: المواقف ص: 377 ؛ الإرشاد ص: 155، 157

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1] ، يذكر أنّ قوله (بلى من كسب سيّئة) في الكفّار لا في العصاة، يدلّ عليه قوله (وأحاطت)، لأنّ العاصي مؤمن فلم تحط به خطيئاته، ويدلّ عليه أيضًا أنّ الردّ كان على كفّار ادّعوا أنّ النّار لا تمسّهم إلاّ أيّامًا معدودة، فهم المراد بالخلود[2].

وقد اعتنى الشيخ في تأييد موقفه بما ورد عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم من الأحاديث، فيجمع بينها وبين ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم في هذا الشأن، كما هو واضح في تفسير قوله تعالى: {**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا**}[3] ، حيث يقرّر أنّ قوله (لا يموت فيها ولا يحي) مختصّ بالكافر، فإنّه معذّب عذاب ينتهي به إلى الموت، ثمّ لا يجهز عليه فيستريح، بل يعاد جلده ويجدّد عذابه، وأمّا من يدخل النّار من المؤمنين بالمعاصي ، فهم قبل أن تخرجهم الشفاعة في غمرة قد قاربوا الموت إلاّ أنّهم لا يجهز عليهم ولا يجدّد عذابهم، فهذا فرق ما بينهم وبين الكفّار، يدلّ عليه ما ورد في الحديث: « إنّهم يماتون فيها إماتة »[4]، مشيرًا إلى أنّ ذلك هو معناها، لأنّه لا موت في الآخرة[5].

وفي هذا السياق نفسه، يحاول الجمع بين ما دلّ عليه قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**} [6]وبين قوله صلى الله عليه و سلم : « من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنّة »[7] مبيّنًا في نفس الوقت-على ما نقله عن ابن عطية- أنّ ما ورد في الآية والحديث هو المعتقد[8]؛ وذلك أنّ العصاة من أمّة محمّد صلى الله عليه و سلم وغيرها فرقتان:

فأمّا من غفر الله له وترك تعذيبه، فلا محالة أنّه ممّن تتنزّل عليهم الملائكة بالبشارة، وهو إنّما استقام على توحيده فقط.

وأمّا من قضى الله بتعذيبه مدّة، ثمّ يأمر بإدخاله الجنّة فلا محالة أنّه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه؛ وليس يصحّ أن تكون حاله كحالة الكافر واليائس من رحمة الله؛ وإذا كان هذا فقد حصلت له بشارة بأن لا يخاف الخلود ولا يحزن منه، ويدخل

---

(1) سورة البقرة: 80، 81
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 104/1، 105
(3) سورة طه: 74
(4) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحّدين من النار 172/1 برقم (185) ولفظ مسلم (فأماتهم إماتةً...)، ولم أجد اللفظ كما أورده الثعالبي
(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 53/3، 54
(6) سورة فصّلت: 30
(7) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك 503/1 برقم (1299) وقال: « هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ؛ وأبو داوود في سننه: كتاب الجنائز -باب: في التلقين 100/3 برقم (3116) ؛ وصحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود 602/2 برقم (3116)
(8) المحرّر الوجيز 14/5، 15

فيمن يقال لهم (أبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون)؛ ومع هذا كلّه فلا يختلف في أنّ الموحّد المستقيم على الطاعة أتمّ حالاً وأكمل بشارة.. ، وكلّما كان المرء أشدّ استعدادًا كان أسرع فوزًا بفضل الله تعالى[1].

ولم يكتف الثعالبي بهذا القدر في بيان موقفه، بل أيّده بنقول أهل العلم، من ذلك: ما ذكره عن محمّد بن عبد الله اللخمي، في مختصره لتفسير الطبري[2]، من أنّ الأمّة أجمعت على تخليد من مات كافرًا، وتظاهرت الروايات الصحيحة عن الرسول ﷺ، والسلف الصالح بأنّ عصاة أهل التوحيد لا يخلّدون في النّار، ونطق القرآن بأنّ الله {**لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**}[3] ، لكن من خاف على لحمه ودمه اجتنب كلّ ما جاء فيه الوعيد، ولم يتجاسر على المعاصي اتّكالاً على ما يرى لنفسه من التوحيد، فقد كان السلف وخيار الأمّة يخافون سلب الإيمان على أنفسهم، ويخافون النّفاق عليها، وقد تظاهرت بذلك الأخبار »[4].

ومن ذلك ما نقله عن ابن عطية في معرض تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**}[5]، فيذكر أنّ: « الذي يجري مع الأصول: أنّه من مات من هؤلاء مرتدًّا، فهو كافر، ومأواه جهنّم على جهة الخلود المؤبّد؛ وإن فرضنا من مات مؤمنًا، وأكره على الخروج، أو مات بمكّة، فإنّما هو عاص في ترك الهجرة، مأواه جهنّم على جهة العصيان دون خلود »[6].

وعلى كلّ حال، فإنّ قضية حكم مرتكب الكبيرة قد نالت قسطًا وافرًا من تفسير الثعالبي، يدلّ على ذلك تكراره لها كلّما تعلّق الأمر بتفسير آية لها علاقة بهذا الموضوع، مثبتًا فيها ما قرّره أهل السنّة والجماعة.

2 ـ التوبة

مسألة التوبة [7] من المسائل التي ناقشها الثعالبي أيضًا في تفسيره، والتي لها علاقة بمبحث الإيمان، حيث ذهب إلى نفي وجوب ذلك على الله تعالى، وهذا ما

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 121/4

(2) لم أقف على هذا الكتاب

(3) سورة النساء: 48

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 104/1، 105

(5) سورة النساء: 97

(6) نفس المصدر السابق 483/1؛ 478/4

(7) **التوبة لغة**: الرجوع، يقال: تاب إلى الله توبًا وتوبة ومتابًا: رجع عن المعصية ؛ انظر: القاموس المحيط 41/1 -فصل التاء -باب: الباء -مادة (تاب)؛ الكلّيات ص: 208؛ أساس البلاغة ص: 40؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 72. وأمّا **اصطلاحًا:** فهي: الرجوع عن المعصية إلى الله تعالى، مع النّدم والعزم على عدم العودة إليها؛ انظر: المواقف ص: 380؛ الإرشاد ص: 160؛ الكلّيات ص: 308. والتوبة لا تتحقّق إلاّ باجتماع أربعة شروط، هي: ترك الذنب لقبحه، والنّدم على ما فرط

يوضّحه عند تفسير قوله تعالى: {**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**}[1]، فينبّه إلى ذكر الله النّعمة في تفضّله بقبول التوبة من عباده، وأنّ قبولها مقطوع به فيما يستأنف العبد من زمانه وأعماله بنصّ هذه الآية الكريمة[2] ؛ وهذا في حقيقة الأمر ردّ منه على المعتزلة الذين أطبقوا على أنّ قبول التوبة حتم على الله تعالى[3] بناءً على مذهبهم الفاسد في التحسين والتقبيح- تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

ويشهد لكلام الثعالبي: أنّ من أساء مع غيره، واهتضم حرمته، وأبلغ في عداوته، ثمّ جاء معتذرًا، فلا يتحتّم في حكم العقل قبول توبته، بل الخيرة إلى من اهتضم ولم يرع حقّه؛ فإن شاء صفح، وإن شاء أضرب عنه. ويشهد له أيضًا: إجماع الأمّة على الرغبة إلى الله تعالى في قبول التوبة، والخضوع له في الابتهال إليه رجاء قبولها، فلو كان قبول التوبة حتمًا لما كان للرغبات والإلحاح في الدعوات معنىً[4].

ويبيّن أنّ التوبة ممّا سلف من أعمال الإنسان تنقسم إلى قسمين:

فأمّا التوبة من الكفر، فماحية كلّ ما تقدّمها من مظالم العباد الفائتة، وغير ذلك.
وأمّا التوبة من المعاصي، فلأهل السنّة فيها قولان: هل تذهب المعاصي السالفة للعبد بينه وبين خالقه؟

فقالت فرقة: هي مذهبة لها [5].
وقالت فرقة: هي في مشيئة الله تعالى[6]؛ وبه أخذ الثعالبي رحمه الله.

وأجمعوا أنّها لا تذهب مظالم العباد[7].

وهذا المعنى السابق يشير إليه في معرض تفسير قوله جلّ وعلا: {**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(17) وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا**

منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة؛ فمتى اجتمعت هذه الأربع، فقد كملت شرائط التوبة، إلاّ أنّ أهمّ شرط فيها هو النّدم؛ ولهذا لا يتوانى الثعالبي في تعريف حقيقة التوبة بأنّها: " الإقلاع عن المعاصي، والإقبال والرجوع إلى الطّاعات، ويلزمها النّدم على ما فات، والعزم على ملازمة الخيرات"؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن 144/4

(1) سورة الشورى: 24
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 144/4
(3) الإرشاد ص: 161؛ المواقف ص: 381
(4) الإرشاد ص: 161
(5) وبذلك قال ابن أبي العزّ الدمشقي في شرح العقيدة الطحاوية 528/2
(6) وبذلك قال الجويني في الإرشاد ص: 161؛ والإيجي في المواقف ص: 381
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 144/4

أَلِيمًا}[1] ، فبعد أن يذكر عدم صحّة توبة من حضره الموت وصار في حيّز اليأس، كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق، فلم ينفعه ما أظهره من الإيمان؛ يقرّر هنا -حسب ما نقله عن ابن عطية-[2] أنّ: « العقيدة في هذه الآيات: أنّ من تاب من قريب فله حكم التائب، فيغلب الظنّ عليه أنّه ينعّم ولا يعذّب، هذا مذهب أبو المعالي وغيره، حيث يجعل تلك الأخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة؛ وقال غيرهم: بل هو مغفور له قطعًا، لإخبار الله تعالى بذلك.

ومن لم يتب حتّى حضره الموت، فليس في حكم التائبين: فإن كان كافرًا، فهو يخلّد، وإن كان مؤمنًا، فهو عاص في المشيئة، لكن يغلب الخوف عليه، ويقوى الظنّ في تعذيبه، ويقطع من جهة السمع أنّ من هذه الصنيفة من يغفر الله تعالى له تفضّلاً منه، لا يعذّبه، وأعلم الله تعالى أيضًا أنّ (الذين يموتون وهم كفّار) فلا مستعتب لهم، ولا توبة في الآخرة »[3].

ويرى كذلك أنّ التوبة من الذنب تصحّ مع الإقامة على ذنب آخر غيره، معتبرًا لها أنّها توبة مقيّدة[4]؛ وفي ضمن كلامه هذا، ردّ قاطع على المعتزلة في قولهم: لا يكون تائبًا من أقام على ذنب[5].

وكذلك في قضية العبد إذا تاب ثمّ عاود الذنب بعينه بعد مدّة، كيف يكون أمره ؟

يشير إلى احتمالين عند حذّاق أهل السنّة:

الأوّل: أن يعيده، لأنّها توبة لم يوف بها.

الثاني: أن لا يعيد الله تعالى عليه الذنب الأوّل، لأنّ التوبة قد كانت محنة؛ ويؤيّد الثعالبي هذا الاحتمال، بما يذكره -نقلاً عن ابن عطية- [6] من أنّ التوبة تصحّ وإن نقضها التائب في ثاني حال بمعاودة الذنب، فإنّ التوبة الأولى طاعة قد انقضت وصحّت، وهو محتاج بعد مواقعة الذنب إلى توبة أخرى مستأنفة »[7] وهذا ما عليه جمهور العلماء[8] .



(1) سورة النساء: 17، 18
(2) المحرّر الوجيز 25/2
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 425/1، 426
(4)نفس المصدر السابق55/3، 56
(5) وهو ما ذهب إليه أبو هاشم وأتباعه من أنّ التوبة لا تصحّ دون الانكفاف عن جميع الذنوب؛ وهذا الذي ذكروه خروج عن المعقول وموجب الشرع المنقول، فإنّ من بدرت منه بوادر، وصدرت منه عظائم، فيصحّ في مجرى العادات منه التنصّل عن جماهيرها، والاعتذار عنها مع الإصرار على شيء منها. انظر: الإرشاد ص: 162
(6) المحرّر الوجيز 24/2
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 424/1؛ 55/3، 56
(8) الإرشاد ص: 163

المبحث الثاني
الـقـضـــاء والـقــدر

المطلب الأول: خلق الأفعال، الهدي والإضلال، الحسن والقبح، والتعليل

تعتبر مسألة القضاء والقدر والمسائل المندرجة تحتها من أهمّ القضايا التي تناولها العلماء بالاهتمام والدّراسة، حتّى لقد أفردها البعض منهم بالكتابة والتأليف، كما فعل الإمام البخاري -رحمه الله- حيث ألّف كتابه الشهير (خلق أفعال العباد والردّ على الجهميّة وأصحاب التعطيل)، وكذا الإمام ابن القيّم[1] -رحمه الله- الذي سمّى كتابه (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الخوض والجدل في هذه القضيّة قد بدأ ت جذورها على عهد النّبيّ صلى الله عليه و سلم حيث نهى عن ذلك صراحة؛ إلاّ أنّ أسئلة الصحابة- رضوان الله عليهم جميعا- حينها كانت أسئلة استفهام، فإذا ما جاءهم الجواب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم اكتفوا به كما ورد بذلك الحديث الشريف: « اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له »[2].

أمّا الكفّار فقد أثاروها كتبرير لضلالهم وكفرهم كما حكى الله ﷻ عن قولهم: {**أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**}[3] وقوله تعالى: {**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**}[4].

---

(1) هو: محمّد بن أبي بكر بن أيوب الدرعي الدمشقي، شمس الدين، ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله، إمام، فقيه، أصوليّ، نحويّ، مفسّر، عارف، مجتهد، لازم شيخه ابن تيمية-رحمه الله-وأخذ عنه، وحبس معه، ولم يفرج عنه إلاّ بعد وفاة شيخه. من تآليفه: زاد المعاد، إعلام الموقّعين.. ، توفّي سنة 751هـ ؛ انظر: البداية والنهاية 46/14 ؛ الدرر الكامنة 400/3

(2) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب التفسير-سورة الليل -باب: (وما خلق الذكر والأنثى)، وباب: قوله(فسنيسّره لليسرى)، وباب: قوله (وأمّا من بخل واستغنى)، وباب: قوله (فسنيسّره للعسرى) 1890/4 برقم (4662)، (4663)، (4664) ؛ مسلم في كتاب القدر -باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمّه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته 453/2، 454 برقم (2648)

(3) سورة يس: 47

(4) سورة النحل: 35

وكان أوّل من تكلّم بها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم بالبصرة معبد الجهني[1]، ثمّ سلك مسلكه غيلان الدمشقي[2])ممّا أدّى إلى قتله بعد بأمر من هشام بن عبد الملك[3]، الخليفة الأموي بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه، وذلك سنة 106 هـ[4].

ولفهم هذه القضيّة وما يندرج تحتها من مسائل، لابدّ أوّلا من التعريج على معنى كلّ من لفظة القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح، ثمّ أقوال المذاهب والفرق، للوقوف بعدها على موقف الثعالبي.

1 ـ معنى القضاء والقدر في اللغة :

القضاء لغة: [5] الحكم والأمر وفصله قولا كان أو فعلا، وإتمام الشيء، تقول: قضى وطره: أي: أتمّه وبلغه، وقضى عليه: أماته، وقضى عليه دينه: أوصاه وأنفذه، وقضى عليه عهدا: أدّاه.

ومن معانيه في القرآن الكريم[6] :

الإعلام: كقوله تعالى: {**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**}.[7]

الأجل: كقوله تعالى: { **فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ**}. (8)

المضيّ: كقوله تعالى: {**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا**} [9].

الوجوب: كقوله تعالى: {**لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ**}. (10(

الخلق: كقوله تعالى: { **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**}. [1]

---

(1) هو: معبد بن خالد الجهني القدري، ويقال: إنّه ابن عبد الله بن عكيم: صدوق، مبتدع، وهو أوّل من أظهر القدر بالبصرة، قتل سنة 180هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 471، مترجم برقم (6777) ؛ العبر 61/1 ؛ سير أعلام النبلاء 185/4

(2) هو: غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، كان يقول بالقدر، خيره وشرّه من العبد، وأنّ الإمامة تصلح في غير قريش؛ انظر: الفرق بين الفرق ص: 25 ؛ الملل والنحل101/1

(3) هو: هشام بن عبد الملك، أبو الوليد، الخليفة الأموي، كان ذا رأي، وحلم، وجمع للمال، وكان حازمًا، متيقّظًا، لا يغيب عنه شيء من ملكه، توفّي سنة 125 هـ ؛ انظر: شذرات الذهب 163/1 ؛ سير أعلام النبلاء 351/5 ؛ تاريخ الطبري 111/4 دار الكتب العلمية -بيروت ط(1) 1407هـ.

(4) تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص: 56 مطابع مؤسسة الرسالة -بيروت ط(1) 1399هـ.

(5) انظر: القاموس المحيط 381/4 فصل القاف-باب الواو والياء-مادة(قضى)؛ أساس البلاغة ص: 370 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 421

(6) الكلّيات ص: 705

(7) سورة الإسراء: 04

(8) سورة الأحزاب: 23

(9) سورة الأنفال: 44

(10) سورة إبراهيم: 22

الفعل: كقوله تعالى: {**كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ**}[2] ، أي: حقًّا لم يفعل.

الإبرام: كقوله تعالى: {**إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**}. [3]

العهد: كقوله تعالى: {**إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ**}. [4]

الأداء: كقوله تعالى: {**فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**}. [5]

فكلّ ما أحكم عمله وختم وأدّي وأوجب وأعلم وأنفذ وأمضي فقد قضي وفصل.

فالقضاء موضوع للقدر المشترك بين هذه المفهومات، وهو انقطاع الشيء والنّهاية، والفصل بتمام الأمر.

وأمّا القدر لغة [6]**:** فهو مبلغ الشيء ، وجمعه أقدار. تقول: قدر الله تعالى ذلك عليه يقدره قدْرا وقدَرًا، وقدّره عليه وله، واستقدر الله خيرًا: سأله أن يقدر له به. وقدر الرّزق: قسمه.

معنى القضاء والقدر في الاصطلاح[7]**:**

تغايرت عبارات العلماء في تعريفهما وإن كان مؤدّاهما في الأخير متّفق، وحاصلها أنّ:

القضاء، هو: علم الله تعالى في الأزل بالأشياء كلّها على ما ستكون عليه في المستقبل.

والقدر، هو: إيجاد تلك الأشياء بالفعل طبقا لعلمه الأزلي المتعلّق بها.

فالصّلة وثيقة بين اللفظتين، لهذا يخطئ كثير من النّاس حين يظنّون أنّ معناهما: إجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدّر وقضاه؛ وليس الأمر كما يتوهّمونه، وإنّما معناه: الإخبار عن تقدّم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من أكساب العبد وصدورها عن تقدير منه[8].

وهذا الخطأ في الفهم- راجع والله أعلم- إلى عدم فهم حقيقة اللفظتين والعلاقة بينهما.

---

(1) سورة فصّلت: 10

(2) سورة عبس: 23

(3) سورة يوسف: 68

(4) سورة القصص: 44

(5) سورة الجمعة: 10

(6) انظر: القاموس المحيط 118/2 فصل القاف-باب الراء مادة (قدر) ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 409-411 ؛ أساس البلاغة ص: 357؛ الكلّيات ص: 706-707

(7) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 154/1-155 ؛ التعريفات ص: 181-185 ؛ الكلّيات ص: 706 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 410 ؛ كبرى اليقينيات الكونية للبوطي ص: 160 دار الفكر- تصوير 1405هـ-1985م عن ط(8) 1982م.

(8) شرح صحيح مسلم للنووي 154/1-155

فالقضاء من الله تعالى أخصّ من القدر، لأنّه الفصل بين التقدير؛ فالقضاء هو: الفصل والقطع، والقدر هو: التقدير.

وبهذا يمكن اعتبار القدر بمنزلة المعدّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، كما قال أبو عبيدة لعمر-رضي الله عنهما- لمّا أراد الفرار من الطّاعون بالشّام: « أتفرّمن القضاء؟ قال عمر: أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله »[1]، تنبيها أنّ القدر ما لم يكن قضاء فمرجوّ أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له ؛ويشهد لذلك قوله تعالى: {**وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**}[2] ، وقوله تعالى: {**كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**} [3]، وقوله تعالى: {**وَقُضِيَ الْأَمْرُ**}[4] ، أي: فصل، تنبيها أنّه صار بحيث لا يمكن تلافيه[5].

وحاصل هذا الكلام أنّ القضاء هو: وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر هو: وجودها متفرّقة في الأعيان بعد حصول شرائطها، فتعليق كلّ حال من أحوال الأعيان بزمان معيّن وسبب معيّن عبارة عن القدر[6].

ولهذا نرى الثعالبي يقرّر هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: {**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**}[7] ، حيث يبيّن أنّ الله تعالى يمحو من الأمور ما يشاء ويغيّرها عن أحوالها، ممّا سبق في علمه محوه وتغييره، ويثبتها في الحالة التي ينقلها إليها حسب ما سبق في علمه ؛ و يقوّي رأيه بما نقله عن ابن عطية في بيان أصوب ما يفسّر به لفظة (أمّ الكتاب): أنّه كتاب الأمور المجزومة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن، وسبق ألاّ تبدّل، ويبقى المحو والإثبات في الأمور التي سبق في القضاء أن تبدّل وتمحى وتثبّت[8] [9]

والمعنى نفسه يتكرّر عند تفسير قوله ✞: {**فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ**}[10]، حيث يبيّن أنّ المراد الإعلام بأنّ من سبقت له من الله الحسنى وكتب سعيدًا، كان في الآخرة سعيدًا، ومن كتب عليه أنّه من أهل الشقاء كان في الآخرة شقيّا، ولا يتبدّل من الأمور التي أحكمها ودبّرها وأنفذها شيء[11].

---

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى والطبّ -باب: ما يذكر في الطاعون 2163/5 برقم (5397)

(2) سورة مريم: 21

(3) سورة مريم: 71

(4) سورة البقرة: 210

(5) معجم مفردات القرآن ص: 422

(6) التعريفات ص: 181

(7) سورة الرعد: 39

(8) المحرّر الوجيز 318/3

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 371/2

(10) سورة الأعراف: 30

(11) نفس المصدر السابق 19/2-259

ومن هنا يتّضح لنا- ممّا سبق ذكره الحكمة من جعل القضاء والقدر أحد أركان الإيمان، فيجب على المكلّف أن يؤمن بأنّ علم الله سبحانه وتعالى علم أوّلا بجميع أفعال العباد، وكلّ ما يتعلّق بالمخلوقات، ممّا سيتوالى حدوثه في المستقبل، كما يجب عليه أن يؤمن بأنّه سبحانه وتعالى إنّما أوجدها حين أوجدها على القدر المخصوص والوجه المعيّن الذي سبق العلم به[1].

فكلّ شيء في هذا الكون هو بقضاء الله وقدره كما قال تعالى: {**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**}[2].

ولكن قد يسبق إلى أفهام كثير من النّاس أنّ القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة في الأعمال، و أنّ ما قضاه الربّ سبحانه وقدّره لا بدّ من وقوعه، فتوسّط العمل لا فائدة فيه؟

الحقيقة أنّه قد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة- رضي الله عنهم- على النّبيّ صلى الله عليه و سلم فأجابهم بما فيه الشفاء، حيث أخبرهم بالقدر السّابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإنّ العبد ينال ما قدّر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكّن منه وهيّأ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أمّ الكتاب (اللوح المحفوظ)، وكلّما زاد اجتهادًا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه، وهذا كما قدّر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنّه لا ينال ذلك إلاّ بالاجتهاد والحرص على التعلّم وأسبابه[3].. ، وهكذا الأسباب التي بها مصالهم الأخروية في معادهم، فإذا علم العبد أنّ مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشدّ اجتهادًا في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه.

2 ـ مسألة خلق أفعال العباد:

و يتفرّع عن الكلام السّابق قضيّة هامّة لها صلة وثيقة بالقضاء والقدر، ألا وهي مسألة خلق أفعال العباد، من حيث كون هذه الأعمال الصادرة من الإنسان هل هي باختياره أم هو مجبر عليها؟

و بعبارة أخرى: هل الإنسان موجد لفعله، مخترع له بإرادته، والربّ لا يوصف بالقدرة على مقدور العبد ولا تدخل أفعاله تحت قدرته كما لا يوصف العبد بمقدور الربّ ولا تدخل أفعاله تحت قدره ؟ أم أنّه مجبور على أفعاله، مقهور عليها، لا تأثير له في وجودها البتّة، وهي واقعة بإرادته تعالى واختياره.. ، ولا تنسب إلى العبد إلاّ مجازًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يلوم الله سبحانه وتعالى العبد ويعاقبه ويخلّده في النّار على ما لم يكن للعبد فيه صنع، ولا هو فعله، بل هو محض فعل الله تعالى؟ [4] أيكون ذلك عدلاً ؟ أم الأمر خلاف ذلك ؟

---

(1) كبرى اليقينيات الكونية ص: 160
(2) سورة الفرقان: 02
(3) شفاء العليل ص: 24-25 -بتصرّف
(4) شفاء العليل ص: 49 - بتصرّف

وقبل معرفة موقف الشيخ فيها، نرى أنّه من المستحسن أن نذكر أراء أهمّ الفرق فيها، و هي:

الجهميّة: قالوا: إنّ الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وأنّما هو مجبور[1] في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، و إنّما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرّك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيّمت السماء وأمطرت.. ، والثواب والعقاب جبر، وإذا ثبت الجبر، فالتكليف أيضًا كان جبر[2].

المعتزلة: قالوا: إنّ جميع الأعمال الاختيارية من خلق الإنسان، وأنّه ليس لله ✞ في أكسابها ولا في أعمالها صنع وتقدير كما صرّح بذلك القاضي عبد الجبّار: « إنّ أفعال العباد من تصرّفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وإنّ الله ✞ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأنّ قال: إنّ الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه »[3] .

موقف الثعالبي من المسألة:

ذهب-رحمه الله- إلى القول بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد ومقدّرها.. ، وفي نفس الوقت أنّ العباد فاعلون حقيقة، ولا تعارض في ذلك بين الأمرين؛ فلا مشيئة ولا إرادة إلاّ مشيئته وإرادته، ومن إرادته تعالى أن أعطى العبد القدرة على الفعل، ومن ثمّ فالثواب والعقاب متعلّق بكسب العبد، فهو محاسب على أفعاله الاختيارية، إن عمل خيرًا فخير وإن عمل شرًا فشرّ.

و قد اتّخذ من الآيات القرآنية الكريمة سندًا في بيان رأيه كما هو الشأن في تفسير قوله تعالى: {**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**}[4] ، يقول: « واختلف المتأوّلون في قوله (وما تعملون): فذهب جماعة من المفسّرين أنّ (ما) مصدرية؛ والمعنى: أنّ الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق الله تعالى أفعال العباد، وهو مذهب أهل السنّة »[5].

وممّا يوضّح رأيه أكثر ما يشير إليه من كون العصاة يعذّبون بنوع ما عصوا به يوم القيامة، وفي ذلك إشارة قاطعة إلى أنّ الثواب والعقاب متعلّق بكسب الإنسان، ومن ثمّ فهو محاسب على أعماله الاختيارية، وهذا ما نلمسه عند تفسير قوله تعالى: {**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ**

---

(1) مأخوذ من الجبر: وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى ؛ انظر: الملل والنحل 61/1 ؛ شفاء العليل ص: 49

(2) الملل والنحل 61/1-62

(3) نفس المصدر السابق 61/1 ؛ الفرق بين الفرق ص: 114 ؛ المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار بن أحمد 03/8 تحقيق: د. عبد الحليم محمود وسليمان دنيا، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(4) سورة الصافات: 96

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 34/4

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}((1)، يستعين في تأويل الآية بما صحّ عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم في بيان أنّ العبد ينال ما قدّر له بالسبب الذي مكّن منه، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في اللوح المحفوظ، وبهذا يتحمّل تبعات أفعاله الصادرة عنه حيث يقول: « واعلم أنّه قد وردت أثار بتعذيب العصاة بنوع ما عصوا به، كحديث: « من قتل نفسه بحديدة فهو يجأ نفسه بحديدته، والذي قتل نفسه بالسمّ فهو يتحسّاه في نار جهنّم »(2)، و نحو ذلك(3).

فإضافة فعل القتل للإنسان هو إضافة فعل وكسب، ولا ينفي إضافته إليه سبحانه خلقًا ومشيئة، فهو سبحانه وتعالى شاءه قدرًا وإن كان لا يحبّه ولا يرضاه شرعًا، والعبد فعله وكسبه حقيقة، فلو لم يكن هذا الفعل مضافًا إلى مشيئته ✞ وقدرته وخلقه لاستحال وقوعه من العبد، إذ العبد أعجز وأضعف من أن يفعل ما لم يشأه الله ولم يقدر عليه ولا خلقه.

و في هذا السياق يردّ على المخالفين لمذهب أهل السنّة والجماعة، فيردّ على المعتزلة- ولو باختصار شديد- في قولهم بأنّ الإنسان يخلق أفعاله، فيتّخذ من آيات القرآن الكريم سندًا في تقوية رأيه، من ذلك مثلاً تفسيره لقوله جلّ وعلا: {**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**}(4) ، يقول: « وفيها ردّ على من قال بأنّ المرء يخلق أفعاله »(5) .

والردّ نفسه يكرّره عند تفسير قوله ✞: {**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}(6) ، فيصرّح أنّ هذه الألفاظ تردّ على من يزعم أنّ أفعال العباد خلق لهم، ومذهب أهل السنّة أنّها خلق للربّ سبحانه، كسب للعبد(7) ؛ وفي موضع آخر وهو تفسير قوله تعالى: {**فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**} (8)، يقول ردًا عليهم ومبطلاً زعمهم: « أنّ الضمير في لفظة (يشرح): يعود على اسم الله ✞، ولا يحتمل غيره،

---

(1) سورة آل عمران: 180

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطبّ -باب: شرب السم والدواء به وبما يخاف منه 2179/5 برقم (5442)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وانّ من قتل نفسه بشيء عذّب به في النّار، وأنّه لا يدخل الجنّة إلاّ نفس مؤمنة 103/1 برقم (109)

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 398/1، 399

(4) سورة الأنعام: 137

(5)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 671/1

(6) سورة الأنفال: 17

(7) نفس المصدر السابق 118/2

(8) سورة الأنعام: 125

والقول بأنّه عائد على المهدي قول يتركّب عليه مذهب القدرية[1] في خلق الأعمال، ويجب أن يعتقد ضعفه والحذر منه »[2].

وأمّا ردّه على الجبرية [3]، فإنّنا نجده عند تفسير قوله تعالى: {**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**}[4] ، يقول مبطلاً زعمهم: « وفي هذه الآية نصّ على أنّ الثواب والعقاب متعلّق بكسب الإنسان، وهذا ردّ على الجبرية »[5].

إنّ هذا الرّد من الشيخ هو عادته ومنهجه في إبطال الآراء المخالفة لمذهب أهل السنّة والجماعة، فكلامه السّابق صريح في كون القائلين بالجبر، والقائلين بالاختيار على طرفي نقيض، والحقّ هو وسط بينهما، فإذا ضممنا ما مع كلّ طائفة منهما من الحقّ إلى حقّ الأخرى، فإنّما يدلّ ذلك على ما دلّ عليه القرآن.. ، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأنّ العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنّهم يستوجبون عليها المدح والذمّ، وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإنّ أدلّة الحقّ لا تتعارض، والحقّ يصدّق بعضه بعضًا [6].

و في هذا الشأن يقول الإمام ابن القيّم: « قالت أهل السنّة إضافتها -أي أفعال العباد- إليهم فعلا وكسبا لا ينفي إضافتها إليه سبحانه خلقًا ومشيئة، فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها، وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقه لاستحال وقوعها منهم، إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأه الله ولم يقدر عليه ولا خلقه »[7]).

هل الخواطر من كسب الإنسان؟

هذه مسألة فرعية تطرّق إليها الشيخ ولها علاقة بقضية خلق أفعال العباد، بمعنى: هل الخواطر التي تجول بخاطر الإنسان تعتبر من كسبه؟ أم لا ؟

يجيب بالنفي، أي: أنّها ليست من كسبه، مبرّرا ذلك أنّ عبارة الحسنات المرادة في قوله تعالى: {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**} [8]، وردت بصيغة (لها)، من حيث هي ممّا يفرح الإنسان بكسبه ويسرّ المرء، فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيّئة ب (عليها)، من حيث هي أوزار وأثقال ومتحمّلات صعبة، وهذا كما

---

(1) نسبة للقول بالقدر، وأكثر ما تطلق على المعتزلة القائلين بأنّ العباد موجدون لأفعالهم، مخترعون لها بقدرهم وإرادتهم، والربّ لا يوصف بالقدرة على مقدور العبد ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته كما لا يوصف العباد بمقدور الربّ ولا تدخل أفعاله تحت قدرهم. انظر: شفاء العليل 51/1 ؛ الملل والنحل 170/1 ؛ 92/2

(2) نفس المصدر السابق 665/1-666

(3) مأخوذة من الجبر، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى، ومن رؤوس هذه الفرقة جهم بن صفوان. انظر: الملل والنحل61/1

(4) سورة البقرة: 281

(5) نفس المصدر السابق 275/1

(6) شرح العقيدة الطحاوية 640/1-641

(7) شفاء العليل ص: 54

(8) سورة البقرة: 286

تقول: لي مال وعليّ دين، وتكرير فعل الكسب مخالفة بين التصريفين حسنا لنمط الكلام كقوله تعالى: {**فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**}.[1]

هذا وجه من الجواب، والظاهر لنا أنّه يميل إليه، ويقوّيه ابتداؤه به؛ ثمّ يردفه بالوجه الثاني، وهو ما نقله عن ابن عطية من كون « الحسنات ممّا يكتسب دون تكلّف، إذ كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه، والسيّئات تكتسب ببناء المبالغة، إذ كاسبها يتكلّف في خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطّاه إليها[2]، فيحسن في الآية مجيء التصريفين لهذا المعنى »[3] .

3 ـ الهدي والإضلال

اتّضح لنا فيما مضى من موقف الثعالبي في مسألة خلق أفعال العباد وإبطاله مذهب الجبرية والمعتزلة فيها، أنّه يرى أنّ الله ✝ هو مالك كلّ شيء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فقد شاء الله تعالى أن يكون هناك خير وشرّ، أي أنّه يشاء الخير كونًا ويحبّه شرعًا، ويشاء الشرّ كونًا ولا يحبّه شرعاً.

أردنا أن نقول بهذا الكلام أنّ الهداية والإضلال بيد الله تعالى وحده، فمن اختار من عباده طريق الخير وسار عليه هداه الله إليه ومن اختار طريق الشرّ وأصرّ عليه تركه الله فيه.

و هذه المسألة ـالهدي والإضلالـ قد أخطأ فيها المعتزلة (القدرية)، ولهذا تطرّق إليها الشيخ وبيّن وجه الحقّ فيها، معتمدًا على ما قرّره علماء الكلام من أهل السنّة والجماعة، مع ردّه ـفي نفس الوقتـ على المعتزلة مبطلا مزاعمهم.

و قبل أن نبسط رأيه هنا يستحسن بنا أن نبيّن مراد المعتزلة من ذلك:

فالمعتزلة: يرون أنّ المراد من الهداية: التسمية والحكم، أو أنّها على معنى الثواب[4].

وأمّا الإضلال فقد حملوه على عدّة معان، منها: أنّه أضلّ عبدًا بمعنى: أنّه سمّاه ضالًا أو حكم بأنّه ضال أو جزاه على ضلالته[5].

و أمّا الشيخ، فإنّه قبل أن يردّ على المعتزلة في مرادهم من الهداية والإضلال، نراه يبدأ أوّلًا بذكر معاني لفظة الهداية في اللغة، مستدلاً عليها بآيات القرآن الكريم

---

(1) سورة الطارق: 17

(2) المحرّر الوجيز 393/1

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 285/1

(4) انظر: شفاء العليل ص: 177 ؛ أصول الدين ص: 141 ؛ ؛ الإرشاد ص: 211 ؛ تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبّار المعتزلي ص: 20 دار النهضة الحديثة-بيروت (د. ت. ط). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين للأشعري 324/1-325 تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-صيدا، بيروت 1416هـ-1995م.

(5) أصول الدين ص: 141 ؛ تنزيه القرآن عن المطاعن ص: 20

نفسه، حيث يشير إلى أنّها عند التأمّل ترجع إلى معنى الإرشاد، ومن ثمّ يبيّن أنّ الله ﷻ هو الذي يهدي من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم، ويضلّ من يشاء، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة؛ ففي تفسيره لقوله تعالى: {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**}[1] يقول: « والهداية في اللغة: الإرشاد، لكنّها تتصرّف على وجوه يعبّر عنها المفسّرون بغير لفظ الإرشاد، وكلّها إذا تأمّلت راجعة إلى الإرشاد »[2]؛ **ثمّ يبدأ ببيان هذه الوجوه وهي:**

I. **خلق الإيمان في القلب:** ومنه قوله تعالى: {**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**}[3]، وقوله {**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**}[4]، وقوله: {**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**}[5] ؛ ويقوّي هذا المعنى بما أورده عن الجويني -رحمه الله- بقوله: « فهذه الآيات لا يتّجه حملها إلاّ على خلق الإيمان في القلب، وهو محض الإرشاد »[6].

II. **الدّعاء:** كقوله تعالى: {**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**}[7] ، أي: داع، وقوله تعالى: {**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**}. ([8]

III. **الإلهام**: ومن ذلك قوله تعالى: {**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**}) [9])، أي: ألهم الحيوانات كلّها إلى منافعها.

IV. **البيان:** ومن ذلك قوله تعالى: {**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**}[10]، معناه: بيّنّا لهم، وقوله تعالى: {**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**}) [11])، أي: علينا أن نبيّن، وفي هذا كلّه معنى الإرشاد.

وقد عضّد الثعالبي ما ذهب إليه بما نقله عن الجويني -رحمه الله-: « و قد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها »[12]، كقوله تعالى في صفة المجاهدين: {**فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ(4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**}

---

(1) سورة الفاتحة: 05
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/38-39
(3) سورة البقرة: 04
(4) سورة البقرة: 213
(5) سورة القصص: 56
(6) انظر: الإرشاد ص: 88 ؛ التمهيد ص: 376-379 ؛ المواقف ص: 319-323
(7) سورة الرعد: 08
(8) سورة الشورى: 52
(9) سورة طه: 50
(10) سورة فصّلت: 17
(11) سورة الليل: 12
(12) الإرشاد ص: 88 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 1/137 وما بعدها

[1]، ومنه قوله تعالى: {**فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**}[2] معناه: فاسلكوهم إليها ؛ و منها قول ابن عطية: « وهذه الهداية بعينها هي التي تقال في طرق الدنيا، وهي ضدّ الضلال، وهي الواقعة في قوله تعالى: {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**}[3] على صحيح التأويلات، وذلك بيّن من لفظ الصّراط »[4].

بعد هذا العرض والبيان لمعاني الهداية في اللغة وأدلّتها من القرآن وما قرّره العلماء على لسان الجويني وابن عطية؛ يوضّح الثعالبي أنّ الهدي والإضلال بيد الله وحده، فهو تعالى الذي يهدي من يشاء من عباده إلى طريق الحقّ، ببيان طريق الخير، وتوفيقه إيّاهم وإعانته لهم، ويضلّ من يشاء من عباده، وذلك بجعل صدورهم ضيّقة تحول بينهم وبين قبول الحقّ، وهذا ما أشار إليه عند تفسير قوله تعالى: {**فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**}[5]، يقول: « والآية نصّ في أنّ الله يريد هدي المؤمن وضلال الكافر، وهذا عند جميع أهل السنّة بالإرادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى، والهدي هنا هو: خلق الإيمان في القلب، وشرح الصّدر هو: تسهيل الإيمان وتحبيبه وإعداد القلب لقبوله وتحصيله.. » إلى أن يقول: « والقول في قوله (ومن يرد أن يضلّه)كالقول في قوله (فمن يرد أن يهديه)، وقوله (كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون) أي: وكما كان الهدى كلّه من الله والضلال بإرادته تعالى ومشيئته، كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون) »[6].

و لم يكتف الثعالبي بهذا القدر في بيان وجه الحقّ في المسألة، بل اتّجه للردّ على المعتزلة ومن يقول برأيهم، فأبطل ادّعاءهم كلّيّة اعتمادًا على ما دلّت عليه آيات القرآن الكريم، وذلك في مواطن عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

تفسيره لقوله تعالى: {**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**}[7]، يردّ عليهم ناقلًا كلام ابن عطية، و هو أنّ: « الهدى الذي ليس على نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم هو خلق الإيمان في قلوبهم، وأمّا الهدى الذي هو الدّعاء فهو عليه صلى الله عليه و سلم ، وليس بمراد في الآية، ثمّ أخبر سبحانه أنّه يهدي من يشاء ؛ وفي الآية ردّ على القدرية وطوائف المعتزلة »[8]. [9]

---

(1) سورة محمّد: 4-5
(2) سورة الصّافّات: 23
(3) سورة الفاتحة: 06
(4) المحرّر الوجيز 367/1
(5) سورة الأنعام: 125
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 665/1-666
(7) سورة البقرة: 272
(8) المحرّر الوجيز 367/1
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 265/1

كما اتّخذ من قوله تعالى: {**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**} ((1)، دليلًا قويًّا في الرّدّ على المعتزلة وغيرها من أهل الأهواء، فأفحمهم وأبطل ادّعاءهم، بعد أن ذكر أهمّ الأقوال في بيان لفظة (ثمّ اهتدى) مشيرًا إلى اضطراب النّاس فيها من حيث وجدوا الهدى ضمن الإيمان والعمل، ومرجّحًا الرأي الأقوى صوابًا بمعنى: ثمّ حفظ معتقداته من أن تخالف الحقّ في شيء من الأشياء، فإنّ الاهتداء على هذا الوجه غير الإيمان وغير العمل، وربّ مؤمن قد أربقه عدم الاهتداء كالقدرية والمرجئة وسائر أهل البدع. فمعناها: ثمّ مشى في عقائد الشرع على طريق قويم، جعلنا الله منهم بمنّه، وفي حفظ المعتقدات ينحصر معظم أمر الشرع(2).

والثعالبي بهذا قد خالف المعتزلة مخالفة جذرية في مرادهم من الهداية والإضلال، وأثبت أنّهما لله تعالى فقط، فهو يضلّ ويهدي من يشاء من عباده، وهذا ما تقرّر في مذهب أهل السنّة والجماعة، وفي ذلك يقول البغدادي -رحمه الله-: « و قد أخطأوا- القدرية- في تأويلهم من طريق اللغة ومن طريق المعنى ؛ أمّا من طريق اللغة فلأنّ من سمّى غيره ضالًّا أو نسبه إلى الضلالة فإنّما يقال فيه: أنّه ضلّله (بالتشديد)، ولا يقال أضلّه؛ وأمّا من المعنى فمن جهة أنّ الإضلال من الله لو كان بمعنى التّسمية والحكم لوجب أن يقال أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم قد أضلّ الكفرة لأنّه سمّاهم ضالّين وحكم بضلالتهم، ووجب أن يقال أنّ الكفرة والشّياطين قد أضلّوا المؤمنين والأنبياء لأنّهم قد سمّوهم ضالّين... ، وإذا بطل هذا صحّ أنّ الهداية والإضلال من الله تعالى »(3).

4 - الحسن والقبح

وتتعلّق بقضيّة الهدي والإضلال مسألة أخرى هي: مسألة الحسن والقبح، بمعنى: هل الحسن والقبح شرعيان أم عقليان أم هما معًا ؟ هذا ما سنتعرّف عليه خلال هذا المبحث.

وقبل أن نبيّن موقف الثعالبي من المسألة، نرى من المناسب أن نستعرض معنى اللفظتين في اللغة والاصطلاح. ثمّ محلّ النّزاع فيها بين أهمّ الفرق.

---

(1) سورة طه: 82

(2) نفس المصدر السابق 57/4 ؛ 55/3، 56

(3) أصول الدين ص: 141

معنى الحسن والقبح في اللغة: [1]

الحسن لغة: ضدّ القبح ونقيضه، وهو: الجمال، وجمعه: محاسن، وقيل: هو عبارة عن تناسب الأعضاء أو: كلّ مبهج مرغوب فيه.

و القبح لغة: ضدّ الحسن، ويكون في الصورة والفعل، تقول: قبح يقبح قبحًا وقبوحًا وقباحة، فهو قبيح، وقبّحه الله: أقصاه ونحّاه وباعده عن الخير كلّه، وفي القرآن: {**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ**}[2] أي: من الموسومين بحالة منكرة[3].

وأمّا في الاصطلاح: فإنّ الحسن والقبح يطلقان على معان ثلاثة[4] ، هي :

الأولى: ملاءمة الغرض ومنافرته، فما وافق الغرض كان حسنًا وما خالفه كان قبيحًا، وما ليس كذلك لم يكن حسنًا ولا قبيحًا.

الثّانية: صفة الكمال والنّقص، فالحسن: كون الصّفة صفة كمال والقبح: كون الصّفة صفة نقصان، يقال العلم حسن والجهل قبيح.

وهذان المعنيان محلّ اتّفاق بين العلماء في أنّهما أمران عقليان يدركهما العقل، فكون الفعل ملائمًا للغرض أو منافرًا له أمر يستقلّ العقل بإدراكه ولا تعلّق له بالشرع[5].

الثّالثة: كون الفعل بحيث يتعلّق به المدح في العاجل والثّواب في الآجل وكونه بحيث يتعلّق به الذمّ عاجلًا والعقاب آجلًا، فالحسن على هذا: ما تعلّق به المدح في العاجل والثّواب في الآجل؛ والقبح: ما تعلّق به الذمّ والعقاب عاجلًا وآجلًا [6].

فالحسن والقبح بهذا المعنى هو محلّ النّزاع، وهذا الآن تفصيل المسألة:

السّلف: وهم يرون أنّ بعض الأفعال حسنة في نفسها، وبعضها قبيح كذلك، فالأفعال ليست سواء في نفس الأمر عن ورود الشرع، فالفعل عندهم حسن في نفسه وحسن بإيجاب الشّارع له، كما أنّ بعض الأفعال قبيح في نفسه وقبيح بالنّهي عنه. وفي هذا يقول ابن القيّم -رحمه الله-: « من المحال أن يكون الدّم والبول والرّجيع مساويًا للخبز والماء والفاكهة، وإنّما الشّارع فرّق بينهما، فأباح هذا وحرّم هذا » [7].

---

(1) انظر: القاموس المحيط 215/4 فصل الحاء- باب النون مادة (حسن)؛ 250/1 -فصل الفاء والقاف -باب الحاء مادة (قبح)؛ الكلّيات ص: 402 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 117-404

(2) سورة القصص: 42

(3) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 404

(4) الكلّيات ص: 402

(5) شرح المواقف 182/8

(6) مفتاح دار السعادة 44/2 ؛ الأربعين في أصول الدين ص: 246 ؛ الكلّيات ص: 402

(7) مفتاح دار السعادة 05/2

والسّلف وإن قالوا بالحسن والقبح الذّاتيين، لا يرون ترتّب العقاب على فعل القبيح أمرًا لازمًا، ذلك أنّ العقاب عندهم وإن كان سببه قائمًا إلاّ أنّه مشروط بورود الشرع دفعًا للعذر؛ فلا يعاقب إنسان بناءً على مقتضى ما أدرك قبل ورود الشّرع من قبح، فلولا ورود الشّرع بالعقاب لم يعاقب فاعل القبيح وإن كان مستحقًّا للعقاب، يقول تعالى: {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**}[1] ، ويقول أيضًا: {**وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**} [2].

يقول ابن القيّم: « والتحقيق في هذا أنّ سبب العقاب قائم قبل البعثة، ولكنّ لا يلزم من وجود سبب العذاب حصوله، لأنّ هذا السّبب قد نصّب الله له شرطًا وهو بعثة الرّسل، وانتفاء التعذيب قبل البعثة هو لانتفاء شرطه لا لعدم سببه ومقتضيه، وهذا فصل الخطاب، وبه يزول كلّ إشكال في المسألة ». [3]

وأمّا المعتزلة: فقالوا أنّ للفعل في نفسه جهة محسّنة مقتضية استحقاق فاعله مدحًا وثوابًا مع قطع النّظر عن الشّرع، أو جهة مقبّحة تقتضي استحقاق فاعله ذمًّا وعقابًا، ويمكن للفعل إدراك حسن الأفعال وقبحها من غير حاجة إلى الشّرع[4].

ولمّا كان الله منزّهًا عن العبث، وكلّ أفعاله لحكمة، بل هذه لحكمة موجبة ؛ بمعنى: أنّه لابدّ أن يفعل الصلاح، والصلاح في الحسن والنّهي عن القبيح ؛ إذن فهذان معلومان بالعقل، والواجب التزام الحسن واجتناب القبيح[5]، وإن لم يرد شرع، فإنّ ورد فهو مؤكّد أو مفصّل لا غير.

فالعقل هو المقياس قبل الأوامر الإلهية، والشريعة لا تعطي للأفعال قيمتها الخلقية ولكنّ القيمة شيء ذاتي وصفة لازمة لا تنفكّ عن الفعل؛ فالأمانة والصدق والعطف على اليتيم وحبّ الجار.. ، كلّها مسلّمات أخلاقية لا تحتاج إلى شريعة، بل العقل يدركها بنفسه. يقول القاضي عبد الجبّار: « إنّ العلم بالمقبّحات وأصول المحسّنات الواجبات ضروريّ، وهو من جملة كمال العقل »[6].

أمّا بعد ورود الشرائع فالله سبحانه يكشف لنا نهيه عن القبيح، ولا يوجب قبحه، وكذلك أمره يكشف لنا الحسن ولا يوجبه. فنحن قد توصّلنا أو قد نستطيع أن نتوصّل إلى ذلك بعقولنا، أمّا دور الرّسل فما هو إلاّ تذكرة لما في الفطر وتأكيد لما توصّل

---

(1) سورة الإسراء: 15

(2) سورة القصص: 47

(3) نفس المصدر السابق 39/2

(4) انظر: الإرشاد ص: 258 ؛ المغني 151/14 ؛ شرح المواقف لعلي بن محمد الجرجاني ص: 300 تحقيق: د. أحمد المهدي، مطبعة السعادة ط(1) 1315 هـ.

(5) الملل والنحل 36/1

(6) المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص: 234 تحقيق: عمر سيد عزمي، المؤسسة العامة للتأليف والنشر.

إليه العقل من تفضيل الحسن واستقباح القبيح إلى جانب أنّها تحضّنا على النّظر وتفصّل لنا أمور الدّين[1].

أمّا بالنّسبة للثواب والعقاب، فالعقل عند المعتزلة يوجب استحقاق الثّواب والمدح على فعل الحسن واستحقاق العقاب والذمّ على فعل القبيح، ولكنّ لا يلزم من ذلك وقوعه لجواز العفو عنه، هذا قبل البعثة ؛ أمّا بعد البعثة فلا، والفرق أنّه بعد إرسال الرّسل قد ورد الوعيد بواسطة الرّسالة، أمّا قبله فإنّ هذا الوعيد لم يرد حتّى يلزم بالعفو إخلافه، فغاية العفو حينئذ ترك الله حقًّا وجب له وهذا أحسن[2].

وأمّا الأشاعرة: فقد منعوا أن يكون بهذا المعنى عقليًا، فتعلّق المدح والثّواب والذمّ والعقاب بأفعال المكلّفين تابع لأمر الشارع ونهيه[3].

فالواجبات كلّها سمعية والعقل لا يوجب شيئًا ولا يقتضي تحسينًا ولا تقبيحًا، فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل وبالسمع تجب[4]، كما قال تعالى: {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**}. (5)

إنّ موقف الأشاعرة هذا مبنيّ أساسًا على نفي تعليل أفعال الله ﷻ، فهو لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، إن شاء أمر بالقبيح ونهى عن الحسن أو ضدّه، وإن شاء أدخل الأنبياء النّار وأدخل إبليس الجنّة، فالأفعال الصّادرة عن الحكيم لا تعلّل أوّلاً، لأنّ حكمته قد تقصر عن فهمها عقولنا، وثانيًا لأنّ العلل لا تجوز عليه سبحانه إذ هي تعتمد على المنافع ودفع المضار؛ وهذا لا يجوز في حقّه سبحانه[6]. فكلّ الأفعال تردّ إلى مشيئته وصرف إرادته[7].

فالحسن بمعنى استحقاق الثّواب عند الله، والقبح بمعنى استحقاق العقاب عنده سبحانه، لا يمكن تعليله أو إدراكه بالعقل، صحيح أنّ العقل يدرك الحسن بمعنى صفة الكمال أو بمعنى ملاءمة الطّبع، والقبح بمعناه المقابل، ولا يجادل أحد أنّ ذلك صفة كائنة في الفعل، لكنّ هذا شيء وكونه علّة لحكم الله على وفق ما أدركه العقل أو لاستحقاق هذا الحكم شيء آخر لا سبيل إليه قطّ وإلاّ وقعنا في محظور تعليل أفعال

---

(1) الكشّاف 398/1

(2) مفتاح دار السعادة 42/2 (نقلاً عن كتاب ابن القيّم وآراؤه الكلامية لمحمد عبد الرحيم الزيني قاسم ص: 225-227 -بتصرّف، رسالة ماجستير تحت إشراف: د. محمد عاطف العراقي، كلية الآداب، قسم الفلسفة-جامعة القاهرة 1400هـ-1980م).

(3) الإرشاد ص: 258

(4) الملل والنحل 73/1

(5) سورة الإسراء: 15

(6) التمهيد ص: 51

(7) مدارج السالكين بين إيال نعبد وإياك نستعين لابن القيم 49/1 دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ.

الله وأحكامه ؛ فوجوب شكر نعم المنعم واستحقاق وإثابة المطيع وعقاب العاصي، كلّ هذا إنّما يكون بالسمع لا بالعقل[1].

موقف الثعالبي من مسألة الحسن والقبح :

يرى أنّ الحسن والقبح شرعيان، فالعقل عنده لا يوجب ولا يكلّف، وإنّما هو الشّرع، ولا يستحقّ العبد العقاب إلاّ بترك ما كلّف، وهو بهذا قد عارض مذهب المعتزلة القائلين أنّهما عقليين، ويوافق مذهب الأشاعرة ؛ نلاحظ ذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**}[2]، حيث يبيّن أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم هو وغيره مخاطب بشرع من قبله في التوحيد والعقود والإيمان، اعتمادًا على أنّ شرعنا يخبر أنّ الكفّار قبل النّبيّ- عليه السّلام- كأبويه وغيرهما في النّار، ولا يدخل الله أحدًا النّار إلاّ بترك ما كلّف، كقوله تعالى: {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**}[3] ، فالعقل لا يوجب ولا يكلّف، وإنّما هو الشرع.. ، فواجب على الآدميّ أنّ يبحث عن الشّرع الآمر بتوحيد الله، وينظر في الأدلّة المنصوبة على ذلك. فمن فرضناه لم يجد سبيلاً إلى العلم بشرع آمر بتوحيد الله، وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنمًا بل تخلّى، فأولئك أهل الفترات الذين أطلق العلم أنّهم في الجنّة، وهم بمنزلة الأطفال والمجاني، ومن قصّر في النّظر والبحث فعبد صنمًا أو غيره وكفر فهو تارك للواجب عليه، مستوجب للعقاب بالنّار، فالنّبيّ صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه ومن كان معه من النّاس وقبله مخاطبون على ألسنة الأنبياء قبل التوحيد، وغير مخاطبون بفروع شرائعهم إذ هي مختلفة وإذ لم يدعهم إليها نبيّ»[4] .

5 ـ الحكمة و التعليل في أفعال الله تعالى:

والمراد بذلك: هل أنّ أفعال الله تعالى و أوامره معلّلة بعلل غائية، وحكم بالغة أو أنّها غير معلّلة؟ ومن ثم فإنها صادرة لا لحكمة أو غاية، بل بمحض الإرادة والمشيئة ؟:

فذهب الأشاعرة: إلى أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض[5]؛ وخالفهم في ذلك المعتزلة[6] بناء على مذهبهم في الحسن و القبح، فأوجبوا على الله تعالى التعليل -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

بينما ذهب جمهور أهل السنة إلى إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى[7] بمعنى: أنّ أفعال الله ✞ وأوامره معللة بالأغراض والحكم والغايات.

---

(1) الملل والنحل 73/1 ؛ ابن القيّم وآراؤه الكلامية لعبد الرحيم الزيني قاسم ص: 227-228 - اقتباسًا منه مع بعض التصرّف

(2) سورة الأنعام: 90

(3) سورة الإسراء: 15

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 644/1-645 -بتصرّف ؛ 71/3-72

(5) المواقف ص: 331-332

(6) نفس المصدر السابق والصفحة

(7) شفاء العليل ص: 178 وما بعدها

وأمّا الثعالبي فقد وافق جمهور أهل السنة فيما قرّروه، وهو ما دلت عليه آيات قرآنية كثيرة، كقوله جل وعلا في ثنائه على عباده المؤمنين {**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ**}(1). « أي: يقولون يا ربّنا على النّداء (ما خلقت هذا باطلاً) يريد لغير غاية منصوبة بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيوحّدوك ويعبدوك، فمن فعل ذلك نعّمته ، و من ظلّ عن ذلك عذّبته، وقولهم (سبحانك) أي تنزيها لك عمّا يقول المبطلون... " (2)، وقد استنكر تعالى على من ظنّ أنه خُلِق لغير هدف، فقال: {**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**} (3) يشير إلى أنّ: لفظ (عبثا) في الآية معناه: باطلاً لغير غاية مرادة (4)، فدل ذلك على أنّه تعالى خلقهم لحكمة عظيمة وجليلة هي توحيده وطاعته ولذلك قال ✞: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} (5)، جاء في تفسيره للآية: « المعنى ما خلقت الجن و الإنس إلاّ لآمرهم بعبادتي و ليقرّوا لي بالعبودية.. (6) وقوله: {**خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**}(7) أي لا للعبث واللعب بل ليدلّ على سلطانه وتثبيت شرائعه، و يضع الدلالة لأهلها و يعم بالمنافع إلى غير ذلك ممّا لا يحص عدّاً »(8).

و ممّا يؤكد موقفه في إثبات تعليل أفعال الله تعالى بعثته تعالى للأنبياء و الرسل لهداية الخلق، و التي أشار إليها تعالى بقوله: {**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**}(9) حيث يذكر الثعالبي بأن الله سبحانه أراد أن يقطع بالرسل احتجاج من يقول: لو بعث إليّ رسول لآمنت، و الله سبحانه عزيز لا يغالبه شيء، ولا حجة لأحد عليه حكيم في أفعاله، فقطع الحجة بالرسل حكمة منه سبحانه »(10).

ففي هذه الآيات السابقة و غيرها دلالة قوية على أنّ الله تعالى خلق الخلق لغاية جليلة عليهم أن يؤدّوها، و لا يلزم من إثبات الحكمة في أفعال الله أن ندركها في كلّ فعل، فقد تبدو واضحة في بعضها و قد تخفى علينا في أخرى، و الحكمة في ذلك إلى الله، إذ قد تقصر أفهامنا عن إدراكها وتعجز عقولنا عن بلوغها، و إلى هذا أشار الثعالبي في معرض تفسيره قوله سبحانه و تعالى: {**قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي**

---

(1) سورة آل عمران: 191
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/401-406 ؛ 4/107
(3) سورة المؤمنون: 115
(4) نفس المصدر السابق 3/166
(5) سورة الذّاريات: 56
(6)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/288
(7) سورة العنكبوت: 44
(8) نفس المصدر السابق 3/298
(9) سورة النساء: 165
(10) نفس المصدر السابق 1/515

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [1] أي الذي يعلم سرّ جميع الأشياء التي في السماوات و الأرض، ويعلم الحكمة في خلقها وكذلك في خلقنا و خلق جميع المخلوقات »[2]، و يستعين في بيان رأيه بما نقله عن الشيخ عبد الله بن أبي جمرة من أنه: لما كان المراد منا بمحض الحكمة الربّانية العبادة ودوامها -و لذلك خلقنا- كما ذكر مولانا سبحانه في الآية الكريمة يعنى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}[3]، وهو ✞ غنيّ عن عبادتنا، وعن كلّ شيء، لكن الحكمة اقتضته لأمر لا يعلمه إلاّ هو [4]؛ وهذا المعنى نفسه نجده عند تفسير قوله تعالى: {**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}[5]، حيث يقول: « والمعنى إن يكن لك في النّاس معذّبون فهم عبادك، و إن يكن مغفور لهم فعزّتك و حكمتك تقتضي هذا كله » [6].

أمّا التعليل في أفعال الله فقد ورد في القرآن الكريم، في مواضع متعدّدة، وبأدوات مختلفة، ومن أهمها:

لام التعليل التي تسمّى لام كي: كقوله تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}[7]، وهذا ما عليه جمهور أهل السنّة والجماعة خلافًا لمن ينفي ذلك من الأشاعرة ومن وافقهم حيث يسمّونها لام العاقبة والصيرورة[8] وفيما يلي: نماذج توضيحية من آيات القرآن الكريم فيها تعليل أفعال الله:

قوله ✞: {**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**}[9] يقول: « أي إلاّ ليبشروا بأنعامنا ورحمتنا من آمن، ومنذرين بعذابنا وعقابنا من كذّب وكفر، ويستعين بما قاله أبو حيان من أنّ (مبشرين ومنذرين) حال فيها معنى العلّية، أي: أرسلناهم للبشير والإنذار »[10]، ومثله قوله ✞: {**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**}[11] جاء في تفسيره للآية: والقرّاء على كسر اللام في الثلاثة الأفعال، على أنّها لام كي »[12].

---

(1) سورة الفرقان: 06
(2)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 202/3 -بتصرّف
(3) سورة الذّاريات: 56
(4) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(5) سورة المائدة: 118
(6)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 598/1-599
(7) سورة الذاريات : 56
(8) مجموع فتاوى ابن تيمية 37/8، 38، 44، 186، 187 ؛ ومنهاج السنّة 14/3، 32
(9) سورة الأنعام : 48
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 623/1
(11) سورة الأنعام : 113
(12)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 661/1 ؛ 388/2

ومثل الآية السابقة، قوله تعالى: {**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(1)لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**}(1)، اكتفى هنا بالإشارة إلى أهمّ الأقوال في بيان اللام، منها ما قاله أبو حيّان بأنّ اللام في قوله (ليغفر) اللام للعلّة(2).

وقوله تعالى: {**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**}(3)، ظاهر كلام الثعالبي في تفسيره لهذه الآية يفيد بأنّ اللام الداخلة على الفعل (يبلوكم) للتعليل، حتّى وإن لم يشر إلى ذلك صراحة، حيث يقول: « وقوله سبحانه (ليبلوكم) أي جعل لكم هاتين الحالتين ليختبركم في حال الحياة ويجازيكم بعد الممات »(4).

وقوله تعالى: {**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**}(5) أي: جعلنا ما على الأرض زينة وامتحانًا واختبارًا (6).

وجاء التعليل بلفظ (من أجل): كقوله جلّ وعلا: {**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**}(7) يذكر بأنّ الآية الكريمة إشارة إلى ما تضمّنته هذه القصّة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام، لا أنّه إشارة إلى قصة قابيل وهابيل... ، وجمهور النّاس على أنّ قوله: (من أجل ذلك) متعلّق بقوله (كتبنا) أي من أجل هذه النازلة ومن جرّها كتبنا، وقال قوم: بل هو متعلّق بقوله (من النادمين) أي: ندم من أجل ما وقع »(8).

كما جاء التعليل بلفظ (لعّل): مثاله ترخيص الله ✞ الفطر في رمضان في قوله تعالى: {**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}(9).

جاء في تفسيره لقوله (لعلكم تشكرون): أنّه ترجّ في حقّ البشر، أي على نعم الله في الهدى، ويستأنس هنا بما نقله عن الصفاقسي بأنّ (لعلكم تشكرون) علّة الترخيص والتيسير، وهذا نوع من اللطف، لطيف المسلك » (10).

هذا ما أوضحه الثعالبي في مسألة تعليل أفعال الله تعالى من خلال تفسيره للآيات، وهو موافق لما تقرّر في مذهب أهل السنّة والجماعة، خلافًا للأشاعرة. غير أنّنا وجدناه يجيز تفسير لام التعليل في بعض الآيات بلام الصيرورة والعاقبة، كما هو الشأن في معرض تفسير قوله ✞: {**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً**

---

(1) سورة الفتح : 1، 2
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 236/4، ومع الأسف فإنّ الثعالبي، يكتفي أحيانا بسرد الأقوال في المسائل والقضايا دون أن يبيّن موقفه فيها بوضوح.
(3) سورة الملك : 02
(4) نفس المصدر السابق 440/4
(5) سورة الكهف : 07
(6) نفس المصدر السابق 510/2
(7) سورة المائدة : 32
(8) نفس المصدر السابق 546/1
(9) سورة البقرة : 185
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 173/1

وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ}[1] حيث يذكر بأنّ اللام في قوله (ليضلّوا) لام كي، ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة[2]. والمعنى آتيتهم ذلك فصار أمرهم إلى كذا. ونفس الشيء نجده عند تفسير قوله تعالى: {**وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**}[3] حيث يشير إلى أنّ الجمهور قرأ (وليقولوا دَرَسْتَ) بكسر اللام على أنّها لام لكي، وهي على هذا لام الصيرورة، أي صار أمرهم إلى ذلك » [4].

ما ذكره رحمه الله من احتمال أن تكون اللام الواردة في هاتين الآيتين السابقتين لام الصيرورة والعاقبة، قولٌ ضعيف مخالفٌ لقول جمهور أهل السنّة والجماعة، وذلك لأن لام العاقبة لا تكون في حقّه سبحانه و تعالى بل تكون في حقّ من هو جاهل بالعاقبة[5]، أما الله تعالى فلا، لأنّه العالم بكلّ شيء والقادر على كلّ شيء. وفي هذا الشأن يقول الإمام ابن تيمية: « إن لام العاقبة التي لم يقصد فيها الفعل لأجل العاقبة إنّما تكون من جاهل أو عاجز. فالجاهل كقوله تعالى: {**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**}[6] لم يعلم فرعون بهذه العاقبة، والعاجز كقولهم: (لدّوا للموت وابنوا للخراب) فإنّهم يعلمون هذه العاقبة، لكنّهم عاجزون عن دفعها، والله تعالى عليم قدير فلا يقال: إن فعله كفعل الجاهل العاجز » [7].

وبهذا يتقرّر أنّ اللام الواردة في أفعاله تعالى وأحكامه هي لام الحكمة والغاية، وهو الحقّ الذي ينبغي اعتقاده.

المطلب الثاني: التكليف بما لا يطاق ومسائل أخرى

1 ـ اللطف والأصلح

من آراء المعتزلة الصّادرة عنهم قولهم: ليس عند الله تعالى شيء أصلح ممّا أعطاه جميع النّاس. وهذه الفكرة انبثقت عن قرارهم الفاسد، حيث قالوا بوجوب اللطف[8]

والأصلح[1] على الله تعالى، وأنّه يجب عليه أنّ يفعلها مع خلقه.

---

(1) سورة يونس : 88
(2) نفس المصدر السابق 255/2
(3) سورة الأنعام : 105
(4) نفس المصدر السابق 656/1
(5) يشير الثعالبي نقلا عن الصفاقسي إلى أن اللام للتعليل المجازي، ولمّا كان مآله إلى ذلك عبّر عنه بلام العاقبة وبلام الصيرورة ؛ نفس المصدر السابق 268/3
(6) سورة القصص : 08
(7) مجموع فتاوى ابن تيمية 44/8، 187
(8) **اللطف:** معناه عندهم أن يفعل الله تعالى ما يقرّب العبد إلى الطاعة، ويبعده عن المعصية، وفي هذا يقول القاضي عبد الجبّار: " إنّ اللطف هو كلّ ما يختار عنده المرء الواجب، ويتجنّب القبح، أو ما يكون عنده أقرب إمّا إلى اختيار الحسن أو إلى ترك القبيح" ؛ انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص: 519 تحقيق: عبد الكريم عثمان، مطبعة الاستقلال-القاهرة ط(1) 1384هـ.

لذلك عارض الثعالبي المعتزلة في قولهم بالصّلاح والأصلح معارضة شديدة ، حيث يبيّن أنّه سبحانه و تعالى لا يجب عليه شيء بإيجاب غيره، بل لا يعقل في حقّه الوجوب إلاّ ما أخبرنا سبحانه به أنّه كتبه على نفسه، فالله قد يعد شيئًا فيفي بالوعد كرمًا وفضلاً ، كما قال تعالى: {**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**}(2)، وقوله عليه السّلام في الحديث القدسي فيما يرويه عن ربّه: « إنّ الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إنّ رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش »(3).

فلا غرابة أن يقرّر الثعالبي ذلك في مواضع من كتابه، كما هو الشّأن في تفسير قوله تعالى: {**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**} (4)، يذكر أنّ قوله (بالحقّ) يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى ضمن الحقائق في خبره وأمره ونهيه ومواعظه.

و الثّاني: أن يكون المعنى أنّه نزّل الكتاب باستحقاق أن ينزّل لما فيه من المصلحة الشّاملة، وليس ذلك على أنّه واجب على الله تعالى أن يفعله، إذ لا يجب على الله سبحانه فعل(5).

و الردّ نفسه نجده عند تفسير قوله تعالى: {**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ**}(6)، يورد ما ذكره ابن عطية من إجماع أهل السنّة في معنى هذه الألفاظ أنّها اتّقاء الشّرك، فمن فرضناه اتّقاه وهو موحّد فأعماله التي تصدق فيها نيّته مقبولة، وأمّا المتّقي للشّرك وللمعاصي فله الدّرجة العليا من القبول والختم بالرّحمة، علم ذلك بأخبار الله تعالى، لا أنّ ذلك يجب على الله تعالى عقلاً »(7) . (8)

ولم يكتف الثعالبي بهذا القدر، بل توسّع في الردّ على المعتزلة في قضية الصّلاح والأصلح، حيث بيّن أنّ الله ✝ لا يجب عليه شيء، فهو يرى أنّ التوبة على من عمل

---

(1) **الصلاح**: ما قابل الفساد، كالإيمان في مقابلة الكفر. و**الأصلح**: ما قابل الصلاح ككونه في أعلى الجنان في مقابلة كونه في أسفلها. فإذا كان أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح وجب على الله أن يفعل الأصلح- تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. انظر: شرح الأصول الخمسة ص: 523 ؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل 164/3

(2) سورة الأنعام: 12

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق-باب: ما جاء في قول الله تعالى وهو يبدأ الخلق ثمّ يعيده وهو أهون 2700/6 برقم (6986)، وفي كتاب التوحيد -باب: قول الله تعالى ويحذّركم الله نفسه 2745/6 برقم (7114)، وباب: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين 2712/6 برقم (7015)، وباب: قول الله بل هو قرآن مجيد 2745/6 برقم (7114) ؛وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة -باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنّها سبقت غضبه 2107/4 برقم (2751)

(4) سورة آل عمرن: 02

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 290/1

(6) سورة المائدة: 27

(7) المحرّر الوجيز 178/2، 179

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 544/1

السّوء بجهالة ثمّ أناب، أنّها من فضل الله ورحمته بعباده، وليس على سبيل الوجوب- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ففي تفسير قوله تعالى: {**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**}[1] ، يذكر أنّ قوله تعالى (على الله)أي: على فضل الله ورحمته لعباده، وهذا نحو قوله صلى الله عليه و سلم : « ما حقّ العباد على الله ؟ » [2]أي: ما حقّهم على فضله ورحمته، والعقيدة: أنّه لا يجب على الله تعالى شيء عقلاً. [3]

و في موضع آخر يرى أنّ وعد الله تعالى عباده المؤمنين بإدخالهم الجنّة إنّما يكون برحمته حتّى وإن جعل الأعمال أمارة لدخولها، وليس ذلك على طريق الوجوب، وهذا ما وضّحه عند تفسير قوله تعالى: {**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**}[4]، يبيّن أنّ قوله تعالى (بما كنتم تعملون) لا على طريق وجوب ذلك على الله تعالى ، لكن بقرينة رحمته وتغمّده، والأعمال أمارة من الله سبحانه وطريق إلى قوّة الرّجاء، ودخول الجنّة إنّما هو بمجرّد رحمته والقسم فيها على قدر الأعمال »[5].

و المعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله تعالى: {**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**}[6] ، حيث يشير إلى أنّ الله سبحانه علّق دخول المؤمنين الجنّة بأعمالهم من حيث جعل الأعمال أمارة لإدخال العبد الجنّة، ولا معارضة بين الآية وقوله صلى الله عليه و سلم : « لا يدخل أحد الجنّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله بفضل منه ورحمة »[7]) ؛ فإنّ الآية تردّ بالتأويل إلى معنى الحديث. و هنا يستعين بما ذكره ابن

---

(1) سورة النساء: 17

(2) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد -باب: اسم الفرس والحمار 1049/3 برقم (2701)؛ وفي كتاب التوحيد- باب: ما جاء في دعاء النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- إلى التوحيد 2685/6 برقم (6937) ؛وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان - باب: الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً 55/1 برقم (26)

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 423/1-424

(4) سورة الأعراف: 42

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 27/2-28

(6) سورة النحل: 32

(7) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى-باب: تمنّي المريض الموت 2147/5 برقم (5349)؛ وفي كتاب الرقاق -باب: القصد والمداومة على العمل 2373/5 برقم (6096). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المنافقين -باب: لن يدخل أحد الجنّة بعمله بل برحمة الله تعالى 2169/4 برقم (2916)

عطيّة أنّه من الرّحمة والتغمّد أن يوفّق الله العبد إلى أعمال برّة، ومقصد الحديث نفي وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب إليه فريق من المعتزلة »[1]. [2]

2 ـ مصير أولاد المشركين إلى أين؟

هذه المسألة من المسائل التي ناقشها العلماء، واختلفوا فيها، حيث تعدّدت فيها الآراء والأدلّة.

والمراد منها: معرفة مصير أولاد المشركين إلى أين ؟ بمعنى: هل هم من أهل الجنّة ؟ أم أنّ الله سيعذّبهم في الآخرة، ويكونون من أهل النّار ؟ وإذا كانوا لم يعقلوا ولم يعوا الرسالة والدعوة، فكيف يعذّبهم الله، وأفعاله ✝ حكمة وخير.. ؟ وهو تعالى القائل: {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**}. [3]

وقد ناقشها الثعالبي في تفسيره، حيث يرى أنّ أولاد المؤمنين في الجنّة قطعًا[4]، ولا خلاف في هذا بين العلماء قديمًا أو حديثًا، وهذا هو المشهور بين النّاس المقطوع بصحّته. [5]

وأمّا الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفّار ؟ فهو محلّ النّزاع بين العلماء في هذه القضية[6]؛ فقد اختلفوا إلى عدّة أقوال، نذكر أهمّها :

أنّهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمادين[7]، وابن المبارك، وإسحاق[8]، ونقله البيهقي عن الشافعي[1] في حقّ أولاد الكفّار خاصّة[2]؛ واحتجّوا بما ورد في الحديث: « الله أعلم بما كانوا عاملين »[3].

---

(1) المحرّر الوجيز 391/3

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 424/2

(3) سورة الإسراء: 15

(4) الجواهر السان في تفسير القرآن 72/3. ونصّ كلامه: « وأمّا أولاد المسلمين ففي الجنّة من غير شكّ، متّفق عليه ».

(5) تفسير ابن كثير 294/4

(6) وقد بسط الحافظ ابن حجر أهمّ الأقوال فيها في كتابه فتح الباري 246/3- 251 ؛ ومحمّد عبد الرحيم الزيني قاسم في رسالته للماجستير: ابن القيّم وآراؤه الكلامية ص: 217

(7) هما: أ- حمّاد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة: ثقة، عابد، تغيّر حفظه بآخر حياته. انظر: تقريب التهذيب ص: 117، مترجم برقم (1499)؛ تذكرة الحفاظ 202/1 ؛ الثقات 216/6 ؛ سير أعلام النبلاء 444/7 ب- حمّاد بن زيد بن درهم الأزدي، الجهضميّ، أبو إسماعيل البصري: ثقة، ثبت، فقيه. انظر: تقريب التهذيب ص: 117، مترجم برقم (1498). تذكرة الحفاظ 228/1 ؛ طبقات الحفاظ103/1

(8) هو: إسحاق بن إبراهيم الإمام الحافظ الكبير، المروزي، يعرف بابن راهويه، ولد سنة 166 هـ قال أبو زرعة ما رؤي أحفظ من إسحاق، وسئل الإمام أحمد عنه فقال: مثل إسحاق يُسْأل عنه. توفي

أنّهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنّة، وأولاد الكفّار في النّار ؛ وحكاه ابن حزم[4] عن الأزارقة[5] من الخوارج[6])، واحتجّوا بقوله تعالى: {**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**} [7].

وردّ عليهم بأنّ المراد قوم نوح خاصّة[8]، وإنّما دعا بذلك لما أوحى الله إليه: {**لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**}[9].

أنّهم يكونون في برزخ بين الجنّة والنّار، لأنّهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنّة ولا سيّئات يدخلون بها النّار، ويعرفون بأهل الأعراف ؛ وهذا القول ضعيف، لأنّ أهل الأعراف مآلهم إلى الجنّة، ولأنّ الأعراف ليست دار قرار.

أنّهم يصيرون ترابًا، وقد روي عن ثمامة بن أشرس[10].

سنة238 هـ. سير أعلام النبلاء 382/11 ؛ طبقات المحدثين 83/1 ؛ الجرح والتعديل 209/2 ؛ طبقات الحفاظ 191/1

(1) هو: محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان عالم عصره صاحب المذهب المشهور في الفقه. وناصر الحديث فقيه الملة القرشي المطلبي ولد بغزة ونشأ يتيما ثم قدم مكة واهتم بالعلم وطلب الحديث. فساد أهل زمانه في الفضل والعلم، وفضله ومناقبه أكثر من أن تحصر، ولد سنة 150 هـ وتوفي سنة 204 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 5/10 ؛ طبقات المحدثين 78/1 ؛ طبقات الحفاظ 157/1 ؛ الثقات 30/9 ؛ تقريب التهذيب ص: 403 مترجم برقم (5717)

(2) الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنّة والجماعة -باب: القول في الأطفال أنّهم يولدون على فطرة الإسلام ص: 88، 89. دار الكتب العلمية -بيروت (ط1) 1404هـ- 1984م، ضبطه ورتّب أبوابه وصحّحه: جماعة من العلماء بإشراف النّاشر

(3) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب القدر -باب: الله أعلم بما كانوا عاملين 2434/6 برقم (6224)؛ وفي كتاب الجنائز -باب: ما قيل في أولاد المشركين 465/1 برقم (1317). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر -باب: معنى كلّ مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفّار وأطفال المشركين 2048/4 برقم (2658)

(4) هو: عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الظاهري، أبو محمّد. حافظ، فقيه، زاهد، من كتبه: المحلّى، والفصل في الملل والأهواء والنحل.. ، ولد سنة 384هـ، وتوفّي سنة 456هـ. انظر: التاج المكلّل ص: 87-92 ؛ وفيات الأعيان 428/1 ؛ تذكرة الحفاظ 321/3 ؛ البداية والنهاية 91/12 ؛ شذرات الذهب 299/3

(5) هم: أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق، الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا عليها وعلى كورها، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيّام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عمّاله بهذه النّواحي. انظر: الملل والنحل 87/1، والفرق بين الفرق ص: 87

(6) الفصل في الملل والأهواء والنّحل 145/4

(7) سورة نوح: 26

(8) فتح الباري 246/3

(9) سورة هود: 36

(10) هو: ثمامة بن أشرس النميري، البصري، المتكلّم، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. انظر: سير أعلام النبلاء 203/10- 204 ؛ ميزان الاعتدال 94/2 ؛ تاريخ بغداد 146/7 ؛ لسان الميزان 83/2

أنّهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم النّار فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن أبى عذّب؛ وإلى هذا الرأي مال ابن حجر، إذ يقول: « وقد صحّت مسألة الامتحان في حقّ المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في الاعتقاد أنّه المذهب الصحيح ».[1]

وتعقّب بأنّ الآخرة ليست دار تكليف، فلا عمل فيها ولا ابتلاء ؛ وأجيب بأنّ ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنّة والنّار، وأمّا في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك. [2] وأخذ بهذا الرأي أيضًا أبو الحسن الأشعري حيث يقول: « وقولنا في أطفال المشركين: إنّ الله يؤجّج لهم في الآخرة نارًا، ثمّ يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية »[3])، ووافقه ابن تيمية حيث صحّح مسألة الامتحان في عرصات القيامة، ولكن بإرسال رسول، فمن أجابه دخل الجنّة، ومن عصاه دخل النّار، وقال: هذا أجود ما قيل في أطفال المشركين، وعليه تتنزّل جميع الأحاديث »[4]، وتبعه على رأيه ابن كثير حيث يصرّح بأنّ: « هذا القول يجمع بين الأدلّة كلّها »[5] .

أنّهم في الجنّة، واحتجّوا بقوله سبحانه: {**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**}[6])، وبهذا أخذ ابن حزم [7]؛ وكذا القاضي عبد الجبّار من المعتزلة، ولكن بناءً على مذهبه في الحسن والقبح، أي (إيجاب ذلك على الله – تعالى الله عن قوله علوّا كبيرًا)، وفي هذا يقول: « أنّه تعالى لا يجوز أن يعذّب أطفال المشركين بذنوب آبائهم »[8]، لأنّه ظلم، والله سبحانه لا يجوز أن يفعل الظلم، لأنّه قبيح، وأفعال كلّها خير.

بعد هذا العرض لأهمّ الآراء في المسألة، ما هو موقف الثعالبي منها ؟

ذهب الثعالبي إلى أنّ أطفال المشركين في الجنّة، معتبرًا ذلك بأنّه هو الصحيح في هذا الباب((9]، وهو ما أشار إليه عند تفسير قوله تعالى: {**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ**

---

(1) هذه العبارة غير موجودة في كتاب الاعتقاد، وإنّما قال بعد أن ذكر حديث الأسود بن سريع، وفيه ذكر الأصمّ والأحمق ومن مات في الفترة، وقال: هذا إسناد صحيح، ولعلّ الحافظ ابن حجر يريد هذه العبارة -والله أعلم. وانظر: الاعتقاد ص: 92

(2) فتح الباري 246/3

(3) الإبانة عن أصول الديانة ص: 55

(4) مجموع الفتاوى 151/4

(5) تفسير ابن كثير 291/4

(6) سورة الإسراء: 15

(7) الفصل في الملل و الأهواء والنحل 130/3، 131

(8) شرح الأصول الخمسة ص: 477

(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 72/3 ؛ 570/4. حيث أورد عند تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} سورة التكوير: 08، 09، ما استدلّ به ابن عبّاس على أنّ أولاد المشركين في الجنّة، لأنّ الله قد انتصر لهم ممّن ظلمهم.

قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى}[1].
وقد عضّد موقفه بما أسنده أبو عمر بن عبد البرّ في كتابه التمهيد من طريق أنس بن مالك-رضي الله عنه- عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « سألت ربّي في اللّاهين من ذريّة البشر ألاّ يعذّبهم فأعطانيهم ». [2]قال أبو عمر: « إنّما قيل للأطفال اللّاهون، لأنّ أعمالهم كاللّهو واللعب من غير عقد ولا عزم ». [3]

ويستدلّ أيضًا على صحّة ما ذهب إليه بما ذكره البخاري في حديث الرؤيا الطويل، وفيه: «... وأمّا الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنّه إبراهيم عليه السلام، وأمّا الولدان حوله فكلّ مولود يولد على الفطرة، قال: فقيل: يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : وأولاد المشركين »[4]، وفي رواية: « والصبيان حوله أولاد النّاس »، وظاهره العموم في جميع أولاد النّاس[5]).

وهذا الرأي الذي قال به الثعالبي صريح في موافقته للقول السادس، وقد انقسم أصحابه إلى قسمين: فمنهم من جعلهم مستقلّين في الجنّة ؛ ومنهم من يجعلهم خدمًا لأهل الجنّة[6]، والظاهر أنّ الشيخ يميل إلى القسم الثاني، فقد ذكر ما أسنده بن عبد البرّ[7] عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: « أولاد المشركين خدم أهل الجنّة ». [8]

ويتقوّى هذا الرأي بما أخرجه أحمد في مسنده من حديث الأسود بن سريع[9] - رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث سرية يوم حنين، فقاتلوا المشركين

---

(1) سورة طه: 134

(2) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه 112/18 ؛ وأبو يعلى (أحمد بن علي التميمي) في مسنده 901/3 تحقيق: حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث -بيروت ط(1) 1404 هـ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 219/7 دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، بيروت-القاهرة 1407هـ ؛ و حسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة 502/4-504 برقم (1881) ؛ وصحيح الجامع وزيادته للألباني672/1 برقم (3592) المكتب الإسلامي ط(3) 1408هـ-1988م.

(3) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد 117/18 تحقيق: جماعة من العلماء، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية.

(4) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز -باب: ما قيل في أولاد المشركين466/1 برقم (1317) ؛ وفي كتاب التعبير -باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح 2583/6 برقم (6640)

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 72/3 ؛ العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة له 125/1 المطبعة الحميدية المصرية 1317هـ ؛ جامع الأمّهات في أحكام العبادات ورقة/289 (وجه) مخطوط- بـ: (م. و. ج) برقم (583)

(6) تفسير ابن كثير 293/4

(7) التمهيد 118/18

(8) الحديث أخرجه الطبراني 203/2 برقم (2045) ؛ وأبو يعلى في مسنده: 130/7 برقم (4090) وحسّنه الألباني السلسلة الصحيحة (1468) ؛ صحيح الجامع وزيادة 235/1، 505. (ط3) - المكتب الإسلامي: 1408هـ-1968م.

(9) هو: الأسود بن سريع بن حمير بن عباد السعدي التميمي أبو عبد الله، صحابي، شاعر، مات يوم الجمل سنة 36 هـ وقيل 42 هـ. انظر الإصابة 74/1 ؛ الطبقات الكبرى 41/7

فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فلمّا جاءوا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « ما حملكم على قتل الذرية ؟ قالوا يا رسول الله إنّما كانوا أولاد المشركين، قال: وهل خيارهم إلاّ أولاد المشركين، والذي نفس محمّد بيده، ما من نسمة تولد إلاّ على الفطرة حتّى يعرب عنها لسانها »[1] ، وهذا صريح في عدم تحمّل الأطفال تبعات آبائهم، وإلاّ لما نهى النّبيّ عليه السلام عن قتلهم. وهو ما يعضد ما ذهب إليه الثعالبي من كون أولاد المشركين في الجنّة.

وهذا القول الذي أخذ به الثعالبي على وجاهته، وقوّة أدلّته، إلاّ أنّ قد تعقّبه بعض العلماء المحقّقين[2]، وذلك من وجوه:

الأوّل: أنّ أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح- كما قد نصّ على ذلك كثير من العلماء كالبيهقي وابن حجر وغيرهما ؛ ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوّى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث هذا الباب الواحد متّصلة متعاضدة على هذا النّمط، أفادت الحجّة عند النّاظر فيها.

الثاني: الاحتجاج بأنّ الآخرة دار جزاء ؛فلا شكّ أنّها كذلك، ولكن ذلك لا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنّة أو النّار، وقد قال تعالى: {**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**}[3]، كما ثبت في الصحيح أنّ المؤمنين يسجدون لله تعالى يوم القيامة، وأنّ المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقًا واحدًا، كلّما أراد السجود خرّ لقفاه.

الثالث: وأمّا استغرابهم واستبعادهم كيف يكلّف الله هؤلاء الأطفال دخول النّار وليس ذلك في وسعهم ؛ فليس ذلك بمانع من صحّة الحديث، فإنّ الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنّم، أحدّ من السيف، وأدقّ من الشعر، يمرّ المؤمنون عليه بحسب أعمالهم، كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، ومنهم الساعي، ومنهم الماشي، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المكدوش على وجهه في النّار، وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا، بل هذا أطمّ وأعظم.

3 ـ التكليف بما لا يطاق

و يتّصل أيضًا بما سبق ذكره- في باب القضاء والقدر- مسألة التكليف بما لا يطاق، وهي: مسألة اختلف فيها العلماء، ونعني بها: هل تقرّر في شريعتنا من تكاليفها شيء لا يطاق أم لا ؟ وقد انقسم فيها العلماء إلى مذهبين:

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في مسنده 435/3 من (حديث الأسود بن سريع)، مؤسسة قرطبة-مصر (د. ت. ط).

(2) تفسير ابن كثير 291/4، 292، فتح الباري 246/3 وما بعدها، الاعتقاد ص: 91-93

(3) سورة القلم: 42

الأوّل: أنّ تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، ولا يخرم ذلك شيئًا من عقائد الشّرع، وإليه ذهب الأشعري[1] وغيره[2].

الثاني: أنّ تكليف ما لا يطاق غير جائز عقلاً، وإليه ذهب الطبري وغيره[3].

إنّ هذين المذهبين يحكيهما الثعالبي عند تفسير قوله تعالى: {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**}[4] ، يذكر نقلاً عن ابن عطيّة- أنّ المؤمنين لمّا كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى (يحاسبكم به الله)، أمروا بالدّعاء في ذلك النّوع الذي ليس من طاقة الإنسان دفعه، وذلك في الخطأ والنّسيان.. ، وهذه الآية على هذا القول تقضي بجواز تكليف ما لا يطاق، ولذلك أمر المؤمنون في أن لا يقع هذا الجائز الصّعب، ومذهب أبي الحسن الأشعري وجماعة من المتكلّمين أنّ تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، ولا يخرم ذلك شيئًا من عقائد الشّرع؛ وذهب الطّبري وغيره إلى أنّ تكليف ما لا يطاق غير جائز، وأنّ النّسيان في الآية بمعنى الترك، أي: إن تركنا شيئًا من طاعتك، والخطأ هو المقصود من العصيان، والإصر هي العبادات الثّقيلة كتكاليف بني إسرائيل، وما لا يطاق للمرء به هو عندهم على تجوّز، كما تقول: لا طاقة لي على فلان، وما لا طاقة لنا به من حيث هو مهلك كعذاب جهنّم وغيره »[5] [6].

ولكن ما هو موقف الثعالبي في هذه المسألة ؟

الظاهر من كلامه أنّه يرى أنّ الشّريعة لا يتقرّر من تكاليفها شيء لا يطاق، بمعنى أنّ العبد لا يكلّف بما لا يطيق سواء كان ذلك ممتنعًا أو ممكنًا ؛ وهذا ما نلمسه من خلال تفسيره لقوله تعالى: {**لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**}[7])، حيث يصرّح أنّ هذه الآية نصّ في أنّ الشريعة لا يتقرّر من تكاليفها شيء لا يطاق »[8]. ومثل هذا قوله تعالى: {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**}[9] ، يشير إلى أنّه خبر جزم، نصّ على أنّه لا

---

(1) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص: 139-140 حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان-دمشق سوريا ط(3) 1416هـ-1996م.

(2) الإرشاد ص: 94 ؛ المواقف ص: 330 ؛ الملل والنحل 69/1

(3) انظر: تفسير الطبري 158/3 ؛ تفسير ابن كثير 608/1 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 653/2 وما بعدها ؛ درء تعارض العقل والنقل 60/1-61 ؛ مجموع فتاوى ابن تيمية 318/3-326

(4) سورة البقرة: 286

(5) المحرّر الوجيز 393/1، 394

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 286/1

(7) سورة الأعراف: 42

(8) نفس المصدر السابق 27/2

(9) سورة البقرة : 286

يكلّف الله العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب والجوارح إلاّ وهي في وسع المكلّف، وفي إدراكه وبنيته، وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأوّلهم أمر الخواطر[1]، وهذا المعنى الذي ذكرناه في هذه الآية يجري مع قوله تعالى: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**}[2] ، وقوله تعالى: {**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**}[3] ، وقوله تعالى: {**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**}[4] [5].

إنّ ما أورده الثعالبي ظاهره موافقة المذهب الثاني القائل بعدم جواز تكليف ما لا يطاق في شريعتنا[6]، وهو الذي أخذ به الطّبري وغيره، وإليه مال الباقلاّني من الأشاعرة حيث فصّل القول فيها: فإن أريد بعدم الطّاقة: عدم القدرة على الفعل ، فذلك جائز، وإن أريد بعدم الطّاقة: وجود ضدّها من العجز فلا يجوز ذلك، لأنّ العجز يخرج عن الشيء وضدّه، ولا وجه لتكليف من هذا سبيله وعدم القدرة على الشيء لا يوجب ذلك. [7]

---

(1) يقصد ما ورد في قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} سورة البقرة: 284، ومعناه: ممّا هو في وسعكم، وتحت كسبكم، وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه، فلمّا كان اللفظ ممّا يمكن أن تدخل فيه الخواطر، أشفق الصحابة والنّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- فبيّن الله تعالى لهم ما أراد بالآية الأولى وخصّصها، ونصّ على حكمه أنّه (لا يكلّف نفسًا إلاّ وسعها) ؛ والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع، بل هي أمر غالب، وليست ممّا يكسب ولا يكتسب، وكان في هذا البيان فرحهم، وكشف كربهم. وتعلّق قوم بهذه الآية ممّن قال بجواز تكليف ما لا يطاق، وقالوا: إنّ الله قد كلّفهم أمر الخواطر، وذلك ممّا لا يطاق.. ، وهذا غير بيّن، وإنّما كان أمر الخواطر تأويلاً تأوّله أصحاب النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- ولم يثبت تكليفًا إلاّ على الوجه الذي ذكرناه من تقرير النّبيّ إيّاهم على ذلك" ؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/282-283

(2) سورة البقرة: 185

(3) سورة الحجّ: 78

(4) سورة التغابن: 16

(5) نفس المصدر السابق 1/284

(6) يذكر الثعالبي- نقلاً عن ابن عطية- اختلاف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الأحكام التي في الدنيا، بعد اتّفاقهم على أنّه ليس واقعًا الآن في الشرع، وأنّ الآية آذنت بعدمه ؛ والقائلون بجوازه اختلفوا: هل وقع في رسالة نبيّنا محمّد- صلّى الله وسلّم- أم لا ؟ فقالت فرقة: وقع في نازلة أبي لهب، لأنّه حكم عليه بتبّ اليدين وصلي النّار، وذلك مؤذن أنّه لا يؤمن، وتكليف الشرع له راتب، فكأنّه كلّف أن يؤمن، وأن يكون في إيمانه أنّه لا يؤمن، لأنّه إذا آمن فلا محالة أن يدين بسورة (تبّت يدا أبي لهب..)، وقالت فرقة: لم يقع قطّ، وقوله (سيصلى نارًا) إنّما معناه: إن وافى على كفره. وما لا يطاق أقسام: منه المحال عقلاً، كالجمع بين الضدّين، ومنه المحال عادة، كرفع إنسان جبلاً، ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك، كالاحتراق بالنّار ونحوه، ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره، وهذا إنّما يقال فيه ما لا يطاق على تجوّز كثير ؛ نفس المصدر السابق 1/284-285 ؛ المحرّر الوجيز 1/393 ؛ المواقف ص: 331

(7) التمهيد ص: 332-334 ؛ ووافقه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى 8/469

4 ـ النسخ:

يعتبر النسخ من المواضيع المهمّة في العقيدة الإسلامية لما له من علاقة وثيقة بصفات الله تعالى، وعلى وجه الخصوص صفتا العلم والإرادة حتّى أنّ بعض العلماء قد أفرده بتأليف مستقلّ، كما فعل ذلك أبي محمد مكي بن طالب القيسي في كتابه (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه).

وقد تعرّض الثعالبي لموضوع النسخ في تفسيره، معتمداً في بيان معناه على ما تقرّر في اللّغة واصطلاح علماء الأصول، ومعرّجاً بعده على توضيح حكمه وصوّره.

تعريف النسخ في اللّغة والاصطلاح:

يبدأ الثعالبي أولاً بتعريف النسخ في اللّغة ليستعين به في بيان معناه الاصطلاحي، وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} (1) حيث يقول: يطلق النسخ في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: النقل، كنقل كتاب من آخر، وهذا لا مدخل له في هذه الآية ، وورد في كتاب الله تعالى في قوله {**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**}(2).

الثاني: الإزالة، وهو الذي في هذه الآية، وهو منقسم في اللّغة على ضربين:

- أحدهما: يثبت الناسخ بعد المنسوخ، كقولهم: نسخت الشمس الظلّ.
- والآخر: لا يثبت، كقولهم: نسخت الريح الأثر

وقد ورد النّسخ في الشرع حسب هذين الضربين (3) ثم ينتقل لبيان:

حدّ الناسخ عند أهل السنّة بأنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدّم، على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه(4).

---

(1) سورة البقرة: 106

(2)سورة الجاثية: 29

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 119/1 ؛ وبرجوعنا لكتب اللغة تبيّن لنا أنّ الثعالبي كان دقيقًا في كلامه، أمينًا في نقله، فقد ركّز على ذكر المهمّ من معنى اللفظة، مع حسن الصياغة في تقسيمه، وبساطة أسلوبه، ممّا يؤكّد بأنّه ليس مجرد ناقل، بل متفحّصٍ واعٍ، مدركٍ لما يقوله. انظر: القاموس المحيط 281/1 -فصل النون والواو-باب الخاء مادة (نسخه) ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ص: 511 تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، طبع على مطبعة التقدّم العربي 1392هـ-1972م ؛ الكليات ص: 892

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 119/1، 120

وأمّا النسخ في الاصطلاح:

فقد تعدّدت تعريفات العلماء له، ولا يخلو غالباً من الاعتراضات والمناقشات غير أنّ الثعالبي اقتصر على تعريف ابن الحاجب رحمه اللّه لأنه الأكثر التزاماً بمعايير الحدود، والأقرب للحق والصواب، حيث يقول: وفي الاصطلاح: « رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر » (1) (2).

فقوله (رفع الحكم الشرعي): ليخرج المباح بحكم الأصل، فانّ رفعه بدليل شرعي ليس نسخًا وقوله (بدليل شرعي) ليخرج رفعه بالموت، والنوم ، والغفلة، والجنون وقوله (متأخر) ليخرج نحو: صلّ عند كلّ زوال إلى آخر الشهر(3).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَ الشريعة نوعان، خبر وأمر، والخبر يدخل فيه الماضي والمستقبل، والوعد والوعيد، ويشمل ما أخبر الله تعالى به عن ذاته، وصفاته، وأفعاله، وما أخبر أنَه كان، أو سيكون من مفعولاته، وما قصّ علينا من أخبار الأمم الماضية، وأخبار الرسل ودعواتهم، وما فعل بأعدائهم، وما أعدَه لأوليائهم، ويدخل فيه أيضًا -ما ذكره الله من أخبار خلق السموات والأرض، وما فيها من الأحياء والأشياء، وما ذكره من أخبار الجنَة والنار، والحساب والعقاب، والبعث والحشر والجزاء.

كلّ هذا، ونظيره يدخل في جملة الأخبار، والتي يجب على المسلم مقابلتها بالتصديق والتسليم، ويعلم أنَها كلّها حق، مطابقة للأمر في نفسه، لا يجوز أن تختلف أو تتعارض إن ظهر شيء من ذلك فإنّما هو عارض يعرض على الأذهان يزول عند التحقيق والنظر الدقيق، ومن ثمّ فلا يجوز أن يدخل أخبار الله تعالى النسخ أو التبديل، بل هي محكمة ثابتة، لأنّه تعالى إذا أخبر عن شيء فإنّما يخبر بعلمه، وعلمه أزلي لا أوّل له، وهو مطابق للأمر في نفسه

علم ما كان، وما يكون، وما سيكون، فلو أخبر عن شيء أنّه كان أو سيكون، ثمّ أخبر بنقيض ذلك أو برفعه، لكان ذلك خلفا وكذبا، مستلزما سبق الجهل، وحدوث العلم وتجدّده، وهذا ممّا يعلم ضرورة أنّ الله تعالى منزّه عنه، بل هو من صفات المخلوقين المربوبين لا من صفات الخالق سبحانه(4).

وأمّا الأمر، والنّهي منه، لأنه أمر بالترك، فإنّ النسخ يدخله في الجملة، لكن تستثنى منه كليات الشريعة من الضروريات والحاجيات والتحسينات، فالشريعة مبنية

---

(1) المختصر الكبير لابن الحاجب. (لم أقف عليه)

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 119/1، 120

(3) حاشية التفتازاني 185/2 تصحيح: شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكلّيات الأزهرية-مصر 1394هـ-1974م.

(4) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لآبي محمد مكّي بن طالب القيسي ص: 57 تحقيق د. أحمد حسن فرحات. مطابع جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية ط(1): 1396 هـ -1976 م -الرياض ؛ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة 268/1، 269 مكتبة الرشد، الرياض ط(3): 1415هـ-1995م

على حفظ هذه الكليات[1]، فأصول العبادات: كالصلاة والصوم، والزكاة، والحجّ، وما يحفظ الضروريات الخمس، وما يحفظ العدل والإحسان، وما يجلب الفضيلة، ويدفع الرّذيلة، كلّ ذلك لا يقع فيه النّسخ، وإنّما يقع في تفاصيل هذه المسائل، وهو ما يتعلّق بالهيئات والكيفيات، والأمكنة والأزمنة والأعداد، وهو جزء يسير إذا ما قورن بكليات الشريعة[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « كتاب الله نوعان: خبر وأمر، أمّا الخبر فلا يجوز أن يتناقض، ولكن قد يفسّر أحد الخبرين الآخر، ويبيّن معناه، وأمّا الأمر فيدخله النسخ، ولا ينسخ ما أنزل الله إلاّ بما أنزله الله، فمن أراد أن ينسخ شرع الله الذي أنزله برأيه وهواه كان ملحداً، وكذلك من دفع خبر الله برأيه ونظره كان ملحداً»[3]

ثم يتعرض الثعالبي في هذا السياق إلى حكم النسخ في الشرع، وقبل أن نذكر موقفه في ذلك، نودّ أن نستعرض اختلاف الناس فيه، حيث انقسموا إلى أربعة مذاهب:

الأوّل: إنكار النسخ، وبه قال اليهود[4]، لأنه على رأيهم يستلزم البداء[5] وهو الظهور بعد الخفاء، لذلك رفضوا غير شريعة موسى عليه السلام، لأنها عندهم لا تنسخ، إذ النسخ يستلزم البداء، وهو محال على الله تعالى.

---

(1) الموافقات 79/3
(2) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة 270/1
(3) درء تعارض العقل والنقل 5/ 208
(4) التمهيد ص: 214
(5) البداء في لغة العرب يطلق، ويراد به معنين:
أ. الظهور بعد الخفاء: تقول بدا الشيء بدوًا و بداء أي ظهر ظهوراً بيناً. ومنه قوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ(47) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} سورة الزمر: 47، 48 ؛ انظر معجم مفردات القرآن الكريم ص: 37
ب.نشأة رأي جديد لم يكن موجوداً: يقول صاحب القاموس المحيط 4/ 304 فصل الياء باب الواو والياء مادة (بدا): « وبَدَا له في الأمر بدْوًا، وبداءً وبداءةً: نشأ له فيه رأي » ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} سورة يوسف: 35 ؛ يقول الرزقاني: « ولعلَ هذا المعنى الثاني هو الأنسب والأوفق بمذهب المقائلين به -قبّحهم الله- ولأنّ عبارتهم المأ ثورة عنهم، جرت هذا المجرى في الاستعمال دون الاستعمال الأول » انظر: مناهل العرفان 77/2 تحقيق: مكتب البحوث و الدراسات، دار الفكر-بيروت ط(1) 1996م ؛ والبداء يكون في أحوال ثلاث:
الأولى: إذا كان الفعل مستلزماً لمصلحة، فالأمر به بعد النّهي عنه، على الحدَ الذي نهي عنه، إنّما يكون لظهور ما كان قد خفي من المصلحة.
=
= **الثانية:** إذا كان الفعل مستلزماً لمفسدة، فالنّهي عنه بعد الأمر به على الحدّ الذي أمر به، إنّما يكون لظهور ما كان قد خفي من المفسدة.
الثالثة: الإخبار بنقيض ما أخبر به سابقًا، وذلك لظهور علم لم يكن موجودًا. وكلّ ذلك ممّا يتنزه الله تعالى عنه، وذلك لكمال علمه وحكمته وإرادته، فالله تعالى يعلم عواقب الأمور، ولا يغيب عنه شيء من علم الغيوب، لا في الأرض ولا في السماء فمحال أن يبدو له أمر أو علم لم يكن، بل هذا من صفات المخلوقين، وهذا لازم لمن يقول بوقوع النسخ في الأخبار-وهذه المقالة - كما قال الشوكاني: « توجب الكفر بمفردها » انظر كتابه: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول

الثاني: الغلوّ في إثبات النسخ، وإليه ذهب الرافضة[1]، وتوسّعوا فيه، فأجازوا البداء على الله[2] فجعلوا النسخ والبداء واحداً واستدلوا - على زعمهم - بقوله تعالى: {**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**}[3] أي: أنّ علم الله تعالى يتبدّل نتيجة ما يبدو له[4] تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ؛ واستندوا أيضًا إلى أقوال مفتريات على أهل البيت، منها:

. قولٌ مكذوب على عليّ[5] -رضي الله عنه: « لولا البداء لحدّثتكم بما هو كائن إلى يوم القيامة »

. وكذا بآخر مكذوب على جعفر الصادق رحمه الله: « ما بدا لله تعالى في شيء كما بدا له في اسماعيل »

. وقول موسى بن جعفر[6]: « البداء ديننا ودين آبائنا في الجاهلية »

وكلّ هذا من مفتريات الرافضة، وإمامهم فيها الكذّاب الثقفي الذي كان يدّعي العصمة وعلم الغيب، فإذا خاف الافتضاح قال: إن الله وعدني ذلك، غير أنّه بدا له، فإذا خاف على نفسه من القتل، نسب تلك الأقوال إلى آل البيت، وهم منها براء[7].

الثالث: جواز النسخ عقلاً، ومنعه شرعاً، وهو قول أبي مسلم الخراساني[8] [9] وقد استدلّ بقوله سبحانه {**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**}[1] أي أنّ أحكامه لا تبطل أبداً، وحمل آيات النسخ على التخصيص.

ص: 185 دار المعرفة-بيروت (د. ت. ط) ؛ الإحكام في أصول الأحكام الآمدي 241/2 تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي-بيروت ط(1) 1404هـ.

(1) الرافضة: نسبة للرفض، و هو أنّ الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبرّي ممّن خالف عليًّا في إمامته، فامتنع من ذلك فرفضوه، فسمّوا رافضة. انظر: التعاريف 396/1 ؛ شفاء العليل 158/1 ؛ الفرق بين الفرق 16/1، 34، 38

(2) الفرق بين الفرق ص: 46 ؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل 40/5، 41

(3) سورة الرعد: 39

(4) منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنة والجماعة 1 /274

(5) هو: علي بن أبي طالب بن من السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. مات في رمضان سنة 40 هـ. انظر: عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته، تقريب التهذيب ص: 341 برقم (4753).

(6) هو: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن الهاشمي يعرف بالكاظم صدوق عابد مات سنة 183 هـ. انظر تقريب التهذيب ص: 482 برقم (6955)

(7) مناهل العرفان 79/2

(8) الكليات ص: 892

(9) هو: عبد الرحمان الخراساني، أبو مسلم، صاحب الدعوة العباسية وهازم جيوش الدولة الأموية، سفّاك للدماء، له شأن عجيب في الإقدام والشجاعة، له اليد الطولى في قيام الدولة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة 137، قال فيه الدهبي: ظلوم غشوم لا ينبغي الأخذ عنه. انظر: لسان الميزان 436/3 ؛ المغني في الضعفاء 387/2 ؛ سير أعلام النبلاء 48/6

الرّابع: جواز النسخ عقلاً، ووقوعه شرعاً في الأوامر والنّواهي دون الأخبار [2]، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ؛ وقد استدلوا بعدة أدلة، منها:

* قوله تعالى: {**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ**}[3] أي: رفعناها وأثبتنا غيرها

* قوله تعالى: {**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**}[4]

ومن السنة: ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « أنا أولى النَاس بعيسى بن مريم في الدنيا و الآخرة، والأنبياء إخوة لعِلاّت[5]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[6]

ومعنى الحديث: أنّ أصل دينهم واحد وهو التوحيد و إن اختلفت فروع الشرائع[7]. فإذا كان الاتفاق في أصل الدين حاصلاً بين جميع الأنبياء ولم يتناسخ بتقادم عهودهم، وتجدّد عصورهم، فهو دليل على أن أصول الدين لا يدخلها النّسخ[8] بخلاف الفروع، ويؤيده قوله تعالى {**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**}[9].

ويشهد لهذا عقلاً أنّ الله تعالى متصف بصفات الجلال والكمال، ومن ذلك صفة العلم، فعلمه ✠ لا يعتريه حدوث ولا تجدّد ولا تغيّر، بل هذه المعايب من وصف المخلوق، ويكون سببها الجهل أو السهو أو الغفلة أو الخطأ، وكل ذلك مما يتنزّه الله تعالى عنه، والقول بوقوع النسخ في الأخبار وعقائد الإيمان يأتي على هذه القاعدة بالهدم و النقص، فلزم اعتقاد دفع النسخ عن أخبار الله، وعقائد الإيمان [10].

---

(1) سورة فصلت: 42

(2) الموافقات 78/3 ؛ الإتقان 21/2 ؛ إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية 35/1 مراجعة: طه عبد الرؤوف سعيد، دار الجيل -بيروت 1973م ؛ تفسير ابن كثير 261/1 وما بعدها ؛ الجامع لأحكام القرآن 331/9 ؛ التمهيد ص: 204، 217

(3)سورة النحل: 101

(4) سورة البقرة: 106

(5) قال النووي: قال العلماء: أولاد العلاّت بفتح العين المهملة وتشديد اللاّم هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أبناء الأعيان. شرح مسلم 119/15 ؛ وانظر: لسان العرب 470/11

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء -باب: (واذكر في الكتاب مريم) 1270/3 برقم (3258) ؛ ومسلم: كتاب الفضائل-باب: فضائل عيسى عليه السلام 1837/4 برقم (2365)

(7) فتح الباري 489/6

(8) منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنة والجماعة 281/1

(9) سورة المائدة: 48

(10) منهج الاستدلال على العقائد عند أهل السنة و الجماعة 281/1

وأمّا الثعالبي فقد وافق ما قرّره أهل السنة والجماعة في جواز النسخ عقلاً وشرعاً في أوامر الله تعالى ونواهيه دون الأخبار حيث يشير إلى أن النسخ جائز على الله تعالى عقلاً، لأنّه لا يلزم عنه محال، ولا تتغيّر صفة من صفاته تعالى، وليست الأوامر متعلّقة بالإرادة فيلزم من النسخ أنّ الإرادة تغيّرت، ولا النسخ لطروء علم، بل الله تعالى يعلم إلى أيّ وقت ينتهي أمره بالحكم الأوّل، ويعلم نسخه له بالثاني(1) ؛ ومن الأمثلة التي استشهد بها على جواز النسخ في الأوامر والنواهي مسألة تحويل القبلة الواردة في قوله تعالى: {**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**}(2) فيقرّر أنّ الآية أمر بالتحوّل إلى الكعبة الشريفة بمكّة المكرّمة، ونسخ لقبلة الشام(3).

ولم يقتصر الشيخ هنا ببيان موقفه، بل تعدّاه للردّ على اليهود في زعمهم أنّ النسخ و البداء شيء واحدٌ، لذلك أنكروه ولم يجوّزوه، فضلّوا عن الحقّ والصواب، فينتقد ادّعائهم الباطل بأنّ البداء لا يجوز على الله تعالى، لأنّه لا يكون إلاّ لطروء علم، أو لتغّير إرادة، وذلك محالٌ من جهة الله تعالى(4).

ويكرّر ردّه عليهم أيضاً في معرض تفسير قوله ﷻ: {**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ**}(5).

يقول رحمه الله في تفسيرها: « والآية ردٌّ على اليهود في زعمهم أنّ كلّ ما حرّموه على أنفسهم أنّه بأمر الله تعالى في التوارة، فأكذبهم تعالى بهذه الآية ؛ وقوله سبحانه (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) أي: فهو محرّم عليهم في التوراة لا هذه الزوائد التي افتروها » (6) ؛ ثم يعضد كلامه بما قاله الإمام الرازي: من أنّ كلّ أنواع المطعومات قبل نزول التوراة كان حلالاً لبني إسرائيل سوى ما حرّمه إسرائيل على نفسه، فأمّا بعد نزول التوراة فلم يبق الأمر كذلك ، بل حرّم الله عليهم أنواعاً كثيرة بسبب بغيهم، وذلك هو عين النسخ الذي هم له منكرون. (7) (8).

وأمّا النسخ في الأخبار فإنّ الثعالبي يذهب إلى عدم جوازه(9)، وإنمّا هو مختص بالأوامر والنواهي وهو الحقّ، لأنّه يلزم منه القول بالبداء على الله، وهو محال على الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا،

---

(1) نفس المصدر السابق 120/1 ؛ 446/2
(2) سورة البقرة : 144
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 144/1
(4) نفس المصدر السابق 120/1 ؛ 446/2
(5) سورة آل عمران: 93
(6)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 345/1
(7) التفسير الكبير مج(8) 149/8
(8) نفس المصدر السابق 345/1
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 120/1، 683

وردّ بعض المعترضين الأمر خبرًا، بأن قال: أليس معناه: واجب عليكم أن تفعلوا كذا، فهذا خبر.

يجيبهم رحمه الله بقوله: « إنّ في ضمن المعنى: إلاّ أن أنسخه عنكم وأرفعه، فكما تضمّن لفظ الأمر ذلك الإخبار، كذلك تضمّن هذا الاستثناء » (1).

فإذا ثبت صحة الكلام، تبين بعده بطلان ما احتجّت به الرافضة من قوله تعالى {**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**} (2) بأنّ المراد: تبدّل علم الله نتيجة ما يبدو له، فهذا قول فاسد، وزعم باطل، لأنّ المعنى -كما يقول الثعالبي-: « أنّ الله سبحانه يمحو من الأمور ما يشاء ويغيرها عن أحوالها، ممّا سبق في علمه محوه وتغييره في الحالة التي ينقلها إليها حسب ما سبق في علمه ؛ ويستأنس بما قاله ابن عطية بأنّ أصوب ما يفسّر به معنى قوله تعالى (أمّ الكتاب): أنّه كتاب الأمور المجزومة التي سبق القضاء فيها بما هو كائن، وسبق أن لا تبدّل، ويبقى المحو والتثبيت في الأمور التي سبق في القضاء أن تبدّل وتمحى وتثبت »(3) فعلمه تعالى أزليٌّ لا أوّل له، وهو مطابق للأمر في نفسه، علم ما كان، وما يكون، وما سيكون، فلو أخبر عن شيء أنّه كان أو سيكون، ثم أخبر بنقيض ذلك أو برفعه، لكان ذلك خلفًا وكذبًا، مستلزمًا سبق الجهل، وحدوث العلم وتجدّده، وهذا ممّا يعلم ضرورة أنّ الله تعالى منزّه عنه، بل هو من صفات المخلوقين المربوبين، لا من صفات الخالق سبحانه(4).

وممّا يؤكّد عدم وقوع النسخ في أخبار الله تعالى، أنّ الله ﷻ أمر نبيّنا الكريم محمّدًا صلى الله عليه و سلم أنّ يقتدي بمن سبقه من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهذا الاقتداء إمّا أن يقع على الدين كلّه، أصولاً وفروعًا، وإمّا أن يقع على فروع الدين دون أصوله. وهذا باطل تردّه نصوص الشريعة سمعيها وعقليها.

وإمّا أن يقع على أصول الدين دون فروعه، فتدخل بذلك مسائل الاعتقاد دخولاً أوّليًا، وهذا عين مسألتنا، والمغزى من مبحثنا، يدلّ على ذلك قوله سبحانه: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**} (5).

يذكر الثعالبي أنّ اقتداؤه صلى الله عليه و سلم بجميعهم- إنّما يصحّ في العقود والإيمان والتوحيد الذي ليس بينهم فيه اختلاف، وأمّا أعمال الشرائع فمختلفة(1).

---

(1) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

(2) سورة الرعد : 39

(3)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 371/2 ؛ المحرّر الوجيز 318/3

(4) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص: 57 ؛ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة 269/1

(5) سورة الأنعام: 90

ومثل هذا قوله ✞: {**شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**}(2) ؛ يقول الثعالبي في تفسيره للآية: المعنى شرع لكم وبين من المعتقدات والتوحيد ما وصّى به نوحًا قبل.. ، وكذلك ما ذكر بعد من إقامة الدين مشروع اتّفقت النبوءات فيه، وذلك في المعتقدات، وأمّا الأحكام بانفرادها فهي في الشرائع مختلفة »(3). وهي المرادة في قوله تعالى: {**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**}(4)، وهذا عند جمهور العلماء في الأحكام، وأمّا المعتقدات فالدين واحد لجميع العالم(5).

فدلّت هذه الآيات على أنّ الرسل والأنبياء جميعًا اتّفقوا على الدعوة إلى التوحيد، وأصول الإيمان، ممّا يدلّ أنّ مسائل الاعتقاد لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، ومن ثم لا يدخلها النسخ. وهذا ممّا أجمع عليه المسلمون (6)ولله الحمد.

5 - الرزق:

تطرق الثعالبي لمسألة الرزق، وأنّه بيد الله تعالى فلا رازق سواه، مشيرا إلى أنّ الحلال والحرام رزق من عند الله تعالى، وقبل الوقوف على رأيه بوضوح، يتعين علينا بيان معنى الرزق في اللغة والاصطلاح لنرى مدى موافقته لما تقرّر عند أهل السنة والجماعة.

تعريف الرزق:

يطلق الرزق في اللغة على معان ثلاثة(7)، وهي:

1. العطاء الجاري تارة، دنيويًا أم أخرويا. فمن الدنيوي قولك: أعطى السلطان رزق الجند ؛ ومن الأخروي: قوله تعالى: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**}(8) وقوله: {**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**}(9)

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 644/1
(2) سورة الشورى: 13
(3)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 137/4
(4) سورة المائدة: 48
(5) نفس المصدر السابق 557/1
(6) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 106/19 (قاعدة في توحّد الملّة وتعدّد الشرائع) ؛ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 21/2 وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، المكتبة الثقافية-بيروت لبنان 1973م ؛ الكليات ص: 892
(7) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص: 199
(8) سورة آل عمران: 169
(9) سورة مريم: 62

2.وللنصيب تارة، منه قولك: رزقت علمًا.

3.ولِما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة، ومنه قوله تعالى: {**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**}(1).

وحاصل هذه المعاني يدور حول الانتفاع، بمعنى أنّ الرِزْقُ (بالكسر) هو: ما ينتفع به، وجمعه أرزاق وبالفتح المصدر الحقيقي، وجمعه رَزَقَات (محرّكة)، وهي: أطماع الجند. ورزقه الله: أوصل إليه رزقًا (2).

والرازق يقال: لخالق الرّزق ومعطيه والمسبّب له، وهو الله تعالى، والرزّاق لا يقال إلاّ لله (3).

وأما في الاصطلاح: فهو: أنّ كلّ ما انْتَفَعَ بِهِ مُنْتَفِعٌ فهو رزقه(4).

فلا فرق بين أن يكون متعدّيًا بانتفاعه، وبين أن لا يكون متعديًّا به، والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة في هذا الباب أكثر من أن تذكر، وقد اتخذها الثعالبي رحمه الله سندًا في بيان رأيه، وحاصل كلامه فيها الاعتقاد بأنّ الرّزاق هو الله تعالى، ولا رزاق على الحقيقة سواه، من ذلك ما نجده في قوله ✞ حكاية عن زكريا عليه السلام ودخوله على مريم وهي تتعبّد في المحراب: {**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**}(5) أي طعاما يُتَغَذَّى به لم يعهده ولا عرف كيف جلب إليها.. ، فقال تعالى على لسانها: {**إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**}(6) تقريرًا لكون ذلك الرزق من عند الله(7)؛ ومثل هذا ما حكاه تعالى عن المنافقين تسفيها لهم حيث يقول تعالى: {**هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**}(8): يشير رحمه الله إلى أنّ الله تعالى سفّه أحلام المنافقين في أن ظنّوا أنّ إنفاقهم هو سبب رِزقُ المهاجرين، ونسوا أنّ جَرَيَان الرزق بيد الله تعالى، إذ انسدّ باب انفتح غيره(9).

ومن الأحاديث التي استشهد بها رحمه الله على أنّ كلّ ما ينتفع به من الأكل والشرب يعتبر من رزق الله تعالى ما يذكره في معرض تفسير قوله تعالى: {**كُلُوا**

---

(1) سورة البقرة: 57، 172 ؛ الأعراف: 160 ؛ طه: 81
(2) القاموس المحيط 243/3 فصل الراء -باب القاف مادة (الرزق) ؛ أساس البلاغة ص: 161
(3) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص: 199، 200
(4) الإرشاد ص: 146
(5) سورة آل عمران : 37
(6) سورة آل عمران: 37
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 313/1
(8) سورة المنافقون : 07
(9) نفس المصدر السابق 420/4 ؛ 267/2 ؛ 70/3 ؛ 429/4

وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ}[1] حيث يورد ما رواه مسلم وغيره من طريق أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال: « إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها »[2] [3].

فهذا الحديث واضح وصريح في كون الطعام والشراب ممّا هو حلال يعتبر رزقًا.

ولكن يطرح السؤال هنا وهو: أنّ المنتَفِعَ به إذا كان حرامًا هل يسمّى رزقًا أم لا؟

فذهب أهل السنة والجماعة إلى أنّه رزق، بمعنى أنّ الله يرزق الحلال والحرام. يدل على ذلك قوله تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**}[4] فلمّا كان منفردًا بالخلق والإماتة والإحياء، كان منفردًا بتولي الأرزاق[5].

وذهب بعض المعتزلة إلى أنّه ليس رزقًا، بناءً على ما قالوه من أنّ الرزق هو الملك، ورزق كلّ موجود ملكه ؛ وهذا غير مسلّم لهم، لأنّ ذلك يلزمهم أن يكون ملك الباري تعالى رزقًا له من حيث كان ملكًا له، وزاد بعضهم، فقالوا: رزق كلّ مرزوق ما انتفع به من ملكه ؛ تحرّزًا عن ملك البارئ تعالى لـمّا قيّدوا الملك بالانتفاع، والرّب تعالى متقدّس عنه. ويلزمهم مع هذا التقييد أن يقولوا: لا يدّر على البهائم رزق الله تعالى، فإنّها لا تتصف بالملك وإن اتّصف بالانتفاع، وقد قال الله تعالى: {**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**}[6].

فإذا بطل ما قالوه، لم يبق إلاّ صرف الرزق إلى الانتفاع من غير رعاية الملك[7].

وأمّا الثعالبي رحمه الله فقد قرّر بأنّ المنتفع به إذا كان حلالاً أو حرامًا يعتبر رزقًا، وهذا ما ينصّ عليه بوضوح في معرض تفسير قوله ✞: {**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**}[8] حيث يشير أنّ الطيّب من الرزق ما يجمع الحلال المستلذّ، والآية تشير بتبعيض (من) إلى أنّ الحرام رزق »[9]، وأصرح من هذا في بيان رأيه ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**}[10] حيث يقول: « الرّزق عند أهل

---

(1) سورة البقرة : 60
(2) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والتوبة والدعاء والاستغفار -باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب 2095/4 برقم (2734)
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 91/1
(4) سورة الرّوم : 40
(5) التمهيد ص: 370 ؛ الإرشاد ص: 146
(6) سورة هود: 06
(7) الإرشاد ص: 146
(8) سورة البقرة : 172
(9) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 159/1
(10) سورة البقرة : 03

السنة ما صحّ الانتفاع به حلالاً كان أو حرامًا »[1]، والمقصود: أنّ كلّ منتفع بشيءٍ مرزوق به.

وهذا هو الحق في المسألة، وهو الذي يجب على المؤمن اعتقاده، بمعنى أنّ كلّ من أكل شيئا أو شرب، فإنما تناول رزق نفسه حلالاً كان أو حرامًا، ولا يأكل أحد رزق غيره[2] خلافًا لمّا ذهب إليه المعتزلة من أنهّ ليس رزقًا، بناءً على ما قرّروه من أنّ الرزق هو الملك، ورزق كلّ موجود ملكه.

فالذي التزموه يجرّ إلى شناعة لا يبوء بها ذو دين، وذلك أنّ من اغتذى بالحرام طول عمره، وانصرفت انتفاعاته إلى الجهات المحظورة من كلّ وجه، فيلزم أن يقال: لم يدّر عليه من الله رزق، وما رزقه الله قطّ، وذلك عظيمة لا ينتحلها متديّن[3].

وفي ذلك يقول الإمام الباقلاني في معرض ردّه على المعتزلة الذين استنكروا أن يكون الحرام رزقًا: « قيل لهم: تأويل ذلك أن يجعله غذاءً للأبدان وقوامًا للأجسام، لا على معنى التمليك والإباحة لتناوله، لأنّ ذلك ممّا قد أجمع المسلمون على خلافه، وهو تعالى رازق الحلال على الوجهين جميعًا »[4].



(1) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(2) أصول الدين ص: 144-145 ؛ الفرق بين الفرق ص: 300
(3) الإرشاد ص: 147
(4) التمهيد ص: 371

الفصل الثالث
الإيمان بالمعاد
(اليوم الآخر)

تمهيد:

إنّ أمور الغيب [1] التي أخبرنا الله سبحانه و تعالى بها- لا تعلم إلاّ من عالم الغيب والشهادة، وهو الله تعالى؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ العقل البشري يجب عليه أن يتقبّل ما ورد من عند الله تعالى كما جاء بلا إنكار أو تأويل.

وهذا كما سنتبيّن بوضوح- هو منهج الثعالبي في أحوال الآخرة وأمور المعاد؛ أو ما يطلق عليه اسم قضايا الغيب، بمعنى: التصديق بما أخبر الله به، وكذا رسوله، دون التعرّض للكيفية، فنجده يثبت حقيقة الروح، وعذاب القبر، والبعث، والجنّة والنّار، والصراط، والميزان.. ، وغير ذلك.

وسلك في إثباتها مسلك أهل السنّة والجماعة، حيث يصرّح- نقلاً عن عبد الله بن أبي جمرة - بوجوب التصديق بكلّ ما أخبر الله ورسوله به، ولا يتعرّض إلى الكيفية في كلّ ما جاء من أمر الساعة وأحوال القيامة، فإنّه أمر لا تسعه العقول، وطلب الكفاية فيه ضعف في الإيمان، وإنّما يجب الجزم بالتصديق بجميع ما أخبر الله به[2].

ويعضده أيضًا-بما نقله عن الغزالي من أنّ أعلم العلماء، وأعرف الحكماء، ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قطّ بباله، ولا اختلج به ضميره، فلو لم يكن للعاقل همّ ولا غمّ إلاّ التفكّر في خطر تلك الأحوال، وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان كافيًا في استغراق جميع العمر، والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا[3]. [4]

وسنستعرض في هذا الفصل أهمّ القضايا التي تطرّق لها الثعالبي في تفسيره، وعلى رأسها: حقيقة الروح، والبعث وإمكانيته، وأشراط الساعة، ونحوها.. ، ونكتفي بما ظهر ممثّلاً لغيره، وكان كافيًا بذاته من غير اللجوء إلى التكرار.

---

(1) الغيب **لغة**: الاستتار، وجمعه: غيوب، وغياب، تقول: سمعت صوتًا من وراء الغيب، أي: من موضع لا أراه، وغابت الشمس: إذا استترت عن العين؛ ثمّ استعمل في كلّ غائب عن الحاسّة أو عن علم الإنسان. ويقال للشيء غيب وغائب باعتباره بالنّاس لا بالله تعالى، لأنّه لا يغيب عنه شيء. انظر: لسان العرب 654/1 -مادة (غيب)؛ القاموس المحيط 116/1-فصل الغين-باب الباء-مادة (غيب)؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 380، 381 ح أساس البلاغة ص: 331 ؛ وأمّا **اصطلاحًا:** ما غاب عن الحواس ممّا لا يوصل إليه إلاّ بالخبر دون النّظر. انظر: أحكام القران 08/1؛ الكلّيات ص: 667، 668 ؛ كشّاف اصطلاحات الفنون 109/2

(2) العاقبة (لم أقف على هذا الكتاب)

(3) إحياء علوم الدين 505/4-506

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 391/2

المبحث الأول
الروح، والقبر، والبعث

المطلب الأول: حقيقة الروح ومستقر الأرواح

1 ـ حقيقة الروح

تكلّم النّاس في حقيقة الروح من سائر الطوائف والنحل، واضطربت أقوالهم، وكثر خطؤهم، وهدى الله أهل السنّة لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومحور هذا الاختلاف هو: ما حقيقة الروح؟ وهل هي جزء من أجزاء البدن أو عرض من الأعراض أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرّد؟ وهل هي النّفس أو غيرها؟

وقبل الإطلاع على موقف الثعالبي من هذه المسألة، نرى أنّه من الضروري أن نبيّن معنى الروح في اللغة، واستخدام القرآن والسنّة لها، ثمّ استعراض أهمّ الأقوال فيها.

معنى الروح في اللغة:

الروح لغة [1]**:** مشتقّة من الرّيح، وهو نسيم الهواء، أي: الرّيح المتردّد في مخارق الإنسان ومنافذه أو ما به حياة النفس. والجمع: أرواح.

واصطلاحًا: قسّمها البعض إلى قسمين[2] :

I. **الروح الحيواني:** وهو جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن.

II. **الروح الإنساني:** لا يعلم كنهها إلاّ الله تعالى.

وأمّا القرآن والسنّة فقد استخدما لفظة الروح للدلالة على معان واصطلاحات عديدة[3]، وهي :

الوحي: نحو قوله تعالى: {**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا**}[1]، وقوله تعالى {**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**}[2].

---

(1) القاموس المحيط 231/1، 232 ـفصل الراء ـباب الحاء ـمادة (الروح)؛ معجم مفردات القرآن ص: 210؛ الكلّيات ص: 469

(2) الكلّيات ص: 469

(3) زاد المسير 58/5؛ فتح الباري 402/8 ؛ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء لابن قيم الجوزية ص: 206، 207 تحقيق وتعليق: محمد اسكندر يلدا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط(1) 1402هـ-1982م ؛ الكلّيات ص: 470، 471

جبريل عليه السلام: كقوله سبحانه و تعالى: {**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**}[3]، وقوله تعالى: {**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ**}[4].

المسيح عيسى عليه السلام: كما قال تعالى: {**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**}[5].

القوّة والثبات والنصرة التي يؤيّد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، كقوله تعالى: {**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**}[6].

ما به حياة البدن، أي: أرواح بني آدم- ولم تقع تسميتها في القرآن إلاّ بالنّفس، كما قال تعالى: {**وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ**}[7].

الروح التي سأل عنها اليهود، فأجيبوا بأنّها من أمر الله تعالى.

وقد سلك الثعالبي هذا المسلك في تحديد معاني الروح الواردة في الآيات القرآنية الكريمة، كما هو واضح في تفسيره لقوله تعالى: {**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**}[8]، حيث يشير إلى اختلاف المفسّرين من سلف الأمّة وخلفها في بيان معنى لفظة الروح في هذه الآية، وهي:

الوحي، وهو قول ابن عبّاس؛ النّبوّة، وهو قول مجاهد؛ الرحمة والوحي، وهو قول قتادة؛ كلام الله، وهو قول الربيع بن أنس[9] ؛ من تحي به القلوب من هداية الله ✞، قال: وهو قول حسن.

وفي هذا السياق، يذكر ما نقله عن الدّاودي من أنّ الروح هنا: خلق من مخلوقات الله على صور بني آدم، وأمر من أمر الله، وما ينزل من السماء ملك إلاّ ومعه روح كالحفيظ عليه لا يتكلّم ولا يراه ملك، ولا شيء ممّا خلق الله؛ أو أنّها خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل.

ولكن الثعالبي لا يتأخّر في التصريح بعدم ارتياحه لهذين القولين الأخيرين، ولذلك يعقّب عليهما بقوله: « والله أعلم بحقيقة ذلك، وهذا أمر لا يقال بالرأي، فإن صحّ فيه شيء عن النّبيّ صلى عليه و سلم وجب الوقوف عنده »[10]؛ وهذا الكلام منه دليل

---

(1) سورة الشورى: 52
(2) سورة غافر: 15
(3) سورة الشعراء: 193
(4) سورة النحل: 102
(5) ورة النساء: 171
(6) سورة المجادلة: 22
(7) سورة الأنعام: 93
(8) سورة النحل: 02
(9) هو: الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي، سكن البصرة ومات في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي. انظر: الطبقات الكبرى 369/7 ؛ سير أعلام النبلاء 169/6 ؛ 379/8
(10) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 415/2 -بتصرّف ؛ 550/4، 551، 648

قاطع على تقيّده بما ورد في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وهو الصواب الذي ينبغي الاعتماد عليه.

هل الروح والنّفس شيء واحد؟ أم هما شيئان متغايران؟

يرى الثعالبي أنّ الروح والنّفس شيء واحد، مستدلاً بقوله جلّ شأنه: {**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}[1]، ويستنكر -في نفس الوقت -كثرة خوض النّاس في هذه الآية، وفي الفرق بين النّفس والروح، وفي تفريق قوم بين نفس التمييز، ونفي التخييل.. ، إلى غير ذلك من الأقوال التي هي غلبة ظنّ.

ومع هذا يشير إلى مذهب من قال بأنّ: « الروح والنفس شيئان متغايران؛ وذلك أنّ في ابن آدم نفس وروح، بينهما مثل شعاع الشمس، فالنّفس هي التي بها العقل والتمييز؛ والروح هي التي بها النفس والتحرّك، فإذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه». [2]

ويستدلّ الثعالبي لتأييد ما ذهب إليه- وهو أنّ الروح والنفس مسمّاهما واحد- بما ورد في الحديث الصحيح: « أنّ الله قبض أرواحنا حين شاء وردّها علينا حين شاء » [3]، وكذا بقول بلال[4] عن النبيّ صلى الله عليه و سلم في حديث الوادي الشهير: « أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك »[5] . [6]

ووجه الشاهد من حديث بلال- رضي الله عنه- أنّه برّر غلبة نومه، بأنّ النّبيّ عليه السلام على مكانته ومنزلته من الله تعالى قد غلبته عينه، وقبضت نفسه، فهو أحرى بذلك؛ ومعنى الحديث: قبض نفسي الذي قبض نفسك، فالباء زائدة، ويؤكّد هذا ما تقدّم في الحديث الأوّل أنّ الله قبض أرواحنا، فهو نصّ صريح على أنّ المقبوض هو الروح.

و يعتبر الثعالبي بأنّ الخوض في هذا كلّه عناء، وإن كان قد تعرّض للقول في هذا ونحوه أئمّة [7].

---

(1) سورة الزمر: 39

(2) نفس المصدر السابق 81/4 ؛ العلوم الفاخرة 56/1 ؛ جامع الأمّهات-مخطوط ب(م. و. ج)، ورقة: 287 برقم (583).

(3) هكذا أورده الثعالبي، ولفظ البخاري: « إنّ الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء.. » الحديث. انظر: صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة -باب: الآذان بعد ذهاب الوقت 214/1 برقم (570) ؛ وفي كتاب التوحيد -باب: في المشيئة والإرادة 2710/6 برقم(7027)

(4) هو: بلال بن رباح بن حمامة، أبو عبد الله، مولى أبي بكر ومؤذن النبي، من السلبقين الأولين، شهد بدرا وغيرها مات بالشام سنة 17 هـ وقيل 18 هـ وقيل 20 هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 68 برقم (779) ؛ شذرات الذهب 31/1 ؛ سير أعلام النبلاء 347/1 برقم(76)

(5) قطعة من حديث أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب الصلاة-باب: من نام عن الصلاة أو نسيها 227/1، 228 برقم (697)

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 81/4

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 81/4 ؛ العلوم الفاخرة 56/1

والتحقيق في المسألة: أنّ الروح تطلق على أمور، وكذلك النّفس[1]، فيتّحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة أخرى.

فالنّفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما تسمّى نفسًا إذا كانت متّصلة بالبدن؛ وأمّا إذا أخذت مجرّدة، فتسمية الروح أغلب عليها.

وأمّا الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده، ولا مع النّفس[2].

وعليه، فسمّيت النّفس روحًا لحصول الحياة بها، وسمّيت نفسًا إمّا من الشيء النّفيس لنفاستها، وإمّا من تنفّس الشيء إذا خرج؛ فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سمّيت نفسًا، ومنه النّفس (بالتحريك)، فإنّ العبد كلّما نام خرجت منه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كلّيًا، فإذا دفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بعث رجعت إليه؛ فالفرق بين الروح والنّفس فرق بالصفات لا فرق بالذّات[3].

أقوال الفرق والمذاهب في حقيقة الروح:

تضاربت أقوال النّاس في بيان حقيقة الروح إلى آراء كثيرة، بل ومتناقضة فيما بينها؛ ويمكننا أن نستعرض أهمّ الأقوال في تحديدها، ثمّ بيان موقف الثعالبي في ذلك؟

أصحاب الطبائع: وذهبوا إلى أن الروح ليست أكثر من اعتدال الطبائع، وهي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة؛ وبعضهم على أنّها معنى خامس غير الطبائع الأربع؛ وبعضهم أنّها الحرارة الغريزية؛ وبعضهم على أنّها الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات؛ وكلّ هؤلاء يثبتون أنّ الحياة هي الروح[4].

الثنوية: [5] قالوا النفس معنى موجود، ذات حدود، وأركان، وطول، وعرض، وعمق، ، وأنّها غير مفارقة في هذا العالم لغيرها ممّا يجري عليه حكم الطول والعرض والعمق، وكلّ واحد منهما يجمعهما صفة الحدّ والنّهاية[6].

الفلاسفة: وزعموا أنّ النفس الإنسانية ليست بجسم ولا قوّة في جسم، ولا صورة، ولا تتّصل بالبدن اتّصال انطباع ولا حلول فيه، بل اتّصال تدبير وتصرّف؛ وأنّها جوهر بسيط منبثّ في العالم كلّه من الحيوان على جهة الإعمال له والتدبير، وأنّه لا يجوز عليه قلّة و لا كثرة، وهي على ما وصفت من انبساطها في هذا العالم غير

---

(1) تطلق النفس على الروح، وهو غرض مبحثنا؛ وعلى العين، يقال: أصابت فلانًا نفس، أي: عين؛ وعلى الذّات، نحو قوله تعالى: (فسلّموا على أنفسكم) سورة النور: 61؛ وغير هذا. انظر: شرح العقيدة الطحاوية 567/2، 568؛ الروح ص: 290

(2) شرح العقيدة الطحاوية 567/2، 568

(3) الروح: 291، 292

(4) الروح ص: 239

(5) مذهب مجوسي، يعرف أتباعه بأصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أنّ النور والظلمة أزليان قديمان. انظر: الملل والنحل 175/1، 186

(6) الروح ص: 239 -بتصرّف

منقسمة الذّات والبنية؛ وأنّها في كلّ حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وبهذا قال أرسطاليس[1] وأتباعه؛ ووافقهم على ذلك الشهرستاني[2].

بينما ذهب آخرون إلى أنّ النفس ليست جسمًا، ولا عرضًا، وليست في مكان، ولا لها طول، ولا عرض، ولا عمق، ولا لون، ولا بعض، ولا هي في العالم ولا خارجه، ولا مجانبة له ولا مباينة؛ وهذا قول المشّائين[3] ؛ وهذا القول هو أردى المذاهب وأبطلها وأبعدها عن الصواب[4].

المعتزلة: وقد تضاربت أقوالهم فيها واختلفت[5]، وهي كما يلي:

قال النظّام: [6] الروح جسم، وهي النّفس، وأنّ الروح حيّ بنفسه، وأنكر أن تكون الحياة والقوّة معنى غير الحيّ القويّ.

وذهب الجبّائي[7] إلى أنّ الروح: جسم، وأنّها غير الحياة، والحياة عرض، معتلاً بقول أهل اللغة: خرجت روح الإنسان، وزعم أنّ الروح لا تجوز عليها الأعراض.

وقال أبو الهذيل العلاّف [8]: إنّ النفس معنى غير الروح، والروح غير الحياة، والحياة عنده عرض؛ وزعم أنّه قد يجوز أن يكون الإنسان في حال نومه مسلوب النّفس والروح دون الحياة.

وقال جعفر بن حرب [9] **:** إنّ النّفس عرض من الأعراض يوجد في هذا الجسم، وهو أحد الآلات التي يستعين بها الإنسان على الفعل كالصحّة والسلامة وما أشبههما، وأنّها غير موصولة بشيء من صفات الجواهر والأجسام.

---

(1) هو: أرسطو طاليس بن نيقو ماخوس، فيلسوف يوناني، من أهل اسطاخرا، المقدّم المشهور، والمعلّم الأوّل، والحكيم المطلق -عندهم-ولد في أوّل سنة من ملك أردشير بن دارا؛ تعلّم على يد أفلاطون نحو 20 سنة، وهو واضع التعاليم المنطقية؛ تأثر به فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد. انظر: الملل والنحل 102/2

(2) الملل واالنحل 193/2

(3) هم: طائفة من الفلاسفة اليونان، كانوا يتداولون في قضايا فلسفية وهم يمشون في الأروقة، وأرسطو كان على رأس هذه المدرسة، ويسمّون أيضًا بأصحاب الرواق. انظر: الملل والنحل 86/2، 87

(4) الروح ص: 240

(5) الروح ص: 238-240 -بتصرّف ؛ الفرق بين الفرق ص: 130

(6) هو: إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام، أبو إسحاق. أحد رؤوس المعتزلة، طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة. وقيل له النظّام لأنّه كان ينظّم الخرز في سوق البصرة. انظر: الفرق بين الفرق ص: 127؛ الملل والنحل 41/1

(7) هو: محمّد بن عبد الوهّاب، أبو عليّ الجبّائي، نسبة إلى(جبّى) قرية بالبصرة، شيخ المعتزلة، توفّي سنة 303هـ. انظر: شذرات الذهب 241/2؛ الفرق بين الفرق ص: 170 ؛ الملل والنحل 56/1

(8) هو: محمّد بن هذيل بن عبيد الله البصري، أبو الهذيل، المعروف بالعلاّف، شيخ المعتزلة ؛ وكان يقول بفناء النّار، وغير ذلك، مات سنة 135 وله نحو 100سنة. انظر: شذرات الذهب 95/2؛ الفرق بين الفرق ص: 119؛ الملل والنحل 39/1

(9) هو: جعفر بن حرب، من رؤوس المعتزلة، زعم أنّ الممنوع من الفعل قادر على الفعل؛ للإمام عبد القاهر البغدادي كتاب في الردّ عليه سمّاه (الحرب على بن حرب) نقض فيه أصوله وفصوله. انظر: الفرق بين الفرق ص: 158

وذهب جعفر بن مبشر [1] إلى أنّ النّفس جوهر ليس هو هذا الجسم، وليس بجسم، لكنّه معنى باين الجوهر والجسم.

وذهب الأصمّ[2] إلى أنّ الروح والحياة ليست شيئًا غير الجسد حيث يقول: « ليس أعقل إلاّ الجسد الطويل العريض العميق، الذي أراه وأشاهده، وأنّ النّفس هي هذا البدن بعينه، ليس غير، وإنّما جرى عليها هذا الذكر على جهة البيان والتأكيد بحقيقة الشيء لا على أنّها معنىً غير البدن.

وأمّا أهل السنّة والجماعة: فتنوّعت عباراتهم فيها، ونذكر منها :

أنّ الروح (النفس): جسم طويل عريض عميق، ذات مكان، جثّة متحيّزة، مصرّفة للبدن، وهي والنفس اسمان مترادفان لمعنى واحد، ومعناهما واحد[3].

وقيل: هي لطيفة ربّانية روحانية، لها بهذا القلب الجسماني تعلّق؛ وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنّها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها[4].

وقيل: هي النسيم الدّاخل والخارج بالتنفّس، والروح عرض، وهو الحياة، وهي غير النفس[5].

موقف الثعالبي من حقيقة الروح:

وأمّا الثعالبي فتحدّث عن هذه المسألة في معرض تفسيره للآيات المتعلّقة بها، من ذلك: قوله تعالى: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**}[6]، يشير-نقلاً عن ابن عطية- إلى اختلاف النّاس في الروح المسؤول عنه، أيّ روح هو؟ حيث يذكر احتمالين للمفسّرين[1] :

---

(1) هو: جعفر بن مبشر المعتزلي، رأس الجهالة، زعم أنّ من فسّاق هذه الأمّة من هو شرّ من اليهود والنّصارى والمجوس والزنادقة؛ هذا مع قوله بأنّ الفاسق موحّد وليس بمؤمن ولا كافر، فجعل الموحّد الذي ليس بكافر شرًّا من الثنوي الكافر، وكفى بقوله خزيًا. انظر: الفرق بين الفرق ص: 157

(2) هو : عبد الرحمان بن كيسان، أبو بكر الأصمّ المعتزلي، من طبقة أبي الهذيل العلاّف، كان ذا دين ووقار إلاّ أنّ فيه ميلاً عن الإمام عليّ. من تآليفه: كتاب خلق القرآن، كتاب الردّ على الملحدة، الردّ على المجوس، توفي سنة 201هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 402/9 ؛ لسان الميزان 427/3

(3) حكاه ابن القيّم عن محمّد بن حزم الظاهري. انظر: الروح ص: 240 -بتصرّف.

(4) إحياء علوم الدين 03/3

(5) حكاه ابن القيّم عن القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه من الأشعرية. انظر: الروح ص: 240 - بتصرّف.

(6) سورة الإسراء: 85. وفي سبب نزول الآية روايتان: **إحداها**: ما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: بينما أنا مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في حرث، وهو متّكىء على عسيب، إذ مرّ به اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح ؟ فقالوا: ما رابكم إليه، وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه ؟ فسألوه عن الروح، فأمسك النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فلم يردّ عليهم شيئًا، فعلمت أنّه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلمّا نزل الوحي قال: « ويسألونك عن الروح... »

الأوّل: أنّ السؤال وقع عن الأرواح التي في الأشخاص الحيوانية، ما هي؟ فالروح على هذا اسم جنس، وهو من المشكل الذي لا تفسير له. فقوله (من أمر ربّي)- على هذا الرأي- يحتمل أن يريد أنّ الروح من جملة أمور الله التي استأثر سبحانه بعلمها، وهي إضافة خلق إلى خالق؛ وإلى هذا ذهب ابن عطية، معتبرًا له أنّه هو الصواب[2].

وهذا الاحتمال، هو ما أخذ به جمهور أهل العلم من سلف الأمّة وخلفها، فإنّهم أمسكوا عن الخوض فيها، فلمّا رأوا أنّ القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا، والوحي ينزل، والرسول حيّ، علموا أنّ السكوت عمّا لم يحط بحقيقة علمه أولى، وفي هذا يقول ابن الجوزي: « ومن هنا ندرك أنّ الناقلين نقلوا لفظة الروح وتفسيرها من موضعه إلى موضع لا يليق به، وظنّوه مثله؛ وإنّما هو الروح الذي يحي به ابن آدم، وهو من أمره تعالى، ومن علمه الذي منع أن يعرفه أحد »[3] .

الثاني: أنّها جسم نورانيّ شفّاف، سار في الجسم سريان النّار في الفحم؛ وهذا الذي عليه المحقّقون من المتأخّرين[4] [5] ويشهد لهذا آيات الكتاب والسنّة وأدلّة العقل، ومن ذلك:

قوله تعالى: {**فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ**}[6]، فلو لم تكن الروح في الجسم لما قال ذلك.

وقوله تعالى: {**يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(28)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29) وَادْخُلِي جَنَّتِي**}[7]، ففي الآية ثلاثة أدلّة، هي: وصفها بالرجوع، وبالدخول، وبالرضا.

الآية. انظر: صحيح البخاري: كتاب العلم-باب: من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا 58/1 برقم(123) ؛ وفي كتاب التفسير-سورة الإسراء-باب: (ويسألونك عن الروح) 1749/4 برقم(4444) ؛ ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنّة والنار-باب: سؤال النبيّ عن الروح 2152/4 برقم(2794).

الثانية: ما رواه عطاء عن ابن عبّاس: أنّ اليهود قالت لقريش: سلوا محمّدًا عن ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبيّ؛ سلوه عن فتية فقدوا ؟ وسلوه عن ذي القرنين؟ وسلوه عن الروح؟، فسألوه، ففسّر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسّر لهم قصّة ذي القرنين، وأمسك عن قصّة الروح؛ فنزلت الآية. انظر: زاد المسير 58/5

(1) المحرّر الوجيز 481/3

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 495/2 ؛ 81/4 -بتصرّف

(3) زاد المسير 85/5 ؛ تفسير ابن كثير 346/4

(4) شرح العقيدة الطحاوية 565/2، وهو قول ابن القيّم في كتابه الروح ص: 242؛ ولفظه بتمامه أنّها: « جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جنس نورانيّ علوي، خفيف، متحرّك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنّار في الفحم » .

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 495/2 ؛ العلوم الفاخرة 56/1

(6) سورة الواقعة: 83

(7) سورة الفجر: 27-30

ومن السنّة قوله صلى الله عليه و سلم : « إنّ الروح إذا قبض تبعه البصر »[1]، ففيه دليلان: وصفه بأنّه يقبض، وأنّ البصر يراه ؛ ويشهد العقل أنّ الإنسان إذا مات بقي جثّة هامدة، غير متحرّكة، فيقرّ أنّه كان يحي ويتحرّك بحقيقة داخل جسمه هي الروح.

ولم يبيّن الثعالبي موقفه بوضوح، إذ اكتفى بعرض الاحتماليين دون أن يرجّح أحدهما على الآخر.

والذي نراه صوابًا هو أن لا تعارض بين الرأيين، ذلك لأنّ الاحتمال الأوّل سكت عنها تمسّكًا بظاهر الآية والحديث الواردين فيها ؛ وأمّا الاحتمال الثاني فقد عرّفها من خلال أحوالها و اتّصالها بالبدن؛ فالنّفس- كما سبق وأن ذكرنا- تطلق على الروح، ولكن غالب ما تسمّى نفسًا إذا كانت متّصلة بالبدن؛ وأمّا إذا أخذت مجرّدة، فتسمية الروح أغلب عليها؛ وأمّا الروح فلا تطلق على البدن، لا بانفراده، ولا مع النّفس.

فناء الروح :

اختلف النّاس في مسألة الروح، هل تموت؟ أم أنّ الموت للبدن وحده؟ وانقسموا فيها إلى طائفتين [2] :

الأولى: أنّ الروح تموت لأنّها نفس، والله تعالى يقول: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**} [3] ؛ واستدلّوا على أنّه لا يبقى إلاّ الله وحده، كما قال ﷻ: {**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**}[4]، قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنّفوس البشرية أولى بالموت؛ وبهذا قال بعض أهل الكلام من المعتزلة، وكذا الباقلاّني من الأشاعرة [5].

الثانية: أنّ الروح لا تموت، لأنّها خلقت للبقاء، وهو قول أكثر علماء الإسلام[6] ؛ واستدلّوا بقوله تعالى: {**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**}[7]، هذا مع القطع بأنّ أرواحهم قد فارقت أجسادهم، وقد ذاقت الموت. واستدلّوا أيضًا بالأحاديث الدالّة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله إلى أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب.

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز-باب: في إغماض الميّت والدعاء له 634/2 برقم(920)

(2) الروح ص: 49 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 570/2

(3) سورة آل عمران: 185

(4) سورة الرحمان: 26، 27

(5) حكاه ابن القيّم عنه في كتابه الروح ص: 73

(6) الروح ص: 74 ؛ فتح الباري 444/6 ؛ تفسير بن كثير 153/2

(7) سورة آل عمران: 169

وقد ذهب الثعالبي إلى هذا الرأي الثاني وهو أنّ الأرواح كلّها أحياء، بمعنى غير فانية، ولا فرق في ذلك بين أرواح الشهداء وغيرهم؛ إلاّ ما خصّص الله به الشهداء من زيادة المزية، والحياة التي ليست بمكيّفة[1]، مستدلاً بقوله تعالى: {**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(169)فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**}[2].

والمعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله ﷻ: {**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**}[3]، إذ ينصّ على أنّ قوله (إلاّ من شاء الله): استثناء فيمن قضى الله سبحانه من ملائكته وأنبيائه وشهداء عبيده أن لا ينالهم فزع النّفخ في الصور.. ، وقد تظاهرت الروايات بأنّ الاستثناء في هذه الآية إنّما أريد به الشهداء، لأنّهم أحياء عند ربّهم يرزقون، وهم أهل الفزع، لأنّهم بشر لكن فضّلوا بالأمن في ذلك اليوم[4].

ويعضد رأيه -بما نقله عن الغزالي-[5] في بيان المعنى أنّه ليس عبارة عن إعدام الروح وانعدام إدراكها، وإنّما هو مفارقة الروح للجسد؛ فالذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أنّ الموت معناه تغيّر حال فقط، وأنّ الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمّا معذّبة، وإمّا منعّمة، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرّفها له، لخروجه عن طاعتها، فإنّ الأعضاء آلات للروح تستعملها حتّى أنّها تبطش باليد وتسمع بالأذن، وتبصر بالعين، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب[6].

وما أثبته الثعالبي هنا هو معتقد أهل السنّة والجماعة، ذلك أنّه يعبّر عن موت الإنسان: إذا فارقت روحه جسده، لا بمعنى أنّها تضمحلّ وتصير عدمًا؛ ومع هذا فالخلاف المشار إليه من قبل في المسألة هو في حقيقته خلاف لفظي، وأحسن ما يجاب عليه ما ذكره ابن القيّم رحمه الله أنّ: « الصواب في ذلك أن يقال: موت النّفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها؛ فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنّها تعدم وتفنى بالكلّية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب »[7] . وهذا ممّا اتّفقت عليه الأمّة ولله الحمد.

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 176/1، 394
(2) سورة آل عمران: 169، 170
(3) سورة النّمل: 87
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 265/3
(5) إحياء علوم الدين 493/4، 494 -ببعض التصرّف
(6) العلوم الفاخرة 55/1
(7) الروح ص: 50؛ شرح العقيدة الطحاوية 570/2، 571

2 ـ مستقر الأرواح

وهذه مسألة مهمّة في بابها، ونعني بها مصير الأرواح ما بين مفارقتها لأجسادها إلى يوم القيامة: هل هي في السماء؟ أم في الأرض؟ وهل هي في الجنّة أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها، فتنعّم وتعذّب فيها أم تكون مجرّدة ؟

اختلف النّاس في ذلك إلى آراء كثيرة، وقبل أن نقف على رأي الثعالبي، يستحسن بنا أن نستعرض تلك الأقوال، وما احتجّ به كلّ فريق، لتحديد الرأي الراجح فيها.

أهمّ الأقوال في المسألة [1] **:** وهي كما يلي:

القول الأوّل: أنّ أرواح المؤمنين عند الله في الجنّة، شهداء كانوا أم غيرهم ؛ إلاّ أنّ الشهداء خصّصوا بزيادة المزية، وهي أنّهم في حواصل طيور في الجنّة تسرح حيث شاءت، وهذا مذهب جمهور العلماء، واستدلّوا بنصوص من القرآن والسنّة، منها:

قوله تعالى: { **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ(88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ(89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ(90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ(91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ(92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ(93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**}[2] ، ومحلّ الشاهد: أنّه سبحانه ذكر هذا عقب ذكر خروج الأرواح من الأبدان، فقسّمها إلى ثلاثة أقسام: (مقرّبين) وأخبر أنّها في جنّة النّعيم، و (أصحاب اليمين) حكم لها بالإسلام، وهو يتضمّن سلامتها من العذاب، و(مكذّبين ضالّين) وأخبر أنّ لها نزلاً من حميم وتصلية جحيم؛ قالوا: وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعًا، وقد ذكر سبحانه حالها يوم القيامة في أوّل السورة.

وكذا قوله تعالى: {**يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29) وَادْخُلِي جَنَّتِي**}[3] وقد قال غير واحد من الصحابة أنّ هذا يقال لها عند الخروج من الدنيا، يبشّرها الملك بذلك، ولا ينافي ذلك قول من قال: إنّ هذا يقال لها في الآخرة، فإنّه يقال لها عند الموت، وعند البعث، وهذه من البشرى التي قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ**

---

(1) اعتمدنا في بيان هذه الأقوال على كتاب الروح لابن قيّم الجوزية ص: 125-159 بتصرّف
(2) سورة الواقعة: 88-94
(3) سورة الفجر: 27-30

تُوعَدُونَ} [1] وهذا التنزّل يكون عند الموت، ويكون في القبر، ويكون عند البعث، وأوّل بشارة الآخرة عند الموت.

وقوله صلى الله عليه و سلم : « إنّما نسمة [2]المؤمن طائر يعلق [3] في شجر الجنّة حتّى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه »[4]، وقوله أيضًا: « أرواح الشهداء عند الله في حواصل طيور خضر تسرح في أنهار الجنّة حيث شاءت، ثمّ تأوي إلى قناديل تحت العرش ». [5]

القول الثاني: أنّ أرواح المؤمنين عند الله تعالى ؛ قاله طائفة من الصحابة والتابعين، ولم يزيدوا على ذلك تأدّبًا مع لفظ القرآن حيث يقول سبحانه و تعالى: {**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**} [6] ؛ وقد استدلّوا بأدلّة منها: قوله صلى الله عليه و سلم : « إنّ الميّت إذا خرجت نفسه يعرج بها إلى السماء حتّى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله ﷻ، وإذا كان الرجل السوء يعرج بها إلى السماء، فإنّه لا يفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء فتصير إلى القبر». [7]

وهذا القول لا ينافي قول من قال هم في الجنّة ؛ وكأنّ قائله رأى أنّ هذه العبارة أسلم وأوفق، وقد أخبر الله سبحانه أنّ أرواح الشهداء عنده، وأخبر النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّها تسرح في الجنّة حيث شاءت. [8]

القول الثالث: أنّها بفناء الجنّة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها، وبهذا قال مجاهد ؛ واحتجّوا بما رواه أحمد عن ابن عبّاس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنّة في قبّة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنّة بكرة وعشية ». [9]

---

(1) سورة فصّلت: 30

(2) النّسمة: (بفتحتين) وهي الروح (النّفس) ؛ انظر: النهاية لابن الأثير 49/5 - مادة (نسم)

(3) يعلق: أي يأكل من ثمرها.

(4) الحديث أخرجه مالك في موطّئه: كتاب الجنائز -باب: جامع الجنائز، 207/1، برقم (49)، واللفظ له ؛ و الترمذي نحوه: كتاب فضائل الجهاد- باب: ما جاء في ثواب الشهداء 151/4، برقم (1641) وقال: " حديث حسن صحيح" ؛ والنسائي في كتاب الجنائز -باب: أرواح المؤمنين 108/4، برقم (2073) ؛ وابن ماجة في كتاب الزهد -باب: ذكر القبر والبلى 1428/2، برقم (4271) ؛ وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 729/2، برقم (995)

(5) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة -باب: بيان أنّ أرواح الشهداء في الجنّة 1502/3، برقم (1887) مع اختلاف يسير في اللفظ.

(6) سورة آل عمران: 169

(7) الحديث أخرجه بغير هذا اللفظ، أحمد في مسنده 140/6 -ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر (د. ت. ط) ؛ وابن ماجة في سننه -كتاب الزهد -باب: ذكر الموت والاستعداد له 1423/2، 1424 برقم (4261) وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه 386/3 ؛ ومشكاة المصابيح 510/1، 511

(8) الروح ص: 145

(9) الحديث أخرجه أحمد في مسنده برقم (2268) كتاب مسند بني هاشم ؛ بداية مسند عبد الله بن عباس

وهذا لا ينافي كونهم في الجنّة، فإنّ ذلك النّهر من الجنّة، ورزقهم يخرج عليهم من الجنّة، فهم في الجنّة وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها، فمجاهد وغيره نفوا الدخول الكامل من كلّ وجه، والتعبير يقصر بتمييز هذا عن هذا[1].

القول الرابع: أنّ أرواح المؤمنين والكافرين على أفنية القبور، إلاّ أرواح الشهداء فإنّها في الجنّة ؛قال بهذا طائفة منهم ابن عبد البرّ[2]، وحكاه بن حزم عن عامّة أهل الحديث[3].

واستدلّوا بقوله صلى الله عليه و سلم : « إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه، إنّه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمّد صلى الله عليه و سلم ؟ فأمّا المؤمن فيقول: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فيقول له: أنظر إلى مقعدك من النّار، أبدلك الله به مقعدًا من الجنّة، فيراهما جميعًا.. » .

وينبغي أن يعلم هنا: إن كان المراد بأنّ الأرواح تكون على أفنية القبور وقتًا، أو لها إشراف على قبورها وهي في مقرّها، فهذا حقّ، ولكن لا يقال مستقرّها أفنية القبور ؛ وإن كان المراد أنّ هذا أمر لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبدًا فهذا خطأ تردّه نصوص القرآن والسنّة.

وأمّا ما احتجّوا به من قبل، فهو يتناول الأرواح التي في الجنّة بالنصّ، وفي الرفيق الأعلى، وقد تبيّن أنّ عرض مقعد الميّت عليه من الجنّة والنّار لا يدلّ على أنّ الروح في القبر، ولا على فنائه دائمًا من جميع الوجوه، بل لها إشراف واتّصال بالقبر وفنائه ؛ وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده، فإنّ للروح شأنًا آخر تكون في الرفيق الأعلى في أعلى علّيين، ولها اتّصال بالبدن بحيث إذا سلّم المسلم على الميّت ردّ الله عليه روحه، فيردّ عليه السلام وهي في الملأ الأعلى، وإنّما يغلط أكثر النّاس في هذا الموضع حيث يعتقد أنّ الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إن شغلت مكانًا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السماوات في أعلى علّيين، وتردّ إلى القبر فتردّ السلام وتعلم المسلم وهي في مكانها هناك[4].

القول الخامس: أنّ أرواح المؤمنين في علّيين في السماء السابعة، وأرواح الكفّار في سجّين في الأرض السابعة ؛ قاله كعب، وجماعة من السلف والخلف ؛ واحتجّوا

---

(1) الروح ص: 137
(2) حكاه عنه ابن القيّم في كتابه الروح ص: 127-138
(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل 121/4
(4) الروح ص: 139

بقوله صلى الله عليه و سلم : « اللهمّ الرفيق الأعلى »[1]، وقوله أيضًا: « إنّ الميّت إذا خرجت روحه عرج بها إلى السماء حتّى ينتهي بها إلى السماء السابعة »[2].

ولكن هذا لا يدلّ على استقرارها هناك، بل يصعد بها هناك للعرض على ربّها، فيقضي فيها أمره، ويكتب كتابه من أهل علّيين أو من أهل سجّين، ثمّ تعود إلى القبر للمساءلة، ثمّ ترجع إلى مقرّها التي أودعت فيه ؛ فأرواح المؤمنين في علّيين بحسب منازلهم، وأرواح الكفّار في سجّين بحسب منازلهم[3].

القول السادس: أنّ أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواح الكفّار في برزخ ضيّق، فيه الغمّ والعذاب، وهذا مرويّ عن سلمان الفارسي- رضي الله عنه.

وكأنّ سلمان أراد بها: في أرض بين الدنيا والآخرة، مرسلة هناك، تذهب حيث شاءت ؛ وهذا قول قويّ، فإنّها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة، بل هي في برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وأرواح الكفّار في برزخ ضيّق فيه الغمّ والعذاب، يشهد له قوله تعالى: {**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**}[4] ، فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة، وأصله: الحاجز بين الشيئين[5].

القول السابع: أنّ أرواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام، والكفّار عن شماله. قال بهذا طائفة منهم ابن حزم ؛ واستدلّوا بما ثبت في حديث الإسراء أنّ: « النّبيّ صلى الله عليه و سلم لمّا أسري به وجد آدم في سماء الدنيا وأرواح أهل السعادة عن يمينه، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، فإذا نظر إلى أهل السعادة ضحك، وإذا نظر إلى أهل الشقاوة بكى »[6].

ولكن لا يدلّ ذلك على تعادلهم في اليمين والشمال، بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلوّ والسعة، وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن[7].

القول الثامن: أنّ أرواح المؤمنين بالجابية[8]، وأرواح الكفّار بـ (برهوت) [1]بحضرموت. قاله جماعة من أهل السنّة ؛ واستدلّوا بما أخرجه ابن عساكر[2]

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق -باب من أحبّ لقاء الله 2387/5 برقم (6028) ؛ وفي كتاب المرضى والطبّ -باب: تمنّي المريض الموت 2147/5، برقم (5242) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام -باب استحباب رقية المريض 1421/4، 1422 برقم (4061)

(2) الحديث بهذا اللفظ لم أجده

(3) الروح ص: 148

(4) سورة المؤمنون: 100

(5) نفس المصدر السابق ص: 148-149

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة -باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء 135/1 برقم (342) ؛ ومسلم في كتاب الإيمان -باب: الإسراء برسول الله 148/1

(7) الروح ص: 149

(8) الجابية: (بكسر الباء وياء مخفّفة) وهي قرية من أعمال دمشق، وبالقرب منها تلّ يسمّى تلّ الجابية، وباب الجابية بدمشق منسوب إلى هذا الموضع ؛ انظر: معجم البلدان 91/2

وغيره عن عبد الله بن عمرو : « أنّ أرواح المؤمنين تجمع بالجابية، وأرواح الكفّار ببئر برهوت »[3] .

فإن أراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه، وأنّها تجمع في مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه، فهذا قريب، وإن أراد الجابية نفسها دون سائر الأرض، فهذا لا يعلم إلاّ بالتوقيف، ولعلّه ممّا تلقّاه عن بعض أهل الكتاب[4].

القول التاسع: أنّها تجتمع في الأرض التي قال الله فيها: {**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**}[5].

وهذا القول غير وجيه، وما احتجّوا به لا يؤيّد زعمهم، فقد اختلف النّاس في الأرض المذكورة في الآية: فقيل هي أرض الجنّة، وهو قول كثير من المفسّرين، وقيل: إنّها الدنيا التي فتحها الله على أمّة محمّد صلى الله عليه و سلم وهو القول الصحيح، نظيره قوله تعالى: {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**}[6] . [7]

القول العاشر: أنّ أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم، وأرواح الكفّار ببئر برهوت.

وهذا القول لا دليل عليه من قرآن ولا سنّة يجب التسليم لها، ولا قول صاحب يوثق به، وليس بصحيح، فإنّ تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم، وهو مخالف لما ثبتت به السنّة الصحيحة من أنّ نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنّة.. ؛ وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها، وهو أفسد من قول من قال إنّها بالجابية، فإنّ ذلك مكان متّسع فضاء، بخلاف البئر الضيّقة[8].

القول الحادي عشر: أنّ مستقرّها العدم المحض، وهذا قول من قال إنّها عرض من أعراض البدن وهو الحياة، كما ذهب إليه أبو الهذيل العلاّف المعتزلي ومن وافقه.

---

(1) برهوت: (بضمّ الهاء وسكون الواو) واد أو بئر بحضرموت باليمن، وقيل: اسم البلد الذي فيه هذا البئر ؛ انظر: معجم البلدان 405/1

(2) هو: علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقي الشافعي أبو القاسم، لإمام حافظ ثقة ثبت، ولد سنة 499 هـ من تآليفه: تاريخ دمشق. انظر: طبقات الحفاظ 475/1 ؛ طبقات الشافعية 13/2 ؛ سير أعلام النبلاء 554/20 برقم (354)

(3) الحديث أخرجه الديلمي في الفردوس 507/1، برقم (1699) ؛ قدّم له وحقّقه وخرّج أحاديثه: أحمد زمرلي، ومحمّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي -بيروت ط(1): 1407هـ -1987 م ؛ وذكره ابن القيّم في كتابه الروح ص: 146

(4) الروح ص: 146-147

(5) سورة الأنبياء: 105

(6) سورة النور: 55

(7) نفس المصدر السابق ص: 147

(8) الروح ص: 148

وهؤلاء عندهم أنّ الجسم إذا مات عدمت روحه وسائر أعراضه المشروطة بالحياة، فلا روح تصعد إلى السماء وتعود إلى القبر، ولا تنعّم ولا تعذّب، وإنّما ينعّم ويعذّب الجسد إذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه ردّ إليه الحياة في وقت يريد نعيمه أو عذابه، وإلاّ فلا أرواح هناك قائمة بنفسها البتّة.

وهذا القول فاسد، بل باطل تردّه نصوص القرآن والسنّة وأقوال الصحابة وأدلّة العقل والفطرة ؛ فقد خاطب الله تعالى النفس بالرجوع والدخول والخروج.. ، ودلّت السنّة على أنّها تصعد وتنزل وتقبض وتمسك وترسل، وتستفتح لها أبواب السماء وتسجد وتتكلّم، وأنّها تخرج تسيل كما تسيل القطرة، وتكفّن وتحنّط في أكفان الجنّة والنّار، وأنّ ملك الموت يأخذها بيده ثمّ تتناولها الملائكة من يده، ويشمّ لها كأطيب نفحة مسك أو أنتن جيفة، وتشيّع من سماء إلى سماء، ثمّ تعود إلى الأرض.. إلخ[1].

القول الثاني عشر: أنّ مستقرّ الأرواح بعد المفارقة تكون في أبدان الحيوانات التي تناسبها، وهو قول التناسخية ومن وافقهم من الذين ينكرون المعاد.

فالأرواح عندهم تصير بعد مفارقتها الأبدان إلى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي تناسبها وتشاكلها، فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات، فتنعّم فيها أو تعذّب، ثمّ تفارقها وتحلّ في أبدان أخر تناسب أعمالها وأخلاقها، وهكذا أبدًا ؛ فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك. وهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتّفقت عليه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أوّلهم إلى آخرهم، بل إنّ هذا القول من أبطل الأقوال وأخبثها[2].

موقف الثعالبي من مستقرّ الأرواح :

وأمّا الثعالبي فذهب إلى الجمع بين ما صحّ من تلك الأقوال السابقة الذكر، فيرى بأنّ الأرواح متفاوتة في مصيرها ومستقرّها، وأنّ الأدلّة كلّ نوع منها وارد على فريق من النّاس، وهذا ما يوضّحه في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**}[3] ، فيشير إلى أنّ قوله (وما أنت بمسمع من في القبور): تمثيل بما يحسبه البشر ويعهده جميعًا من أنّ الميّت الشخص الذي في القبر لا يسمع، وأمّا الأرواح فلا نقول إنّها في القبر، بل تتضمّن الأحاديث أنّ أرواح المؤمنين في شجر عند العرش، وفي قناديل، وغير ذلك، وأنّ أرواح الكفّار في سجّين، ويجوز في بعض الأحيان أن تكون الأرواح عند القبور، فربّما سمعت، يدلّ عليه ما ورد في الحديث الصحيح من سماع أرواح أهل قليب بدر ؛ فلا تعارض بين الآية الكريمة وحديث القليب[4].

---

(1) نفس المصدر السابق ص: 152-153
(2) نفس المصدر السابق ص: 156
(3) سورة فاطر: 22
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 395/3

ويعضد رحمه الله رأيه بأقوال أهل العلم، من ذلك ما ذكره ابن عطية: من أنّ أرواح الشهداء في حواصل طير تعلق من ثمر الجنّة، وفي قبّة خضراء، وفي قناديل.. إلخ ؛ ولا محالة أنّها أحوال الطوائف أو للجميع في أوقات متغايرة[1] يقول الثعالبي: وهذا هو الصواب[2].

وقول شبيب بن إبراهيم في كتاب الإفصاح[3] أنّ: « المنعّمين على جهات مختلفة، أي: بحسب مقاماتهم وتفاوتهم في أعمالهم ». وهو قول حسن لأنّه يجمع الأخبار حتّى لا تتدافع، ولهذا يقرّر الثعالبي في تعقيبه بأنّ هذا هو المسلك الحسن في التأويل، لأنّ المطيعين لمّا اختلفت أعمالهم اختلفت أحوالهم.. ، والواجب التصديق بجميع ما جاء به الشارع صلى الله عليه و سلم ولا مدخل للعقل في أمور الآخرة[4].

وهذا الجمع للأقوال حسن، بل هو الصواب الذي نرجّحه، لأنّه مسلك دقيق لدفع التعارض الظاهري للنصوص السابقة ؛ و إليه ذهب الإمام ابن القيّم رحمه الله حيث يقول: « وإذا تأمّلت السنن والآثار في هذا الباب، وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجّة ذلك، ولا تظن أنّ بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضًا، فإنّها كلّها حقّ يصدّق بعضها بعضًا، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النّفس وأحكامها، وأنّ لها شأنًا غير شأن البدن، وأنّها مع كونها في الجنّة فهي في السماء، وتتّصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً، وصعودًا، وهبوطًا، وأنّها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية.. إلخ[5].

المطلب الثاني: القبر والبعث

1 - القبر

تقدّمت الإشارة إلى أنّ أمور الغيب لا يمكن التوصّل إليها إلاّ عن طريق السمع، أي: لا سبيل لمعرفتها إلاّ عن طريق نصّ من كتاب الله تعالى أو خبر من النّبيّ ﷺ، و لذلك نجد السلف قد قبلوها على ظاهرها، خلافًا لمن فتح باب الخوض فيها واسعًا حتّى أفضى به الأمر إلى إنكار ما جاء به الشرع، بحجّة الاعتماد على العقل.

ومن هنا أنكر بعض المعتزلة عذاب القبر[6]، مستدلّين بأنّ الميّت جماد لا حياة فيه، فلا يتصوّر تعذيبه، بل هو محال[1].

---

(1) المحرّر الوجيز 436/4
(2) العلوم الفاخرة 57/1
(3) لم اقف على هذا الكتاب
(4) العلوم الفاخرة 57/1
(5) الروح ص: 158 ؛ التذكرة 108/1، تحقيق وتعليق: يوسف علي بدوي, دار ابن كثير -دمشق -بيروت ط(1) 1419هـ -1999
(6) من هؤلاء المنكرين: ضرار بن عمرو، والمريسي، ويحي بن كامل، وأكثر المتأخرين من المعتزلة. انظر: المواقف ص: 382؛ الروح ص: 81

وأمّا أهل السنّة والجماعة فهو عندهم حقيقة، وأصل من الأصول التي يجب الإيمان بها.

و هذا ما يقرّره الثعالبي، حيث يثبت -ولو باختصار شديد- سؤال الملكين للعبد في قبره بعد عودة الروح إلى جسده، وأنّه يسمع خفق النعال إذا انصرف عنه أهله بعد دفنه.. ، إلى غير ذلك ممّا هو جائز في قدرة الله تعالى[2].

وهذا ما يوضّحه عند تفسير قوله سبحانه: {**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**}[3]، فيشير إلى أنّ: « الله تعالى يخلق للعبد في قبره إدراكات وتحصيلاً إمّا بحياة كالمتعارفة، وإمّا بحضور النّفس وإن لم تتلبّس بالجسد كالعرف، كلّ ذلك جائز في قدرة الله تعالى » [4] وهذا في حقيقة الأمر ردّ منه وانتقاد ضمنيّ لمن ينكر ذلك.

ستشهد على صحّة رأيه بما ورد في الصحيحين عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال: « العبد إذا وضع في قبره، وتولّى وذهب أهله، حتّى إنّه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ما كان فأقعداه يقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل- محمّد- صلى الله عليه و سلم فيقول: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فيقال: أنظر إلى مقعدك من النّار، أبدلك الله به مقعدًا من الجنّة، قال النبيّ صلى الله عليه و سلم : فيراهما جميعًا؛ وأمّا الكافر والمنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول النّاس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثمّ يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلاّ الثقلين »[5] [6]

عذاب القبر أيكون على الروح؟ أم على البدن؟ أم عليهما معًا؟

يرى الثعالبي أنّ الميّت إذا مات يكون في نعيم أو في عذاب، وأنّ ذلك يحصل لروحه وبدنه معًا، وأنّ الروح تبقى بعد مفارقتها للبدن منعّمة أو معذّبة، وأنها تتّصل بالبدن أحيانًا، ويحصل له معها النّعيم أو العذاب، ثمّ إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقام النّاس لربّ العالمين.

وهذا ما دلّت عليه نصوص القرآن والسنّة، منها: قوله جلّ وعلا: {**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ(45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**

---

(1) شرح الأصول الخمسة ص: 730

(2) أفاض رحمه الله الكلام في مسألة عذاب القبر ونعيمه في كتابه العلوم الفاخرة، فانظرها هناك، وهو كتاب خاص بهذه المسائل الغيبية.

(3) سورة إبراهيم: 27

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 383/2، 384

(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز-باب: الميّت يسمع خفق النّعال 448/1 برقم (1273)، وباب: ما جاء في عذاب القبر 461/1 برقم(1303) ؛ ومسلم في كتاب الجنّة-باب: عرض مقعد الميّت من الجنّة أو النّار عليه 2200/4 برقم(2870)

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 104/4

أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}[1] فالآية الكريمة تشير إلى أنّ أرواح آل فرعون تعرض من حين موتهم إلى قيام السّاعة على النّار، صباحًا ومساءً، ثمّ مصيرهم النّار يوم القيامة؛ ومحلّ الشاهد من الآية أنّ قوله (ويوم تقوم الساعة) يدلّ دلالة واضحة على أنّ ذلك العرض يكون في القبر قبل دخولهم النّار؛ ويستشهد الثعالبي بما ورد في الصحيحين عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النّار، فيقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك الله إلى يوم القيامة »[2]، ويعضد رحمه الله كلامه بما نقله عن الرازي[3]، و القرطبي[4] أنّ هذا هو عذاب القبر في البرزخ[5].

ويقول الغزالي في هذا: « إنّ هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، أما ترى الصحابة- رضي الله عنهم- كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون بأنّه عليه السلام يشاهده ؛ فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهمّ عليك، وإن كنت آمنت به وجوّزت أن يشاهد النّبيّ صلى الله عليه و سلم ما لا تشاهده الأمّة فكيف لا تجوّز هذا في الميّت ؟.. ، وإنّ من ينكر بعض ذلك، فهو لضيق حوصلته وجهله باتّساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره، فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه، وذلك جهل وقصور »[6] وهذا ممّا اتّفق عليه أهل السنّة والجماعة[7].

2 ـ البعث

ويتّصل بما سبق ذكره ركن أساسيّ من أركان الإيمان وهو الإيمان بالبعث [8]، وهو أصل عظيم لا يصحّ إيمان أحد إلاّ به، لأنّه معلوم من الدين بالضرورة؛ فيجب

---

(1) سورة غافر: 45، 46

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز-باب: الميّت يعرض عليه بالغداة والعشيّ 464/1 برقم (1313)، وفي كتاب الرقاق-باب: سكرات الموت 2388/5 برقم(6150) ؛ و مسلم في كتاب صفة القيامة والجنّة والنار-باب: عرض مقعد الميّت من الجنّة والنار 2199/4 برقم(2866)

(3) التفسير الكبير مج 14/ج 74/26

(4) التذكرة 227/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 104/4 -بتصرّف

(6) إحياء علوم الدين 500/4-502

(7) الروح ص: 24 ؛ الإرشاد ص: 213

(8) البعث **لغة**: إثارة الشيء، وتوجيهه، تقول: بعثت البعير: أي أثرته وسيّرته؛ ويأتي بمعنى الإيقاظ، ومنه قوله تعالى: (وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه) سورة الأنعام: 60، ويطلق على الجيش، وجمعه بعوث. انظر: القاموس المحيط 168/1 -فصل الباء والتاء -باب الثاء -مادة (بعث).

على المؤمن أن يصدّق بما أخبر الله به في كتابه، وكذا رسوله صلى الله عليه و سلم في سنّته، ممّا يكون بعد الموت من نعيم القبر وعذابه، وما يكون في النّفخ في الصور، وخروج الخلق من القبور، وما يكون يوم القيامة من الأهوال وتفاصيل الحشر ونشر الصحف ووضع الموازين، والصراط... وغير ذلك ممّا دلّ عليه الكتاب والسنّة، كقوله سبحانه وتعالى: {**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**}[1]، وأخبر تعالى بهذه الحقيقة من حين أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض فقال جلّ وعلا: {**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(24)قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ**}[2]، ولمّا طلب إبليس اللعين من الله تعالى إنظاره بقوله: {**رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**}[3]، أجابه ربّنا ﷻ بقوله: {**فَإِنَّكَ مِنْ الْمُنْظَرِينَ(37)إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**}[4]، ويخبرنا تعالى عن اعتراف أهل النّار يوم القيامة بهذه الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان، فتقول لهم خزنتها: {**أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**}[5].

وأمّا شرعًا: فيطلق على معنيين: الأوّل: الإرسال، ومنه قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً) سورة الأنعام: 65. والثاني: إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم للجزاء نعيمًا أو عذابًا، ومنه قوله تعالى: (وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور) سورة الحجّ: 07. انظر: الكلّيات ص: 244 ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 50.

وهناك مفردات لغوية تطلق في الشرع، ويراد بها معنى البعث، وهي: النشر، والحشر، والمعاد.

=

= فالنشر حقيقته من قولنا: نشر الله الميّت: بمعنى أحياه، ومنه قوله تعالى: (فأنشرنا به بلدة ميتًا) سورة الزخرف: 11، أي: أحييناها. انظر: القاموس المحيط 147/2 -فصل النون -باب الراء -مادة (نشر)؛معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 514؛ أساس البلاغة ص: 456 ؛ شرح المقاصد للتفتزاني 82/5 ؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن 444/4 ؛ 201/3.

بينما الحشر فمأخوذ لغة: من الجمع، ومنه قوله تعالى: (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا) سورة الكهف: 46، والمراد به: سوق الخلائق إلى أرض المحشر، بعد إخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء. انظر: القاموس المحيط 09/2 -فصل الحاء -باب الراء -مادة (الحشر)؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 118؛ أساس البلاغة ص: 84.

وأمّا المعاد فهو الرجوع، مأخوذ من: عاد يعود عودًا وعودة : بمعنى رجع إلى الشيء بعد الانصراف عنه، ومنه قوله تعالى: (إنّ الذي فرض عليك القرآن لرآدّك إلى معاد) سورة القصص: 85، والمراد به: رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرّق، وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة. انظر: القاموس المحيط 330/1 -فصل العين -باب الدال -مادة (العود)؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 364؛ أساس البلاغة ص: 316؛ شرح المقاصد 82/5؛ إحياء علوم الدين 114/1

(1) سورة البقرة: 177

(2) سورة الأعراف: 24، 25

(3) سورة الحجر: 36

(4) سورة الحجر: 37، 38

(5) سورة الزمر: 71

ويشهد لهذا من السنّة قوله صلى الله عليه و سلم : « يبعث كلّ عبد على ما مات عليه »[1]، وقوله أيضًا: « لا يؤمن عبد حتّى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله، بعثني بالحقّ، ويؤمن بالموت،

ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر »[2].

وتشهد العقول والفطر السليمة على صحّته ولا تمنع وقوعه، بل تدعو إلى الإيمان به، فقد ثبت بالبراهين العقلية والمادية معًا أنّ الكون حادث، وما كان حادثًا فالفناء من صفاته اللازمة له التي لا تنفكّ عنه بحال، وطروء الفناء على الحوادث في الكون مشاهد في هذه الحياة، لا يحتاج إلى دليل.

وبناءً على هذا فإنّ أبدية الكون وما فيه أمر مستحيل، وأنّ فناءه أمر ممكن لا يوجب إثباته أيّ تناقض عقليّ، وكذلك بعث الخلائق فيه أحياءً، للجزاء والعقاب أمر ممكن، وجائز، لا يوجب إثباته أيّ تناقض عقليّ. [3]

من هذا المنطلق اهتمّ الثعالبي بهذه الحقيقة، فنالت قسطًا مهمًّا في تفسيره، بحيث يتّخذ من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الشأن أدلّة رئيسية في تقريرها[4].

فقد ذكر لنا ربّنا قصّة الرجل الذي قتل قريبه من أجل المال ليرثه، فلمّا حدث النّزاع بينهم، أمر تعالى بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام أن يضربوا ببعض لحم البقرة- بعد ذبحها- القتيل، فيحي، ويخبر عن قاتله، حيث يقول ✞: {**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**}[5]، ففي هذه الآية- كما يوضّح الثعالبي- حضّ على العبرة، ودلالة على البعث في الآخرة[6].

ولهذا أقرّ المؤمنون بالبعث، وأنّه في نفسه حقّ لا ريب فيه[7]، كما يقول تعالى- حكاية على لسانهم-: {**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**}[8].

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنّة -باب: الأمر بحسن الظنّ بالله تعالى عند الموت 2205/4 برقم(2877)

(2) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: في كتاب القدر -باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشرّه 393/4، برقم (2145)؛ وابن ماجة في سننه: المقدّمة-باب: في القدر 32/1، برقم (81)؛ والحاكم في مستدركه 32/1وقال: « صحيح على شرط الشيخين »؛ وصحّح الألباني سنده في كتاب السنّة لابن أبي عاصم 59/1، برقم (130).

(3) كتاب الإسلام يتحدّى لوحيد الدين خان ص: 79، 106 ترجمه إلى العربية: ظفر الإسلام خان، مراجعة: د. عبد الصبور شاهين، الطبعة السادسة، المختار الإسلامي 1976م-القاهرة.

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 630/1 ؛ 3/49-61-67-80-201-290-303-304-315-329-381 ؛ 4/14-87-96-147-164-265-320-387-443-444-483-518-538-555-556-564-565-575-595-614-664.

(5) سورة البقرة: 73

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 100/1

(7) نفس المصدر السابق 296/1 ؛ 198/2

(8) سورة آل عمران: 09

ويشير إلى تعظيم الله لأمر الآخرة، حين يجمعهم على أرض المحشر، وهو يوم مشهود، يشهده الأوّلون والآخرون جميعًا من الملائكة والجنّ والإنس والحيوان[1]، كما يقول تعالى: {**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ(103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ**}[2].

ويشهد لهذا قوله تعالى: {**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**}[3]، وكذا ما ورد في الحديث عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد صفوفًا يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر.. » الحديث بطوله[4] [5].

فالبعث من القبور من الأدلّة التامة على كمال قدرة الله تعالى، كما يقول سبحانه: {**أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[6]، والمعنى: قل يا محمّد: وما اختلفتم فيه أيّها النّاس من تكذيب وتصديق، وإيمان وكفر، وغير ذلك، فالحكم فيه والمجازاة عنه ليست إليّ ولا بيدي، وإنّما ذلك إلى الله تعالى الذي صفاته ما ذكر من إحياء الموتى والقدرة على كلّ شيء[7].

مسالك الثعالبي في إثبات حقيقة البعث:

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الثعالبي قد سلك في إثبات حقيقة البعث مسالك متعدّدة، وطرق شتّى، وصور مختلفة، تماشيًا مع القرآن الكريم، وهي كما يلي:

المسلك الأوّل: وفيه طريقتان

الأولى: قياس الإعادة على البدء: بمعنى أنّ الله ✠ الذي خلق الإنسان وصوّره في أحسن خلقة ابتداءً، قادر على إعادته إذا مات.

وقد قرّر تعالى هذه الحقيقة في قوله: {**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**}[8]، استفاد الثعالبي الدليل من هذه الآية الكريمة، حيث يقول في بيان المراد من قوله تعالى: (يا أيّها النّاس إن كنتم في ريب من البعث..) أنّه احتجاج على العالم

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 296/2

(2) سورة هود: 103، 104

(3) سورة الكهف: 47

(4) نفس المصدر السابق 532/2

(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-باب: قول الله تعالى(ولقد أرسلنا نوحًا) 1215/3 برقم(3162)

(6) سورة الشورى: 09

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 134/4

(8) سورة الحجّ: 05

بالبدأة الأولى، وضرب سبحانه وتعالى في هذه الآية مثلين إذا اعتبرهما النّاظر جوّز في العقل البعثة من القبور، ثمّ ورد الشرع بوقوع ذلك[1].

وعضّد رأيه ببيان ما ورد في السياق نفسه، حيث يقول: وقوله (فإنّا خلقناكم من تراب): يريد آدم عليه السلام، وقوله (ثمّ من نطفة) يريد المنيّ، وقوله (ثمّ من علقة) أي الدم الذي تعود النطفة إليه في الرحم، وقوله (ثمّ من مضغة) وهي قطعة لحم على قدر ما يمضغ (مخلّقة وغير مخلّقة) ومعناها: متمّمة وغير متمّمة وهي التي تسقط، (لنبيّن لكم) معناه: أمر البعث.. ، فهذا مثال واحد يقتضي للمعتبر به أنّ القادر على هذه المناقل، المتقن لها، قادر على إعادة تلك الأجساد التي أوجدها بهذه المناقل إلى حالها الأولى[2].

ولو تأمّل كلّ إنسان نفسه لعلم أنّه قد مرّ عليه زمن لم يكن موجودًا، ولو نظر كيف حملته أمّه في بطنها من حال إلى حال، بعد أن كان نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ ينفخ فيه الروح، ثمّ يسهّل الله له الخروج إلى الدنيا، ثمّ يتوفّاه بعد ذلك، لأيقن أنّ الله قادر على إعادته حيًّا بعد موته للجزاء[3]، و إليه الإشارة في قوله ✞: {**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**}[4]، وقوله {**فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(6)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**}[5]، وقوله {**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**}[6]، وقوله {**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ(3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**}[7]، ففي هذه الآيات وغيرها أمثال منبّهات على قدرة الله تعالى القاضية بتجويز البعث[8].

وعوض أن يشكر هذا الإنسان ربّه على ما أسداه له من النّعم، نراه يمضي في طغيانه وشهواته منكرًا رجوعه إلى ربّه، وهو معنى قوله سبحانه {**بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**}[9] أي: أنّه إنّما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدًا، راكبًا رأسه، ومطيعًا أمله، ومسوّفًا توبته؛ وهنا يستأنس الثعالبي بما قاله الرازي في قوله تعالى (ليفجر أمامه) أي: « يكذّب بما أمامه من البعث والحساب، لأنّ من كذّب حقًّا كان مفاجرًا »[10] ، يدلّ عليه قوله تعالى: {**يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**}[1] أي: « متى يكون

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 110/3 ؛ 19/2، 237
(2) نفس المصدر السابق 110/3، 111 -بتصرّف
(3) نفس المصدر السابق 518/4، 527، 598 -بتصرّف
(4) سورة الإنسان: 1، 2
(5) سورة الطارق: 5-8
(6) سورة الرعد: 08
(7) سورة القيامة: 04
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 361/2-بتصرّف
(9) سورة القيامة: 05
(10) التفسير الكبير مج(15) ج 218/29

ذلك؟ تكذيبًا له »[2] ؛ وإليه الإشارة أيضًا في قوله تعالى: {**إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ**}[3] ومعناه: ألن يرجع إلى الله مبعوثًا محشورًا؟ فيردّ الله عليه وعلى أمثاله هذا الزعم الباطل، بقوله {**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**}[4]، والمعنى: لتركبنّ الشدائد الموت والبعث والحساب حالاً بعد حال[5].

الثاني: الاستدلال بإحياء الأرض بعد يبوستها على البعث

الذي يقدر على إحياء الأرض بعد أن يبست وجفّت، يقدر على إحياء الإنسان بعد تفرّق أجزائه في تراب الأرض. يقول الله سبحانه و تعالى: {**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**}[6]، يشير الثعالبي إلى أنّ هذا هو المثال الثاني الذي يعطي للمعتبر فيه جواز بعث الأجساد، وذلك أنّ إحياء الأرض بعد موتها بيّن، فكذلك الأجساد[7].

والمعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله تعالى: {**أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(19)قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[8]، فهذه الحالة هي ما يظهر مع الأحيان من إحياء الأرض والنبات وإعادته، ونحو ذلك ممّا هو دليل على البعث من القبور، ثمّ أمر تعالى نبيّه محمّدًا صلى الله عليه و سلم بأن يأمرهم على جهة الاحتجاج بالسير في الأرض والنّظر في أقطارها ليتأكّدوا من حقيقة الأمر، وأنّ الله قادر على إنشاء هؤلاء الموتى من قبورهم مرّة أخرى[9].

ثمّ ذكر سبحانه آية أخرى منصوبة ليعتبر بها في أمر البعث من القبور، ويستدلّ بما شوهد من هذه على ما لم يشاهد، فقال: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**}[10]، ثمّ ذكّر تعالى بالأمر الذي ينبغي أن يقاس على هذه الآية، وذلك للعبرة وهو إحياء الموتى، فقال: {**إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[11]. [12]

---

(1) سورة القيامة: 06
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 518/4 ؛ 500/2، 501
(3) سورة الانشقاق: 14
(4) سورة الانشقاق: 19
(5) نفس المصدر السابق 590/4
(6) سورة الحجّ: 05
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 111/3
(8) سورة العنكبوت: 19، 20
(9) نفس المصدر السابق 295/3 -بتصرّف .
(10) سورة فصّلت: 39
(11) سورة فصّلت: 39
(12) نفس المصدر السابق 126/4

ويحثّ ربّنا سبحانه و تعالى على النظر في بعض مخلوقاته المنصوبة في الكون، والدالّة على كمال قدرته، ومن ثمّ الإستدلال على إمكانية البعث، فيقول جلّ وعلا: {**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**}[1]، ويقول أيضًا: {**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ(6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10)رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**}[2]، فهذه الآيات كلّها إنّما هي أمثلة وأدلّة على البعث[3].

المسلك الثاني: عرض شبه المنكرين للبعث والردّ عليها

اهتمّ القرآن الكريم بشبه المنكرين للبعث، فبيّنها وقضى عليها بالبراهين القاطعة، والحجج الساطعة؛ من ذلك ما حكاه ربّنا عن كفرة العرب أيّام الجاهلية: {**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**}[4] ، وهذا منهم تكذيب بالحشر والعودة إلى الله، فردّ عليهم سبحانه بقوله {**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ(30) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**}[5]، ينصّ الثعالبي على أنّ هذا إشارة إلى البعث الذي كذّبوا به في الدنيا، وحينها اعترفوا بندمهم وحسرتهم على ما فرّطوا في جنب الله، ولكن ذلك حيت لا ينفع إيمان ولا ندم. [6]

ثمّ ذكّرهم تعالى بقصر الحياة الدنيا فقال: {**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**}[7]، والمعنى: أنّها إذا كانت فانية، لا طائل لها، أشبهت اللعب واللهو الذي لا طائل له إذا انقضى؛ وهذه الآية تتضمّن الردّ على قولهم (إن هي إلاّ حياتنا الدنيا)، وهو المقصود بها[8] .

والمقالة نفسها يحكيها جلّ جلاله عن كفّار قريش بقوله: {**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ**}[9]، ثمّ يردّ عليهم بقوله {**بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ**

---

(1) سورة الأعراف: 57
(2) سورة ق: 6-11
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 36/2 ؛ 264/4، 265
(4) سورة الأنعام: 29
(5) سورة الأنعام: 30، 31
(6) نالجواهر الحسان في تفسير القرآن 614/1 -بتصرّف
(7) سورة الأنعام: 32
(8) نفس المصدر السابق 616/1
(9) سورة النحل: 38

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ(39) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[1]، والمقصد: إعلام منكري البعث بهوان أمره على الله تعالى وقربه في قدرته لا ربّ غيره[2].

ويواصل الثعالبي الردّ على هؤلاء المكذّبين للبعث من أجل إبطال مزاعمهم الواهية، مستندًا إلى الآيات الواردة في هذا الباب، فيبيّن وعيد الله لهم بأنّه سيحشرهم مع الشياطين في نار جهنّم[3]، إذلالاً لهم، وتحقيرًا لشأنهم كما هو الشأن في تفسير قوله تعالى: {**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**}[4]، وكذا عند تفسير قوله تعالى: {**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**}[5]، إذ يشير إلى أنّ: « ذلك وعيد بالحشر، وخزيهم فيه وتعارفهم على جهة التلاؤم والخزي من بعضهم لبعض، حيث لا ينفع ذلك.. ، وهذا حكم من الله ✞ على المكذّبين بالخسران »[6].

والعجيب في أمر هؤلاء المنكرين كيف يستبعدون البعث، والأدلّة الشرعية والعقلية تثبته، وكفى في آياته وغرائب مخلوقاته التي توجب للناظر فيها الإقرار به والإيمان بالله تعالى[7]، فيردّ الله عليهم بأنّ إنكارهم ما هو إلاّ زعم باطل لا تقوم له قائمة، حيث يقول ✞: {**وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(49)قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(50)أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**}[8]، ومثلها قوله تعالى حكاية على لسانهم: {**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(16)أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ(17) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ(18) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ(19)وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ(20) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**}[9]، وقوله: {**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**}[10]، ففي هذه الآيات أمر من الله تعالى لنبيّنا الكريم محمّد صلى الله عليه و سلم أن يجيب استفهامهم واستبعادهم وإنكارهم للبعث بنعم، وأن يزيدهم في الجواب أنّهم مع البعث في صغار

---

(1) سورة النحل: 38-40
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 425/2، 426
(3) نفس المصدر السابق 25/3 -بتصرّف
(4) سورة مريم: 68
(5) سورة يونس: 45
(6) نفس المصدر السابق 240/2، 391
(7) نفس المصدر السابق 545/4، 546 -بتصرّف
(8) سورة الإسراء: 49-51
(9) سورة الصافات: 16-21
(10) سورة التغابن: 07

وذلّة واستكانة، والمعنى: كونوا تلك الأشياء الصعبة الممتنعة التأتّي لابدّ من بعثكم. (1)

المسلك الثالث: ضرب الأمثال والاعتبار بما حدث للأنبياء والرسل عليهم السلام ولغيرهم

لم يقتصر القرآن الكريم على أسلوب واحد أو طريقة معيّنة في قضيّة إثبات البعث، بل استخدم أساليب عديدة في الإقناع، كضرب الأمثال، وعرض قصص النّشور التي أجراها الله سبحانه و تعالى على أيدي أنبيائه ورسله، وذلك لما فيها من أثر بالغ في تقريب حقيقة البعث وإمكانيته للأذهان.

يقول الله سبحانه وتعالى: {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} (2).

فقد جعل الثعالبي هذه الآية مستنده في إثبات حقيقة البعث من خلال المثل الوارد فيها، حيث يذكر ما قرّره جمهور العلماء على أنّ: « إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكًّا في إحياء الله الموتى قطّ، وإنّما طلب المعاينة » (3)، و يبيّن- في نفس الوقت- معنى لفظة (الشكّ) الواردة في قول النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « نحن أحقّ بالشكّ من إبراهيم »(4) ، فيوضّح بأنّ المعنى: « أنّه لو شكّ لكنّا نحن أحقّ به، ونحن لا نشكّ، فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشكّ؛ فالحديث مبنيّ على نفي الشكّ عن إبراهيم »(5).

ويحاول أيضًا توجيه معنى ما ورد في قوله صلى الله عليه و سلم : « ذلك محض الإيمان »(6) ، بأنّه في الخواطر الجارية التي لا تثبت؛ وأمّا الشكّ، فهو توقّف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام؛ وإحياء الموتى إنّما يثبت بالسمع، وقد كان إبراهيم أعلم بذلك، يدلّك على ذلك قوله: {**رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**}(7)، والشكّ يبعد على من ثبت قدمه في الإيمان فقط، فكيف بمرتبة النبوّة والخلّة؟. (8)

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 477/2، 478 -بتصرّف ؛ 667-611/1 ؛ 420-415-296/2 ؛ 642-559-424-190-189-23-07/4 ؛ 391-370-335 321-261/3

(2) سورة البقرة: 260

(3)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 251/1 -بتصرّف

(4) قطعة من حديث الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء -باب: (وبّئهم عن ضيف إبراهيم) 1233/3 برقم(3192)

(5) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

(6) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها 119/1 برقم(132)، ولكن بلفظ (ذاك صريح الإيمان)

(7) سورة البقرة : 258

(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 250/1، 251 ؛ 630/1

ومثل هذا ما ورد في قوله جلّ وعلا: {**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[1]، فيشير إلى أنّ لفظ الآية ظاهره السؤال عن إحياء القرية بعمارة أو سكّان، فكأنّ هذا تلهّف من الواقف المعتبر على مدينة أحبّته؛ ويحتمل أن يكون سؤاله إنّما كان عن إحياء الموتى، فضرب له المثل في نفسه؛ وطعامه وشرابه الذي لم يتغيّر كلّ تلك المدّة، وأيضًا اتّصال عظام حماره جزءًا جزءًا وهو ينظر إليه؛ وفي إماتة الواقف هذه المدّة أعظم آية، وأمره كلّه آية غابر الدّهر[2].

وهكذا الأمر في قصّة أهل الكهف، وهم فتية آمنوا بالله تعالى، وأبوا أن يدخلوا في دين ذلك الملك الكافر، فتهدّدهم وتوعّدهم، ففرّوا إلى كهف بجبل خارج المدينة، وألقى الله عليهم النوم مدّة طويلة من الزمن، ثمّ بعثهم ليجعلهم آية من آياته الدالّة على كمال قدرته حيث يقول: {**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا**}[3]، يذكر الثعالبي ما أورده الطبري في تفسيره[4] أنّ قوله (ليعلموا) يحتمل أن يعود على الأمّة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم، حين شكّ بعض النّاس في أمر الحشر وبعث الأجساد، وقالوا إنّما تحشر الأرواح، فشقّ ذلك على ملكهم وبقي حيران لا يدري كيف يبيّن أمره لهم، حتّى بعث الله هؤلاء الفتية، فرجع من كان شكّ في بعث الأجساد إلى اليقين به[5].

المسلك الرابع: خالق الأكبر يستطيع أن يخلق الأصغر

إنّ كلّ عاقل يدرك بالضرورة أنّ من قدر على أمر عظيم، فهو على ما دونه أقدر؛ فكذلك الله ﷻ- ولله المثل الأعلى- الذي خلق السماوات والأرض على عظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما أقدر على أن يعيد خلق البشر بعد أن فارقت أرواحهم أجسامهم، فيحي عظامهم التي رمّت في التراب، ويعيدها إلى سيرتها الأولى.

يقول الله تعالى: {**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}[6]، فقد جعل الثعالبي هذه الآية مستنده في تقرير هذه الحقيقة، حيث يشير إلى أنّها يحتمل أن يكون الكلام فيها في معنى البعث، وأنّ الذي خلق السماوات والأرض قادر على خلق النّاس تارة أخرى[7].

---

(1) سورة البقرة: 259

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/248-250 -بتصرّف

(3) سورة الكهف: 21

(4) تفسير الطبري 8/204

(5) نفس المصدر السابق 2/517، 518 -بتصرّف

(6) سورة غافر: 57

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 4/106

والمعنى نفسه يذكره عند تفسير قوله سبحانه: {**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا(27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا**}[1]، والمعنى: أأنتم أيّها المنكرون أشدّ خلقًا؟ أم السماء أشدّ خلقًا؟ فيردّ عليهم مقرّرًا أنّ الذي قدر على خلقها قادر على إحيائكم بعد الموت[2]، نظيره قوله تعالى: {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا**}[3]، و قوله تعالى: {**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ(81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**}[4]، وقوله: {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[5]؛ فأقيمت عليهم الحجّة من أقوالهم، وردّ الله عليهم بقوله: {**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**}[6].

والحقيقة نفسها تتأكّد في معرض تفسير قوله جلّ جلاله: {**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**}[7]، يقرّر الثعالبي أنّ: " قولهم (إن هذا إلاّ سحر مبين) تناقض منهم، لأنّهم مقرّون بأنّ الله خلق السماوات والأرض، وهم مع ذلك ينكرون ما هو أيسر من ذلك، وهو البعث من القبور، وإذ خلق السماوات والأرض أكبر من خلق النّاس"[8].

المسلك الخامس: حكمة الله تعالى في تأخير الجزاء ليوم القيامة

اقتضت حكمة الله سبحانه و تعالى أن لا يترك الظالم هكذا دون حساب وعقاب، والمظلوم دون أن يأخذ له حقّه من ظالمه، بل حكمته تعالى ورحمته تقتضيان أن يأخذ كلّ ذي حقّ حقّه، وكلّ ظالم جزاءه، ولهذا فإنّ الله جعل الحياة الدنيا فترة اختبار، يمتحن فيها عباده: هل يمتثلوا فيها أوامره، ويجتنبوا نواهيه أم لا؟

ومن هنا اعتبرت الحياة الدنيا قنطرة، نعبر منها إلى حياة أخرى أبدية، هناك يجازي الله فيها أهل السعادة، وأهل الشقاوة.

وقد اتّخذ الثعالبي الآيات الواردة في هذا الشأن عمدته في بيان حكمة الله ✞ في تأخير الجزاء إلى يوم القيامة، كما هو واضح في تفسير قوله جلّ وعلا: {**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

---

(1) سورة النازعات: 27، 28
(2) نفس المصدر السابق 557/4 -بتصرّف
(3) سورة الإسراء: 99
(4) سورة يس: 81-83
(5) سورة الأحقاب: 33
(6) سورة الأحقاف: 34
(7) سورة هود: 07
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 267/2، 500 ؛ 18/4، 19، 216

الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}[1]، فيبيّن أنّ: " الآية إنباء بالبعث، وأن بدأ الخلق يراد به النّشأة الأولى، وأنّ الإعادة هي البعث من القبور.. ، والمعنى: أنّ الإعادة إنّما هي ليقع الجزاء على الأعمال". [2]

و قوله ✞: {**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى(39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**}[3]، فقد قرّر تعالى أحوال بني آدم في بدايته التي إذا تؤمّلت لم ينكر معها جواز البعث من القبور عاقل". [4]

حشر الأجساد:

وهي مسألة تطرّق لها الثعالبي في تفسيره، والمقصود: هل يبعث الإنسان يوم القيامة بجسده الأوّل بعينه أم يكون بغيره؟

وقد اختلف النّاس فيها، وسبب ذلك راجع إلى اختلافهم في تحديد حقيقة الإنسان: هل هو مجموع الروح والبدن؟ أو هو الروح فقط؟ أو البدن فقط؟

وقبل الإطّلاع على موقف الثعالبي، بجدر بنا أوّلاً أن نستعرض – ولو بإيجاز- أقوال المذاهب فيها، وهي كما يلي:

الفلاسفة الطبيعيون: وقد أنكروا البعث كلّية، زاعمين أنّ اعتدال المزاج له تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان؛ فظنّوا أنّ القوّة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضًا، وأنّها تبطل ببطلان مزاجه، فتنعدم، ثمّ إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم. [5]

الفلاسفة الإلـهيُون: وهم يرون أنّ البعث للروح فقط، وأنكروا المعاد الجسماني[6]؛ بمعنى: أنّ الأجساد لا تحشر، وإنّما المثاب والمعاقب هي: الأرواح المجرّدة، والمثوبات والعقوبات روحانيات لا جسمانية[7]. وفي النّصارى من قال بحشر الأجساد دون الأبدان[8].

---

(1) سورة يونس: 04
(2)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 225/2 -بتصرّف
(3) سورة القيامة: 36-40
(4) نفس المصدر السابق 525/4 ؛ 165/3، 166
(5) المنقذ من الضلال ص: 41 ؛ الكلّيات ص: 146؛ شرح المقاصد 155/2
(6) الكلّيات ص: 146؛ شرح المقاصد 155/2؛ شرح المواقف 297/8
(7) المنقذ من الضلال ص: 51
(8) الملل والنحل 169/1

التوقف: وهو المنقول عن جالينوس[1]؛ فإنّه قال: « لم يتبيّن لي أنّ النفس هل هي مزاج، فتنعدم عند الموت فيستحيل إعادتها، أو هي جوهر باق بعد فساد البنية، فيمكن المعاد حينئذ »[2].

أهل التناسخ[3] : وزعموا أنّ الإعادة إنّما تكون بكرور الأرواح في أجساد مختلفة، وذلك كلّه في الدنيا، وأنّ كلّ روح أحسنت في قالبها أعيدت في قالب يتنعّم فيه، وكلّ روح أساءت في قالبها أعيدت في قالب يؤذيها[4].

وذهب المسلمون، واليهود[5]، والسامرة[6] ، وأغلب النّصارى إلى القول بإعادة الأجساد والأرواح، وردّ الأرواح إلى الأجساد على التعيين، برجوع كلّ روح إلى الجسد الذي كان فيه؛ وهذا هو الصواب الذي تقتضيه الحكمة الإلهية من خلق الإنسان[7].

موقف الثعالبي من حشر الأجساد:

وأمّا الثعالبي فمن الطبيعي أن يأخذ بها القول الأخير، فقد أثبت البعث يوم القيامة بالروح والجسد معًا، بمعنى: أنّ الأجساد الدنيوية- بعد موتها- تعاد بأعيانها وأعراضها، متّخذًا من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المتعلّقة بها سندًا في تأكيد موقفه، ومعضّدًا لها بأقوال أهل العلم؛ وهذا ما بسطه في بعض المواضع من تفسيره، منها على سبيل المثال:

---

(1) هو : طبيب يونانيّ، من كبار المعلّمين، لا يدانيه أحد في صناعة الطبّ، فضلاً عن أن يساويه، برع في معرفة الأعشاب والحشائش، له كتاب في ذلك يعرف باسمه (كتاب جالينوس)، حتّى أنّ الطبيب المسلم ضياء الدين بن البيطار الأندلسي المالقي مصنّف كتاب (الأدوية المفردة) كان ينقل عنه؛ أبطل آراء وأقوال الأطباء السفسطائيين، وكانت مدّة حياته 87سنة. انظر: تاريخ الإسلام 312/47 ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفّق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس109/1 تحقيق: نزّار رضا، دار مكتبة الحياة-بيروت.

(2) شرح المواقف 297/8 ؛ شرح المقاصد 210/2

(3) هم القائلون: بتناسخ الأرواح في الأجساد، والانتقال من شخص إلى شخص؛ وما يلقى الإنسان من الراحة والتعب، والدعة والنّصب فمرتّب على ما أسفله من قبل، وهو في بدن آخر جزاء على ذلك؛ والإنسان أبدًا في أحد أمرين: إمّا في فعل، وإمّا في جزاء، وما هو فيه فإمّا مكافأة على عمل قدّمه، وإمّا عمل ينتظر المكافأة عليه. انظر: الملل والنحل 194/1؛ الفرق بين الفرق ص: 240 وما بعدها .

(4) أصول الدين ص: 235

(5) هم: أمّة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة؛ وأصل الكلمة من قولك: هاد الرجل: أي رجع وتاب، وإنّما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: (إنّا هدنا إليك) سورة الأعراف: 156. انظر: الملل والنحل 164/1، 165

(6) هم: قوم يسكنون جبال بيت المقدس، و (قرايا) من أعمال مصر، ويتقشّفون في الطهارة أكثر من تقشّف سائر اليهود. أثبتوا نبوّة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وأنكروا نبوّة من بعدهم من الأنبياء إلاّ نبيًّا واحدًا بشّرت به التوراة. نفس المصدر السابق و الجزء والصفحة .

(7) الكلّيات ص: 147

تفسيره لقوله تعالى: {**وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**}[1]، فيشير إلى احتمال الآية أن يكون معناها: « واذكر الإعادة يوم يقول الله للأجساد كوني معادة »[2].

والمعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله جلّ و علا: {**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**}[3]، إذ يبيّن أنّه بعد هذه الأمثلة القاضية بتجويز بعث الأجساد عقلاً، ساق ربّنا سبحانه الخبر بأن كذلك خروجنا من قبورنا[4].

ويتوضّح رأيه أكثر عند تفسير قوله سبحانه: {**وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى**}[5]، حيث ينصّ على أنّها هي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البلى[6]؛ ويردّ على هؤلاء الكفرة الذين استبعدوا الرجوع إلى الله بعد أن تبلى عظامهم بأنّه تعالى يعلم ما تأكل من ابن آدم وما تبقي منه[7]، بقوله ✞: {**ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**}[8]، ويستدلّ على صحّة ما ذهب إليه بما ورد عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « أنّ الأرض تأكل ابن آدم إلاّ عجب الذنب »[9] ؛ وفي تفسير قوله جلّ شأنه: {**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه**}[10]، يشير إلى أنّه يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون خبرًا عن البعث، أي: كما اخترعنا الخلق أوّلاً على غير مثال، كذلك ننشئهم تارة أخرى فنبعثهم من القبور.

والثاني: أن يكون خبرًا على أنّ كلّ شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التي خرج بها إلى الدنيا، ويؤيّد رحمه الله هذا بما ورد عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « يحشر النّاس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، كما بدأنا أوّل خلق نعيده »[11] . [12]

ويعضد كلامه بما نقله عن أبي محمّد بن أبي زيد في (مختصر المدوّنة)[1] في معرض تفسير قوله سبحانه وتعالى: {**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا**

---

(1) سورة الأنعام: 73
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 637/1
(3) سورة الروم: 19
(4) نفس المصدر السابق 314/3
(5) سورة النجم: 47
(6) نفس المصدر السابق 316/4-615، 616
(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 263/4
(8) سورة ق: 44
(9) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-سورة النّبأ-باب: يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا 1881/4 برقم (4651) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة-باب: ما بين النفختين 2271/4 برقم(2955)
(10) سورة الأنبياء: 104
(11) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير-باب: (وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم) 1691/4 برقم(4349) ؛ ومسلم في كتاب التوبة-باب: فناء الدنيا وبيان الحشر 2194/4 برقم(2859)
(12) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 103/3، 104 ؛ 532/2

أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ}[2]، حيث يذكر بأنّ الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجلود التي كانت في الدنيا، والألسنة والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد؛ ويردفه أيضًا بما ذكره عن القرطبي في « تذكرته »[3] من اتّفاق أهل السنّة على أنّ تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم في ذلك[4].

وبهذا يتّضح أنّ الثعالبي يرى بأنّ بعث الموتى من قبورهم يكون بجميع الأجزاء الأصلية بعد إعادة الروح إليها؛ وفي ذلك يقول شارح العقيدة الطحاوية: « والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء أنّ الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل ترابًا، ثمّ ينشئها الله نشأة أخرى.. ، كذلك الإعادة، يعيده الله بعد أن يبلى كلّه إلاّ عجب الذّنب.. ، والمعاد هو الأوّل بعينه »[5] ، ويقول البغدادي: « إنّ كلّ ما عدم بعد وجوده صحّت إعادته جسمًا كان أو عرضًا، ذلك أنّ الإعادة ابتداء ثان، فكما أنّ الابتداء الأوّل صحّ على الجسم والعرض من غير قيام معنى بالعرض، فكذلك الابتداء الثاني صحيح عليه من غير قيام معنى به »[6] .

ونخلص من هذا كلّه إلى أنّ عقيدة البعث تمثّل إحدى المفاهيم الأساسية في فكر الثعالبي، لأنّها علامة على واقعية ديننا الحنيف، ونظرته إلى حياة الإنسان ككلّ متكامل، وفهم عميق لحقيقتها التي تجمع بين الجوانب المادية والروحية معًا؛ ولا ريب أنّ محاولة التشكيك في هذه العقيدة، إنّما تهدف إلى التحلّل من أحكام شريعتنا، وإزالة الضوابط التي تحول بين الإنسان وبين الوقوع في دائرة الفساد والإباحية.

فالإيمان بعقيدة البعث والجزاء الأخروي هو الباعث الحقيقي لاستمرار الحياة نحو هدفها السامي وغايتها المثلى.



(1) لم أقف على هذا الكتاب
(2) سورة فصلت: 22
(3) التذكرة 308/1
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 117/4
(5) شرح العقيدة الطحاوية 599/2
(6) أصول الدين ص: 233، 234؛ محصّل أفكار المتقدمين والمتأخّرين ص: 232

المبحث الثاني
الساعة وأشراطها

المطلب الأول: أشراط الساعة، والنفخ، والقيامة، والشفاعة، والميزان

1 ـ أشراط الساعة

معنى أشراط الساعة

الأشراط لغة: العلامات، واحدها شرط (بالتحريك)، وبه سمّيت شرط السلطان، لأنّهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها. (1)

واصطلاحًا: يراد بها العلامات التي يعقبها قيام الساعة(2).

وأمّا الساعة فهي في الأصل تطلق بمعنيين :

أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءًا، هي مجموع اليوم والليلة.

والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النّهار أو الليل، يقال: جلست ساعة من نهار عنده، أي: وقتًا قليلاً منه، ثمّ استعير لاسم يوم القيامة، بمعنى: أنّها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم، فلقلّة الوقت الذي تقوم فيه سمّاها ساعة.

وقد تحدّث الثعالبي عن الساعة في مواضع كثيرة من تفسيره للقرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: {**يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}(3) ، يشير إلى أنّ الساعة هي القيامة، وهي موت كلّ من كان حيًّا حينئذ وبعث الجميع(4).

ومثلها قوله سبحانه: {**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**}(5)، يبيّن أنّه لمّا كانت الآية عبارة عن شدّة خفاء أمر القيامة ووقتها، وكان القطع بإتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفّوس، بالغ سبحانه في إبهام وقتها، فقال (أكاد أخفيها) حتّى لا تظهر البتّة، ولكن ذلك لا يقع، ولابدّ من ظهورها (6).

---

(1) لسان العرب 329/7-330 -مادة (شرط) ؛ القاموس المحيط 381/2 -فصل السين والشين- باب الطاء -مادة (الشرط) ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 265 ؛ الكلّيات ص: 529

(2) فتح الباري 79/13

(3) سورة الأعراف: 187

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 92/2

(5) سورة طه: 15

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 41/3

وقوله ✞: {**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**}[1]، أي: علاماتها، وهي التي تسبقها وتدلّ على قربها، فينبغي الاستعداد لها والخوف منها[2].

وقد ورد في كتاب الله ذكر بعض أشراط الساعة، سيأتي بيانها عن قريب، كما فصّلت السنّة المطهّرة أكثرها.

والذي جاء منها: بعثة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم لأنّه آخر الأنبياء والرسل؛ يشهد له قوله: « بعثت أنا والساعة كهاتين »[3] [4].

ومنها ما ورد في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النّبيّ عليه السلام عن أماراتها ؟ فقال: « أن تلد الأمة ربّتها [5]، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان »[6].

ومنها ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « لا تقوم الساعة حتّى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتّى يبعث دجّالون كذّابون قريب من ثلاثين، كلّهم يزعم أنّه رسول الله، وحتّى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج (وهو القتل)، وحتّى يكثر فيكم المال فيفيض حتّى يهمّ ربّ المال من يقبل صدقته، وحتّى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به[7]، وحتّى يتطاول النّاس في البنيان، وحتّى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتّى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها النّاس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا »[8].

ومنها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري[9] -رضي الله عنه- قال: « طلع النّبيّ صلى الله عليه و سلم علينا ونحن نتذاكر، فقال ما تذاكرون ؟ قالوا: الساعة، قال: إنّها لن تقوم

---

(1) سورة محمّد: 18

(2) نفس المصدر السابق 226/4

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير- سورة النازعات 1881/4، برقم (4555) ؛ وفي كتاب الطلاق- باب اللعان 2031/5)، برقم (4889) ؛ وفي كتاب الرقاق -باب: قول النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- بعثت أنا والساعة كهاتين 2385/5 برقم (6138).

(4) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

(5) اختلف العلماء في بيان المراد منها إلى أقوال عدّة، منها: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمّه معاملة السيّد أمته، من الإهانة بالسبّ والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربّها مجازًا لذلك.. ، ومحصّله: الإشارة إلى أنّ الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور، بحيث يصير المربّى مربّيًّا، والسافل عاليًّا.. ، وهذا الذي رجّحه ابن حجر في الفتح 122/1-123

(6) سبق تخريجه

(7) أي: ليس بي شدّة حاجة إليه ؛ انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 11

(8) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن-باب خروج النار 2605/6، برقم (6701)

(9) هو: حذيفة بن أسيد (بفتح الهمزة)، الغفاري، أبو سريحة (بمهملتين، مفتوح الأوّل)، صحابيّ، من أصحاب الشجرة، مات سنة 42 هـ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 94، مترجم برقم (1154)

حتّى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجّال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد النّاس إلى محشرهم »[1].

وهذه العلامات الواردة في النصوص السابقة، منها ما هو قريب من قيام الساعة، وتسمّى علامات كبرى، كنزول عيسى، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها ؛ ومنها ما يكون قبل ذلك، وتسمّى علامات صغرى، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها آنفًا.

والذي يعنينا هنا ذكر الثعالبي لجملة من أشراط الساعة الكبرى، وهي كما يلي:

طلوع الشمس من مغربها :

وقد وردت الإشارة إليها في قوله سبحانه وتعالى: {**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ**} [2] يذكر الثعالبي ما قاله بعض علماء السلف من أنّ قوله (أو يأتي بعض آيات ربّك) إشارة إلى طلوع الشمس من مغربها، بدليل التي بعدها[3]، ويستأنس بقول ابن عطية أنّه يصحّ أن يريد سبحانه به جميع ما يقطع بوقوعه من أشراط الساعة، ثمّ خصّص بعد ذلك التي ترتفع التوبة معها[4]، ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « لا تقوم الساعة حتّى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها النّاس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها، ثمّ قرأ الآية »[5].

خروج الدابة: وهي دابة تخرج في آخر الزمان، تكلّم النّاس، وتسمّيهم مؤمنًا وكافرًا ؛ وذلك عند فسادهم وتركهم أوامر الله سبحانه و تعالى.

يقول الله تعالى: {**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**} [6] ، ومعنى الآية كما يقول الثعالبي: أنّه إذا أراد الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب أخرج لهم دابة من الأرض.. ، وذلك

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة -باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة 2225/4-2226، برقم (2901)

(2) سورة الأنعام: 158

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 682/1 ؛ 102/3 وهو قول معظم المفسّرين ؛ انظر: تفسير ابن كثير 130/3-134 ؛ تفسير البغوي 144/2 ؛ زاد المسير 156/3-157 ؛ تفسير القرطبي 145/7

(4) المحرّر الوجيز 367/2

(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق -باب: طلوع الشمس من مغربها 2338/5 برقم (6141) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان- باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان 137/1 برقم (157)

(6) سورة النمل: 82

حين ينقطع الخير ولا يؤمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يبقى منيب ولا تائب[1].

وأمّا مكان خروجها فتعدّدت الأقوال فيها، وأرجحها أنّها تخرج من الصفا بمكّة المكرّمة[2]، وأمّا عملها[3]، فيتمثّل فيما يلي:

* أنّها تكلّم النّاس، بمعنى: تكلّمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، أو تكلّمهم بما يسوءهم، أو تكلّمهم بقوله تعالى: (أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون)

* أنّها تكلمهم (بفتح التاء وسكون الكاف وفتح اللام) من الكلم (بفتح الكاف، وسكون اللام)، وهو الجرح ؛ وقد سئل ابن عبّاس عن هذه الآية تكلّمهم أو تكلمهم، فقال: كلّ ذلك والله تفعل بهم تكلّمهم وتكلمهم.

* أنّها تمرّ على النّاس فتسمّي الكافر في جبهته، وتزبره، وتشتمه، وربّما خطمته، وتمسح على وجه المؤمن فتبيّضه، ويعرف بعد ذلك الإيمان والكفر من أثرها [4]، ويورد الثعالبي هنا ما جاء في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه و سلم : « تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجوه المؤمنين بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم حتىّ أنّ النّاس ليجتمعون، فيقول هذا يا كافر »[5] [6].

ظهور المسيح الدجّال:

وهو شخص سمّاه نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم بالمسيح الدجّال لكثرة دجله وكذبه، يدّعي الألوهية، ويفتن النّاس بما يعطاه من خوارق العادات وعجائب الأمور، ففتنته من أعظم الفتن والمحن التي تمر على النّاس.

وسمّي مسيحًا لأنّه ممسوح إحدى العينيين[7]؛ وقيل: لأنّه يمسح الأرض، أي: يطوف بلدانها إلاّ مكّة والمدينة وبيت المقدس[8]، والقول الأول هو الراجح، يشهد له ما ورد في الحديث: « إنّ الدجّال ممسوح العين ». [9]

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 263/3

(2) غالب الأقوال تدور حول ذلك ؛ انظر: لوامع الأنوار البهية 144/2-146

(3) فتح القدير 152/4

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 263/3

(5) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن-باب ومن سورة النمل 340/5 برقم (3187) ؛ وابن ماجة كتاب الفتى، باب دالة الأرض 1351/2 برقم 4066 ؛ وأحمد، مسند أبي هريرة 491/2 برقم (1036)

(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 263/3

(7) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 487

(8) لسان العرب 594/2-595 -مادة (مسح) ؛ القاموس المحيط 258/1 -فصل الميم- باب الحاء- مادة (المسح) ؛ فتح القدير 341/1

(9) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة -باب: ذكر الدجّال وصفته وما معه 2248/4 برقم (2933)

وهو مسيح الضلالة، يفتن النّاس به، وأمّا مسيح الهدى فهو عيسى عليه السلام، وهو الذي يقتل الدجّال قطعًا لشرّه وفساده.

وسمّي الدجّال دجّالاً لأنّه يغطّي الحقّ بالباطل، أو لأنّه يغطّي على النّاس كفره بكذبه وتلبيسه وتمويهه عليهم، وقيل غير ذلك. [1]

ولفظة الدجّال أصبحت علمًا على المسيح الأعور الكذّاب، فإذا قيل: الدجّال فلا يتبادر إلى الذهن غيره.

وقد تواترت الأحاديث عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم في ذكر خروجه في آخر الزمان، والتحذير منه، حتّى أنّه عليه السلام وصفه لأمّته وصفًا دقيقًا لا يخفى على ذي بصيرة، كما حذّر منه الأنبياء والرسل أممهم من قبل.

وقد أورد الثعالبي بعضها[2]، من ذلك:

ما رواه مسلم وغيره عن النوّاس بن سمعان[3] -رضي الله عنه- قال: « ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم الدجّال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتّى ظننّاه في طائفة النخل، فلمّا رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم ؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجّال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتّى ظننّاه في طائفة النخل، فقال: غير الدجّال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كلّ مسلم، إنّه شاب قطط، عينه طافية، كأنّي أشبّهه بعبد العزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنّه خارج حلّة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً ؛ يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال: أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيّامه كأيّامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا صلاة يوم ؟ قال: لا، أقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له. قال: فيأمر السماء أن تمطر، والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى، واسبغه ضروعًا، وأمدّه خواصر، ثمّ يأتي القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحّلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كعياسيب النخل، ثمّ يدعو رجلاً ممتلئا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثمّ يدعوه فيقبل يتهلّل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عند المنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفّيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلاّ مات ونفسه ينتهي

---

(1) لسان العرب 236/11-237 - مادة (دجل) ؛ القاموس المحيط 385/3 - فصل الدال-باب اللام- مادة (الدجل) ؛ فتح الباري 91/13

(2) العلوم الفاخرة 128/1

(3) هو: النّوّاس (بتشديد الواو ثمّ مهملة)، بن سمعان بن خالد الكلابي الأنصاري، صحابي مشهور، سكن الشام. انظر: تقريب التهذيب ص: 497، مترجم برقم (7201)، الاستيعاب 1534/4 ؛ الإصابة 478/6

حيث طرفه، فيطلبه حتّى يدركه بباب لدّ[1]، فيقتله، ثمّ يأتي عيسى عليه السلام قومًا قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنّة.. » الحديث بطوله[2].

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر -[3] رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « يخرج الدجّال في أمّتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا[4]، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنّه عروة بن مسعود[5]، فيطلبه فيهلكه، ثمّ يمكث في النّاس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثمّ يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرّة من خير أو إيمان إلاّ قبضه حتّى لو أنّ أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتّى تقبضه، فيبقى شرار النّاس في خفّة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا » الحديث. [6]

وروى البخاري أيضًا عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: « قام فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم في النّاس فأثنى على الله بما هو أهله، ثمّ ذكر الدجّال، فقال: إنّي لأنذركموه، وما من نبيّ إلاّ وقد أنذر قومه، ولكنّي سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه، إنّه أعور[7]، وإنّ الله ليس بأعور ». [8]

---

(1) قرية قريبة من بيت المقدس، انظر: شرح النووي على مسلم 68/18 ؛ معجم البلدان 15/5

(2) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة -باب: ذكر الدجّال وصفته وما معه 2253/4 برقم (4321)

(3) هو: عبد الله بن عمر بن الخطّاب العدوي، أبو عبد الرحمان، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة، وهو من أشدّ النّاس اتّباعًا للأثر ؛ مات سنة 73 هجرية ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 256-257، مترجم برقم (3490) ؛ للإصابة 181/4 ؛ الاستيعاب 950/3 ؛ سير أعلام النبلاء 203/3

(4) قوله (لا أدري أربعين...)، بيّنه الحديث المتقدّم عن النّواس بن سمعان أنّه أربعين يومًا، وهو الأظهر- والله أعلم

(5) هو: عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو الثقفي، من أهل الطائف، قدم المدينة سنة 9هـ، شهد صلح الحديبية، ووصفه النبيّ عليه السلام أنّه أشبه الناس بعيسى عليه السلام، مات مقتولاً من قبل قومه لمّا دعاهم إلى الإسلام. انظر: الاستيعاب 1066/3 ؛ الطبقات الكبرى 504/5

(6) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة -باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض 2258/4 برقم (2940)

(7) إنّما اقتصر على ذلك مع أنّ أدلّة الحدوث في الدجّال ظاهرة، لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامّي ومن لا يهتدي إلى الأدلّة العقلية، فإذا ادّعى الربوبية وهو ناقص الخلقة، والإله يتعالى عن النقص علم أنّه كاذب ؛ انظر: فتح الباري 96/13

(8) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن- باب: ذكر الدجّال 2607/6 برقم (6708)

وعن أبي سعيد - [1]رضي الله عنه- قال: « حدّثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم حديثًا طويلاً عن الدجّال، فكان فيما حدّثنا به أنّه قال: يأتي الدجّال وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض السباخ[2] التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير النّاس- أو من خير النّاس- فيقول أشهد أنّك الدجّال الذي حدّثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم حديثه، فيقول الدجّال: أرأيتم إن قتلت هذا ثمّ أحييته هل تشكّون في الأمر ؟ فيقولون: لا فيقتله ثمّ يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشدّ بصيرة منّي اليوم، فيريد الدجّال أن يقتله فلا يسلّط عليه ». [3]

وهذا القدر من الأحاديث كاف في الدلالة على أنّ خروج الدجّال حقيقة متواترة، عفانا الله ✠ من شرّه وفتنته، بكرمه وعفوه ورحمته.

نزول عيسى عليه السلام:

وقد دلّت نصوص القرآن والسنّة على أنّه رفع إلى السماء من غير وفاة، وأنّه سينزل قبل القيامة، فيقتل الدجّال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويحكم بالقسط، ويقضي بشريعة نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم ويحي من شأنها ما تركه النّاس، ثمّ يمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث، ثمّ يموت ويصلّى عليه، ويدفن[4]، وهو مذهب أهل السنّة والجماعة[5].

ففي القرآن الكريم آيات أخبر فيها تعالى أنّ عيسى عليه السلام لم يمت، وإنّما رفعه الله إليه، وأنّه سينزل، من ذلك:

قوله جلّ وعلا: {**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**} [6] يخبرنا تعالى في هذه الآيات عن اضطراب بني إسرائيل واختلافهم في أمر عيسى عليه السلام، وعدم تحقّقهم من قتله وصلبه، وهو معنى قوله (وما قتلوه يقينًا) أي: وما صحّ ظنّهم عندهم ولا تحقّقوه يقينًا، بل ألقي الشبه على أحد

---

(1) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استصغر يوم أحد، ثمّ شهد ما بعدها، مات سنة 64 هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 172، مترجم برقم (2253) ؛ الإصابة 78/3 ؛ الاستيعاب 602/2 ؛ معجم الصحابة 258/1

(2) السباخ: أرض سبخة بكسر الباء ذات سباخ أي ذات ملح. انظر: لسان العرب 24/3 ؛ مختار الصحاح لمحمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي، 119/1 مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - مصر.

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن -باب: لا يدخل الدجّال المدينة 2608/6 برقم (6713)

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 326/1 - بتصرّف

(5) انظر: تفسير الطبري 18/6 ؛ تفسير ابن كثير 44/2 ؛ تفسير البغوي 308/1 ؛ زاد المسير 396/1 ؛ التفسير الكبير مج(6) 104/11 ؛ تفسير القرطبي 98/4 ؛ مجموع الفتاوى 322/4

(6) سورة النساء: 157-159

الحواريين، فقتل وصلب ؛ وأمّا عيسى فهو ما قرّره تعالى بقوله (بل رفعه الله إليه) يعني: إلى سمائه وكرامته، فهو في السماء على ما تضمّنه حديث الإسراء والمعراج، وذلك لمّا عرج بالنّبيّ صلى الله عليه و سلم إلى السماوات العلى، وممّا جاء فيه: «... ثمّ صعد حتّى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمّد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلمّا خلصت إذا يحي وعيسى- وهما ابنا الخالة- قال: هذا يحي وعيسى فسلّم عليهما ؟ فسلّمت، فردّا عليّ، ثمّ قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنّبيّ الصالح.. » الحديث بطوله[1]، وهو هنالك مقيم حتّى ينزله الله تعالى لقتل الدجّال، وليملأ الأرض عدلاً، ويحي فيها أربعين سنة، ثمّ يموت كما يموت البشر[2].

وقوله (وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته) اختلف فيه، فقيل: الضمير في (موته) راجع إلى عيسى، والمعنى: أنّه لا يبقى من أهل الكتاب أحد إذا نزل عيسى إلى الأرض إلاّ ليؤمننّ به كما يؤمن سائر البشر، وترجع الأديان كلّها واحدًا، يعني: يرجعون على دين نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم إذ عيسى واحد من أمّته وعلى شريعته ؛ وقيل: الضمير في (به) لعيسى، وفي (موته) للكتابي، لكن عند المعاينة للموت، فهو إيمان لا ينفعه ؛ وقيل: الضمير في (به) لنبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم (وقبل موته) للكتابي، وليس يخرج يهودي، ولا نصراني من الدنيا حتّى يؤمن بمحمّد صلى الله عليه و سلم ولو غرق أو سقط عليه جدار، فإنّه يؤمن في ذلك الوقت، ويقوّي هذا ما ورد في قراءة أبيّ (قبل موتهم)[3] ؛ ولا مانع أن يراد الجميع.

ومن الآيات الدالّة على نزول عيسى قبل القيامة قوله سبحانه: {**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ**}[4] ، يؤيّد هذا المعنى القراءة الأخرى (وإنّه لعلم للساعة) بفتح العين واللام، أي: أمارة، فمن قال: إنّ الإشارة إلى عيسى حسن مع تأويله علم وعلم، أي: هو إشعار بالساعة، وشرط من أشراطها، يعني: خروجه آخر الزمان.[5]

وأمّا من السنّة، فهي كثيرة ومتواترة، منها على سبيل المثال:

ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: « قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتّى لا يقبله أحد، حتّى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها ؛ ثمّ يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: (وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا)»[6].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب -باب: المعراج 1410/3 برقم (3674) ؛وكتاب الأنبياء باب: ذكر إدريس عليه السلام 1216/3 برقم (3164)

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 514/1

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 514/1

(4) سورة الزخرف: 61

(5) نفس المصدر السابق 176/4

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع -باب: قتل الخنزير774/2 برقم (2109) ؛ وفي كتاب أحاديث الأنبياء -باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام 1272/3 برقم (3264)

وعن جابر- [1]رضي الله عنه- قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم- عليه السلام فيقول: أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمّة ». [2]

وهذا القدر كاف في الدلالة على صحّة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وهو ما عليه جمهور العلماء، ولم يخالف فيه أحد، اللهمّ إلاّ من شذّ، ممّن لا يلتفت إلى كلامه ولا يعتدّ بخلافه.

خروج يأجوج ومأجوج :

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، في قوله جلّ سبحانه: {**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ(96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**}[3] ، وفي قوله تعالى- في سياقه لقصّة ذي القرنين-: {**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا(92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا(93) قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا(94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا(95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا(96) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا(97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا(98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**} [4] يقول الثعالبي في بيان نسبهم: ويأجوج ومأجوج: قبيلان من بني آدم[5]، وهم أنواع كثيرة، اختلف النّاس في عددها، والذي يصحّ من ذلك كثرة عددهم على الجملة[6]؛ يشهد لذلك ما ورد من حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « يقول الله تعالى يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النّار ؟ قال: وما بعث النّار ؟ قال: من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كلّ ذات حمل حملها، وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله وأيّنا ذلك الواحد ؟ قال: أبشروا، فإنّ منكم

---

(1) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، السّلمي (بفتحتين) ؛ صحابي بن صحابي، غزا 19 غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وله 94 سنة ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 75، مترجم برقم (871)

(2) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبيّنا محمّد- صلّى الله عليه وسلّم- 137/1، برقم (156)

(3) سورة الأنبياء: 96-97

(4) سورة الكهف: 92-99

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 545/2، ثمّ هم: من بني يافث بن نوح على ما رجّحه ابن حجر في الفتح 106/13

(6) نفس المصدر السابق 546/2

رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف، ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّي أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة فكبّرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنّة فكبّرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنّة فكبّرنا، فقال: ما أنتم في النّاس إلاّ كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسودَ »[1] .

واختلف في إفسادهم الموصوفين به، فقيل: أكل بني آدم، وقيل: هو الظلم والغشم وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال[2].

واختلف أيضًا في أوصافهم وأرزاقهم وتناسلهم وتسافدهم في الطرق كالبهائم، ونحو هذا ممّا لم يصحّ، ولذلك يقول الثعالبي: « فاختصرت ذلك لعدم صحّته»[3] .

ومعظم هذه الصفات رواياتها ضعيفة[4]، ولا دلالة في الكتاب على شيء منها، فإن صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل، وإلاّ لم يلتفت إليه.

وممّا صحّ عنه عليه السلام، ما رواه البخاري عن زينب بنت جحش[5] -رضي الله عنها- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم دخل عليها يومًا فزعًا يقول: « لا إله إلاّ الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث »[6] .

وغير هذا من الأحاديث الصحيحة الواردة فيهم، ومجموعها يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الأمّة المفسدة في أواخر زمان الدنيا، بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجّال ؛ فيجب على المؤمن التصديق بما ورد في القرآن والسنّة من أمرهم، ولا يعنيه البحث عن التفصيلات الدقيقة المتعلّقة بهم، فذلك من أمور الغيب التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

وعلى كلّ، فهذه بعض العلامات الكبرى لقيام الساعة، وهناك علامات أخرى وإنّما اقتصرنا على ما ذكرناه لأنّنا وجدنا فيها للثعالبي كلامًا، ومن أراد التفصيل أكثر فعليه بالكتب المصنّفة فيها، و هي كثيرة ولله الحمد.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء -باب: قصّة يأجوج ومأجوج 1220/3 برقم (3170) ؛ ومسلم في كتاب الأيمان -باب: يقول الله لآدم أخرج بعث النار 201/1 برقم (222)

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 545/2 -بتصرّف

(3) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

(4) فتح الباري13 / 106 وما بعدها

(5) هي: زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر الأسدية، أمّ المؤمنين، أمّها أميمة بنت عبد المطّلب، يقال: ماتت سنة 20 هـ في خلافة عمر- رضي الله عنه ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 665، مترجم برقم (8594)

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب -باب: علامات النّبوّة في الإسلام 1317/3 برقم (3403)؛ ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة -باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج 2207/4 برقم(2880)

2 ـ النفخ في الصور

من أمور الغيب التي قرّرها الله تعالى في القرآن الكريم، وأخبر بها النّبيّ صلى الله عليه و سلم في سنّته المطهّرة الإيمان بالنفخ في الصور، يقول عزّ وجلّ: {**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**}[1]، ويقول: {**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**}[2]، ويقول: {**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ**}[3]، وغير هذا من الآيات الدالّة على أنّ النفخ في الصور حقّ لا ريب فيه، وأنّه يقع بعد هلاك الخلق عند حدوث القيامة وقبل بعثهم لأرض المحشر للحساب والجزاء.

وهذا ممّا اتّفق عليه أهل السنّة والجماعة إلاّ أنّهم اختلفوا في المراد من لفظة الصور ؟

فيشير الثعالبي إلى انقسامهم إلى قسمين [4]:

فقال البعض: المراد بالصور هنا: جمع صورة[5]، أي: يوم ينفخ فيها فتحيا.

وذهب آخرون إلى أنّ المراد به: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ؛وبهذا أخذ الثعالبي[6]، وهو الصحيح الذي عليه أغلب علماء الأمّة[7]، وقد تظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، منها:

ما ثبت في الصحيح: « أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إنّ إسرافيل قد التقم الصور، وحنّى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ.. » الحديث. [8]

وكذا ما رواه أحمد وغيره عن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: « سئل النّبيّ صلى الله عليه و سلم عن الصور ؟ فقال: قرن ينفخ فيه »[9].

كما اختلفوا أيضًا في عدد النفخات: هل هي نفختان أو ثلاث ؟

فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنّها نفختان:

الأولى: يحصل بها الصعق، وفيها هلاك كلّ شيء إلاّ من شاء الله.

---

(1) سورة طه: 102
(2) سورة ق: 20
(3) سورة الحاقّة: 13-15
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 264/3 -بتصرّف .
(5) يقول الثعالبي: « ومن يقول: الصور جمع صورة، فإنّما يتوجّه قوله في نفخة البعث » نفس المصدر السابق 87/4
(6) نفس المصدر السابق 637/1 ؛ 547/2 ؛ 264/3 ؛ 87/4، 507
(7) تفسير ابن كثير 46/3 ؛ فتح الباري 367/11 ؛ تفسير القرطبي 20/7 ؛ تفسير الطبري 241/7
(8) حديث أخرجه الحاكم في المستدرك-كتاب الأهوال 603/4 برقم (8677) ؛ وابن حبان في صحيحه -باب: الأذكار 105/3 برقم (823) ؛ الترمذي في سننه-كتاب صفة القيامة -باب: ما جاء في شأن الصور 620/4 برقم (2430) وقال: « هذا حديث حسن ».
(9) الحديث أخرجه أحمد في مسنده 162/2، 192 ؛ والترمذي في سننه في أبواب صفة القيامة والرقائق و الورع -باب: ما جاء في شأن الصور؛ وفي تفسير سورة الزمر 348/5، برقم (3244) وقال: « هذا حديث حسن » ؛ والدارمي في سننه -كتاب الرقائق -باب: في نفخ الصور 318/2، برقم (2798) ؛ والحاكم في المستدرك 436/2، 506 ؛ 560/4 وقال: صحيح الإسناد ؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 68/3، برقم (1080)

والثانية: يحصل بها بعث الخلق إلى أرض المحشر للحساب والجزاء. وكأنّهم جعلوا الفزع والصعق نفخة واحدة مستدلّين بقوله ﷻ: {**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**}[1] ، قالوا: و (أخرى) لا تقال إلاّ في الثانية، وكذا قوله: {**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**}[2] ، قالوا: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية ؛ وهذا ما ذهب إليه الطبري[3] ، ورجّحه الحافظ ابن حجر[4].

وذهب البعض الآخر إلى أنّها ثلاث نفخات:

الأولى: نفخة الفزع، كما في قوله تعالى: {**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**}[5].

الثانية: نفخة الصعق

الثالثة: نفخة القيام من القبور ؛ وقد جمعهما الله في آية الزمر السابقة. وهذا ما صحّحه ابن عطية[6]، محتجًّا بأنّ لفظة (أخرى) تقال في الثالثة، مستدلاً بقوله تعالى: {**وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**}[7][8].

وإلى هذا الرأي ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية[9]، وابن كثير[10]، والسفاريني[11]، وغيرهم. واستدلّوا بما ورد في حديث الصور الطويل، وممّا جاء فيه: «... ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لربّ العالمين »[12] .

ولم يوضّح الثعالبي موقفه صراحة من هذه المسألة، والذي يبدو لنا أنّه يرى أنّها نفختان وليس ثلاثًا، وهو ما يمكننا أن نستشفّه من تفسيره لقوله تعالى: {**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى**

---

(1) سورة الزمر: 68
(2) سورة النازعات: 6، 7
(3) تفسير الطبري 12/424 وما بعدها
(4) فتح الباري 369/11، 370
(5) سورة النمل: 87
(6) المحرّر الوجيز 272/4
(7) سورة النجم: 20
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 265/3 ؛ 14/4
(9) مجموع الفتاوى 260/4، 261
(10) تفسير ابن كثير 46/3 ؛ 260/5 ؛ 108/6
(11) لوامع الأنوار البهية 161/2، 164
(12) الحديث أخرجه الطبري مختصرًا ومطوّلاً في تفسيره 110/17 ؛ 14/23 ؛ وقال في الموضع الأوّل: في إسناده نظر، (لما فيه من ضعف إسماعيل بن رافع المدني، وجهالة رجلين). قال ابن كثير 3 /52: « تفرّد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه: فمنهم من وثّقه، و منهم من ضعّفه ، ونصّ على نكارة حديثه غير واحد من الأئمّة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن الفلاس ؛ ومنهم من قال فيه: هو متروك الحديث ؛ وقال ابن عديّ: أحاديثه كلّها فيها نظر، إلاّ أنّه يكتب حديثه في جملة الضعفاء ». و قال ابن حجر: « ضعيف الحديث » انظر: تقريب التهذيب ص: 46، ترجمة رقم (442)، و سلسلة الأحاديث الصحيحة 373/4، 374

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}[1]، حيث ينصّ على أنّ قوله (صعق): معناه خرّ ميّتًا.. ، وقوله (ثمّ نفخ فيه أخرى): هي نفخة البعث ؛ ويستشهد على كلامه بما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون سنة ؟ قال: أبيت[2]، قالوا: أربعون شهرًا ؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون يومًا ؟ قال: أبيت.. » الحديث[3]. [4]

وبما رواه مسلم أيضًا عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- يرفعه إلى النّبيّ صلى الله عليه و سلم وممّا جاء فيه: « ثمّ ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاّ أصغى ليتًا[5] ورفع ليتًا.. ، ثمّ يرسل الله مطرًا كأنّه الطلّ[6]،

فتنبت منه أجساد النّاس، ثمّ ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.. » الحديث[7]. [8]

وهذا الرأي هو الذي نرجّحه، خاصّة وأنّ النصوص تعضده ؛ وفي هذا الشأن يقول القرطبي: « والصحيح أنّهما نفختان فقط، لثبوت الاستثناء بقوله تعالى (إلاّ من شاء الله) في كلّ من الآيتين[9] ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معًا من النفخة الأولى[10]، فإنّ نفخة الفزع إنّما تكون راجعة إلى نفخة الصعق، لأنّ الأمرين لازمان لهما، أي: فزعوا فزعًا ماتوا فيه »[11].

وأمّا حديث الصور الذي ورد فيه أنّ النفخ في الصور ثلاث نفخات (نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لربّ العالمين) فهو حديث ضعيف ومضطرب، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر [12].

وأمّا الاستثناء الوارد في الآية السابقة، فيقرّر الثعالبي أنّه استثناء فيمن قضى الله سبحانه من ملائكته وأنبيائه وشهداء عبيده أن لا ينالهم فزع النفخ في الصور،

---

(1) سورة الزمر: 68
(2) قول أبو هريرة (أبيت)، أي: امتنعت من بيان ذلك، إذ ليس هو ممّا تدعو إليه الحاجة، وعلى هذا كان عنده علم ذلك ؛ وقيل: المعنى: أبيت أن أسأل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عن ذلك، وعلى هذا فلا علم عنده ؛ والأوّل أظهر. انظر: العلوم الفاخرة 130/1
(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير -سورة النبأ -باب: يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا 1881/4 برقم (4651) ؛ وأخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة -باب: ما بين النفختين 2270/4 برقم (2955)
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 74/4 ؛ العلوم الفاخرة 140/1 ؛ الجامع -مخطوط بـ(م. و. ج)، برقم(851)
(5) أصغى: معناه أمال. و (ليتًا): من الليت: يعني صفحة العنق، وهي جانبه. انظر: العلوم الفاخرة 130/1 ؛ شرح النووي على صحيح مسلم 67/18
(6) الطلّ: المطر الضعيف، أو أخفّ المطر وأضعفه، أو الندى، أو فوقه ودون المطر ؛ جمعه: طلال وطلل. انظر: القاموس المحيط 07/4 -فصل الطاء -باب اللام -مادة (الطلّ) ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 315
(7) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة -باب: في خروج الدجّال.. 2259/4 برقم (2940)
(8) العلوم الفاخرة 130/1
(9) هما: الآية: 87 من سورة النمل، والآية: 68 من سورة الزمر
(10) التذكرة 309/1
(11) تفسير القرطبي 240/13
(12) فتح الباري 369/11

ويستأنس بما نقله عن أبي محمّد بن بزيزة في شرحه الأحكام الصغرى لعبد الحقّ الإشبيلي بأنّ الذي تلقوه عن الشيوخ المحقّقين: « أنّ العوالم التي لا تفنى سبعة: العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والجنّة، والنّار، والأرواح »[1]، وإلى هذا الرأي مال ابن حجر رحمه الله[2].

وعلى كلّ حال، فالأولى والأحسن بالمسلم أن يثبت ما أثبته الله تعالى في كتابه، وما أثبته النّبيّ صلى الله عليه و سلم في سنّته، وأن يكل ما غاب عنه علمه من تفاصيل المسائل وجزئياتها على وجه الدقّة والتحديد ، لأنّ العلم بها لا ينال إلاّ بالخبر الصحيح عن الله ورسوله.

3 ـ القيامة

تطرّق الثعالبي إلى سبب تسمية القيامة بهذا الاسم، وذلك في معرض تفسير قوله ﷻ: {**فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**} [3]، فيشير بأنّ الصحيح في يوم القيامة أنّه يوم، لأنّ قبله ليلة وفيه شمس[4].

وهذا هو الصواب الذي صرّحت به معاجم اللغة والاصطلاح ؛ فاليوم لغة: يعبّر به عن الزمان الممتدّ من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس ؛ بخلاف النّهار، فإنّه زمان ممتدّ من طلوع الشمس إلى غروبها، ولذلك يقال: صمت اليوم ولا يقال: صمت النّهار ؛ وقد يعبّر به عن مدّة من الزمان، أيّ مدّة كانت [5].

ولكن يطلق لفظ (يوم القيامة) ويقصد به في ديننا بأنّه عبارة عن امتداد الضياء العام [6] حين وقوف العباد على أرض المحشر انتظارًا للحساب والجزاء، والفصل بينهم أإلى الجنّة أم النّار ؟

وأسماء يوم القيامة كثيرة، والحكمة في ذلك الوقوف بكثرة أسمائها على كثرة معانيها، وتنبيه ذوي الألباب أنّ تحت كلّ اسم من أسمائها سرّ، وفي كلّ نعت من نعوت يومها معنى، لابدّ من الحرص على فهمه [7].

وأمّا مقدار يوم القيامة، فقد ورد فيه أنّه كألف سنة، حيث يقول تعالى: {**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**}[8]، وورد فيه أيضًا قوله تعالى: {**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**}[9]، وهذا يشبه أن يكون في طوائف دون طوائف، ويستأنس بكلام عبد الحقّ الإشبيلي في بيان طول يوم القيامة

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 265/3 ؛ 87/4 ؛ والعلوم الفاخرة 181/1
(2) فتح الباري 370/11، 371
(3) سورة آل عمران: 25
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 305/1 ؛ العلوم الفاخرة 157/1-159 ؛ الجامع- ورقة: 181 -182 -مخطوط بـ (م. و. ج)، برقم (851)
(5) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 578 ؛ الكليات ص: 981
(6) نفس المصدر السابق والصفحة
(7) العلوم الفاخرة 158/1، 159
(8) سورة الحجّ: 47
(9) سورة المعارج: 04

بأنّه ليس كما عهد من طول أيّام الدنيا، بل هو آلاف من الأعوام، حتّى ينفذ في العباد ما كتب لهم وعليهم من الأحكام، وأنّ خلاصهم لا يتمّ دفعة واحدة، بل شيئًا بعد شيء ؛ فطول ذلك اليوم خمسون ألف سنة، فمن النّاس من يطول مقامه وحبسه إلى آخر اليوم، ومنهم من يكون انفصاله في ذلك اليوم في مقدار يوم من أيّام الدنيا أو في ساعة من ساعاته أو في أقلّ من ذلك، ويكون رابحًا في ظلّ كسبه وعرش ربّه، ومنهم من يؤمر به إلى النّار في أوّل الأمر من غير وقوف ولا انتظار أو بعد يسير من ذلك اليوم [1].

تبديل الأرض يوم القيامة:

أثبت الثعالبي أنّ الله تعالى يبدّل الأرض والسماوات حقيقة، مستندًا إلى قوله ﷻ {**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**}[2]، فيقرّر أنّ تبديل الأرض يقع على ذاتها وصفاتها على حدّ سواء[3]، ويستدلّ بالأحاديث الواردة في هذا الباب، منها:

أ- ما رواه سهل بن سعد[4] - رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: « يحشر النّاس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[5] كقرصة النّقي[6] قال سهل أو غيره - ليس فيها معلم[7] لأحد»[8].

ب-وقوله صلى الله عليه و سلم : « أنّ الله يبدّلها خبزة يأكل المؤمن منها من تحت قدميه » [9].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 473/4 -بتصرّف ؛ العلوم الفاخرة 150/1
(2) سورة إبراهيم: 48
(3) نفس المصدر السابق 392/2، 393 ؛ العلوم الفاخرة 141/1، 142
(4) هو: سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العبّاس، له ولأبيه صحبة، مشهور، مات سنة 88 هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 198، مترجم برقم (2658) ؛ الاستيعاب 664/2 ؛ الإصابة 200/3
(5) عفراء: من العفر، وهو بياض ليس بالنّاصع، وقيل: بياض يضرب إلى حمرة قليلاً، ومنه سمّي عفر الأرض، وهو وجهها، وقيل: خالصة البيان، وقيل: شديدة البياض ؛ والأوّل هو المعتمد ؛ انظر: فتح الباري 375/11 ؛ لسان العرب 585/4 ؛ الغريب لابن سلام 142/2
(6) النّقي (بفتح النون وكسر القاف) أي: الدقيق النّقي من الغشّ والنخال ؛ نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(7) المعلم (بفتح الميم واللام، بينهما مهملة ساكنة): وهو الشيء الذي يستدلّ به على الطريق ؛ نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(8) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق -باب: يقبض الله الأرض2389/5 برقم (6040) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنّة والنّار 2150/4 برقم (4998)
(9) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره 449/7-483 ، من قول سعيد بن جبير؛ وانظر في معنى الحديث وما قيل فيه الفتح 372/11 وما بعدها.

ج-وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان[1] في سؤال الحبر قوله: « يا محمّد أين يكون النّاس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال ❐ هم في الظلمة دون الجسر.. » الحديث بطوله[2].

وقد جمع الثعالبي بين هذه النصوص وغيرها دفعًا للتعارض الذي قد يبدو من ظاهرها، فيقول: « ولا شكّ أنّ الآخرة مواطن، وللنّاس أحوال مختلفة فيها ، كما أنّ أحوالهم في الدنيا مختلفة ؛ وبهذا ونحوه يقع الجمع بين الآثار ؛ والقاعدة والعقيدة: أنّ كلّ ما أخبر الله سبحانه وأخبر به نبيّه صلى الله عليه و سلم حقّ لا تعارض ولا تناقض فيه » [3].

ويستأنس بما قاله ابن عطية سماعًا من أبيه: أنّ التبديل يقع على الأرض ولكن لكلّ فريق بما يقتضيه حاله، فالمؤمن يكون على خبز يأكل منه بحسب حاجته إليه، وفريق يكون على فضّة - إن صحّ السند بها- وفريق الكفرة على نار، ونحو هذا ممّا كلّه واقع تحت قدرة الله ✞ وأكثر المفسّرين على أنّ التبديل يكون بأرض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها، ولا سفك فيها دم، وليس فيها معلم لأحد[4] [5].

ويعضده بما ذكره القرطبي من أنّ هذه الأحاديث المتقدّمة نصّ في أنّ الأرض والسماوات تبدّل وتزال، ويخلق الله أرضًا أخرى يكون النّاس عليها بعد كونهم على الجسر (وهو الصراط)، لا كما قال بعض النّاس أنّ تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكامها، ومدّ أراضيها [6] [7].

وكذا ما نقله عن ابن أبي جمرة استنباطًا من ظاهر حديث سهل بن سعد المتقدّم بأنّه يدلّ على أنّ الأرض التي يحشر النّاس عليها يوم القيامة غير هذه الأرض، وأنّها بيضاء مستوية ممدودة، لم يتقدّم لأحد فيها ملك ولا تصرّف، والأخبار تقتضي أنّها أكبر من هذه، بدليل أنّه قد جاء أنّ كلّ ما في هذه الأرض وما عليها يحشر يوم القيامة، وكلّ من في الأرضين السبع، وكلّ من في السماوات من الملائكة وغيرهم، وأنّ هذه بنفسها تحشر أيضًا، بدليل قوله ✞: {**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**}[8] [9].

---

(1) هو: ثوبان الهاشمي، مولى النبيّ ❐ أعتقه صلى الله عليه وسلم صحبه ولازمه ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة 54هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 74، مترجم برقم (858) ؛ الإصابة 413/1 ؛ سير أعلام النبلاء 15/3 ؛ الاستيعاب 218/1

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحيض 252/1 برقم (473)

(3) العلوم الفاخرة 142/1

(4) المحرّر الوجيز 347/3

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 393/2

(6) التذكرة 324/1

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 393/2

(8) سورة الزلزلة: 04

(9) العلوم الفاخرة 142/1

وما ذهب إليه الثعالبي في تبديل الأرض قد خالف فيه بعض العلماء، فقالوا إنّ التغيير إنّما يقع على صفات الأرض دون ذاتها، فيزاد فيها، وينقص منها، ويذهب آكامها، وجبالها وأوديتها وشجرها.. إلخ. واستندوا إلى ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: « إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم وحشر الخلائق » (1)، وإليه مال ابن كثير فيما يبدو لنا من ظاهر كلامه(2).

والراجح ما قرّره الثعالبي، ولذلك يختم كلامه معقّبًا على هذا الرأي بقوله: وما ورد ممّا ظاهره أنّ التبديل عبارة عن تغيّر صفاتها، فيؤوّل على معنى ما تقدّم(3).

وفيما يتعلّق بحال السماوات يومئذ، فالثعالبي يرى أنّها تبدّل وتزال، فتغيّر من حال إلى حال، وهذا ما يتجلّى من خلال مجموع أقواله في تفسيره للآيات المتعلّقة بها، وهي كثيرة، منها: أنّها تطوى كما يطوى السجلّ، وتمور أي: تذهب وتجيء بالريّاح متقطّعة، متفتّتة، كما يذهب التراب الموار في الريح، وتكون كالمهل، وهو عكر الزيت، فهي لسوادها وانكدار أنوارها تشبه ذلك، وتنشقّ فتكون واهية، ووردة كالدهان، أي: محمرّة كالوردة، ويعتريها يوم القيامة ذوب وتميّع من شدّة الهول.. إلخ (4).

وما ذهب إليه الثعالبي هنا هو الراجح، وهو قول من بين الأقوال الواردة في المسألة، وقد أشار ابن حجر إليها، ذاكرًا أنّ هذا الرأي هو المروي عن ابن مسعود- رضي الله عنه(5).

وعلى كلّ حال، يكفي المسلم أن يعتقد وقوع ذلك وفق ما أخبرت به نصوص القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة، ولا يعنيه معرفة ما غيّب الله عنه من التفاصيل، لأنّ ما أخبر الله ورسوله به حقّ لا ريب فيه.

4 ـ الشفاعة

أثبت الثعالبي حقيقة الشفاعة(1) يوم القيامة، وأنّها لا تكون إلاّ بإذن من الله تعالى، فيمحو الله بها أثر العصيان، ويكفّره بالإحسان، ويستر بها ما ليس ظهوره من العبد

---

(1) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه 619/4

(2) تفسير ابن كثير 145/4

(3) العلوم الفاخرة 142/1

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 33/3 ، 103 ؛ 293/4، 336، 444، 463، 474، 500، 538، 548، 570، 575، 587 ؛ العلوم الفاخرة 144/1، 145

(5) فتح الباري 376/11

(1) الشفاعة **لغة**: مأخوذة من الشفع، وهو الزوج، أي: ضمّ الشيء إلى مثله، تقول: شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع. وهو خلاف الوتر فالشفع: المخلوقات من حيث أنّها مركّبات، كما قال تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} سورة الذاريات: 49، والوتر: هو الله من حيث أنّ له الوحدة من كلّ وجه ؛ انظر: القاموس المحيط 47/3 -فصل الشين -باب العين -مادة (الشفع) ؛ معجم مفردات القرآن ص: 270

محمودًا ممّن شاء الله أن يشفع من نبيّ أو وليّ أو بلا شفاعة، بل برحمته، إلاّ الشرك، فإنّ أهله مخلّدون في النّار. وقد تظافرت الأدلّة عليها من القرآن والسنّة، منها قوله سبحانه و تعالى: {**لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا**}(1)، يذكر الثعالبي اختلاف المفسّرين في المقصود بمن له الحقّ في الشفاعة يوم القيامة:

فقيل: هو عائد على المجرمين، أي: لا يملكون أن يشفع لهم، وعلى هذا فالإستثناء منقطع، أي: لكن من اتّخذ عند الرحمان عهدًا يشفع له، والعهد على هذا الإيمان.

ويحتمل أن يكون المجرمون يعمّ الكفرة والعصاة، أي: إلاّ من اتّخذ عند الرحمان عهدًا من عصاة المؤمنين، فإنّه يشفع له، ويكون الاستثناء متّصلاً.

وقيل: الضمير في (لا يملكون) للمتّقين، وقوله (إلاّ من اتّخذ عند الرحمان عهدًا) أي: إلاّ من كان له عمل صالح مبرور فيشفع. وتحتمل الآية: أن يراد بـ(من): النّبيّ صلى الله عليه و سلم ، وبالشفاعة الخاصّة له: العامّة في أهل الموقف، ويكون الضمير في (لا يملكون): لجميع أهل الموقف، ألا ترى أنّ سائر الأنبياء يتدافعون الشفاعة إذ ذاك حتّى تصير إليه صلى الله عليه و سلم (2).

ويعتبر الثعالبي الدعاء للنّبيّ صلى الله عليه و سلم عقب الأذان بالوسيلة والفضيلة من أهمّ الأسباب التي يستحقّ المؤمن بها شفاعته عليه السلام يوم القيامة، مستشهدًا على ذلك بما رواه جابر بن عبد الله(3) - رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « من قال حين يسمع النداء: اللهمّ ربّ هذه الدعوة التا مّة، والصلاة القائمة، آت محمّدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة »(4).

ولهذا لم يتوان في الردّ على ابن عطية القائل بأنّ الوسيلة المطلوبة لنبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم هي من الوسيلة (القربة) المطلوبة إليه تعالى، الواردة في قوله ✠: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}(1)، لأنّ الدعاء للنبيّ بالوسيلة والفضيلة إنّما هو أن يؤتاهما في الدنيا ويتّصف بهما، ويكون ثمرة ذلك في الآخرة التشفيع في المقام المحمود(2).

و**شرعًا:** سؤال فعل الخير وترك الضرّ، لأجل الغير على سبيل الضراعة إلى الله تعالى ؛ انظر: الكلّيات ص: 536

(1) سورة مريم: 85

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 32/3 -بتصرّف

(3) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السّلمي، صحابي بن صحابي. غزا (19)غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن (94) تقريب التهذيب ص: 75، مترجم برقم (871) ؛ الإصابة 134/1 ؛ تذكرة الحفاظ 43/1 ؛ سير أعلام النبلاء 189/3 ؛ الاستيعاب 219/1

(4) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الآذان -باب: الدعاء عند النّداء 55/1

(1) سورة المائدة: 37

(2) المحرّر الوجيز 186/2، 187

ويعقّب عليه الثعالبي بأنّ في كلامه هذا ما لا يخفى[1]، وقد فسّر النّبيّ صلى الله عليه و سلم الوسيلة التي كان يرجوها من ربّه بأنّها درجة في الجنّة، يدلّ عليها ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو[2] - رضي الله عنهما- أنّه سمع النّبي صلى الله عليه و سلم يقول: « إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثمّ صلّوا عليّ، فإنّه من صلّى عليّ مرّة صلّى الله عليه عشرًا، ثمّ سلوا الله لي الوسيلة، فإنّها منزلة في الجنّة لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة »[3].

وما ذكره الثعالبي هو الراجح الذي عليه جماهير العلماء[4].

أنواع الشفاعة:

والشفاعة يوم القيامة أنواع، أشار الثعالبي إلى بعضها[5]، وقد استقصاها بعض العلماء في ثمانية أنواع[6]، منها ما هو خاصّ بنبيّنا عليه السلام، ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره ؛ ونحن نذكرها كلّها:

1- الشفاعة العظمى: وهي خاصّة بنبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم ، ويقصد بها شفاعته لأهل الموقف حتّى يقضي الله بينهم بعد طول الموقف عليهم، وبعد مراجعتهم الأنبياء والمرسلين للقيام بها، فيقوم بها نبيّنا عليه السلام بإذن من الله تعالى؛ وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الذي ورد ذكره في قوله جلّ وعلا: {**وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**}[7]، يشير رحمه الله إلى أنّ المقام المحمود هو عدة من الله ✠ لنبيه، وهو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء حتّى ينتهي إليه صلى الله عليه و سلم [1].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 549/1

(2) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد (بالتصغير)، بن سعد بن سهم السّهمي، أبو محمّد، وقيل: أبو عبد الرحمان. أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجّة ليالي الحرّة بالطائف ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 257، مترجم برقم (3499)

(3) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة -باب: استحباب القول مثل ما يقول المؤذن 288/1 برقم (577)

(4) انظر: تفسير ابن كثير 563/2 ؛ فتح الباري95/2 ؛ الشفا 173/1

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 131/1، 444-446 ؛ 63/3 ؛ العلوم الفاخرة 150/1-154 ؛ 28/2، 33، 34، 42-53؛ الجامع -ورقة: 181، 182، 186، 187 ؛ مخطوط بـ (م. و. ج)، برقم (851).

(6) انظر: فتح الباري 96/2 ؛ 428/11 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 282/1، 290 ؛ شرح النووي على مسلم 35/3 ؛ كتاب التوحيد 588/2

(7) سورة الإسراء: 79

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 492/2، 493 ؛ 32/3

ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: « أتي رسول الله صلى الله عليه و سلم بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، فقال: أنا سيّد النّاس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الدّاعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ النّاس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض النّاس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربّكم ؟ فيقول بعض النّاس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربّك ؟ ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربّك ؟ ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول نوح: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول فضّلك الله برسالاته وبكلامه على النّاس، اشفع لنا إلى ربّك ؟ ألا ترى ما نحن ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته إلى مريم وروح منه، وكلّمت النّاس في المهد صبيًّا، اشفع لنا إلى ربّك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟، فيقول عيسى: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمّد صلى الله عليه و سلم فيأتون محمّدًا فيقولون: يا محمّد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، اشفع لنا إلى ربّك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربّي ﷻ، ثمّ يفتح الله عليّ من محامده، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثمّ يقال: يا محمّد ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفّع، فأرفع رأسي فأقول: أمّتي يا ربّ، أمّتي يا ربّ، فيقال: يا محمّد أدخل من أمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاء النّاس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّ بين المصراعين من مصاريع الجنّة كما بين مكّة وحمير، أو كما بين مكّة وبصرى »[1].

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: تفسير القرآن -باب : ذرية من حملنا مع نوح

2-شفاعته عليه السلام في دخول أهل الجنّة الجنّة، بعد الفراغ من الحساب، ويشهد لها ما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « أنا أوّل شفيع في الجنّة »[1].

3- شفاعته عليه السلام في عمّه أبي طالب أن يخفّف الله عنه عذابه، فعن العباس بن عبد المطّلب -رضي الله عنه- قال للنبيّ صلى الله عليه و سلم : « ما أغنيت عن عمّك، فوالله كان يحوطك، ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النّار »[2]. ومن حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنّه سمع النّبيّ صلى الله عليه و سلم وذكر عنده عمّه، فقال: « لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النّار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه »[3].

وهذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة خاصّة بنبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم وأمّا الأنواع الموالية لهذه، فيشارك فيها عليه السلام غيره من الأنبياء والرسل والملائكة والشهداء.

4- شفاعته عليه السلام في أهل الكبائر من أمّته ممّن دخل النّار، فيخرجون منها: وتتكرّر منه أربع مرّات، ويشاركه في هذا النوع: الملائكة، والنبيّون، والمؤمنون، وربّنا ﷻ.. ، على ما تواترت به الأحاديث، من ذلك:

ما يذكره في معرض تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**}[4]، فيورد جزءًا من حديث الشفاعة الطويل الذي رواه مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: «... ثمّ يضرب الجسر على جهنّم وتحلّ الشفاعة، ويقولون: اللهمّ سلّم سلّم »، وفيه: «.. فيمرّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنّم، حتّى إذا خلص المؤمنون من النّار، والذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدّ مناشدة لله في استيفاء الحقّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النّار، يقولون: ربّنا كانوا معنا، يصومون معنا، ويصلّون ويحجّون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرّم صورهم على النّار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النّار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثمّ يقولون: ربّنا ما بقي فيها أحدًا ممّن أمرتنا به، فيقول: أرجعوا فمن

1746/4 برقم (3092) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان -باب: أدنى أهل الجنة منزلة 185/1 برقم (287). وقد أورده الثعالبي في العلوم الفاخرة 151/1، 152

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: في قول النبيّ أنا أوّل الناس يشفع في الجنة 188/1 برقم (291)

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار -باب: قصّة أبي طالب 1408/3 برقم (2594) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: شفاعة النبيّ لأبي طالب 194/1 برقم (308)

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق -باب: صفة الجنة والنار 2400/5 برقم (6079) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: شفاعة النبيّ لأبي طالب 195/1 برقم (310)

(4) سورة النساء: 40

وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمّ يقولون: ربّنا لم نذر فيها أحدًا ممّن أمرتنا، ثمّ يقول: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ؛ ثمّ يقولون: ربّنا لم نذر فيها أحدًا. وكان أبو سعيد يقول: " إن لم تصدّقوني في هذا الحديث، فاقرؤوا إن شئتم: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**}(1). فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النّبيّون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلاّ أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النّار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطّ، قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنّة »، وفيه «... فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنّة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنّة بغير عمل عملوه، ولا خير قدّموه، ثمّ يقول: أدخلوا الجنّة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربّنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: ربّنا وأيّ شيء أفضل من هذا ؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا »(2) (3).

5- شفاعته عليه السلام في قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم أن يدخلوا الجنّة، وهم أهل الأعراف على قول بعض أهل العلم(4).

وقد أنكرت المعتزلة(5) والخوارج(6) هذا النوع، أي: شفاعته عليه السلام وغيره في أهل الكبائر ممّن استحقّ دخول النّار أن يخرج منها، وهذا بناءً على مذهبهم الفاسد في كون صاحب الكبيرة مخلّد في النّار ؛ واحتجّ هؤلاء بالآيات التي ورد فيها نفي الشفاعة، كقوله سبحانه وتعالى: {**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ**}(1)، وقوله: {**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**}(2)، وقوله: {**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**}(3). وهذا احتجاج غير صحيح، لأنّ الشفاعة المنفية هنا

---

(1) سورة النساء: 40

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد -باب: قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناضرة 2707/6 برقم (6885) ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان 170/1 برقم (269)

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 444/1، 446 ؛ 63/3

(4) انظر: فتح الباري 428/11 ؛ تفسير ابن كثير 171/3، فقد ذكر أنّ هذا القول نصّ عليه حذيفة وابن عبّاس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف؛ وقد أشار إليها الثعالبي في تفسيره 28/2، 29، 30

(5) شرح الأصول الخمسة ص: 688، 689 ؛ الإرشاد ص: 157، 158 ؛ المواقف ص: 380 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 294/1، مجموع الفتاوى 114/1

(6) فتح الباري 426/11

(1) سورة البقرة: 123

(2) سورة غافر: 18

(3) سورة المدثر: 48

هي: الشفاعة في أهل الكفر والشرك، فهم الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين[1]، وأمّا عصاة المؤمنين فتنفعهم الشفاعة بشروطها، وهي:

أ- إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، كما يقول تعالى: {**وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**}[2]، فقد قرّر تعالى في الآية أنّ الذين يظنّون أنّهم يشفعون لهم عند الله لا تصحّ منهم شفاعة لهم، ولا يأذن الله في الشفاعة في كافر[3].

ب-**رضا الله ✠ عن المشفوع له،** كما يقول تعالى: {**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى**}[4] أي: من ارتضى الله أن يشفع لهم، وهم أهل لا إله إلاّ الله[5].

وقد جمع الله هذين الشرطين في آية واحدة، وهي قوله سبحانه: {**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**}[6]. وهذا في حقيقته ردّ على كفّار قريش في قولهم الأوثان شفعاؤنا[7]، إذ الملائكة على جلالة قدرها، وكثرة عبادتها، وكرامتها عند الله، لا تشفع إلاّ بعد إذنه ورضاه، فإذا كان الأمر كذلك، فالأصنام والأوثان- من باب أولى- لا تغني عنهم شيئًا، لأنّها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًّا، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

6- شفاعته عليه السلام في قوم آخرين قد أمر بهم إلى النّار أن لا يدخلوها.

7- شفاعته عليه السلام في رفع درجات من يدخل الجنّة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ؛ وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصّة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

8- شفاعته عليه السلام في دخول بعض المؤمنين الجنّة من غير حساب ولا عذاب، كشفاعته في عكاشة بن محصن[8] - رضي الله عنه- حيث دعا له النّبيّ صلى الله عليه و سلم أن يجعله الله من السبعين ألف الذين يدخلون الجنّة بغير حساب، والحديث مخرّج في الصحيحين[1].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 131/1 -بتصرّف

(2) سورة سبأ: 23

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 379/3 ؛ 242/1 ؛ 224/2 ؛ 180/4

(4) سورة الأنبياء: 28

(5) نفس المصدر السابق 81/3

(6) سورة النجم: 26

(7) نفس المصدر السابق 310/4

(8) هو: عكاشة بن محصن الأسدي، من السابقين الأوّلين البدريين، شهد له النبيّ أنه من أهل الجنة توفي في خلافة أبي بكر، شهد المشاهد كلها مع النبي ❐ ؛ سير أعلام النبلاء 307/1 ؛ الاستيعاب 1080/3 ؛ الإصابة 533/4

(1) ولفظه بتمامه: عن ابن عبّاس -رضي الله عنه- قال: قال النّبيّ ❐ : « عرضت عليّ الأمم فأخذ النّبيّ يمرّ معه الأمّة، والنّبيّ يمرّ معه النّفر، والنّبيّ يمرّ معه العشرة، والنّبيّ يمرّ معه الخمسة، والنّبيّ يمرّ وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمّتي ؟ قال: لا ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمّتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدّامهم لا حساب عليهم ولا

5 - الميزان

تحدّث الثعالبي عن الميزان[1]، وأثبت أنّه حقيقيّ، وأنّ له كفّتين حقيقة، وجوّز أن يكون في الميزان موزونات كثيرة، تنصب يوم القيامة لوزن الأعمال، و هذا ما نراه عند تفسير قوله تعالى: {**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ(8)وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**}[2]: حيث يشير إلى قاله جمهور المفسّرين وغيرهم من علماء هذه الأمّة أنّ الله ✝ أراد أن يبيّن لعباده أنّ الحساب والنّظر يوم القيامة هو في غاية التحرير ونهاية العدل بأمر قد عرفوه في الدنيا، وعهدته أفهامهم، فميزان القيامة له عمود وكفّتان على هيئة موازين الدنيا، وجمع لفظ (الموازين) إذ في الميزان موزونات كثيرة، فكأنّه أراد التنبيه عليها. وعضّد رأيه بما ذكره الفخر الرّازي: « أنّ الأظهر إثبات موازين في يوم القيامة، لا ميزان واحد لظواهر الآيات ؛ وحمل الموازين على الموزونات أو على الميزان الواحد يوجبان العدول عن ظاهر اللفظ، وذلك إنّما يصار إليه عند تعذّر حمل الكلام على ظاهره، ولا مانع ههنا منه، فوجب إجراء اللفظ على حقيقته، فكما لم يمتنع إثبات ميزان واحد له كفّتان، فكذلك لا يمتنع إثبات موازين بهذه الصفة، وما الموجب لتركه والمصير إلى التأويل[3].

والمعنى نفسه يؤكّده أبو حيّان بقوله: أنّ لفظة (موازينه) الواردة في الآية: جمع باعتبار الموزونات، وهذا على مذهب الجمهور في أنّ الميزان واحد، وقال الحسن: لكلّ واحد ميزان، فالجمع إذن حقيقة "[1].

وهذا الذي قرّره الثعالبي هو الحقّ، وهو الصواب الذي عليه أهل السنّة والجماعة، خلافًا لما ذهب إليه المعتزلة ومن وافقهم إلى إنكار حقيقة الميزان، وأنّه يراد به مجرّد العدل، وأنّ وضع الله الموازين يوم القيامة كناية وتمثيل لإرصاد الحساب

عذاب. قلت: ولم ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيّرون، وعلى ربّهم يتوكّلون، فقام إليه عكاشة بن محصن، فقال: أدع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهمّ اجعله منهم، ثمّ قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة ». الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق -باب: يدخل الجنّة سبعون لفًا بغير حساب 2396/5 برقم (6060) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنّة بغير حساب 197/1، برقم (216، 218)

(1) الميزان **لغة**: العدل والمقدار، وأصله من الوزن، وهو: معرفة قدر الشيء ؛ يقال: وزنته، وزنًا، وزنة ؛ وجمعه أوزان. وأمّا **اصطلاحًا**: فيطلق على ما يوزن به ؛ انظر: القاموس المحيط 277/4 - فصل الواو -باب النون -مادة (الوزن) ؛ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: 559 ؛ أساس البلاغة ص: 498 ؛ الكلّيات ص: 946

(2) سورة الأعراف: 8، 9

(3) التفسير الكبير مج(7) ج 29/14

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 8/2، 9 ؛ العلوم الفاخرة 22/2، 25 ؛ الجامع -مخطوط -(م. و. ج) -برقم (581) -ورقة: 184

السويّ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنّصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرّة[1].

وهذا الذي قالوه وإن كان صحيحا من حيث اللغة، ولكن نصوص الشرع تخالفه، فالأولى أن يتّبع ما جاء في القرآن الكريم، وما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه و سلم في أنّه ميزان حقيقيّ ؛ وهذا الذي عليه أهل السنّة والجماعة[2].

وزن الأعمال

ويتعلّق بحقيقة الميزان يوم القيامة مسألة أخرى، وهي: هل توزن الأعمال نفسها ؟ أم هل يوزن العامل نفسه ؟ أم توزن صحائف الأعمال فقط ؟ أم يوزن العامل مع عمله ؟

وقبل أن نقف على رأي الثعالبي، يستحسن أن نشير أوّلاً إلى اختلاف العلماء فيها، تبعًا لاختلاف النصوص الواردة في ذلك في الظاهر إلى آراء معيّنة[3]:

فقال بعضهم: الموزون يوم القيامة هو الأعمال، فهي وإن كانت أعراضًا إلاّ أنّ الله يقلبها أجسامًا، فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة، ثمّ توزن ؛ واحتجّوا على رأيهم بما ثبت في الصحيح عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «اقرأوا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان أو كأنّهما غيايتان أو كأنّهما فرقان من طير صواف تحاجّان عن أصحابهما ؛ اقرأوا سورة البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة »[4].

وقال بعضهم: الموزون هو صحائف الأعمال، وأمّا الأعمال فإنّها أعراض، فلا توصف بثقل لا خفّة ؛ وهذا الذي اختاره الطيبي[1]، ورجّحه القرطبي[2] ؛ واستدلّوا بما رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « إنّ الله سيخلّص رجلاً من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كلّ سجلّ مدّ البصر، ثمّ يقول له: أتنكر من

---

(1) الكشّاف 68/2، 574 ؛ المواقف ص: 384

(2) الإرشاد ص: 151 ؛ المواقف ص: 383 ؛ أصول الدين ص: 246 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 609/2 ؛ إحياء علوم الدين 114/1 ؛ 520/4

(3) انظر: تفسير ابن كثير 146/3، 147 ؛ التفسير الكبير مج (7) ج27/17، 28 ؛ تفسير القرطبي 165/7 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 608/2، 613 ؛ فتح الباري 539/13 ؛ التذكرة ص: 336، 346

(4) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها -باب: فضل قراءة سورة البقرة 553/1 برقم (1337)

(1) فتح الباري 539/13 ؛ هو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي علامة لغوي شرح الكشاف وكان شديد الرد على الفلاسفة. انظر: شذرات الذهب 137/3.

(2) التذكرة ص: 336

هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ قال: لا يا ربّ، فيقول: ألك عذر أوحسنة ؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا ربّ، فيقول: بلى، إنّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا ربّ ما هذه السجلّات ؟ فيقول: إنّك لا تظلم، قال: فتوضع السجلّات في كفّة والبطاقة في كفّة، قال: فطاشت السجلّات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمان الرحيم »[1].

وقال آخرون: الموزون هو العبد مع عمله، واستندوا إلى ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « إنّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، قال: اقرأوا إن شئتم {**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**}[2] [3].

وأمّا الثعالبي فقد رجّح الرأي الأوّل القائل بوزن الأعمال حقيقة[4]، وهو ما أشار إليه في معرض تفسير قوله سبحانه وتعالى: {**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**}[5]، واستأنس- بقول القرطبي- أنّه: « إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأنّ الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإنّ المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها »[6] [7]. وبهذا الرأي أخذ ابن حجر حيث يقول: « والصحيح أنّ الأعمال هي التي توزن »[1].

ومع هذا، فلا مانع من الجمع بين الأقوال السابقة، والآثار الواردة فيها ، دفعًا للتعارض الظاهري، وهو ما رجّحه ابن كثير بقوله: « وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كلّه صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالّها، وتارة يوزن فاعلها »[2].

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في مسنده 213/2 مسند المكثرين من الصحابة, باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، وابن ماجة في سننه: كتاب الزهد -باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة 1437/2، برقم (4300) ؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة 398/3 برقم (3488)؛ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة 292/1 برقم (135)

(2) سورة الكهف: 105

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير -سورة الكهف -باب: قوله تعالى {أولئك الذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم} 1759/4 برقم (4360)

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 86/3 -بتصرّف

(5) سورة الأنبياء: 47

(6) التذكرة 134/2

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 86/3

(1) فتح الباري 539/13

(2) تفسير ابن كثير 147/3 ؛ ووافقه ابن أبي العزّ في شرح العقيدة الطحاوية 613/2

تطاير الصحف عند العرض والحساب

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأنّ الإنسان ستعرض أعماله يوم القيامة عليه، بعدما أحصت الملائكة كلّ ما قام به في الحياة الدنيا خيرًا كان أو شرًّا ؛ وهذا ما دلّت عليه آيات القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة.

يقول الله تعالى: {**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا(48)وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**}[1]، ويقول: {**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا(13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**}[2]، يبيّن الثعالبي أنّ لفظة (الكتاب) الواردة في الآيتين يراد بها عمل الإنسان وخطيئاته ؛ وأنّه اسم جنس يراد به كتب النّاس التي أحصتها الحفظة لواحد واحد[3] ؛ فالنّاس يومئذ فريقان: أهل اليمين، وأهل الشمال كما قال ✞: {**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**}[4]، ولذلك يقرّر-ما عليه أهل السنّة والجماعة- أنّ في القيامة صحائف تتطاير حقيقة[5]، وتوضع في الأيمان لأهل الإيمان، وفي الشمائل لأهل الكفر والخذلان، وتوضع في أيمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد، فيستفيدون منها أنّهم غير مخلّدين في النّار[6]، ومن ثمّ فإنّ أهل اليمين يقرؤون كتابهم بسرور وفرح بخلاف أهل الشمال.

وهذا المعنى نفسه ذكره تعالى بقوله: {**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا(8) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا(9)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ(10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا(11) وَيَصْلَى سَعِيرًا**}[1]، فيشير إلى أنّ الإنسان سيلقى جزاءه على أعماله إن خيرًا أو شرًّا، فليكن على حذر من هذه الحال، لأنّه سيحاسب إمّا حسابًا يسيرًا وهو العرض، وإمّا حسابًا عسيرًا وهو المناقشة ؛ ومن نوقش الحساب هلك وعذّب.

ويستشهد الثعالبي على كلامه بما ثبت في الصحيح عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: « سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في بعض صلاته: « اللّهمّ حاسبني

---

(1) سورة الكهف: 48، 49
(2) سورة الإسراء: 13
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 463/2، 532 ؛ 199/4، 200 -بتصرّف
(4) سورة الإسراء: 71
(5) شرح العقيدة الطحاوية 588/2، 589 ؛ المواقف ص: 383 ؛ التذكرة 36/2 ؛ إحياء علوم الدين 517/4، 520
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 487/2
(1) سورة الانشقاق: 7-12

حسابًا يسيرًا، فلمّا انصرف، قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال: أن ينظر في كتابه، ويتجاوز عنه، إنّه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك، وكلّ ما يصيب المؤمن يكفّر الله عنه حتّى الشوكة تشوكه »[1].

وكذا قوله صلى الله عليه و سلم : « يعرض النّاس ثلاث عرضات، فأمّا عرضتان فجدال ومعاذير، وأمّا الثالثة فعندها تتطاير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله »[2] [3].

المطلب الثاني: الحوض، والصراط، والجنة، والنار

1 ـ الحوض

دلّت نصوص القرآن والسنّة على أنّ الله تعالى قد أكرم نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم بنهر، يشرب منه المؤمنون الصادقون يوم القيامة، حين يشتدّ بهم العطش في أرض المحشر بعد أن تدنو الشمس من رؤوس العباد للحساب والجزاء.

وقبل أن نقف على كلام الثعالبي في ذلك، يجدر بنا أن نعرف معنى الحوض في اللغة والاصطلاح؛

الحوض لغة: مجمع الماء، وجمعه حياض وأحواض؛ مأخوذ من حاض الماء: إذا جمعه، كالحوض يجعل للنّخلة تشرب منه ؛ واستحوض الماء: اتّخذ لنفسه حوضًا[4].

وشرعًا: هو النّهر الذي أكرم الله ﷻ به نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم غيانًا لأمّته يوم القيامة[1].

وقد أجمع أهل السنّة والجماعة على أنّ الحوض حقّ[2]، خلافًا لمن أنكره من المعتزلة والخوارج[3].

والأحاديث الواردة فيه قد بلغت حدّ التواتر، إذ رواها بضع وثلاثون صحابيًّا ؛ وقد أورد الثعالبي بعضها[4]، والذي يتلخّص منها: أنّه حوض عظيم، ومورد كريم، يمدّ

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في مسنده: كتاب باقي مسند الأنصار -باب حديث السيدة عائشة 48/6 برقم (23082)

(2) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة -باب ما جاء في العرض 617/4 برقم (2425)؛ وابن ماجة في كتاب الزهد -باب ذكر البعث 1430/2 برقم (4277)

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 464/4، 588 -بتصرّف

(4) القاموس المحيط 341/2 -فصل الحاء والخاء -باب الضاد -مادة (الحوض) ؛ فتح الباري 466/11

(1) شرح العقيدة الطحاوية 277/1

(2) الإرشاد ص: 151 ؛ المواقف ص: 383 ؛ الفرق بين الفرق ص: 307

(3) فتح الباري 467/11 ؛ الإبانة عن أصول الديانة ص: 164

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 677/4، 678 ؛ العلوم الفاخرة 17/2، 22 ؛ وقد استقصى الإمام ابن كثير طرقها في تاريخه الكبير (البداية والنهاية 337/1-373) ؛ فتح الباري 466/11-

من شراب الجنّة، من نهر الكوثر، الذي هو أشدّ بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، وهو في غاية الاتّساع.. ، ونحو هذا من صفاته، وإن اختلفت ألفاظ روّاته[1].

ومن هذه الأحاديث التي أوردها، ما يلي:

أ-ما أخرجه مسلم عن أنس -رضي الله عنه- قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثمّ رفع رأسه مبتسمًا، فقال: نزلت عليّ آنفًا سورة، فقرأ: {**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**}[2] إلى آخرها، ثمّ قال: « أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّه نهر وعدنيه ربّي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة »[3].

ب-وما أخرجه ابن ماجة عن ثوبان - رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إنّ حوضي ما بين عدن إلى أيلة، أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، أكاوبه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، وأوّل من يرده عليّ فقراء المهاجرين، الدنّس ثيابًا، والشعث رؤوسًا، الذين لا ينكحون المنعّمات، ولا يفتح لهم السدد. قال: فبكى عمر- أي: بن عبد العزيز- حتّى اخضلّت لحيته، ثمّ قال: لكنّي قد نكحت المنعّمات، وفتحت لي السدد، لا جرم أنّي لا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتّى يتّسخ، ولا أدهن رأسي حتّى يشعث »[4].

ج-وكذا ما أخرجه أبو داود عن زيد بن أرقم[1] قال: « كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلنا منزلاً، فقال: ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممّن يرد عليّ الحوض، قال: قلت: كم كنتم يومئذ ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة »[2].

هذه بعض الأحاديث في بيان حقيقة الحوض، وأخلق بمن أنكره أن يحال بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر.

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية 280/1، 281

(2) سورة الكوثر: 01

(3) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة-باب: حجة من قال البسملة آية من أوّل كل سورة 300/1 برقم (608)

(4) الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب الزهد -باب: ذكر الحوض 1438/2، برقم (4303) ؛ والترمذي بمعناه: كتاب القيامة -باب: في صفة أواني الحوض 629/4 برقم (2444) ؛ ومسلم بمعناه في كتاب الطهارة -باب: استحباب إطالة الغرّة والتعجيل في الوضوء (364) وفي كتاب الفضائل-باب: إثبات حوض نبينا وصفاته رقم (4255)

(1) هو: زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري، الخزرجي، صحابي مشهور، استصغر يوم أحد، ثمّ بعدها شهد الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، توفي سنة 68هـ. انظر: تقريب التهذيب ص: 162 مترجم برقم(2116) ؛ سير أعلام النبلاء 165/3

(2) الحديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنّة -باب: في الحوض 237/4 برقم (4121) ؛ وأحمد في أوّل مسند الكوفيين -باب: حديث زيد بن أرقم 367/4 برقم (18488) وصححّه الألباني في السلسلة الصحيحة 242/1 برقم (123)، وصحيح سنن أبي داود 89/3 برقم (3972)

الحوض والميزان أيّهما يكون قبل الآخر ؟

وفي هذا الصدد، يحسن التنبيه إلى مسألة اختلف فيها العلماء، وهي: الحوض والميزان أيّهما يكون قبل الآخر؟

الحقيقة أنّهم انقسموا إلى قسمين:

الأوّل: أنّ الحوض يكون قبل الميزان، ومن ثمّ قبل الصراط[1]، وهذا الذي اختاره القابسي[2].

الثاني: أنّ الحوض يكون بعد الميزان، ومن ثمّ فهو بعد الصراط[3]، وإليه مال البخاري[4]؛ واحتجّوا بما أخرجه أحمد عن أنس- رضي الله عنه- قال: « سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يشفع لي ؟ فقال: أنا فاعل. فقلت: أين أطلبك ؟ قال: أطلبني أوّل ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك ؟ قال: أنا عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك ؟ قال: أنا عند الحوض »[5].

وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط بما جاء في بعض أحاديث هذا الباب، أنّ جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن كادوا يردون عليه، فيردّون ويذهب بهم إلى النّار.

ووجه الإشكال: أنّ الذي يمرّ على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض، يكون قد نجا من النّار، فكيف يردّ إليها؟

وأجيب عن ذلك أنّه يمكن أن يحمل على أنّهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون النّار فيدفعون إلى النّار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط[1].

موقف الثعالبي من المسألة:

وأمّا الثعالبي فقد ارتأى الجمع بين النّصوص الواردة في هذا الباب، دفعًا للتعارض الظاهري فيها، بمعنى: أنّ للنّبي صلى الله عليه و سلم حوضين[2]:

أحدهما: في الموقف قبل الصراط، وهو الحوض الذي يذاد عنه من بدّل وغيّر.

---

(1) التذكرة 122/2

(2) هو: عليّ بن محمّد بن خلف المعافري القروي القابسي المالكي، أبو الحسن: إمام، حافظ، فقيه، مصنّف، عالم بالعلل والرجال والأصول والكلام. ولد سنة 324هـ، من تآليفه: الملخّص. توفّي بالقيروان سنة 403 هـ ؛ انظر: سير أعلام النبلاء 158/17-162 مترجم برقم (99)؛ تذكرة الحفاظ 1079/3 برقم(982) ؛ البداية والنهاية 351/11 ؛ شجرة النور 97/1 ؛ الأعلام 135/5

(3) التذكرة 122/2

(4) يقول ابن حجر في الفتح 466/11: « وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد الشفاعة، وبعد نصب الصراط، إشارة منه إلى أنّ الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه ».

(5) الحديث أخرجه أحمد في مسنده: كتاب مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك برقم (12360)

(1) فتح الباري 466/11

(2) العلوم الفاخرة 17/2، 22، 79 ؛ الجامع-مخطوط بـ(م. و. ج)، برقم(851) ورقة: 183، 184

والآخر: داخل الجنّة. وكلاهما يسمّى كوثرًا.

واتّخذ من الأحاديث الثابتة في الحوض، ممّا استدلّ به كلا الفريقين، سندًا قويًا في تأييد رأيه، كقوله صلى الله عليه و سلم : « إنّي لبعقر حوضي أذوذ النّاس لأهل اليمين، أضرب بعصاي حتّى ترفض عليهم، فسئل عن عرضه ؟ فقال: من مقامي إلى عمان، وسئل عن شرابه ؟ فقال: أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يعبّ فيه ميزابان يمدّانه من الجنّة، أحدهما من الذهب، والآخر من ورق »(1).

وقوله صلى الله عليه و سلم : « بينما أنا نائم، إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم، خرج رجل من بينهم فقال: هلمّ. فقلت: أين ؟ قال: إلى النّار والله. قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنّهم ارتدّوا على أدبارهم بعدك القهقرى، ثمّ إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلمّ. قلت: أين ؟ قال: إلى النّار والله. قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى. فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النّعم »(2).

وعضّد موقفه بما ذكره نقلاً عن القرطبي- أنّ للنّبيّ صلى الله عليه و سلم حوضين. قال: وهو الصحيح، وكلاهما يسمّى كوثرًا، وأنّ الحوض الذي يذاذ عنه يكون في الموقف قبل الصراط(3) (4).

ومع هذا، فقد اعترض ابن حجر على هذا الجمع، قائلاً بأنّ فيه نظر، لأنّ الكوثر نهر داخل الجنّة، وماؤه يصبّ في الحوض، ويطلق على الحوض كوثرًا لكونه يمدّ منه، فغاية ما يأخذ من كلام القرطبي أنّ الحوض يكون قبل الصراط، فإنّ النّاس يردون الموقف عطاشى، فيرد المؤمنون الحوض، وتتساقط الكفّار في النّار بعد أن يقولوا: ربّنا عطشنا، فترفع لهم جهنّم كأنّها سراب، فيقال: ألا تردون ؟ فيظنّونها ماءً، فيتساقطون فيها.

وأمّا ما استدلّ به القرطبي-وهو الذي أخذ به الثعالبي- وهوحجّة عليه لا له، لأنّه قد تقدّم أنّ الصراط جسر جهنّم، وأنّه بين الموقف والجنّة، وأنّ المؤمنين يمرّون عليه لدخول الجنّة ؛ فلو كان الحوض دونه لحالت النّار بينه وبين الماء الذي يصبّ من الكوثر في الحوض، وظاهر الحديث أنّ الحوض بجانب الجنّة لينصبّ فيه الماء من النهر الذي داخلها(1).

ومهما يكن الأمر، فإنّ الاختلاف الحاصل هنا، لا يؤثّر إطلاقًا على عقيدة المؤمن، خاصّة إذا علمنا أنّ أمور الآخرة وأحوالها لا تقاس على أحوال الدنيا، فنؤمن بها كما وردت، ونكل كيفيتها إلى الله ﷻ ؛ فيكفينا أن نعتقد بأنّ الحوض حقّ، وأنّ الله تعالى

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل -باب: إثبات حوض نبينا وصفاته 1799/4 برقم (2301)

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق -باب: في الحوض 2404/5 برقم (6215)

(3) التذكرة 122/2

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن /

(1) فتح الباري 466/11 -بتصرّف

أكرم به نبيّنا عليه السلام، وخصّه به، كما صرّحت به نصوص الكتاب والسنّة، والتي يحصل بمجموعها العلم القطعي، وهذا القدر ممّا أجمع عليه سلف الأمّة وخلفها، ولله الحمد.

2 ـ الصراط

الصراط، الشأن فيه كالشأن في الميزان والحوض وغيرهما من مسائل الغيب التي أمرنا أن نؤمن بها كما جاءت، وأن نكل حقائقها إلى الله تعالى.

وهو ممّا اتّفق أهل السنّة على الإيمان به-حسب ما وردت به النّصوص في بيان أوصافه، وهو أنّه: «جسر ممدود على ظهر جهنّم يعبر عليه المؤمن وغير المؤمن، وهو أحدّ من السيف، وأرقّ من الشعر »[1].

وخالف في هذا أكثر المعتزلة، فأنكروه قياسًا على المشاهد، فقالوا: إنّ الصراط بالأوصاف المذكورة له في النّصوص مستحيل العبور عليه، وإن أمكن ففيه تعذيب المؤمنين، ولا عذاب عليهم يوم القيامة[2].

فقدّموا على ذلك افترضات عقلية نسيانًا منهم قدرة الله تعالى وقهره، وحكمته.

ومن الطبيعي أن يوافق الثعالبي مذهب أهل السنّة والجماعة، فقد أثبت الصراط يوم القيامة حقيقة، وأنّ الخلق كلّهم سيمرّون عليه، مستندًا إلى قوله ﷻ: {**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا(71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**}[1]، ابتدأ رحمه الله ببسط أهمّ الآراء في معنى الورود على جهنّم، فذكر أوّلاً اتّفاق أكثر المفسّرين على أنّ المخاطب في الآية هو العالم كلّه، فلابدّ من ورود الجميع، ثمّ أردفه ثانيًا بذكر اختلافهم في كيفية ورود المؤمنين النّار[2]، ويمكن تلخيصها إلى ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأوّل: ورود المؤمنين النّار هو ورود دخول، بمعنى مرورهم على الصراط، لكنّها لا تعدو عليهم، ثمّ يخرجهم الله ﷻ منها بعد معرفتهم حقيقة ما نجوا منه، وبهذا قال الصحابة كابن عبّاس، وبن مسعود، وغيرهما، وهو قول أكثر أهل العلم[3].

---

(1) المواقف ص: 383 ؛ الإرشاد ص: 151 ؛ التذكرة ص: 357 وما بعدها ؛ الفرق بين الفرق ص: 307 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 605/2 ؛ مجموع الفتاوى 146/3، 147 ؛ 279/4

(2) المواقف ص: 384

(1) سورة مريم: 71، 72

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 26/3-28 -بتصرّف

(3) انظر: تفسير الطبري 108/16 ؛ تفسير ابن كثير 479/4 ؛ زاد المسير 256/5 ؛ مجموع الفتاوى 249/4 ؛ شرح العقيدة الطحاوية 606/2

القول الثاني: هو ورود إشراف واطّلاع وقرب، وحسب المؤمن بهذا هولاً، واحتجّوا بقوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**}[1]، ويشهد لهذا من اللغة قولك: وردت الماء: إذا جئته، وليس يلزم أن تدخل. ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: {**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ**}[2] ؛ وهذا الذي رجّحه الزجّاج[3].

القول الثالث: أنّ الله تعالى يجعل النّار يوم القيامة جامدة الأعلى، كأنّها إهالة[4]، فيأتي الخلق كلّهم برّهم وفاجرهم فيقفون عليها، ثمّ تسوخ بأهلها، ويخرج المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضرّ[5]؛ روي هذا عن كعب[6]، وأبو نضرة[1]، وزاد: وهو معنى قوله تعالى: {**فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**}[2].

وظاهر كلام الثعالبي يميل إلى ترجيح القول الأوّل القائل بأنّ الورود معناه: المرور على الصراط، مستندًا إلى قول ابن مسعود- رضي الله عنه- بأنّ الورود هو الجواز على الصراط ؛ وأنّ لفظة (الحتم) في الآية السابقة: يراد بها الأمر المنفّذ المجزوم، و(الذين اتّقوا): معناه اتّقوا الكفر، (ونذر): دالّة على أنّهم كانوا فيها[3].

وهذا الرأي هو الراجح، الذي عليه أكثر أهل العلم، وتشهد له نصوص السنّة المطهّرة، وهي كثيرة، أوردها الثعالبي في بعض كتبه[4]، من ذلك ما يلي:

---

(1) سورة الأنبياء: 101

(2) سورة القصص: 23

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 27/3

(4) يعني: الودك الذي يجمد على القدر من المرقة ؛ نفس المصدر السابق 28/3 ؛ الغريب لابن سلام 364/4 ؛ النهاية لابن كثير 84/1

(5) هذا الأثر ذكره ابن سلام في كتابه غريب بإسناده عن كعب الأحبار وهو غير مرفوع بل موقوف على كعب وذكره الطبري في تفسير قوله تعالى: وإن منكم إلاّ واردها.. موقوفاً على كعب أيضًا.

(6) هو: كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار: ثقة، مخضرم. كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة، وليس له في البخاري رواية إلاّ حكاية لمعاوية فيه، وله في مسلم رواية لأبي هريرة عنه، من طريق الأعمش عن أبي صالح؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 397، مترجم برقم (5647) ؛ تذكرة الحفاظ (521) ؛ الجرح والتعديل 161/7

(1) هو: المنذر بن مالك بن قطعة (بضمّ القاف وفتح المهملة)، العبدي، العوقي (بفتح المهملة والواو ثمّ قاف)، البصري، أبو نضرة (بنون ومعجمة ساكنة): محدّث، ثقة، حدّث عن أبي هريرة وابن عباس وجابر بن سمرة وغيرهم، مشهور بكنيته، توفي سنة 108 أو 109 هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 478، مترجم برقم(6890) ؛ سير أعلام النبلاء 529/4 ؛ الثقات 420/5 ؛ الطبقات الكبرى208/7

(2) سورة يس: 66

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 27/3، 28

(4) العلوم الفاخرة 25/2، 26، 28، 33 ؛ الجامع-مخطوط بـ(م. و. ج) برقم(851) ورقة: 184(ظهر)، 185

1-ما أخرجه مسلم عن حفصة[1] - رضي الله عنها- أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « لا يدخل النّار أحد من أهل بدر والحديبية، قالت: فقلت: يا رسول الله وأين قول الله تعالى: {**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**}[2] ؟ فقال: النّبيّ صلى الله عليه و سلم فمه، أفلم تسمعيه يقول: ثمّ ننجّي الله الذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جثيًّا »[3].

2-وما أخرجه مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- وممّا جاء فيه قوله عليه السلام: «ويضرب الصراط بين ظهراني جهنّم، فأكون أنا أوّل من يجيز، ولا يتكلّم يومئذ إلاّ الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهمّ سلّم سلّم... »[4].

3-ومن حديث أبي هريرة أيضًا عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: «.. وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمرّ أوّلهم كالبرق. قال: قلت: بأبي أنت وأمّي أيّ شيء كمرّ البرق ؟ قال: ألم تر إلى البرق كيف يمرّ ويرجع في طرفة عين، ثمّ كمرّ الطير وأشدّ الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيّكم صلى الله عليه و سلم قائم على الصراط، يقول: ربّ سلّم سلّم، حتّى يجيز الرجل فلا يستطيع السير إلاّ زحفًا. قال: وفي حاقّتي الصراط كلاليب معلّقة مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكردس في النّار، والذي نفس أبي هريرة بيده إنّ قعر جهنّم لسبعون خريفًا » الحديث[1].

فقد أشارت هذه الأحاديث إلى أنّ ورود النّار لا يستلزم دخولها، وأنّ النّجاة من الشرّ لا يستلزم حصوله، وكذلك حال الواردين على النّار يمرّون فوقها على الصراط، ثم ينجّي الله الذين اتّقوا، ويذر الظالمين فيها جثيًّا.

ويستأنس الثعالبي على عادته بأقوال أهل العلم، تأكيدًا لموقفه، فيورد ما ذكره المحاسبي بقوله: « واذكر الصراط بدقّته، وهوله وزلّته، وعظيم خطره، وجهنّم تخفق بأمواجها من تحته، فياله من منظر ما أفضعه وأهوله، فتوهّم ذلك بقلب فارغ، وعقل جامع، فإنّ أهوال القيامة إنّما خفّت على الذين توهّموها في الدنيا بعقولهم،

---

(1) هي: حفصة بنت عمر بن الخطّاب، أمّ المؤمنين. تزوّجها النّبيّ ❐ سنة ثلاث هـ، وماتت سنة 45 هـ ؛ انظر: تقريب التهذيب ص: 663 مترجمة برقم(8563) ؛ الاستيعاب 1811/4 ؛ سير أعلام النبلاء 227/2 ؛ الإصابة 581/7

(2) سورة مريم: 71

(3) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب (فضائل الصحابة) -باب: من فضائل أصحاب الشجرة 1942/4 برقم (4552).

(4) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: معرفة باب طريق الرؤية 163/1 برقم (182)

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها 186/1 برقم (195)

فتحمّلوا في الدنيا الهموم خوفًا من مقام ربّهم، فخفّفها مولاهم يوم القيامة عنهم »[1] [2].

ويعضده بما ذكره عن الغزالي في الإحياء[3] أنّ: « الصراط أحدّ من السيف، وأرقّ من الشعر، فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم، خفّ على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا، وأثقل الظهر بالأوزار وعصا، تعثّر في أوّل قدم على الصراط ؛ فأطل فكرك في ذلك، فإنّ أسلم النّاس من أهوال القيامة من أطال فكره فيها في الدنيا، فإنّ الله تعالى لا يجمع على عبد بين خوفين، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة. قال: ولست أعني بالخوف رقّة كرقّة النساء، تدمع عينك، ويرقّ قلبك في حال السماع، ثم تنساه على القرب، وتعود إلى لهوك ولعبك، فما ذلك من الخوف في شيء، بل من خاف من شيء هرب منه، ومن رجا شيئًا طلبه »[4].

القنطرة التي بين الجنّة والنّار:

ويتعلّق بالصراط قضيّة أخرى، وهي: القنطرة التي بين الجنّة والنّار، هل هي تتمّة الصراط ؟ أم أنّها صراط ثان؟

اختلف العلماء في ذلك إلى قولين:

فقيل: هي تتمّة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنّة، وإليه مال الحافظ ابن حجر[1].

وقيل: إنّهما صراطان: الصراط الذي مرّ ذكره، وهذه القنطرة، وهي صراط ثان تكون للمؤمنين ممّن نجا بعد المرور على الصراط، وعليه تبعات، وله حسنات توازيها أو تزيد عليها، فيؤخذ من حسناته ما يعدل تبعاته، فيخلص منها، وبهذا جزم القرطبي[2].

وأمّا الثعالبي فقد رجّح هذا القول الثاني، وهو أنّ القنطرة صراط ثان[3]، مستندًا إلى ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « يخلص المؤمنون من النّار، فيحبسون على قنطرة بين الجنّة والنّار، فيقصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتّى إذا هذّبوا ونقّوا

---

(1)كتاب التوهّم (لم أقف عليه)
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 264/3 ؛ العلوم الفاخرة 29/2
(3) الإحياء 524/4
(4) العلوم الفاخرة 29/2 ؛ الجامع -مخطوط بـ(م. و. ج) برقم(851)، ورقة: 184(ظهر)، 185
(1) فتح الباري 399/11
(2) التذكرة 179/2
(3) العلوم الفاخرة 32/2 ؛ الجامع -مخطوط بـ(م. و. ج)، برقم(851)، ورقة: 185

أذن لهم في دخول الجنّة ؛ فو الذي نفس محمّد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنّة منه بمنزله كان في الدنيا »[1] [2].

ويقوّي رأيه بقول القرطبي في التذكرة[3] أنّ في الآخرة صراطين:

أحدهما: مجاز لأهل المحشر كلّهم، ثقلهم وخفيفهم إلاّ من دخل الجنّة بغير حساب أو يلتقطه عنق النّار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يخلص منه إلاّ المؤمنون الذين علم الله منهم أنّ القصاص لا يستنفذ حسناتهم، حبسوا على صراط آخر خاصّ لهم، ولا يرجع إلى النّار من هؤلاء أحد إن شاء الله، لأنّهم قد عبروا الصراط الأوّل المضروب على متن جهنّم الذي يسقط عنه من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات جرمه »[4].

3 ـ الجنة

الجنّة هي دار القرار والنعيم التي أعدّها الله ✠ لعباده المؤمنين، المشتملة على أصناف البهجة والسرور، وكلّ ما لذّ وطاب ممّا لا يمكن للعقل البشري تصوّره، كما قال تعالى: {**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}[5].

والمتصفّح للقرآن الكريم يجده طافحًا بذكر الجنّة ونعيمها ؛ كيف لا وهي فضل الله على عباده المؤمنين. وقد اهتمّ الثعالبي بذلك كثيرًا، حيث تحدّث عنها كلّما تعلّق الأمر بآية من آياتها[1]، من ذلك قوله تعالى: {**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**}[2]، يقول في تفسير الآية: وقوله (فيها أنهار من ماء غير آسن) معناه: غير متغيّر، وقوله في اللبن (لم يتغيّر طعمه): نفي لجميع وجوه الفساد فيه، وقوله (لذّة للشاربين): جمعت طيب الطعم وزوال الآفات من الصداع وغيره ؛ وتصفية العسل مذهبة لمومه وضرره.. ، وقوله (ولهم فيها من كلّ الثمرات): أي من هذه الأنواع لكنّها

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المظالم -باب: قصاص المظالم 861/2 برقم (2308) ؛ وفي كتاب الرقاق -باب: القصاص يوم القيامة 2394/5 برقم (6170)
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 405/2
(3) التذكرة 179/2
(4) العلوم الفاخرة 32/2، 33
(5) سورة السجدة: 17
(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 27/2، 161 ، 247، 367، 368، 461، 549 ؛ 103/3، 113، 116، 117، 129، 141، 142، 217، 293، 338، 359، 400 ؛ 88/4، 89، 95، 135، 169، 192، 222 ، 273، 280، 293-296، 307، 328، 345، 346، 348، 349، 478، 531 ، 532، 571، 609
(2) سورة محمّد: 15

بعيدة الشبه، تلك لا عيب فيها ولا تعب، (ومغفرة من ربّهم) معناه: وتنعيم أعطته المغفرة وسبّبته، وإلاّ فالمغفرة إنّما هي قبل دخول الجنّة»[1].

ولذلك يحثّنا ✞ على المسارعة للتوبة والاستغفار لنيل رضوانه وجنّته بقوله: {**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**}[2]، أي: كعرض السموات والأرض في سعتها وكبرها، فضلا عن طولها الذي لا يعلمه إلاّ الله سبحانه[3]. ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح عن النّبي صلى الله عليه و سلم قال: « إنّ بين المصراعين من أبواب الجنّة مسيرة أربعين سنة، وسيأتي عليها يوم يزدحم النّاس فيها كما تزدحم الإبل إذا وردت خمصًا ظمّاء »[4].

ويذكر الثعالبي-نقلاً عن الرّازي- أنّ الآية تحتمل وجهًا ثانيًا وهو أنّ الجنّة التي عرضها مثل عرض السماوات والأرض إنّما تكون للرجل الواحد، لأنّ الإنسان يرغب فيما يكون ملكًا له، فلابدّ أن تصير الجنّة المملوكة لكلّ أحد مقدارها هكذا[5]، وقدرة الله تعالى أوسع، وفضله أعظم[6].

ويشهد لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه- في سؤال موسى ربّه عن أدنى أهل الجنّة منزلة، وأنّه: « رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنّةِ الجنّة، فيقال له: أترضى أن يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيب أي ربّ، فيقال له: لك ذلك، ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت أي ربّ، فيقال له: لك ذلك وعشرة أمثاله، فيقول: رضيت أي ربّ، فيقال له: فإنّ لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذّت عينك »[1]. وفي البخاري عن ابن مسعود- رضي الله عنه - عن النّبي صلى الله عليه و سلم قال: « إنّ آخر أهل الجنّة دخولاً الجنّة، وآخر أهل النّار خروجًا من النّار، رجل يخرج حبوًا، فيقول له ربّه أدخل الجنّة ؟ فيقول: ربّ الجنّة ملأى، فيقول له: إنّ لك مثل الدنيا عشر مرّات »[2] [3].

ويصف تعالى أنواع النعيم والنضرة والرونق الذي أعدّه لعباده الأتقياء في الجنّة فيقول: {**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(22)عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ(23)تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ(24) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ(25)خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ**

---

(1) نفس المصدر السابق 224/4، 225 -بتصرّف
(2) سورة آل عمران: 133
(3) نفس المصدر السابق 370/1 ؛ 373/4 -بتصرّف
(4) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق 2278/4 برقم (2967) بغير هذا اللفظ ؛ وأحمد في باقي مسند المكثرين برقم (9250)
(5) التفسير الكبير مج(5) ج 06/9
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 370/1، 371
(1) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها 176/1 برقم (189)
(2) الحديث أخره البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد-باب: كلام الرب عزّ وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم 2727/6 برقم (7072)
(3) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

الْمُتَنَافِسُونَ}[1]، ويقول {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(9)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً(11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ(12)فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**}[2] ، جاء في تفسيره لها: ووصف سبحانه الجنّة بالعلوّ، وذلك يصحّ من جهة المسافة والمكان، ومن جهة المكانة والمنزلة. ونفى فيها سقط القول وغيره، وفيها سرر عالية في الهواء لأجل أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه الله تعالى في الجنّة من النعيم والملك.. إلخ[3].

ومن نعيم أهل الجنّة أن يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلّدون، لا تكبر لهم سنّ، ولا يحوّلون من حالة إلى حالة، كأنّهم اللؤلؤ المتناثر في حسن منظره وجماله، لوقوع شعاع بعضه على بعضه، شبّهوا بذلك لكثرة جمالهم وحسنهم وصفاء ألوانهم[4]، وهذا معنى قوله تعالى: {**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا**}[5].

ومن نعيمهم ما أعدّه الله لهم من الحور العين وهم نساء الجنّة، في قوله تعالى: {**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ(56) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**}[6]، يقول الثعالبي: « وقاصرات الطرف هنّ الحور، قصرن ألحاظهنّ على أزواجهنّ لم يفتضّهنّ إنسان ولا جانّ.. ، فنفى سبحانه جميع المجامعات، و (الياقوت والمرجان) هي من الأشياء التي قد برع حسنها واستشعرت النّفوس جلالتها، فوقع التشبيه بها فيما يشبه ويحسن بهذه المشبّهات، فالياقوت في إملاسه وشفوفه، ولو أدخلت فيه سلكًا لرأيته من ورائه، وكذلك المرأة من نساء الجنّة يرى مخّ ساقها من وراء العظم، والمرجان في إملاسه وجمال منظره »[1].

وفوق هذا فهنّ محجوبات في بيوت اللؤلؤ والدرّ المجوّف[2]، لا يراهنّ إلاّ أزواجهنّ كما قال تعالى: {**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ(70) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(71) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ(72) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**}[3]، ويورد الثعالبي هنا قول النّبيّ صلى الله عليه و سلم : « أنّ في الجنّة خيمة من

---

(1) سورة المطفّفين: 22-26
(2) سورة الغاشية: 8-16
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 583/4، 609 -بتصرّف
(4) نفس المصدر السابق 346/4، 532 -بتصرّف
(5) سورة الإنسان: 19
(6) سورة الرحمان: 56-58
(1)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 338/4، 339 -بتصرّف
(2) نفس المصدر السابق 341/4، 347 -بتصرّف
(3) سورة الرحمان: 70-74

لؤلؤة مجوّفة عرضها ستّون ميلاً، في كلّ زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن »[1].

وقوله أيضًا: «.. ولو أنّ امرأة من أهل الجنّة اطّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها- أي الخمار- خير من الدنيا وما فيها »[2].

والأحاديث الواردة في نعيم الجنّة كثيرة جدًّا، أورد الثعالبي عددًا منها في تفسيره[3]، منها على السبيل المثال لا الحصر:

ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم قال الله ﷻ: « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخرًا بله[4]

ما اطّلعتم عليه، واقرؤوا إن شئتم {**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**}[5] »[6] [7].

و عن أبي هريرة أيضًا عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنّه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرحمان، ومنه تفجّر أنهار الجنّة »[1] [2]. وغير هذا من الأحاديث، وفيما ذكرناه كفاية، ومن أراد المزيد فعليه بالكتب المصنّفة في هذا الباب.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن -باب: حور مقصورات في الخيام 1849/4 برقم(4598)

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير -باب: الحور العين وصِفَتِهن 2182/4 برقم (2838)

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 56/1، 57، 150، 151، 231، 254، 255، 300، 301، 370، 371، 376، 456، 482؛ 369/2، 405، 527، 532، 550 ؛ 221/3، 338 ؛ 89/4، 146، 222، 225، 280، 297، 338، 340، 345، 348، 349، 532

(4) بله، معناه: غير، وقيل: هو اسم فعل بمعنى: دع

(5) سورة السجدة: 17

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن -باب: قوله تعالى: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم 1794/4 برقم (4501)

(7) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 338/3

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد -باب: وكان عرشه على الماء 2700/6 برقم(6987)

(2) نفس المصدر السابق 550/2

دخول الجنّة أيكون برحمة الله تعالى؟ أم بمجرّد العمل ؟

قرّر الثعالبي أنّ دخول الجنّة يكون برحمة الله تعالى وإن كان العمل لابدّ منه ؛ وهذا ما أثبته في معرض تفسير قوله جلّ وعلا: {**وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**}(1)، حيث يشير إلى أنّ: « توفية الأجور هي قسم المنازل في الجنّة، فذلك هو بحسب الأعمال، وأمّا نفس دخول الجنّة فبرحمة الله وتفضّله سبحانه »(2).

والمعنى نفسه يكرّره عند تفسير قوله تعالى: {**يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**}(3)، فيذكر أنّ: « إدخاله تعالى إيّاهم الجنّة هو فضل منه، لا بعمل أحد، وأمّا النعمة في الجنّة والدرجات فقد أخبر أنّها على قدر الأعمال »(4).

وخالف في هذا المعتزلة، بناءً على قولهم بوجوب الثواب والعقاب على الله(5) - تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا- فذهبوا إلى أنّ دخول الجنّة يكون بالأعمال لا بالتفضّل، وأنّ الجزاء مرتّب على الأعمال ترتّب العوض، محتجّين ببعض الآيات القرآنية تأييدًا لزعمهم، كقوله سبحانه {**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}(6)، يقول الزمخشري في تفسيره للآية: « أي بسبب أعمالكم لا بالتفضّل كما تقول المبطلة »(7).

وهذا منه زعم باطل تردّه نصوص القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، ولهذا لم يتوان الثعالبي في الردّ على المعتزلة، وانتقاد رأيهم، كما في تفسير قوله سبحانه: {**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}(1)، إذ يشير أنّ: « ذلك لأعلى طريق وجوبه على الله تعالى، لكن بقرينة رحمته وتغمّده، والأعمال أمارة من الله سبحانه، وطريق إلى قوّة الرّجاء، ودخول الجنّة إنّما هو بمجرّد رحمته، والقسم فيها على قدر الأعمال ». (2) ومثل هذا قوله تعالى: {**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا**

---

(1) سورة آل عمران: 57
(2) نفس المصدر السابق 326/1
(3) سورة آل عمران: 171
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 395/1
(5) شرح الأصول الخمسة ص: 614، 615
(6) سورة السجدة: 17
(7) الكشّاف: 80/2 ؛ ولا يخفى على عاقل ذكيّ أنّه يقصد (بالمبطلة): أهل السنّة الجماعة.
(1) سورة الأعراف: 43
(2) الجواهر الحسان في تفسر القرآن 27/2، 28، 424 ؛ 482/1 ؛ 347/4

كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1]، يذكر أنّ: « الله قد جعل الأعمال أمارات على ما سيصير إليه العبد، لا أنّها توجب على الله شيئًا » [2].

وهكذا الأمر في تفسير قوله سبحانه و تعالى: {**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}[3]، ينصّ على أنّه تعالى: « رتّب الجنّة ونعيمها بحسب الأعمال، وأمّا نفس دخولها فهو برحمة الله وفضله، وأعمال العباد الصالحات لا توجب على الله التنعيم إيجابًا، لكنّه سبحانه قد جعلها أمارة على من سبق في علمه تنعيمه، وعلّق الثواب والعقاب بالتكسّب الذي في الأعمال » [4] ؛ ويؤيّد الثعالبي كلامه بما ثبت في الصحيح عن النّبي صلى الله عليه و سلم قال: « لا يدخل أحد الجنّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله بفضل منه ورحمة » [5] [6].

وهذا هو الحقّ الذي عليه أهل السنّة والجماعة، والذي لا يجوز اعتقاد غيره، كما دلّت عليه النصوص السابقة، فلا تعارض بينها ؛ وفي ذلك يقول شارح العقيدة الطحاوية جمعًا بين الآيات والأحاديث بأنّ: « الباء التي في النفي غير التي في الإثبات، فالمنفي في قوله صلى الله عليه و سلم (لن يدخل الجنّة أحد بعمله): باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنّة كما زعمت المعتزلة أنّ العامل مستحقّ دخول الجنّة على ربّه بعمله ؛ بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التي في قوله تعالى: (جزاء بما كانوا يعملون) وغيرها: باء السبب، أي: بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسبّبات، فرجع الكلّ إلى محض فضل الله ورحمته »[1].

الجنّة التي سكنها آدم عليه السلام:

تطرّق الثعالبي لهذه المسألة عرضًا في تفسيره، وباختصار شديد جدًّا ، وذلك عند تفسير قوله تعالى: {**وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ(35)فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**}[2]، حيث يشير إلى الاختلاف الحاصل فيها بين العلماء[3] : هل

---

(1) سورة الأحقاف: 14
(2) نفس المصدر السابق 206/4
(3) سورة الطور: 19
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 294/4
(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى-باب: تمنّي المريض الموت 2147/5 برقم (5349) ؛ وكتاب الرقاق -باب: القصد والمداومة على العمل 2373/5 برقم (6098) ؛ ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار -باب: لن يدخل أحد الجنّة بعمله، بل برحمة الله تعالى 2170/4 برقم (2816)
(6) نفس المصدر السابق 424/4
(1) شرح العقيدة الطحاوية 643/2
(2) سورة البقرة: 35-36

هي جنّة الخلد أو جنّة أخرى غيرها ؟ ثمّ يعقّب مبيّنًا أنّ القول الأوّل هو مذهب أهل السنّة والجماعة. وبه أخذ الثعالبي، يقوّيه سياق كلامه بعد ذلك، وهو قوله تعالى (فأزلّهما الشيطان عنها)، حيث ينصّ على أنّ الضمير في قوله (عنها): يعود على الجنّة، وقوله (فأخرجهما ممّا كان فيه) قيل: معناه من نعمة الجنّة إلى شقاء الدنيا، وقيل: من رفعة المنزلة إلى سفل الذنب.

ويعقّب مباشرة على هذا القول الأخير، منتقدًا ومضعّفًا له بقوله « وفي هذا القول ما فيه، بل الصواب ما أشار إليه صاحب التنوير: « بأنّ إخراج آدم لم يكن إهانة له، بل لما سبق في علمه سبحانه من إكرام آدم، وجعله في الأرض خليفة هو وأخيار ذرّيّته، قائمين فيها بما يجب لله من عبادته »[2].

وقوله تعالى: (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين)، يستدلّ الثعالبي على أنّ هبوطهم كان من الجنّة إلى الأرض من وجهين:

أحدهما: لفظة (اهبطوا): فالهبوط معناه: النزول من علوّ إلى أسفل.
والثاني: قوله (ولكم في الأرض مستقرّ) عقب قوله (اهبطوا): يدلّ على أنّهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض، لأنّ الأرض ليست موضع استقرار نهائيّ، يقوّيه سياق الآية بعد، وهو قوله (ومتاع إلى حين): إذ فيه فائدة لآدم عليه السلام، ليعلم أنّه غير باق فيها، ومنتقل إلى الجنّة التي وعد بالرجوع إليها »[3].

وخالف بعض العلماء في هذا، فذهبت طائفة منهم إلى أنّها ليست جنّة الخلد، وإنّما هي جنّة غيرها، جعلها الله له، وأسكنه إيّاها مع زوجته حوّاء. ومن قال بهذا، اختلفوا إلى قولين[1].

أنّها في السماء السابعة، لأنّه أهبطهما منها، وبهذا قال الجبّائي.

أنّها في الأرض، لأنّه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة دون غيرها من الثمار، وبهذا قال أبو القاسم البلخي[2]، وأبو مسلم الأصبهاني[3]، ومنذر بن سعيد[4].

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 68/1 ؛ ولكنّه رحمه الله لم يذكر من قال بذلك من العلماء، ولا أدلّتهم، وهذه نقطة سلبية تحسب عليه، على الرغم من تحرّيه في نسبة الأقوال إلى قائليها، وهو ما لم يفعله هنا.
(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 70/1 -بتصرّف
(3)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 70/1، 71 -بتصرّف، 73 ؛ 17/2 ؛ 65/3
(1) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيّم الجوزية ص: 28 دار الكتب العلمية -بيروت لبنان، ط(1) 1403 هـ-1983م.
(2) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو القاسم البلخي، من متكلّمي المعتزلة البغداديين، صنّف في الكلام كتبًا كثيرة، وأقام ببغداد مدّة طويلة وانتشرت بها كتبه ثمّ عاد إلى بلخ فأقام بها إلى حين وفاته بها في أوّل شعبان سنة 319هـ. انظر: تاريخ بغداد 384/9 برقم(4968).
(3) هو: محمّد بن عليّ بن محمّد بن الحسين بن مهريزد الأصفهاني المعتزلي، أبو مسلم: مفسّر، محدّث، أديب، نحويّ. ولد سنة 366هـ. من تآليفه: تفسير القرآن سمّاه(التأويل لمحكم التنزيل)، و

واحتجّوا بعدّة أد لّة، منها:

قوله تعالى: {**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**}(2)، فحملوا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة، كما في قوله سبحانه {**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**}(3).

وقالوا: قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أنّ جنّة الخلد إنّما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد ؛ وقد وصفها لنا في كتابه بصفاتها، ومحال أن يصف سبحانه وتعالى شيئًا بصفة ثمّ يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها. قالوا: وجدنا الله تعالى وصف الجنّة التي أعدّت للمتّقين بأنّها دار المقامة، فمن دخلها أقام بها، ولم يقم آدم بالجنّة التي دخلها؛ ووصفها بأنّها دار سلامة مطلقة، لا دار ابتلاء وامتحان، وقد ابتلي آدم فيها بأعظم الابتلاء؛ ووصفها بأنّها دار لا يعصى الله فيها أبدًا، وقد عصى آدم ربّه في جنّته التي دخلها ؛ ووصفها بأنّها ليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف ما حصل ؛ وسمّاها دار السلام، ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة ؛ ودار القرار، ولم يستقرّا فيها ؛ وقال في داخليها {**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**}(4)، وقد أخرج منها الأبوان.. »(1)، وغير هذا من الأدلّة.

وتوقّف البعض الأخر في المسألة- منهم ابن الخطيب(2) - معتبرين أن الكلّ ممكن، والأدلّة متعارضة، فوجب التوقّف وترك القطع(3).

وما قرّره الثعالبي هو الصواب في المسألة، وهو ما عليه جمهور أهل السنّة والجماعة(4) ؛ والأدلّة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال:

جامع الرسائل، وناسخ الحديث ومنسوخه، توفّي سنة 459هـ. انظر: شذرات الذهب 307/3 ؛ ميزان الاعتدال 106/3 ؛ معجم المؤلّفين 539/3 برقم(14885).

(1) هو: منذر بن سعيد، أبو الحكم الأندلسي، فقيه خطيب بليغ لم يكن بالأندلس أخطبَ منه، ولد سنة 265هـ. كانت له مواقف مشهورة في الصدع بالحق، مع ديانة وزهد، ولي القضاء. من تآليفه: الإنباه عن الأحكام من كتاب الله ؛ وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، توفي سنة 355 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء 174/16

(2) سورة البقرة: 36

(3) سورة البقرة: 61

(4) سورة الحجر: 48

(1)حادي الأرواح ص: 35، 40

(2) هو: محمّد بن عبد الله بن سعيد بن عليّ بن أحمد السلماني الغرناطي القرطبي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين بن الخطيب. إمام، عالم، لغوي. ولد سنة 713هـ من تآليفه: الإحاطة في تاريخ غرناطة، روضة التعريف بالمحبّ الشريف ؛ قتل سنة 776هـ لاتّهامه باتّباع الفلاسفة ؛ انظر: نيل الابتهاج ص: 445-446 برقم(555) ؛ فهرس الفهارس 281/1 ؛ هدية العارفين 167/2 ؛ معجم المؤلّفين 216/10 ؛ الأعلام 112/7

(3) حادي الأرواح ص: 29

(4) التفسير الكبير مج2 3/3، 4 ؛ تفسير الطبري 266/1 ؛ فتح القدير 87/1 ؛ معالم التنزيل 68/1

أنّ الله تعالى وصف جنّة آدم عليه السلام بصفات لا تكون إلاّ في جنّة الخلد، فقال: {**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى(118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**}[1] : وهذا لا يكون في الدنيا، فإنّ الرجل ولو كان في أطيب منزلها لابدّ أن يعرض له شيء من ذلك ؛ وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ، والعري والضحى، فإنّ الجوع ذلّ الباطن، والعري ذلّ الظاهر، والظمأ حرّ الباطن، والضحى حرّ الظاهر، فنفى عن سكّانها ذلّ الظاهر والباطن، وحرّ الظاهر والباطن، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش، والعري والضحى، وهذا شأن ساكن جنّة الخلد.

ولو كانت تلك الجنّة في الدنيا، لعلم آدم كذب إبليس في قوله {**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**}[2]، فإنّ آدم كان يعلم أنّ الدنيا منقضية فانية، وأنّ ملكها يبلى.

ويشهد لهذا من السنّة: ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « احتجّ آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذرّيّتك من الجنّة. قال: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثمّ تلومني على أمر قد قدّره الله عليّ قبل أن أخلق، فحجّ آدم موسى »[3].

ووجه الاستدلال بالحديث أنّ الجنّة لو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ولم يخرجوا من الجنّة ؟

ويشهد لهذا أيضًا ما رواه مسلم عن حذيفة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « يجمع الله تعالى النّاس يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حتّى تزلف لهم الجنّة، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنّة ؟ فيقول: وهل أخرجكم من الجنّة إلاّ خطيئة أبيكم.. » الحديث بطوله[1].

فهذا الحديث يدلّ على أنّ الجنّة التي أخرج منها هي بعينها التي يطلب منه أن يستفتحها.

ويتعضّد هذا الرأي من النّاحية اللغوية: كون الجنّة جاءت معرّفة بلام التعريف في أغلب آيات القرآن إن لم نقل كلّها، كقوله تعالى: (اسكن أنت وزوجك الجنّة) ونظائره، ولا جنّة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلاّ جنّة الخلد التي وعد الرحمان بها عباده المؤمنين، فقد صار هذا الاسم علمًا عليها بالغلبة كالمدينة المنوّرة، والكتاب.. إلخ، فحيث ورد لفظها معرّفًا انصرف إلى الجنّة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين ؛ وأمّا إن أريد به جنّة غيرها فإنّها تجيء منكّرة، كقوله تعالى {**جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ**}[2]، أو مقيّدة بالإضافة، كقوله تعالى: {**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ**

---

(1) سورة طه: 118، 119
(2) سورة طه: 120
(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء -باب: وفاة موسى 1251/3 برقم (3228) ؛ وأخرجه مسلم في كتاب القدر -باب: حجاج آدم وموسى 2042/4 برقم (2652)
(1) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها 186/1 برقم (195)
(2) سورة الكهف: 32

جَنَّتَكَ}[1]، أو مقيّدة من السياق بما يدلّ على أنّها جنّة في الأرض، كقوله تعالى: {**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**}[2] [3].

وهذا القدر كاف في الدلالة على ترجيح مذهب أهل السنّة والجماعة في كون الجنّة التي سكنها آدم هي جنّة الخلد التي وعد بالرجوع إليها.

رؤية الله تعالى أفضل وألذّ نعيم أهل الجنّة:

تعتبر هذه المسألة من أهمّ مسائل العقيدة وأجلّها، وأهمّيتها تكمن في حياة هنيئة ناعمة يوم القيامة، بل هي ألذّ نعيم أهل الجنّة. وقد اهتمّ الثعالبي بها كثيرًا في تفسيره وغيره، حيث أثبت رؤية الله تعالى حقيقة، معتمدًا على آيات القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة المؤيّدة للرؤية ؛ إلاّ أنّ الرؤية شيء والإحاطة بالمرئي شيء آخر يسمّى الإدراك، يتعالى الله عنه سبحانه ؛ فهذه الشمس- ولله المثل الأعلى- وهي من خلقه ☩ نراها ولا ندركها كما هي عليه.

وقد استخدم عدّة أدلّة في إثبات الرؤية، وهي عند استقرائها وتحليلها تنقسم إلى قسمين: عقلية ونقلية، إلاّ أنّه يجمع بينهما، فهو يعتمد على كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله صلى الله عليه و سلم ممّا اتّفق عليه سلف الأمّة من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من علماء الحديث، والمتكلّمين من أهل السنّة والجماعة[4]، ويداخل بينها وبين الأدلّة العقلية، ممّا يضفي حركة استدلالية، تقوم أحيانًا على تأكيد الرأي الذي ينتصر إليه بالاستدلال، وتقوم أحيانًا على عرض أدلّة الوجهة المخالفة، ثمّ نقضها، وبيان فسادها، معتمدًا على ما قرّره علماء أهل السنّة والجماعة وأهل اللسان العربي، وهذا ما يزيد في النقاش الممتع في النسق التأليفي الذي جرى عليه تفسيره المختصر.

أدلّته في إثبات الرؤية: ويمكننا أن نقسّمها إلى قسمين:

الأدلّة العقلية: وهي تتلخّص فيما يلي:

أ- الرؤية جائزة عقلاً من غير تحديد، ولا تكييف، ولا تحيّز، كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات، كذلك هو مرئيّ لا كالمرئيّات سبحانه[1]. وهذا ما صرّح به عند تفسير قوله تعالى: {**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**}[2]، حيث قرّر معتقد أهل السنّة والجماعة في أنّ هؤلاء لم يسألوا محالاً من جهة العقل، لكنّه

---

(1) سورة الكهف: 39
(2) سورة القلم: 17
(3) حادي الأرواح ص: 34
(4) شرح العقيدة الطحاوية 209/1 ؛ الإبانة عن أصول الديانة ص: 13، 18 ؛ أصول الدين ص: 97، 102 ؛ الإرشاد ص: 103، 104 ؛ محصّل أفكار المتقدّمين ص: 191 ؛ التمهيد ص: 301 وما بعدها ؛ المواقف ص: 299
(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 511/1 -بتصرّف ؛ العلوم الفاخرة 156/2 ؛ الإرشاد ص: 77
(2) سورة النساء: 152

محال من جهة الشرع، إذ قد أخبر الله تعالى على ألسنة أنبيائه أنّه لا يرى سبحانه في هذه الدنيا، وأمّا في الآخرة فهي ثابتة عن النّبي صلى الله عليه و سلم بالخبر المتواتر[1]، وسيأتي ذكره.

ب-رؤية الله ✞ جائزة عقلاً من غير تكييف، أو تحديد، أو تحيّز.. ، لأنّه من حيث هو موجود تصحّ رؤيته، لأنّ الرؤية للشيء لا تتعلّق بصفة من صفاته أكثر من الوجود[2] ؛ وهذا الاستدلال نجده عند تفسير قوله تعالى: {**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**}[3]، فموسى عليه السلام لم يسأل ربّه محالاً، وإنّما سأله جائزًا، والمعنى: أنّه لمّا كلّمه الله ✞، وخصّه بهذه الرتبة طمحت همّته إلى رتبة الرؤية، وتشوّف إلى ذلك، فسأل ربّه الرؤية[4].

الأدلّة النقلية: فقد اتّخذ الثعالبي من الآيات القرآنية الكريمة المتعلّقة بالرؤية، ومن الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أدلّة أساسية-في إثباتها، وهي كما يلي:

1-قوله تعالى: {**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**}[1] يقرّر ما قاله جمهور المفسّرين من أنّ لفظة (الحسنى) الواردة في الآية، المراد بها: الجنّة، و(الزيادة): يراد بها: النّظر إلى وجه الله ✞ ؛ ويؤيّد كلامه بما ثبت في الحديث الصحيح عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال: « إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، قال الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنّة وتنجّنا من النّار. قال: بلى، فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النّظر إلى ربّهم ✞، ثمّ تلا قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) »[2] [3].

ويعتبر- رحمه الله- رؤية الله تعالى يوم القيامة أنّها النعيم الأكبر لأهل الجنّة، بعد ما يكشف الحجاب، وهم في روضة يحبرون - مع تنبيهه في نفس الوقت على أنّه تعالى لا يحويه مكان- فيرفع سبحانه الموانع عن الأبصار حتّى يروه على ما هو عليه من نعمة العظمة والجلال من غير تكييف ؛ فذكر الحجاب الوارد في الحديث

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 85/1، 511
(2) نفس المصدر السابق 69/2، 70 -بتصرّف ؛ الإبانة ص: 66 ؛ المواقف ص: 302 ؛ التمهيد ص: 302 ؛ الإرشاد ص: 74، 75
(3) سورة الأعراف: 143
(4) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة
(1) سورة يونس: 26
(2) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان -باب: إثبات رؤية المؤمنين في آخرة ربّهم 163/1 برقم (181)
(3) نفس المصدر السابق 234/2 ؛ العلوم الفاخرة 06/2، 66

السابق، إنّما هو في حقّ المخلوق لا في حقّ الخالق، فهو سبحانه منزّه عمّا يحجبه [1].

ويعضد كلامه، بأقوال أهل العلم، من ذلك: ما روي عن أبي يزيد البسطامي[2] أنّه قال: « إنّ لله تعالى عباد لو حجبهم في الجنّة ساعة لاستغاثوا من الجنّة ونعيمها »[3]، يعني: أنّ رؤية المولى سبحانه هي النعيم الأكبر الذي لا يشبهه نعيم؛ ويردفه بقول الغزالي: « أنّ رؤية مولانا هي معظم نعيم المقرّبين، جعلنا الله سبحانه ممّن أنعم عليه بدوام النّظر إليه بمنّه وفضله »[4].

2-قوله تعالى: {**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**}[5]: يحاول توجيه النّفي الوارد في قوله (لن تراني..)، بأنّه ليس جواب من سأل محالاً، مع بيانه أنّ لفظة (لن) في اللغة تنفي الفعل المستقبل، ولكن لو بقينا مع هذا النفي بمجرّده لقضينا أنّه لا يراه أبدًا، ولا في الآخرة ولكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أنّ أهل الإيمان يرون ربّهم يوم القيامة [1]، فثبت بذلك أنّ موسى عليه السلام أحرى برؤيته تعالى.

3-قوله ﷻ: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}[2]: اعتبر الثعالبي هذه الآية الكريمة نصًّا صريحًا، وحجّة قاطعة في جواز الرؤية، ومؤيّدًا لها بما روي عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال: « إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة لمن ينظر إلى جنّاته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيّة، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة) ».

---

(1) الجامع -مخطوط بـ: (م. و. ج)، برقم(851)، ورقة: 203 (ظهر)

(2) هو: طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد. سلطان العارفين والزهّاد، له كلام نافع ، لكن فيه أشياء لا مساغ لها. توفّي سنة 261 هـ ؛ انظر: سير أعلام النبلاء 86/13 ؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني 33/10 دار الكتاب العربي-بيروت ط(3) 1400هـ-1980م ؛ البداية والنهاية 35/11 ؛ شذرات الذهب 204/2

(3) حلية الأولياء 34/10، ولفظه عنده: " إنّ لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنّة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنّة كما يستغيث أهل النّار بالخروج من النّار "

(4) الجامع -مخطوط بـ: (م. و. ج)، برقم(851)، ورقة: 204 (وجه)

(5) سورة الأعراف: 143

(1) الأحاديث في الرؤية كثيرة، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة -باب: فضل صلاة العصر 203/1 برقم (529) ومنها ما رواه مسلم في كتاب الإيمان -باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم 163/1 برقم (180)، (181) ؛ وفي باب معرفة طريق الرؤية 163/1 برقم (182)، (183)، (184)

(2) سورة القيامة: 22، 23

وخالف المعتزلة في هذه المسألة، فنفوا رؤية الله تعالى يوم القيامة، مشيًا على منهجهم ونزعتهم العقلية المبالغ فيها، حيث أجمعوا على أنّ الله سبحانه لا يرى بالأبصار، مستدلّين بحجج عقلية ونقلية، كلّها تتماشى مع مبدأهم الأساسي، وهو نفي التشبيه عن الله تعالى من كلّ وجه، وكلّ ما يوهمه كالجسمية والجهة.. على حدّ زعمهم.

وقد وجدوا في قوله ✞: {**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**}(1) أكبر حجّة لهم لتأييد رأيهم، حيث يقول القاضي عبد الجبّار(2) : « ووجه الدلالة في الآية هو ما قد ثبت من أنّ الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلاّ الرؤية، وثبت أنّه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدّحًا راجعًا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدّحًا راجعًا إلى ذاته كان إثباته نقصًا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال »(3).

ولم يكتف هؤلاء بنفي الرؤية، بل أوّلوا الآيات التي توهمها، فقد زعموا في قوله تعالى: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}(4) أنّ النظر غير الرؤية، لأنّا نعلم ضرورة كون الجماعة ناظرين إلى الهلال ولا نعلم كونهم رائين له ضرورة(5).

ومن ذلك قوله تعالى: {**وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**}(6) أثبت النظر ونفى الرؤية، فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لتناقض الكلام ؛ وينزل منزله قول القائل: يرونك ولا يرونك، وهذا خلف من الكلام.

والنظر في قوله تعالى: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}(7) بمعنى الانتظار-عندهم- يقول القاضي عبد الجبّار: « فإن قيل: النظر المذكور في الآية إذا لم يفد الرؤية فما تأويل الآية ؟

قيل له: قد قيل: إنّ النظر المذكور ههنا بمعنى الانتظار، فكأنّه تعالى قال: وجوه يومئذ ناضرة لثواب ربّها منتظرة ؛ والنظر بمعنى الانتظار قد ورد، قال تعالى: {**فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**}(1) أي: فانتظار، وقوله تعالى: {**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**}(1) أي: منتظرة(1).

---

(1) سورة الأنعام: 103
(2) هو: عبد الجبّار بن أحمد الهمداني، الشهير بالقاضي عبد الجبّار. شيخ المعتزلة، من كتبه: المغني في علم الكلام، العمد في أصول الفقه، شرح الأصول الخمسة. توفّي سنة 415 هـ ؛ انظر: سير أعلام النبلاء 244/7
(3) شرح الأصول الخمسة ص: 233 ؛ المغني 144/4 ؛ الكشّاف 465/1
(4) سورة القيامة: 22
(5) نفس المصدر السابق ص: 243
(6) سورة الأعراف: 198
(7) سورة القيامة: 22، 23
(8) سورة البقرة: 280
(9) سورة النمل: 35

وأمّا قوله تعالى: {**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**}[2] فليست الزيادة هي رؤيته تعالى كما يروى، بل المزيد من النعم والعطاء، والله يزيد من فضله من يشاء[3].

والحقيقة أنّ هذه التأويلات من المعتزلة لنفي الرؤية، بعيدة عن الصواب، ولا تؤيّدها النصوص التي استندوا إليها، بل هي حجّة عليهم، ومن هنا تصدّى الثعالبي لها، فأتى على زعمهم ليهدم بنيانه من أساسه، مستخدمًا إلى جانب الاستدلال العقلي الاستدلال النقلي في نقضه، معتمدًا على ما قرّره أئمّة اللغة وغيرهم من علماء أهل السنّة والجماعة ؛ وهذا ممّا يبيّن شخصيته القويّة في تدخّله المباشر في عرض الآراء والأقوال وتعقيباته عليها.

ولهذا نراه لا يتردّد في الرد على المعتزلة ممثّلة في أحد أئمّتها، وهو الزمخشري الذي ادّعى أنّ لفظة (لن) تفيد التأبيد، لتأييد مذهبه في نفي الرؤية مطلقًا، ويضعّف في نفس الوقت كلامًا لابن عطية رحمه الله، وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: {**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**}[4]: يعقّب الثعالبي هنا على ابن عطية في قوله: « ولو بقينا مع هذا النفي بمجرّده لقضينا أنّه لا يراه موسى أبدًا ولا في الآخرة »[5]، بأنّه قول مرجوح لم يتفطّن له رحمه الله.

وفي هذا السياق نفسه ينقل ما ذكره الزمخشري في (أنموذجه)[6] : « أنّ (لن) لتأبيد النفي » يتصدّى للردّ عليه مبيّنًا أنّ الحقّ الذي لا شكّ فيه هو أنّ (لن) لا تقتضي النفي المؤبّد، وأنّ الحامل له على ذلك اعتقاده أنّ الله تعالى لا يرى ؛ وهو اعتقاد باطل، وذلك من وجهين:

الأوّل: صحّة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم

الثاني: اختصاصها أي: (لن) بالتأبيد بمجيء استقبال المنفي بها إلى غاية ينتهي بانتهائها، كما في قوله تعالى: {**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**}[7]، وهو واضح.

ويعضد الثعالبي ما ذهب إليه بما قرّره أئمّة اللغة والنحو، فيذكر ما قاله أبو عبد الله بن مالك في (شرح التسهيل)[8] من أنّ (لن) كغيرها من حروف النفي في جواز كون استقبال المنفي بها منقطعًا عند حدّ وغير حدّ.

---

(1) شرح الأصول الخمسة ص: 245 -بتصرّف
(2) سورة يونس: 26
(3) الكشّاف 233/2، 234
(4) سورة الأعراف: 143
(5) المحرّر الوجيز 450/2
(6)لم أقف على هذا الكتاب
(7) سورة طه: 91
(8)لم أقف على هذا الكتاب

ونحو هذا لابن هشام، ولفظه: « ولا تفيد (لن) توكيد المنفي خلافًا للزمخشري في (كشّافه)، ولا تأبيده خلافًا له في (أنموذجه)، وكلاهما دعوى بلا دليل.

قيل: ولو كانت للتأبيد لم يقيّد منفيّها باليوم في قوله سبحانه و تعالى: {**فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**}(1)، ولكان ذكره الأبد في قوله تعالى: {**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا**}(2) تكرارًا، والأصل عدمه » (3)(4).

ولم يكتف الثعالبي بهذا القدر، بل أبطل أكبر حجّتهم، وهي تمسّكهم بظاهر قوله تعالى: {**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**}(5) على إنكار الرؤية، فلم يسلّم لهم ذلك، فذكر أنّ الصواب هو ما تظافرت به الأدلّة عقليّها ونقليّها على ما قرّره علماء أهل السنّة والجماعة من أنّ الله سبحانه و تعالى يرى يوم القيامة، يراه المؤمنون، مشيرًا إلى أنّ الوجه في بيان ذلك: جوازها عقلاً، ثمّ يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز(6) ؛ وبيان ذلك باختصار:

أن يعتبر بعلمنا بالله سبحانه و تعالى (7)، فمن حيث جاز أن نعلمه لا في مكان، ولا متحيّزًا، ولا مقابلاً، ولم يتعلّق علمنا بأكثر من الوجود، جاز أن نراه غير مقابل، ولا محاذيًا، ولا مكيّفًا، ولا محدّدًا.

ثمّ ورد الشرع بذلك، كقوله سبحانه و تعالى: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**} (8): ووجه دلالتها على ما هو مبيّن في اللسان العربي من أنّ تعدية النظر بـ (إلى) إنّما هو كلام العرب لمعنى الرؤية، لا لمعنى الانتظار- على ما ذهب إليه المعتزلة.

---

(1) سورة مريم: 26
(2) سورة البقرة: 95
(3) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام 313/1 تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المكتبة العصرية-صيدا بيروت 1992م.
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 69/2، 70
(5) سورة الأنعام: 103
(6) تقديمه الاستدلال العقلي على النقلي هو سمة من سمات منهج الأشاعرة في التوفيق بين النصوص، النصوص، والجمع بينها عند التعارض ؛ والحقّ أنّه لا تعارض بين النصّ الصحيح والعقل الصريح، كما بين ذلك شيخ الإسلام في كتابه القيّم درء تعارض العقل والنقل.
(7) استأنس الثعالبي في ذلك بما قاله أبو عبد الله النحوي في كون مسألة العلم حلقت لحي المعتزلة، في في إشارة منه إلى دحض أهمّ شبهة لهم وهي تمسّكهم بالآية السابقة أعلاه
(8) سورة القيامة: 22، 23

ويؤيّد رأيه بما صحّ عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم وتواتر وكثر نقله أنّ المؤمنين يرون ربّهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر [1] [2]، ونحوه من الأحاديث الصحيحة على اختلاف ألفاظها.

وأمّا استدلالهم بظاهر قوله تعالى: {**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**}[3]، فيعترض عليهم ليبطل زعمهم من أساسه ، ومقرّرًا انفصال أهل السنّة والجماعة عنهم في إثبات الرؤية، وذلك من وجهين:

الأوّل: أنّ الآية الكريمة مخصوصة في الدنيا، ورؤية الآخرة ثابتة بأخبارها.

الثاني: أنّنا نفرّق بين معنى الإدراك ومعنى الرؤية، فنقول: إنّه ﷻ تراه الأبصار ولا تدركه، وذلك أنّ الإدراك يتضمّن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه، وحوزه من جميع جهاته ؛ وذلك كلّه محال في أوصاف الله ﷻ، والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائي بالمرئي ويبلغ معناه[4].

هذه إذن أهمّ استدلالات الثعالبي في إثبات الرؤية والردّ على من أنكرها، ولا يخفى على متتبّع متفحّص منصف- بعد سردنا لرأيه في المسألة وأدلّته العقلية والنقلية في إثباتها، أنّه موافق لمذهبه العقدي تمام الموافقة (مذهب الخلف)، فلم يخرج عنه قيد شبر، خاصة وأنّه ينقل ما قرّره أهل السنّة والجماعة وهو المصطلح الذي يحلو له التعبير به في كثير من ثنايا تفسيره.

وقد استخدم أسلوبًا علميًا في عرض الآراء ومناقشتها مناقشة علمية، وبطريقة تسلسلية منطقية، فهو قد طرح في مسألة الرؤية الرأي الذي انتصر إليه إلى جانب الرأي المخالف له، ممّا أحدث نقاشًا علميًا ثريًّا ممتعًا، يقوم مرّة على تأكيد الرأي الذي ينتصر إليه، ومرّة أخرى على عرض أدلّة الوجهة المخالفة، ثمّ نقضها وبيان فسادها وبطلانها، وكلّ ذلك اعتمادًا على ما قرّره العلماء.

ويحسن التنبيه إلى نقطة هامة، يجب التوقّف عندها والتعليق عليها، فالخلف- ونقصد متأخّري الأشاعرة- متّفقون مع السلف في إثبات الرؤية، غير أنّه يستوقفنا هنا سؤال دقيق هو: هل هذا الاتّفاق حول هذه المسألة يكمن من جميع النواحي ؟

الحقيقة والواقع أنّ مسألة الجهة هي النقطة الفاصلة والفارقة بين الطرفين: فالخلف أقرّوا بالرؤية، وأنكروا ما دلّت عليها الأدلّة الصحيحة.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد -باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة 2703/6 برقم (6997)، (6998)، (6999)، (7000) ؛ ومسلم في كتاب الإيمان -باب: معرفة طريق الرؤية 163/1 برقم (182)، (183) ؛ (84) كلاهما أي البخاري ومسلم عن جمع من الصحابة

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 655/1

(3) سورة الأنعام: 103

(4) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

بينما السلف عندما أثبتوا الرؤية أثبتوا الجهة على معنى العلوّ والفوقية، دون تكييف أو تشبيه.. ، وهو ما يوضّحه شارح العقيدة الطحاوية بقوله: « وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علوّ الله على خلقه، وإلاّ فهل تعقل رؤية بلا مقابلة ؟ » (1).

4 ـ النار

النّار هي دار الخزي والعقوبة والذلّ والهوان والعذاب.. ، أعدّها الله تعالى للكافرين، ولمن عصاه وخالف أمره ؛والمتصفّح للقرآن الكريم والسنّة المطهّرة يقف على كثرة ما ورد في وصفها والتحذير منها.

يقول الله تعالى: {**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}(2)، ويقول: {**وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا(55) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**}(3)، ويقول: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}(4).

ومن السنّة ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال: « ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنّم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية ؟ قال: فضّلت عليهنّ بتسعة وستّين جزءًا، كلّهنّ مثل حرّها »(5).

وقد تحدّث الثعالبي عن النّار وعذابها من خلال مثل هذه الآيات والأحاديث، عبر كامل تفسيره، من ذلك قوله تعالى: {**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}(6): يقول الثعالبي في بيانها: « ووصف النّار بأنّها تتّقد بالنّاس والحجارة يدلّ على قوّتها- نجّانا الله منها برحمته الواسعة- وقرن الله تعالى النّاس بالحجارة لأنّهم اتّخذوها في الدنيا أصنامًا يعبدونها، كما قال تعالى {**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**}(7)، فإحدى الآيتين مفسّرة للأخرى »(8).

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية 219/1
(2) سورة آل عمران: 131
(3) سورة النساء: 55، 56
(4) سورة التحريم: 06
(5) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق -باب: صفة النّار وأنّها مخلوقة 1191/3 برقم (3092) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها -باب: في شدّة حرّ جهنّم.. إلخ 2184/4، برقم(2843).
(6) سورة البقرة: 24
(7) سورة الأنبياء: 98
(8) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 55/1 -بتصرّف

وقوله تعالى: {**يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**}(1): يشير إلى أنّ النّار إذا فارت بهم قربوا من حاشيتها، فحينئذ يريدون الخروج، ويطمعون به، فيخبر سبحانه عن هؤلاء الكفّار أنّهم ليسوا بخارجين من النّار، بل عذابهم فيها مقيم مؤبّد ؛ ويستشهد بالحديث الذي رواه البخاري في رؤية النّبيّ صلى الله عليه و سلم حين أتاه آتيان فأخذا بيده، وفيه «... فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمي الرجل بحجر في فيه »، وفيه: «... فانطلقنا إلى ثقب مثل التنّور أعلاه ضيّق، وأسفله واسع، تتوقّد تحته نار، فإذا اقترب ارتفعوا، فإذا خمدت رجعوا فيها »(2) الحديث بطوله(3).

ومثل الآية السابقة قوله سبحانه {**هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ(43)يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ**}(4): يذكر بأنّ ذلك يقال لهم على جهة التوبيخ، فهم في عذاب لا موت فيه ولا حياة، والمعنى: أنّهم يتردّدون بين نار جهنّم وجمرها وبين حميم وهو ما غلّي في جهنّم من مائع عذابها (5).

هذه نبذة موجزة ممّا ذكره الثعالبي عن النّار وعذابها، وفي ذلك كفاية، ومن أراد المزيد فعليه بالكتب المصنّفة فيها.

عدم فناء الجنّة والنّار:

ذهب الثعالبي إلى أنّ الجنّة والنّار لا تفنيان أبدًا، ولا يفنى من فيهما (6)، استنادًا للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في هذا الباب، يقول الله تعالى: {**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**}(7)، ويقول: {**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}(8)، ومعنى الخلود- كما يقول الثعالبي- هو البقاء الدائم(9)، الذي لا ينقطع ولا ينتهي ، أي: أنّهم يدومون فيها، لا يخرجون منها ولا يموتون فيها، كما قال تعالى: {**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**}(10).

---

(1) سورة المائدة: 37
(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز -باب: ما قيل في أولاد المشركين 466/1 برقم(1320)
(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 549/1
(4) سورة الرحمان: 43، 44
(5)الجواهر الحسان في تفسير القرآن 337/4
(6) نفس المصدر السابق 420/1، 668. ؛ 297/2، 298. ؛ 17/3
(7) سورة النساء: 57
(8) سورة التوبة: 100
(9) نفس المصدر السابق 297/2
(10) سورة الدخان: 56

وعن النّار وأهلها، يقول تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا(168)إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**}(1)، ويقول {**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا(64)خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**}(2)، ويقول: {**ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**}(3). واستشهد الثعالبي على أبدية الجنّة والنّار والنّار بما رواه البخاري عن ابن-عمر رضي الله عنهما-عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم أنّه قال: « إذا صار أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النّار إلى النّار جيء بالموت حتّى يجعل بين الجنّة والنّار، ثمّ يذبح، ثمّ ينادي مناد: يا أهل الجنّة لا موت، ويا أهل النّار لا موت، فيزداد أهل الجنّة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النّار حزنًا إلى حزنهم »(4) ؛ ومثله ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن النّبيّ صلى صلى الله عليه و سلم قال: « إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار يجاء يوم القيامة بالموت كأنّه كبش أملح، فيوقف بين الجنّة والنّار، فيقال: يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبّون وينظرون، فيقولون: نعم، هذا الموت. فيؤمر به فيذبح. قال: ثمّ يقال: يا أهل الجنّة خلود بلا موت، ويا أهل النّار خلود بلا موت، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم : {**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**} » (5) (6)، وغير هذا من الآيات والأحاديث الدالة على عدم فناء الجنّة و و النّار(7). وهذا ممّا قرّره أهل السنّة والجماعة(8)، خلافًا لبعض المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية الذين زعموا أنّ النّار تفنى(9) ؛ واحتجّ هؤلاء بثلاث آيات قرآنية تأيدًا لقولهم بفناء النّار وانقطاع عذاب أهلها، وهي:

الأولى: قوله تعالى: {**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**}(10).

---

(1) سورة النساء: 168، 169
(2) سورة الأحزاب: 64، 65
(3) سورة فصّلت: 28
(4) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرّقاق -باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً 2397/5 برقم (6182)
(5) سورة مريم: 39
(6) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة -باب: النار يدخلها الجبارون برقم(2849)
(7) العلوم الفاخرة 105/2، 106
(8) حادي الأرواح ص: 249 ؛ فتح الباري 421/11، 422 ؛ مجموع الفتاوى 307/18 ؛ إيثار الحقّ الحقّ على الخلق ص: 207 ؛ تفسير الرازي مج(05) 141/10 ؛ تفسير الطبري 147/1 ؛ تفسير ابن كثير 319/2
(9) مجموع الفتاوى 307/18
(10) سورة الأنعام: 128

الثانية: قوله سبحانه و تعالى : {**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ(106)خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(107)وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**}(1).

الثالثة: قوله سبحانه: {**لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**}(2).

ووجه استدلالهم: هو معنى الاستثناء الوارد في الآية الأولى والثانية ؛ وذلك من وجهين:

الوجه الأوّل: قوله (ما دامت السماوات والأرض): هذا دليل على أنّ خلودهم و هو مدّة عقابهم مساوية لمدّة بقاء السماوات والأرض، ولا خلاف أنّ مدّة بقائهما متناهية، فلزم أن تكون مدّة عقابهم متناهية.

الوجه الثاني: قوله (إلاّ ما شاء ربّك): قالوا: إنّه استثناء عن مدّة عقوبتهم، وهو يدلّ على زوال ذلك العقاب في وقت هذا الاستثناء.

وأمّا قوله (أحقابًا) في آية النبأ، فقالوا قد وردت على وزن (أفعالاً)، وهو من جموع القلّة المعروفة، فلبثهم في ذلك العقاب لا يكون إلاّ أحقابًا معدودة.

وهذا حاصل ما استدلّ به هؤلاء من النقل، ولم يكن لهم في السنّة المطهّرة ما يثبت زعمهم، اللهمّ إلاّ ما أثر عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه-: « لو لبث أهل النّار في النّار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه »(3).

وقد أجاب الثعالبي عن تلك الاستدلالات، مبيّنًا وجه الصواب فيها:

ففي الآية الأولى، وهي قوله تعالى: {**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**}(4): أورد أقوال المفسّرين في بيان معنى الاستثناء، حيث اختار القول بأنّه راجع إلى أهل الإيمان، أي: إلاّ ما شاء الله من خروج الموحّدين، وأمّا الكفّار فقد انعقد الإجماع على التخليد الأبدي فيهم(5).

---

(1) سورة هود: 106-108

(2) سورة النبأ: 23

(3) قال ابن القيّم في حادي الأرواح ص: 253 : « رواه عبد بن حميد في تفسيره، وحاول تقويته، وهو وهو ضعيف، وعلّته: الحسن البصري، فإنّه لم يدرك -عمر رضي الله عنه- فالسند منقطع. وقد روى ابن الجوزي نحوه في الموضوعات 268/3 عن أبي أمامة مرفوعًا : « يأتي على جهنّم يوم ما فيها من بني آدم واحد - تخفق أبوابها، كأنّها أبواب الموحّدين » قال ابن الجوزي : « هذا حديث موضوع محال » ؛ وضعّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمّة 73/2 برقم (607) المكتب الإسلامي- بيروت ط(5) 1405هـ-1985م.

(4) سورة الأنعام: 128

(5) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 104/1، 105، 668 ؛

ومثل هذا قوله تعالى: {**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**}(1)

فقوله سبحانه و تعالى (ما دامت السماوات والأرض) أجاب الجمهور عنه بجوابين، أشار إليهما الثعالبي(2):

الأوّل: معنى (ما دامت السماوات والأرض): عبارة عن التأبيد بما تعهده العرب، وذلك أنّ من فصيح كلامها إذا أرادت أن تخبر عن تأبيد شيء أن تقول: لا أفعل كذا وكذا أمد الدهر، وما ناح الحمام، وما دامت السماوات والأرض..

الثاني: أنّ المراد: سماوات الآخرة وأرضها، يدلّ عليها قوله تعالى: {**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**}(3).

وأمّا الاستثناء في قوله(إلاّ ما شاء ربّك): ففيه ثلاثة أقوال(4):

أحدها: أنّه متّصل، أي: إلاّ ما شاء ربّك من إخراج الموحّدين ؛ وعلى هذا يكون قوله (فأمّا الذين شقوا) عامّ في الكفّار والعصاة، ويكون الاستثناء من (خالدين)، وهذا قول قتادة وجماعة.

والثاني: أنّ هذا الاستثناء ليس بمتّصل ولا منقطع، وإنّما هو على طريق الاستثناء الذي ندب إليه الشرع في كلّ كلام، فهو نحو قوله {**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**}(5).

والثالث: أنّ (إلاّ)- في هذه الآية- بمعنى (سوى)، والاستثناء منقطع، وهذا قول الفرّاء، فإنّه يقدّر الاستثناء بـ (سوى)، وسيبويه يقدّره بـ (لكن)، أي: سوى ما شاء الله زائدًا على ذلك، ويؤيّد هذا القول قوله(عطاءً غير مجذوذ)(6).

وأمّا قوله تعالى: {**لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**}(7): فأجاب الثعالبي بأنّها: « خاصّة بالكفّار بالكفّار دون العصاة من أهل التوحيد، حيث يشير إلى أنّ (أحقابًا) جمع حقب، وهي: المدّة الطويلة من الدهر غير محدودة.. ، واللازم أنّ الله تعالى أخبر عن الكفّار أنّهم يلبثون أحقابًا كلّما مرّ حقب جاء غيره إلى غير نهاية.. -نجّانا الله من سخطه-،

---

(1) سورة هود: 107
(2) نفس المصدر السابق 297/2
(3) سورة إبراهيم: 48
(4) تفسير الطبري115/7 ؛ تفسير ابن كثير 578/3 ؛ زاد المسير160/4، 161؛ تفسير القرطبي 102-99/9 ؛ التفسير الكبير مج(9) 8/64-67
(5) سورة الفتح: 27
(6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 297/2، 298
(7) سورة النبأ: 23

ويؤيّده بما أثر عن الحسن البصري أنّه قال: ليس للأحقاب عدّة إلاّ الخلود في النّار »[1].

وقد اختلف العلماء في مدّة الحقب إلى أقوال كثيرة [2]، لا مجال هنا لذكرها، والأولى ما قاله جمهور المفسّرين[3] أنّ المقصود بالآية التأبيد لا التقييد، والمعنى: ماكثين في النّار أزمانًا ودهورًا، كلّما مضى حقب تبعه حقب آخر، وهكذا إلى الأبد من غير انقطاع.

وأمّا استدلالهم بما روي أنّ جهنّم تخرب ويعدم أهلها وتخفق أبوابها، فهم يعدّبون إلى أن يصير أمرهم إلى هذا.

فيجيب الثعالبي ردًّا على هذا القول و تضعيفًا له، مع توجيه المعنى الصحيح لهذا الأثر الوارد فيها عن بعض الصحابة رضي الله عنهم- وهو أنّ ما يخلى من النّار إنّما هو الدرك الأعلى المختصّ بعصاة المؤمنين، فهو الذي يسمّى جهنّم، وسمّي الكلّ بها تجوّزًا[4]، وهذا هو الراجح في المسألة، وما نقل عن بعض السلف على فرض ثبوته، فهو في حقّ عصاة الموحّدين الذين استحقّوا دخول النّار بذنوبهم وهذا الذي رجّحه البغوي، وابن حجر، وغيرهما من علماء أهل السنّة والجماعة[5].



(1) نفس المصدر السابق 548/4
(2) تفسير ابن كثير 198/7، 199 ؛ التفسير الكبير مج(16) 14/31 ؛ تفسير القرطبي178/19 ؛ تفسير البغوي 438/4
(3) زاد المسير 08/9 ؛ التفسير الكبير14/31 ؛ تفسير القرطبي 177/19
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن 298/2 -بتصرّف
(5) تفسير البغوي 403/2 ؛ فتح الباري 4022/11

خاتمة البحث

الحمد لله الذي أنعم علينا بإتمام هذا البحث، وفي خاتمته نذكر أهمّ النتائج المتوصّل إليها:

1.فساد الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية في العصر الذي عاش فيه الثعالبي، فقد انقسم المغرب العربي إلى دويلات ثلاث متصارعة على الحكم، بالإضافة إلى بداية ظهور الأطماع الأجنبية على المنطقة. وقد كانت للشيخ جهوده الفعّالة في الدّفاع عن بلدنا (الجزائر)، فقد كان مرجعًا في تحريض الناس على الجهاد من أجل ردّ هجمات الإسبان والإفرنجة.. ، ورغم ذلك فإنّ الحركة العلمية والثقافية عرفت نموًّا وازدهارًا، وهي الفترة التي عاش فيها كبار أهل العلم في المشرق والمغرب.

2.السيرة العطرة للشيخ رحمه الله وحرصه على طلب العلم وتحصيله والصبر عليه منذ صغره والاجتهاد في أخذه مع إخلاص النيّة في ذلك، ممّا كان له الأثر البالغ في حياته مستقبلاً، حيث أصبح عالمًا، ومعلّمًا ومفتيًا.. ، بعدما قضى سنوات عديدة خارج البلد طلبًا للعلم.

3.حبّه الكبير للنّبيّ صلى الله عليه و سلم ، وحثّه الناس على اتّباع سنّته والتمسّك بها والعمل بها والتحذير من مخالفته.

4.تميّزه الخاص في دقّة نقله من المصادر وإسناده الأقوال والنصوص إلى أصحابها، ممّا يعطينا لمحة حقيقية عن أمانته العلمية.

5.مساهمته الواضحة في تبسيط المسائل العقدية وبثّها في ثنايا تفسيره، وهو الأمر الذي يؤكّد دور المفسّرين في الحفاظ على سلامة عقائد الإسلام من خلال تفاسيرهم. وبهذا يتقرّر لدينا أنّ الثعالبي لم يكن مفسّرًا وصوفيًا ولغويًا.. فحسب، بل كان أيضًا مساهمًا في باب العقائد.

6.انتماؤه الواضح لمذهب أهل السنّة والجماعة، على طريقة الخلف (ونقصد الأشاعرة)، وقد ظهر ذلك جليًّا في أخذه بمبدأ التأويل، خاصّة فيما يتعلّق بباب الصفات الخبرية.

فهذا جهدي المتواضع حاولت فيه أن أبرز ما كان مجهولاً عن حياته الثعالبي وآرائه، ولا أزعم أنني بلغت الغاية، وحسبي أن أكون قد أسهمت بنصيب في إبراز معالم هذه الشخصية التاريخية التي لها وزن كبير في قلوب الجزائريين، وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، فالكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأرحب بكلّ مساعدة تعينني على استكمال ما غفلت عنه وإصلاح ما سهوت عنه.

هذا وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.



الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	ســـــــورة	صفـحة
{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}	الفاتحة: 06	337
{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}	البقرة: 03	369
{أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ}	البقرة: 04	336
{يَسْتَهْزِئُ}	البقرة: 15	188
{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}	البقرة: 15	202، 204
{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}	البقرة: 20	181
{وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا...أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}	البقرة: 23	272
{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}	البقرة: 24	464
{وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}	البقرة: 25	312
{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ... عَلِيمٌ}	البقرة: 28	194
{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ... أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}	البقرة: 30	293
{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ... وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}	البقرة: 31	232، 293، 203
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ... الْكَافِرِينَ}	البقرة: 34	178، 256، 301
{وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}	البقرة: 35	452
{وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ}	البقرة: 36	453
{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ... وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ}	البقرة: 50	277
{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}	البقرة: 52	220
{فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ}	البقرة: 54	210
{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}	البقرة: 57	366
{كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ}	البقرة: 60	367
{اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ}	البقرة: 61	453
{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ... تَعْقِلُونَ}	البقرة: 73	393
{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ... وَهُمْ يَعْلَمُونَ}	البقرة: 75	269
{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا... أَفَلَا تَعْقِلُونَ}	البقرة: 76	266

الآيـــة	ســـــــورة	صفـحة
{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً... هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}	البقرة: 80	320
{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}	البقرة: 89	269
{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا}	البقرة: 95	461
{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا... كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}	البقرة: 106	358، 362
{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}	البقرة: 119	262
{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا... وَلَا هُمْ	البقرة: 123	175

{يُنصَرُونَ}		
{وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ}	البقرة: 123	431
{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ... إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}	البقرة: 129	267
{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}	البقرة: 143	313
{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ... فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}	البقرة: 144	363
{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}	البقرة: 153	197
{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ}	البقرة: 163	133، 223
{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}	البقرة: 164	133
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا ... وَلَا يَهْتَدُونَ}	البقرة: 170	112، 145
{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}	البقرة: 172	368
{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ... وَالنَّبِيِّينَ}	البقرة: 177	290، 392
{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ}	البقرة: 179	111
{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}	البقرة: 185	182
{فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}	البقرة: 185	346
{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}	البقرة: 185	183، 357
{وَاتَّقُونِي يَاأُولِي الْأَلْبَابِ}	البقرة: 197	111
{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا...وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}	البقرة: 205	182
{وَقُضِيَ الْأَمْرُ}	البقرة: 210	329
{وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}	البقرة: 213	336
{ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}	البقرة: 228	188
{الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ}	البقرة: 237	188
{وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ}	البقرة: 245	209

| الآيـــــــ

{قدِيرٌ}		
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى ... لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}	البقرة: 260	253، 400
{فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ... أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}	البقرة: 260	400
{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ}	البقرة: 269	111
{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}	البقرة: 272	337
{فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}	البقرة: 280	460
{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}	البقرة: 281	333
{وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ}	البقرة: 284	357
{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ... وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}	البقرة: 285	239، 290
{لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}	البقرة: 285	243
{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... اكْتَسَبَتْ}	البقرة: 286	334
{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}	البقرة: 286	356
{الم(1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}	آل عمران:1	223
{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ}	آل عمران: 02	348
{إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}	آل عمران: 05	123، 176،
{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ}	آل عمران: 07	187

| Õlÿـــــــ

	25	
{وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ}	آل عمران: 28	202
{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ... فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}	آل عمران: 31	182، 264، 316
{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ... الْعَالَمِينَ}	آل عمران: 33	303
{كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا}	آل عمران: 37	367
{إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}	آل عمران: 37	367
{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ... وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ}	آل عمران: 39	257
{وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}	آل عمران: 42	250
{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ... إِذْ يَخْتَصِمُونَ}	آل عمران: 44	277
{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ}	آل عمران: 44	281
{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}	آل عمران: 54	202، 205، 213
{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ... كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}	آل عمران: 55	194
{وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}	آل عمران: 57	450
{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}	آل عمران: 59	166
{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ... اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}	آل عمران: 64	166
{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ...وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ}	آل عمران: 81	268
{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ}	آل عمران: 93	364

| الآيـــــــ

	عمران:102	
{وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}	آل عمران:131	463
{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}	آل عمران: 133	447
{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... كِتَابًا مُؤَجَّلًا}	آل عمران: 144	126، 248
{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}	آل عمران:146	26
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ... وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}	آل عمران: 156	127
{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}	آل عمران: 159	312
{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ... يُرْزَقُونَ}	آل عمران: 169	366، 380
{بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}	آل عمران: 169	383
{فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ ... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}	آل عمران:170	380
{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}	آل عمران: 171	450
{الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا ... وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}	آل عمران: 173	97
{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُم ... وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}	آل عمران: 180	132
{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}	آل عمران: 185	380
{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}	آل عمران: 190	112
{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ}	آل عمران: 191	143، 343
{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}	النساء: 01	05
{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}	النساء: 01	213
{وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}	النساء:06	213
{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ...وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}	النساء: 17	324، 349

{وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ... عَذَابًا أَلِيمًا}	النساء: 18	324
{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}	النساء: 34	217
{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}	النّساء: 34	251
{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً ... أَجْرًا عَظِيمًا}	النساء: 40	430، 431
{سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا ... الدِّينِ}	النساء: 46	270

| الآيـــــــ

حَكِيمًا}	165	
{لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ... وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}	النساء: 166	175
{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُم...عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}	النساء: 168	465
{يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ... فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا}	النساء: 171	166، 239
{إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}	النساء: 171	373
{لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ... إِلَيْهِ جَمِيعًا}	النّساء: 172	300، 304
{وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا}	المائدة: 03	183
{الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ}	المائدة: 03	305
{وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ}	المائدة: 12	197
{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}	المائدة: 13	270

الآيـــــــــــــــــــــــــــــــة	ســـــورة	صفـحة
{أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي}	المائدة: 31	271
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ}	المائدة: 27	109، 348
{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ... قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}	المائدة: 32	346
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا ... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}	المائدة: 35	118، 427
{يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ ... عَذَابٌ مُقِيمٌ}	المائدة: 37	464
{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ... وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا}	المائدة: 41	269
{يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا}	المائدة: 44	237
{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ}	المائدة: 44	269
{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ}	المائدة: 44	320
{وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ}	المائدة: 47	270
{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}	المائدة: 48	92، 134، 245، 363، 366
{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا ... وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}	المائدة: 48	270
{وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ... يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}	المائدة: 64	201
{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... رِسَالَتَهُ}	المائدة: 67	252
{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ... وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ}	المائدة: 67	262

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ... مِنْ أَنصَارٍ}	المائدة: 72	123
{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... عَذَابٌ أَلِيمٌ}	المائدة: 73	123
{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ... يُؤْفَكُونَ}	المائدة: 75	167، 250
{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ... يُؤْفَكُونَ}	المائدة: 75	167، 250
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ الصَّيْدِ ... عَذَابٌ أَلِيمٌ}	المائدة: 94	174
{ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}	المائدة: 97	124
{وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}	المائدة: 97	176
{مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ}	المائدة: 99	262
{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ}	المائدة: 111	283
{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}	المائدة: 118	344

الآيـــــــــــــــــــــــــــــــة	ســـــــورة	صفـحة
{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}	المائدة: 118	202
{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... يَعْدِلُونَ}	الأنعام: 01	122
{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ... وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}	الأنعام: 03	124، 196
{كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}	الأنعام: 12	348
{قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}	الأنعام: 19	164
{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ... وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}	الأنعام: 28	127
{وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}	الأنعام: 29	398
{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا ... أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}	الأنعام: 30	398
{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ}	الأنعام: 32	398
{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ... وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ}	الأنعام: 40	162
{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ}	الأنعام: 48	262، 345
{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}	الأنعام: 49	300
{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ... مَلَكٌ}	الأنعام: 50	300
{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}	الأنعام: 55	202
{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ... كِتَابٍ مُبِينٍ}	الأنعام: 59	125
{وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه}	الأنعام: 60	
{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ... وَهُمْ لَا	الأنعام: 61	195، 219،

{يُفَرِّطُونَ}		296
{ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً}	الأنعام: 65	391
{وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}	الأنعام: 73	405
{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ...وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ}	الأنعام: 75	131
{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ... وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ}	الأنعام 76	168، 255
{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}	الأنعام: 82	98
{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ... فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ}	الأنعام: 83	240
{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ}	الأنعام: 90	245، 365
{وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ... عَذَابَ الْهُونِ}	الأنعام: 93	297، 373،

| الآيـــــــ

{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ... قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ}	الأنعام: 137	333
{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}	الأنعام: 154	120
{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلَائِكَةُ ... إِنَّا مُنتَظِرُونَ}	الأنعام: 158	200، 410
{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ...ا يَظْلِمُونَ}	الأعراف: 8	433
{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ السَّاجِدِينَ ... وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}	الأعراف: 11	125
{وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ... الْخَالِدِينَ}	الأعراف: 20	300، 304
{قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... تُخْرَجُونَ}	الأعراف: 24	392
{فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمْ الضَّلَالَةُ}	الأعراف: 30	330
{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ضِعْفًا مِنْ النَّارِ}	الأعراف:38	116
{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي ... بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}	الأعراف: 42	349
{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}	الأعراف: 42	356
{وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}	الأعراف: 43	451
{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ}	الأعراف: 53	192
الآيـــة	**ســـــــورة**	**صفـحة**
{إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}	الأعراف: 54	194
{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ ... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}	الأعراف: 57	397
{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ ... الصَّادِقِينَ}	الأعراف: 70	261
{أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا}	الأعراف: 71	231
{مَكْرَ اللَّهِ}	الأعراف: 99	188

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}	الأعراف: 143	177، 457، 458، 460
{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ... الْمُفْتَرِينَ}	الأعراف: 152	203
{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}	الأعراف: 156	266
{إنّا هدنا إليك}	الأعراف: 156	405
{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ... أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}	الأعراف: 157	266، 268
{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ... لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}	الأعراف: 158	264
{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}	الأعراف: 158	265
{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنس}	الأعراف: 179	138
{أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}	الأعراف: 179	299، 303
{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ... يَعْمَلُونَ}	الأعراف: 180	206، 212، 221، 225، 231
{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ}	الأعراف: 182	205
{أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ... يُؤْمِنُونَ}	الأعراف: 185	143
{يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ ... لَا يَعْلَمُونَ}	الأعراف: 187	408
{فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ ... الشَّاكِرِينَ}	الأعراف: 189	105
{فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ... يُشْرِكُونَ}	الأعراف: 190	104
{أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}	الأعراف: 191	162
{وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}	الأعراف: 198	459
{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ... الْغَافِلِينَ}	الأعراف: 205	179
{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ... يَسْجُدُونَ}	الأعراف: 206	195، 292

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ... وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}	الأنفال: 02	314، 318
الآيـــة	سـورة	صفحة
{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ... وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}	الأنفال: 03	318
{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ... إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}	الأنفال: 17	333
{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}	الأنفال: 22	303
{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا... ثُمَّ يُغْلَبُونَ}	الأنفال: 36	278
{نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}	الأنفال: 40	220
{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا}	الأنفال: 44	327
{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ... وَأَدْبَارَهُمْ}	الأنفال: 50	297
{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ... وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}	التوبة: 16	175
{وَمِنْ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ... وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}	التوبة: 98	119
{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ... ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}	التوبة: 100	465
{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ... وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}	التوبة: 124	314
{صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}	التوبة: 127	119
{إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ... بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}	يونس: 04	403
{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ... يَعْلَمُونَ}	يونس: 05	169
{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}	يونس: 14	174
{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ... يُشْرِكُونَ}	يونس: 18	164
{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا}	يونس: 19	136
{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}	يونس: 26	457، 460
{فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ}	يونس: 28	97
{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... أَفَلَا تَتَّقُونَ}	يونس: 31	133
{فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}	يونس: 32	134
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}	يونس: 38	274
{بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}	يونس: 39	192
{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ ... مُهْتَدِينَ}	يونس: 45	399
{ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ}	يونس: 46	216
{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... يَتَّقُونَ}	يونس: 62	288

الآيـــة	ســـــــورة	صفـحة
{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ... عَنْ سَبِيلِكَ}	يونس: 88	346
{قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}	يونس: 101	143
{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}	هود: 06	97، 368
{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... مُبِينٌ}	هود: 07	402
{فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}	هود: 13	272
{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ... مَوْعِدُهُ}	هود: 17	265
{قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ... كَارِهُونَ}	هود: 28	177
{لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ}	هود: 36	352
{وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي ... مُغْرَقُونَ}	هود: 37	203
{لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}	هود: 43	252
{سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ}	هود: 43	252
{يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ}	هود: 76	113
{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمْ النَّارَ}	هود: 98	211
{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ... لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ}	هود: 103	394
{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ... مَجْذُوذٍ}	هود: 106	466، 467
{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}	هود: 107	490
{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ... سَاجِدِينَ}	يوسف: 04	287
{قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ... مُبِينٌ}	يوسف: 05	256
{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}	يوسف: 15	281
{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا}	يوسف: 17	310
{مَعَاذَ اللَّهِ}	يوسف: 23	259
{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ... الْمُخْلَصِينَ}	يوسف: 24	257
{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ}	يوسف: 24	259
{وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}	يوسف: 31	300
{فَاسْتَعْصَمَ}	يوسف: 32	252
{وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}	يوسف: 32	259
الآيـــة	ســـــــورة	صفـحة
{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ}	يوسف: 34	217
{ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ}	يوسف: 35	360

{يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}	يوسف: 39	120
{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ}	يوسف: 40	232
{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي}	يوسف: 53	258
{فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}	يوسف: 66	312
{وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}	يوسف: 67	313
{إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا}	يوسف: 68	328
{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}	يوسف: 68	313
{وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا}	يوسف: 100	287
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى}	يوسف: 109	249، 250
{حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ... الْمُجْرِمِينَ}	يوسف: 110	260
{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ}	يوسف: 111	111
{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... لِأَجَلٍ مُسَمًّى}	الرعد: 02	194
{وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}	الرعد: 07	240، 336
{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}	الرعد: 11	296
{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}	الرعد: 15	295
{يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}	الرعد: 39	329، 361 364
{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ... بِمِقْدَارٍ}	الرعد: 08	395
{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ... أَلِيمٌ}	إبراهيم: 22	328
{لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ}	إبراهيم: 22	165
{الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}	إبراهيم: 01	177
{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ... مِنْ عِبَادِهِ}	إبراهيم: 11	247
{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ... وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}	إبراهيم: 27	389
{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ... الْقَهَّارِ}	إبراهيم: 48	423، 468
{وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ}	الحجر: 24	103
**الآيـــــــ

{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}	الحجر: 49	235
{قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنْ الْعَالَمِينَ}	الحجر: 70	303
{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}	النحل: 02	373
{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنكِرَةٌ}	النحل: 22	97
{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُم... تَعْمَلُونَ}	النحل: 32	100، 349
{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ}	النحل: 35	326
{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}	النحل: 36	06، 245
{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ}	النحل: 38	398
{بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ... كُنْ فَيَكُونُ}	النحل: 38	398
{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}	النحل: 44	99
{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}	النحل: 50	195، 294
{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ}	النحل: 57	164
{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي... وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}	النحل: 68	280، 283
{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ... يَجْحَدُونَ}	النحل: 71	132
{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... وَلَا يَسْتَطِيعُونَ}	النحل: 72	132
{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}	النحل: 74	151
{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ ... لَا يَعْلَمُونَ}	النحل: 75	150
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ... صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}	النحل: 76	151
{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}	النحل: 78	141
{وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ}	النّحل: 86	97
{فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ}	النّحل: 86	97
الآيـــة	**ســـــورة**	**صفحة**
{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... يَعْمَلُونَ}	النحل: 97	309
{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ}	النحل: 101	362
{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ}	النحل: 102	373
{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ... إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}	الإسراء: 01	207، 285، 286
{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ}	الإسراء: 04	327
{وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ... عَلَيْكَ حَسِيبًا}	الإسراء: 13	436
{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}	الإسراء: 15	112، 340، 341، 342، 350، 353

{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ... عُلُوًّا كَبِيرًا}	الإسراء: 42	147 ،151
{وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ... قَرِيبًا}	الإسراء: 49	399
{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}	الإسراء: 55	241
{قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ... وَلَا تَحْوِيلًا}	الإسراء: 56	167
{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ}	الإسراء: 60	285
{وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ... إِلَّا غُرُورًا}	الإسراء: 64	117
{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ... تَفْضِيلًا}	الإسراء: 70	111، 305
{بِيَمِينِهِ}	الإسراء: 71	188
{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ... فَتِيلًا}	الإسراء: 71	437
{وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ... مَقَامًا مَحْمُودًا}	الإسراء: 79	428
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ ... إِلَّا قَلِيلًا}	الإسراء: 85	378
{قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ ... ظَهِيرًا}	الإسراء: 88	273
{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى... مَلَكًا رَسُولًا}	الإسراء: 94	248
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَات ...إِلَّا كُفُورًا}	الإسراء: 99	402
{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاء إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ}	الإسراء: 102	311
{قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ ... سَبِيلًا}	الإسراء: 110	206، 231
{وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا... وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}	الإسراء: 111	124
{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}	الكهف: 07	346

| الآيـــــــ

{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا}	مريم: 68	399
{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}	مريم: 71	329
{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ .... جِثِيًّا}	مريم: 71	442، 444
{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا}	مريم: 85	426
{الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}	طه: 04	185، 186
{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}	طه: 08	206
{فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ}	طه: 12	179
{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى}	طه: 15	409
{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى}	طه:17	174
{إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى}	سو رة طه: 38	283
{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}	طه: 39	187، 203
{إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}	طه: 46	187، 197
{الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}	طه: 50	141، 336
{إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا}	طه: 74	321
{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}	طه: 82	338
{قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى}	طه: 91	461
{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا}	طه: 102	419
{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}	طه: 115	256
{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ... وَلَا تَضْحَى}	طه: 118	454
{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى}	طه: 120	455
{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ... وَنَخْزَى}	طه: 134	353
{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ... لَا تَعْلَمُونَ}	الأنبياء: 07	247
{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ}	الأنبياء: 11	97
{وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ... لَا يَفْتُرُونَ}	الأنبياء: 19	292
{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}	الأنبياء: 20	295
**الآيـــ

{لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ}	الأنبياء: 65	161
{أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}	الأنبياء: 66	161
{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا ... عَابِدِينَ}	الأنبياء:67	161
{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}	الأنبياء: 73	247
{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ ... الظَّالِمِينَ}	الأنبياء: 83	218
{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ... ظَالِمِينَ}	الأنبياء: 87	255
{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}	الأنبياء: 96	417
{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}	الأنبياء: 98	464
{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه}	الأنبياء: 101	443
{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ... الصَّالِحُونَ}	الأنبياء: 104	406
{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ... شَدِيدٌ}	الأنبياء: 105	386
{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ ... مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا}	الحجّ: 02	101
{وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا... زَوْجٍ بَهِيجٍ}	الحجّ: 05	395
{وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور}	الحجّ: 05	396
{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}	الحجّ: 07	391
{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}	الحج: 25	221
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ}	الحجّ: 47	423
{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}	الحج: 52	237
{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}	الحج: 75	235
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ... الْخَالِقِينَ}	الحجّ: 78	357
	المؤمنون: 12	135
**الآيـــــــ

{وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ... بَعْضٍ}	المؤمنون: 91	152، 157
{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ ... عَمَّا يَصِفُونَ}	المؤمنون: 91	154
{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}	المؤمنون: 100	385
{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}	المؤمنون: 115	343
{إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}	النور: 32	217
{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ... مِنْ قَبْلِهِمْ}	النور: 55	386
{فسلّموا على أنفسكم}	النور: 61	375
{لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}	الفرقان: 01	303
{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}	الفرقان: 02	330
{قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}	الفرقان: 06	344
{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ... نَذِيرًا}	الفرقان: 07	248
{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ... سَبِيلًا}	الفرقان: 34	100
{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ}	الفرقان: 58	218
{قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(75)أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ}	الشعراء: 75	211
{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ}	الشعراء: 165	303
{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ}	الشعراء: 193	373
{فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ ... رَبِّ الْعَالَمِينَ}	النمل: 08	205
{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا ... الْمُفْسِدِينَ}	النمل: 14	311
{وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ... لَا يَهْتَدُونَ}	النمل: 24	168
{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}	النّمل: 35	236
{فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}	النمل: 35	460
{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ ... لَصَادِقُونَ}	النمل: 48	156
{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً ... لَا يُوقِنُونَ}	النمل: 82	411
**الآيـــ
{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ ... دَاخِرِينَ}	النّمل: 87	381، 420
{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ}	القصص: 07	283
{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}	القصص: 08	347

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ}	القصص: 23	443
{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ}	القصص: 42	339
{إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ}	القصص: 44	328
{وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ... الْمُؤْمِنِينَ}	القصص: 47	340
{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}	القصص: 56	336
{وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ ... يَهْتَدُونَ}	القصص: 64	163
{إنّ الذي فرض عليك القرآن لرآدّك إلى معاد}	القصص: 85	392
{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}	القصص: 88	203
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ... وَهُمْ ظَالِمُونَ}	العنكبوت: 14	261
{أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ... قَدِيرٌ}	العنكبوت: 19	397
{وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}	العنكبوت: 35	112
{خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}	العنكبوت: 44	344
{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}	العنكبوت: 46	121
{وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ... الظَّالِمُونَ}	العنكبوت: 48	273
{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}	العنكبوت: 61	94، 159
{الم(1)غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ... وَمِنْ بَعْدُ}	الروم: 1	278
{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ ... تُخْرَجُونَ}	الروم: 19	405
{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}	الروم: 20	134
{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ ... لَا يَعْلَمُونَ}	الروم: 30	136، 139
{منيبين إليه}	الروم: 31	138
{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}	الرّوم: 40	368
{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}	لقمان: 13	98

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}	لقمان: 25	155
الآيـــــــ

{وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}	فاطر: 24	238، 263،
الآية	السورة	الصفحة
{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ... مُرْسَلُونَ}	يس: 13	261
{حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}	يس: 39	211
{أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ}	يس: 47	326
{فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ}	يس: 66	443
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ}	يس: 71	201
{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ ... تُرْجَعُونَ}	يس: 81	402
{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}	يس: 82	150
{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}	الصافات: 12	204
{أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ... تُكَذِّبُونَ}	الصافات: 16	399
{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}	الصّافّات: 23	336
{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}	الصافات: 96	332
{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ ...}	الصافات: 102	287
{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ ... الْمُحْسِنِينَ}	الصّافات 103	127
{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}	الصافات: 165	295
{وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}	الصافات: 166	295
{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}	ص: 05	97
{وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ}	ص: 47	235
{بِيَدَيَّ}	ص: 75	75
{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}	الزمر: 03	94، 155
{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ... لَكُمْ}	الزمر: 07	183، 216
{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}	الزمر: 09	302
{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ... هَادٍ}	الزمر: 23	289
{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ ... لَا يَعْلَمُونَ}	الزمر: 29	163
{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... يَتَفَكَّرُونَ}	الزمر: 39	374
{وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا .... يَسْتَهْزِئُونَ}	الزمر: 47	360

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ... يَنْظُرُونَ}	الزمر: 68	420، 421
الآيـــــــ

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ ... الصُّدُور}	الشورى: 24	323
{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ... خَبِيرٌ بَصِيرٌ}	الشورى: 27	219
{وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}	الشورى: 28	210
{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}	الشورى: 52	336
{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}	الشورى: 52	373
{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}	الزخرف: 09	94
{فأنشرنا به بلدة ميتًا}	الزخرف: 11	392
{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ... مُقْتَدُونَ}	الزخرف: 22	147
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ ... يَرْجِعُونَ}	الزخرف: 26	161
{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ}	الزخرف: 43	282
{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}	الزخرف: 61	416
{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}	الزخرف: 67	98
{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}	الزخرف: 87	133
{وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}	الدخان: 32	303
{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ... الْجَحِيمِ}	الدخان: 56	465
{فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ... يُؤْمِنُونَ}	الجاثية: 3-6	133
{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}	الجاثية: 29	358
{وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}	الأحقاف: 11	211
{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}	الأحقاف: 14	451
{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ... تَجْهَلُونَ}	الأحقاف: 21	263

{قالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ... مُسْتَقِيمٍ}	الأحقاف: 30	117
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... قَدِيرٌ}	الأحقاف: 33	402
{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ... تَكْفُرُونَ}	الأحقاف: 34	402
{فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ(4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ}	محمّد: 4	336
{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ ... رَبِّهِمْ}	محمّد: 15	447

الآية	سورة	صفحة
{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا}	محمّد: 18	409
{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}	محمّد: 19	147
{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}	محمّد: 27	297
{وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}	محمّد: 38	102
{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(1)لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ... وَمَا تَأَخَّرَ}	الفتح: 1	345
{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}	الفتح: 08	263
{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}	الفتح: 10	201
{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ... آمِنِينَ}	الفتح: 27	315
{لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}	الفتح: 27	317، 468
{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... الصَّادِقُونَ}	الحجرات: 15	318
{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ... الْخُرُوجُ}	ق: 6-11	397
{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ... عَتِيدٌ}	ق: 17	296
{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}	ق: 20	419
{ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}	ق: 44	406
{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}	الذاريات: 21	133، 134
{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا}	الذاريات: 47	213
{فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ}	الذاريات: 48	212
{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}	الذاريات: 49	426
{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}	الذّاريات: 56	237، 343، 344، 345
{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}	الذاريات: 58	221

{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}	الطور: 04	296
{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}	الطور: 19	451
{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}	الطور: 34	272
{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ... الْمُسَيْطِرُونَ}	الطور: 35-37	276
{وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}	النجم: 3	252
{وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى}	النجم: 03	279

| الآيـــــــ

{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}	الواقعة: 30	99
{أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}	الواقعة: 64	212
{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}	الواقعة: 74	207
{لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ}	الواقعة: 79	292
{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ}	الواقعة: 83	379

الآيـــة	ســـــــورة	صفـحة
{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ(88) فَرَوْحٌ ... جَحِيمٍ}	الواقعة: 88-94	382
{فسبّح باسم ربّك العظيم}	الواقعة: 96	222
{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}	الحديد: 03	210
{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... بَصِيرٌ}	الحديد: 04	196
{أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...أَيْنَ مَا كَانُوا}	المجادلة: 07	196
{وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ}	المجادلة: 08	178
{أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ}	المجادلة: 22	373
{فَأَتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}	الحشر: 02	200
{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ... الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}	الحشر: 23-24	209
{ومبشّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد}	الصفّ: 06	267
{فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ}	الجمعة: 10	328
{هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا ... لَا يَفْقَهُونَ}	المنافقون: 07	367
{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي... يَسِيرٌ}	التغابن: 07	399
{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}	التغابن: 16	357
{نَبِّئْنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}	التحريم: 03	235
{لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}	التحريم: 06	292، 294
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... يُؤْمَرُونَ}	التحريم: 06	463
{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}	الملك: 01	216
{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}	الملك: 02	346
{هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}	الملك: 03	136
{وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}	الملك: 06	102
{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}	القلم: 17	455
{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ}	القلم: 42	200، 355

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ... وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ}	الحاقة: 13-15	419
{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ... أَلْفَ سَنَةٍ}	المعارج: 04	423
{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا ... وَنَسْرًا}	نوح: 23	155
{رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}	نوح: 26	351
{وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}	الجنّ: 28	220

| الآيـــــــ

{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}	التكوير: 08-09	353
{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(10) كِرَامًا كَاتِبِينَ(11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}	الإنفطار: 10-12	296
{يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}	الإنفطار: 12	297
{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}	المطفّفين: 01	119
{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(22)عَلَى الْأَرَائِكِ ... الْمُتَنَافِسُونَ}	المطفّفين: 22-26	448

| الآيـــــــ

{وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ... الصَّالِحَاتِ}	العصر: 01-03	309
{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}	الهمزة: 01	119
{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}	الكوثر: 01	438
{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}	النصر: 3	193
{اللَّهُ الصَّمَدُ}	الإخلاص: 02	208
{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}	الإخلاص: 04	207

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــث	صفـحة
« أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : فإنّه نهر وعدنيه ربّي... »	439
« أتفرّمن القضاء؟ قال عمر : أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله »	329
« أتي رسول الله صلى الله عليه و سلم بلحم، فرفع إليه الذراع.... »	428
« أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس؛ وهو أشده ... »	284
« أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك »	374
« أرواح الشهداء عند الله في حواصل طيور خضر تسرح في أنهار الجنّة.... »	383
« أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت... »	449
« أعطيت خمسًا لم يعطهنّ أحد من قبلي... »	265
« أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق »	178
« ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه »	99
« ألا تزورنا أكثر ممّن تزورنا ؟... »	295
« ألا تصفّون كما تصّف الملائكة عند ربّها؟.. »	295
« أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله »	145
« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه ...»	348
« أنا أولى النَاس بعيسى بن مريم في الدنيا و الآخرة... »	362
« أنا أوّل شفيع في الجنّة »	430
« أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى »	267
« أنا سيّد ولد آدم ولا فخر »	244
« أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني... »	197
« أنّ الأرض تأكل ابن آدم إلاّ عجب الذنب »	406
« أنّها أسماء رجال صالحين من قوم نوح ... »	155
« أولاد المشركين خدم أهل الجنّة »	354
« أوّل ما بدىء به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصادقة... »	286
« أيّ الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك »	169

الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــث	صفـحة
« ألِظُّوا بِيَادًا الجلال والإكرام »	218
« إذا دخل أهل الجنّة الجنّة ، وأهل النّار النّار يجاء يوم القيامة بالموت كأنّه كبش أملح... »	466
« إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، قال الله تبارك وتعالى : أتريدون شيئًا أزيدكم ؟...	457

«	
« إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثمّ صلّوا عليّ... »	428
« إذا صار أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النّار إلى النّار جيء بالموت حتّى يجعل بين الجنّة والنّار»	465
« إذا قال الإمام ولا الضالين، فقولوا آمين... »	298
« إذا قرأ أحدكم (أليس الله بأحكم الحاكمين)... »	107
« إذا قرأ أحدكم أو سمع (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فليقل: بلى »	107
« إذا قضى الله أمرا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله ... »	285
« إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم وحشر الخلائق »	425
« إذا همّ عبدي بسيّئة فلم يعملها كتبت له حسنة »	258
« إسم الله الأعظم في ثلاث سور ... »	223
« إسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ... »	223
« إقرؤوا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه... »	435
« إنّ جهنّم يمرّ عليها زمان تخفق فيها أبوابها... »	102
« إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ ... »	390
« إنّ آخر أهل الجنّة دخولًا الجنّة.... »	448
« إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة لمن ينظر إلى جنّاته... »	458،459
« إنّ أرواح المؤمنين تجمع بالجابية، وأرواح الكفّار ببئر برهوت »	386
« إنّ الدجّال ممسوح العين »	412
« إنّ الروح إذا قبض تبعه البصر »	379
« إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه، إنّه ليسمع قرع نعالهم.... »	390
« إنّ الله قبض أرواحكم حين شاء ... »	374
« إنّ الله ✝ يمهل حتّى يمضي شطر الليل الأوّل ... »	199
« إنّ الله سيخلّص رجلاً من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة... »	435
« إنّ الله فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها ... »	305

الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــــث	**صفـحة**
« إنّ الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق : إنّ رحمتي سبقت غضبي ... »	348
« إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها... »	368
« إنّ الله يبدّلها خبزة يأكل المؤمن منها من تحت قدميه »	424
« إنّ الميّت إذا خرجت روحه عرج بها إلى السماء حتّى ينتهي بها إلى السماء السابعة »	385
« إنّ الميّت إذا خرجت نفسه يعرج بها إلى السماء حتّى ينتهي بها إلى السماء	383

...»	
« إنّ النبيّ صلى الله عليه و سلم	385
« إنّ بين المصراعين من أبواب الجنّة مسيرة أربعين سنة... »	447
« إنّ حوضي ما بين عدن إلىأيلة، أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل... »	439
« إنّ خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ... »	288
« إنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم	354
« إنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إنّ إسرافيل قد التقم الصور ... »	419
« إنّ روح القدس نفث في روعي ... »	285
« إنّ في الجنّة خيمة من لؤلؤة مجوّفة عرضها ستّون ميلاً... »	449
« إنّ في الجنّة شجرة يسير الرّاكب الجواد المضمر في ظلّها مائة عام لا يقطعها... »	99
« إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله...»	450
« إنّ في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا...»	289
« إنّ قريشًا سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم آية فأراهم انشقاق القمر...»	278
« إنّ لجبريل عليه السلام ستّ مائة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق إلى المغرب »	293
« إنّ لله تسعة وتسعين إسماً، من أحصاها دخل الجنّة »	206
« إنّ من عباد الله عبادًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء...»	289
« إنّ نزول الله تعالى إلى الشيء : إقباله عليه من غير نزول »	199
« إنّ يهود فدك قالوا ليهود المدينة المنوّرة استفتحوا محمّدًا... »	270
« إنّما نسمةالمؤمن طائر يعلق في شجر الجنّة حتّى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه »	383
« إنّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة... »	435
« إنّهم يماتون فيها إماتة »	321
« إنّي أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون... »	292
الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــث	**صفـحة**
« إنّي لأرجو أن أكون أخشاكم لله »	317
« إنّي لبعقر حوضي أذود النّاس لأهل اليمين...»	441
« احتجّ آدم وموسى، فقال موسى : أنت آدم الذي أخرجت ذرّيّتك من الجنّة... »	455
« استقيموا ولن تحصوا »	228
« اطّلع النبي صلى الله عليه وسلم على أهل القليب...»	101
« اعملوا فكلّ ميسّرلما خلق له »	326

« الأنبياء إخوة لعِلاّتٍ، أمهاتهم شتّى ودينهم واحد »	246
« الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات... »	188
« الرؤيا من الله والحلم من الشيطان »	287
« الشهداء على بارق نهر بباب الجنّة في قبّة خضراء ... »	383
« العبد إذا وضع في قبره، وتولّى وذهب أهله، حتّى إنّه ليسمع قرع نعالهم... »	390
« الله أعلم بما كانوا عاملين »	351
« اللهمّ الرفيق الأعلى »	384
« اللهمّ حاسبني حسابًا يسيرًا، فلمّا انصرف قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير؟.. »	100،437
« المقسطون على منابر من نور عن يمين الرّحمان »	110
« النّساء ناقصات عقل ودين »	251
« بعثت أنا والساعة كهاتين »	409
« بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متّكىء على عسيب... »	378
« بينما أنا نائم، إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم... »	441
« بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة... »	438
« تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان، وعصا موسى... »	412
« ثمّ صعد حتّى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل : من هذا ؟... »	415
« ثمّ يضرب الجسر على جهنّم وتحلّ الشفاعة... »	430
« ثمّ ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاّ أصغى ليتًا ورفع ليتًا... »	421
« حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعة، يقول : سلوا أهل الموسم أفيهم... »	267
« خلقت الملائكة من نور، وخلق " الجانُّ " من مارج من نار... »	291
« خير الناس قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم »	110

الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــث	**صفـحة**
« دين الله يسر »	183
« ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم الدجّال ذات غداة، فخفض فيه ورفع... »	413
« ذلك محض الإيمان »	254، 400
« رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنّة الجنّة، فيقال له : أترضى أن يكون لك... »	448
« سألت ربّي في اللّاهين من ذريّة البشر ألاّ يعذّبهم فأعطانيهم »	353
« سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقًى نسترقيها... »	114
« سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يشفع لي ؟ فقال : أنا فاعل... »	440

« سئل النّبيّ صلى الله عليه و سلم عن الصور ؟ فقال : قرن ينفخ فيه »	420
« سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الصحابة الذين ماتوا قبل تحويل القبلة... »	313
« سلوا محمدًا عن ثلاث... »	378
« سمعت النّبيّ صلى الله عليه و سلم يقرأ في المغرب بالطور فلمّا بلغ... »	276
« سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين... »	417
« صلّى بنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل... »	168
« طلع النّبيّ صلى الله عليه و سلم علينا ونحن نتذاكر، فقال ما تذاكرون ؟ قالوا : الساعة... »	410
« عرض على نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء والمعراج اللبن والخمر، فاختار اللبن... »	141
« عرضت عليّ الأمم فأخذ النّبيّ يمرّ معه الأمّة... »	433
« فأرعد الشيخ، وقف شعره، وأمسك على فم النّبيّ صلى الله عليه و سلم وناشده بالرحم أن يمسك... »	275
« فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمي الرجل بحجر في فيه... »	464
« فإذا نظر إلى أهل السعادة ضحك، وإذا نظر إلى أهل الشقاوة بكى »	385
« فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام »	285
« قال جبريل للنبي صلى الله عليه و سلم : هذا البيت المعمور، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك... »	296
« قام فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم في النّاس فأثنى على الله بما هو أهله، ثمّ ذكر الدجّال... »	414
« قوم هذا لو كان الدّين في الثريّا لناله رجال من أهل فارس »	102
« قيّدها وتوكّل »	312

الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــــــث	صفـحة
« كانت امرأة تصلّي خلف رسول الله- صلى الله عليه و سلم ... »	103
« كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه، أو يمجّسانه... »	137
« كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النّساء إلاّ... »	249
« كنت أقول في نفسي أيّ جمع سيهزم ؟ فلمّا كان يوم بدر رأيت رسول الله... »	277
« كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلنا منزلاً، فقال : ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ... »	439
« لا إله إلاّ الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج	418

ومأجوج.. »	
« لا تخيروا بين الأنبياء »	242
« لا تفضلوا بين الأنبياء »	242
« لا تقوم الساعة حتّى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها النّاس... »	411
« لا تقوم الساعة حتّى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة... »	409
« لا يؤمن عبد حتّى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله... »	392
« لا يدخل أحد الجنّة بعمله، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟... »	101، 350، 451
« لا يدخل النّار أحد من أهل بدر والحديبية... »	444
« لاتخيروني على موسى، فإنّ النّاس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم... »	243
« لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة... »	430
« لقد عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاث عرضات أقف عند كلّ آية أسأله ... »	109، 110
« لمّا حملت حوّاء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها ... »	105
« لمّا كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثمّ جئت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أنظر ... »	222
« لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهمّ جنّبنا الشّيطان ... »	117
« ما أغنيت عن عمّك، فوالله كان يحوطك... »	430
« ما بين النفختين أربعون ، قالوا : يا أبا هريرة أربعون سنة ؟... »	421
« ما حقّ العباد على الله ؟ »	349
« ما حملكم على قتل الذرية ؟... »	354
« ما قال عبدٌ قطّ إذا أصابه همّ أو حزن : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك... »	225
« ما من أحد يسمع بي من هذه الأمّة، ولا من اليهود والنصارى ثمّ لا يؤمن بي... »	266
« ما من مولود يولد إلاّ وهو على الملّة »، وفي أخرى : « إلاّ على هذه الملّة »	140

الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــــث	صفـحة
« ما يَمنعُكِ أن تسمعي ما أوصيك به، تقولين : إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حيّ... »	222
« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »	305
« من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم »	148
« من قال أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّدًا عبده	167

ورسوله.... »	
« من قال حين يسمع النداء : اللهمّ ربّ هذه الدعوة...»	427
« من قتل نفسه بحديدة فهو يجأ نفسه بحديدته، والذي قتل نفسه بالسمّ... »	332
« من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنّة »	321
« ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنّم... »	464
« نحن أحقّ بالشك من إبراهيم »	254، 400
« هو : الله الذي لا إله إلاّ هو الرحمان الرحيم، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن...»	226
« وأرجو أن أكون أنا هو »	118
« وأمّا الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنّه إبراهيم عليه السلام... »	353
« وأيّنا لم يظلم نفسه؟ »	98
« وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون »	317
« وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنّهم أتتهم الشّياطين فاجتالتهم عن دينهم... »	139
« والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا... »	416
« وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً...»	444
« ولو أنّ امرأة من أهل الجنّة اطّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما... »	449
« وما كنت أظنّ أنّه ينزل في قرآن يتلى...»	288
« ويضرب الصراط بين ظهراني جهنّم، فأكون أنا أوّل من يجيز... »	444
« يأتي الدجّال وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة ...»	414
« يا حيّ، يا قيّوم برحمتك أستغيث »	222
« يا محمّد أين يكون النّاس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات ؟... »	424
« يا نبيّ الله أيحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : أليس الذي أمشاه...»	100
« ياأيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا وحرزًا للأمّيّين... »	368
« يبعث كلّ عبد على ما مات عليه »	392
« يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنّهار.. »	296

الحـــديـــــــــــــــــــــــــــــــــــث	**صفـحة**
« يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد صفوفًا يسمعهم الداعي... »	394
« يجمع الله تعالى النّاس يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حتّى تزلف لهم الجنّة... »	455
« يحشر النّاس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، كما بدأنا أوّل خلق نعيده »	406
« يحشر النّاس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النّقي...»	424
« يخرج الدجّال في أمّتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا... »	414

« يخلص المؤمنون من النّار، فيحبسون على قنطرة بين الجنّة والنّار... »	446
« يرى المؤمنون ربّهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر »	462
« يعجب الله من الشاب ليست له صبوة »	204
« يعرض النّاس ثلاث عرضات، فأمّا عرضتان فجدال ومعاذير... »	437
« يقول الله ✝ يوم القيامة : يا آدم، فيقول : لبيك ربّنا وسعديك... »	102
« يقول الله تعالى أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني... »	301
« يقول الله تعالى يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك... »	418
« يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها... »	26
« ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر... »	199
« ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى : نفخة الفزع... »	421



ثالثا : فهرس الفرق والمذاهب

الفرقة أوالمذهب	صفحة
أصحاب الطبائع	375
أهل التناسخ	404
أهل السنّة والجماعة	96
الأزارقة	320،351
الأشاعرة	85
الإباضية	320
الباطنية	125
الثنوية	376
الجبرية	331
الجهمية	173
الحرورية	176
الحلولية	124
الخلف	96
الخوارج	125
الدّهرية	124
الرافضة	361

الفرقة أوالمذهب	صفحة
السامرة	405
السّلف	310
الفلاسفة	123
الفلاسفة الإلهيون	404
الفلاسفة الطبيعيون	404
القدرية	333
الكرّامية	310
الكلابية	316
المانوية	122
المشّائين (أصحاب الرواق)	376
المعتزلة	126
الهنود	238
النسطورية	123
اليعقوبية	122
اليهود	405
كفرة العرب	124



رابعا : فهرس الأعلام المترجم لهم

الـــعـــــــــــــــــــلم	صفـحة
أبو سعيد، وأبو ثابت ابنا عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان	22
أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري، أبو المنذر	191
أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت التنبكتي	52
أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، أبو العبّاس	66
أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، الشهير بـالشيخ زروق	40
أحمد بن إسماعيل بن يوسف المرادي، الشهير بالنّحاس، أبو جعفر	65
أحمد بن حسن بن عليّ بن الخطيب، الشهير بابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس	28
أحمد بن سعد التجيبي، أبو العبّاس	75
أحمد بن شعيب بن علي النسائي، أبو عبد الرحمان	73
أحمد بن عبد الرحمن أبي زيد النقاوسي البجائي، أبو العباس	36
أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي، ولي الدين، أبو زرعة	36،61،87
أحمد بن عبد الله الأصفهاني، أبو نعيم	82
أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري، شهاب الدين، أبو العباس	40
أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، أبو العبّاس	88
أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني	250
أحمد بن عليّ بن ثابت بن الخطيب، المعروف بالخطيب البغدادي، أبو بكر	66
أحمد بن عمار المهدوي التميمي، أبو العبّاس	62
أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزّار، أبو بكر	76
أحمد بن محمد الهنتاني التونسي، أبو العباس الشهير بـالشمّاع	36
أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، البرمكي الإربلي الشافعي، أبو العباس	49
أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني،أبو العباس	40
أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، أبو عبد الله	186
أحمد بن محمّد بن محمّد الهروي، أبو عبيد	88
أحمد بن نصر الداودي الأسدي،أبو جعفر	61
أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي	28
أرسطو طاليس بن نيقو ماخوس	376

الـــعـــــــــــــــــــلم	صفـحة
أسماء بنت يزيد	223
أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي	148
أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء	149
إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق	88

إبراهيم بن سيار البصري، أبو إسحاق، الشهير بـالنظّام	274، 376
إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، أبو إسحاق	194
إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النّخَعِيُّ، أبو عمران الكوفي	260
إسحاق بن إبراهيم المروزي، الشهير بابن راهويه	351
إسحاق بن إبراهيم بن محمّد بن حازم بن سنين الخُتَّلِي، البغدادي، أبو القاسم	75
إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الجليل السنجاسي، أبو إبراهيم	40
إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي، أبو نصر	88
إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن درع القرشي	157
ابن أبي زيد القيرواني، أبو عبد الله	69
ابن أحمد بن محمد المعتلّ بن اسماعيل البلوي القيرواني التونسي الشهير بالبرزلي، أبو القاسم	35
ابن الحسن النيسابوري الشافعي، الشهير بابن فورك، أبو محمّد	86
الأسود بن سريع بن حمير بن عباد السعدي التميمي، أبو عبد الله	354
الحارث بن راشد المحاسبي البصري، أبو عبد الله	81
الحارث بن هشام المخزومي	248
الحافظ أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي، أبو بكر	72
الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد	110
الحسن بن أبي رشيق القيرواني،أبو عليّ	67
الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي	435
الحسين بن حفص بن الفضل بن يحي الهمذاني الأصبهاني	204
الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي	89
الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي	373
القتبي	91
المعمر محمد بن اسماعيل الغرياني، أبو عبد الواحد	38
المنذر بن مالك بن قطعة ، العبدي	443

الـــعـــــــــــــــــــلم	**صفـحة**
المهراني أبو منصور	68
النوّاس بن سمعان بن خالد الكلابي الأنصاري	413
الوليد بن المغيرة القرشي	276
الوليد بن مسلم القرشي، مولاهم، الدمشقي، أبو العبّاس	227
برهان الدين إبراهيم بن محمّد القيسي الصفاقسي	87
بلال بن رباح بن حمامة، أبو عبد الله	374
بلقاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشذالي البجائي	36
بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل	167
تاج الدين أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله	79

السكندري	
تاج الدين عليّ بن محمّد بن الدريهم الموصلي	83
تاج الدين عمر بن عليّ بن سالم اللخمي الإسكندري، الشهير بابن الفاكهاني، أبو حفص	73
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	109
تقيّ الدّين محمّد بن عليّ، المعروف بابن دقيق العيد الشافعي	71
تقيّ الدّين محمّد بن محمّد بن عليّ بن همام المصري الشافعي، الشهير بالغرناطي، أبو الفتح	72
ثمامة بن أشرس النميري البصري، أبو معن	352
ثوبان الهاشمي	26،424
جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، السّلمي	417
جار الله، محمود بن عمر الزمخشري،أبو القاسم	63
جالينوس	404
جعفر بن حرب المعتزلي	377
جعفر بن مبشر المعتزلي	377
جعفر بن محمّد الصّادق	125،227
جمال الدين عبد الله بن يوسف، المعروف بابن هشام النحوي، أبو محمّد	89
جمال الدين عبد الرحمان بن عليّ بن الجوزي، أبو الفرج	83،85
جمال الدين عثمان بن عمر، المعروف بابن الحاجب المالكي، أبو عمرو	69
جمال الدين محمّد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله	90
جندب بن جنادة، أبو ذرّ الغفاري	292
حذيفة بن أسيد، الغفاري، أبو سريحة	410

الـــعـــــــــــــــــــــلم	صفـحة
حسن بن عليّ بن عبد الملك بن القطّان الرهوني	66
حسين بن الحسن الحليمي الشافعي، أبو عبد الله	86
حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، أبو القاسم	234
حسين بن مسعود الفرّاء البغوي الشافعي	76
حفصة بنت عمر بن الخطّاب	444
محمد بن عبد الوهّاب البصري، الجبّائي	173
حمد بن محمّد بن إبراهيم بن خطّاب البستي الخطّابي، أبو سليمان	77،225
حمزة بن حبيب الزّيات القارئ، أبو عمارة، الكوفي، التّيميُّ	204
حمّاد بن زيد بن درهم الأزدي، الجهضميّ البصري، أبو إسماعيل	351
حمّاد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة	351
خلف بن عبد الملك بن بشكوال، أبو القاسم	84
ربيعة بن أبي عبد الرحمان، التّيْمِي، أبو عثمان المدني، (ربيعة الرأي)	185
رفاعة بن يعمر السعدي، أبو خزامة	113
زهير بن محمّد التميمي، أبو المنذر الخراساني	227

زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي	439
زيد بن خالد الجهني	168
زينب بنت جحش	418
سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية	251
سعد الله، أبو القاسم	20
سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري	101
سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري النحوي البصري، أبو زيد	90
سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي	110
سعيد بن محمد بن الحدّاد، أبو عثمان	259
سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، أبو عبد الله	106
سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي	106
سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني	78
سليمان بن أشعث السجستاني، أبو داود	72
سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني، أبو الربيع	36

الـــعـــــــــــــــــــلم	صفـحة
سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الأندلسي، أبو الوليد	79
سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الطيالسي	76
سمرة بن جندب بن هلال الفزاري	105
سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العبّاس	424
شبيب بن إبراهيم	80
شعيب بن الحسن المغربي المالكي، أبو مدين	80
شمس الدين محمّد بن محمّد بن عليّ بن جعفر العجلوني البلالي	84
شمش الدين محمّد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي	79
صدّي بن عجلان، أبو أمامة الباهلي	223
طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي، أبو محمد المدني	267
طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد	458
عائشة بنت أبي بكر الصدّيق	99
عامر بن عبد الله بن الجرّاح، أبو عبيدة	114
عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد	167
عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي	40
عبد الجبّار بن أحمد الهمداني، الشهير بالقاضي عبد الجبّار	459
عبد الحقّ بن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي، الشهير بابن عطية، أبو محمّد	64
عبد الحقّ بن عبد الرحمان الإشبيلي، أبو محمّد	86
عبد الحليم بن سمّاية بن عليّ بن عبد الرحمان بن حسن خوجة الحنفي	59
عبد الحيّ بن شمس الآفاق عبد الكبير بن أبي المفاخر محمّد الحسني الإدريسي الكتّاني	53

عبد الرحمان الخراساني، أبو مسلم	362
عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الشيرازي الشافعي، عضد الدين الإيجي	299
عبد الرحمان بن القاسم المالكي، أبو عبد الله	70
عبد الرحمان بن القاسم بن خالد بن جُنَادة العُتَقِي	256
عبد الرحمان بن صخر الدوسي، أبو هريرة	102
عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد السهيلي، أبو القاسم	67
عبد الرحمان بن عبد الله بن الحارث الهمداني أبو الصبح، (الأعشى)	201
عبد الرحمان بن عليّ، المعروف بابن الجوزي، أبو الفرج	83

الـــعـــــــــــــــــــــلم	صفـحة
عبد الرحمان بن كيسان، أبو بكر الأصمّ المعتزلي	377
عبد الرحمان بن محمّد الأنباري، أبو البركات	91
عبد الرحمان بن يوسف بن الحسن اللجائي، الشهير بابن زنيف الفقيه، أبو القاسم	70
عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، أبو زيد	37
عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الغبريني البجائي	41
عبد السلام بن محمّد بن عبد الوهّاب البصري الجبّائي، أبو هاشم	173
عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي، الشهير بابن بزيزة، أبو محمّد	73
عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي، أبو القاسم	37
عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي البغدادي الشافعي، أبو منصور	187
عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي، أبو القاسم	79
عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو القاسم البلخي	453
عبد الله بن المبارك الحنضلي المروزي	80
عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأندلسي، أبو محمّد	71
عبد الله بن عمر بن الخطّاب العَدَوي، أبو عبد الرحمان	191
عبد الله بن عمرو بن العاص	427
عبد الله بن قيس بن سليم بن حضّار الأشعري، أبو موسى	266
عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة العبسي، أبو بكر	77
عبد الله بن محمّد بن عبيد القرشي الشافعي، أبو بكر، المعروف بابن أبي الدنيا	81
عبد الله بن مسعود بن علي القريشي التونسي، أبو محمد	37
عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمان	191
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي، أبو محمد	138
عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري، أبو محمد	290
عبد الله بن يحي بن علي بن هلال أبو سعيد الأزجي الدباس،المعروف بابن	91

الأعرابي	
عبد الله محمّد بن عبد الله، المعروف بالحاكم النيسابوري	76
عبد الملك أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو منصور	63
عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي، أبو مروان	70
عبد الملك بن عبد الله الجويني، أبوالمعالي (إمام الحرمين)	85
عبد الملك بن محمّد الحِمْيَرِي البَرْسَمِيُّ	227

الـــعـــــــــــــــــــــــام	صفـحة
عبد الملك بن محمّد بن أبي القاسم التوزري، المعروف بابن الكردبوس،أبو مروان	66
عبد الملك بن هشام الحميري، أبو محمّد	67
عبد الواحد بن محمّد بن علي بن أحمد الأنصاري الشيرازي، المعروف بالمقدسي	142
عبد بن حميد الكشي، أبو محمّد	76
عبدالله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف	190
عتبة بن ربيعة القرشي	275
عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، أبو بكر الصديق	250
عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي، أبو سعيد	198
عروة بن مسعود معتب بن عامر بن مالك	414
عريب بن سعيد القرطبي، الأندلسي	90
عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي	69،80
عكاشة بن محصن الأسدي	433
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم	361
علي بن أحمد الشريف بن مالك الجزائري	50
علي بن أحمد بن حزم الظاهري، أبو محمد	30،106
علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي، أبو القاسم	386
علي بن عباد التستري البكري الفاسي المغربي	42
علي بن عثمان المانجلاتي البجائي الزواوي، أبو الحسن	37
علي بن علي بن محمد بن أبي العزّ الدمشقي	157
علي بن محمد اليليلتي، أبو الحسن	37
علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني	138
علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن هيدور	37
عليّ بن أحمد الواحدي،أبو الحسن	64
عليّ بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني، أبو الحسن	75
عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي، أبو الحسن	68
عليّ بن حمزة الكسائي، أبو الحسين	204
عليّ بن خلف، الشهير بابن بطّال المغربي المالكي، أبو الحسن	74

عليّ بن عبد الرحمان بن تميم اليفرني، الشهير بالطنجي	90

الـــعـــــــــــــــــــــلم	صفـحة
عليّ بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور، أبو الحسن البغوي	76
عليّ بن عبد الله الأردبيلي التبريزي	91
عليّ بن عبد الله المغربي الشاذلي المالكي، أبو الحسن	81
عليّ بن عمر، الشهير بالحافظ البغدادي، أبو الحسن الدارقطني	73
عليّ بن محمّد التالوتي الأنصاري، أبو الحسن	41
عليّ بن محمّد الزرويلي المالكي، أبو الحسن الصغير	68
عليّ بن محمّد بن حبيب البصري الشافعي، أبو الحسين	62
عليّ بن محمّد بن خلف المعافري القروي القابسي، أبو الحسن	78،440
عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح العدويّ القرشيّ	114
عمرو بن عثمان، الملقّب بسيبويه، البصري، الحارثي، أبو بشر	89
عمرو بن يحي بن محبوب البصري المعتزلي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ	274
عياض بن حمار المجاشعي	139
عياض بن موسى اليحصبي، المالكي، أبو الفضل	67
عيسى اليليلتي، أبو مهدي	38
عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي، أبو مهدي	38
عيسى بن سلامة البسكري	41
عيسى بن محمد بن أحمد بن عامر بن عياد الثعالبي، أبو مهدي	32
غالب القطان، أبو سلمة بن أبي غيلان	224
غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان	327
فخر الدين محمّد بن عمر الرّازي	64
قتادة بن دعامة بن قتادة السّدوسي البصري، أبو الخطّاب	110
قدّور بن محي الدين الجزائري	59
قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أبو عليّ	251
كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار	443
كمال الدين أحمد بن عليّ القسطلاني المصري، أبو العبّاس	78
كمال الدين عليّ بن مسعود الفرغاني، أبو سعد	91
مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني	77
مالك بن دينار بن الجنيد البصري، أبو يحي	290

الـــعـــــــــــــــــــــلم	صفـحة
مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكّي	109
محسن بن عليّ التنّوخي، أبو عليّ	84
محمد الشريف المعسكري	30
محمد بن أبي بكر بن أيوب الدرعي الدمشقي، شمس الدين بن القيم الجوزية	326

محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن محمد بن حسن البساطي، شمس الدين، أبو عبد الله	38
محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق البلالي،أبو عبد الله، الحفيد	38
محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي، أبو راس الجزائري	29
محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني الأبّي، أبو عبد الله	39
محمد بن سلامة بن جعفر بن عليّ القضاعي، الشافعي	49
محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري الانصاري، أبو بكر	126
محمد بن عبد الرحمان بن محمد السخاوي	53
محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، أبو عبد الله	41
محمد بن عبد الله القلشاني الباجي التونسي، أبو عبد الله	39
محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق التلمساني، أبو عبد الله، الكفيف	42
محمد بن مصطفى بن محمد بن باكيرخوجة	59
محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي	42
محمّد المازوني، أبو عبد الله	58
محمّد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي أبو الوليد	68
محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي	68
محمّد بن أحمد بن محمّد السمناني الحنفي	142
محمّد بن إبراهيم بن عبّاد النّفري الرندي الشاذلي	84
محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي	351
محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، أبو عبد الله	74
محمّد بن الحسن، المعروف بالنّقّاش الموصلي، أبو بكر	63،117
محمّد بن الحسين الآجري، أبو بكر	70
محمّد بن الحسين بن محمّد بن موسى السّلمي النيسابوري الصوفي، أبو عبد الرحمان	83
محمّد بن الطيّب الباقلاّني، أبو بكر	95
محمّد بن الوليد القرشي الفهري الطرطوشي، أبو بكر	83

الـعـــــــــــــــــــــام	صفحة
محمّد بن جرير الطبري، أبو جعفر	62
محمّد بن حبّان البستي، أبو حاتم	74،259
محمّد بن حسن بن عبد الله القرشي الزبيدي القرطبي، أبو عبد الله، أبو بكر	89
محمّد بن طاهر بن عليّ المقدسي، أبو الفضل	83
محمّد بن عبد الجليل التنسي، أبو عبد الله	28
محمّد بن عبد الرحمان الحوضي	28
محمّد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي	84
محمّد بن عبد الله بن زيد اللخمي، النحوي، أبو عبد الله	64

محمّد بن عبد الله بن سعيد بن عليّ بن أحمد السلماني الغرناطي القرطبي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين بن الخطيب	454
محمّد بن عبد الله بن مسرّة القرطبي، أبو عبد الله	85
محمّد بن عبد الله، المعروف بابن العربي	61
محمّد بن عليّ المازري،المالكي، أبو عبد الله	77
محمّد بن عليّ بن حسن بن بشير، المعروف بالحكيم الترمذي	72
محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهريزد الأصبهاني، أبو مسلم	453
محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني	06
محمّد بن عليّ بن نصر الغسّاني المالقي، المعروف بابن عسكر	89
محمّد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي، المعروف بابن القوطية النحوي، أبو بكر،	87
محمّد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى	73
محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي، أبو بكر	63
محمّد بن محمّد بن أحمد الأنصاري الساحلي المالقي، أبو عبد الله	81
محمّد بن محمّد بن العبدري الفاسي، الشهير بابن الحاج، أبو عبد الله	69
محمّد بن محمّد بن عمر بن عليّ بن سالم مخلوف	54
محمّد بن محمّد، المعروف بابن عرفة الورغمي التونسي	69
محمّد بن هذيل بن عبيد الله البصري، أبو الهذيل الشهير بالعلاّف	173
محمّد بن يزيد بن ماجة القزويني، أبي عبد الله	73
محمّد بن يوسف أثير الدين الغرناطي التوحيدي، أبو حيّان	65
مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري الشافعي، أبو الحسين	74

الـــعـــــــــــــــــــــلم	صفـحة
معبد بن خالد الجهني القدري	327
معمر بن المثنى التيمي، أبو عبيدة	88،259
مكّي بن طالب القيسي، أبو محمّد	64
منذر بن سعيد، أبو الحكم الأندلسي	453
موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن الهاشمي	361
ميمون بن مهران الجَزَرِي، أبو أيوب	205
نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم النوفلي، أبو محمّد وأبو عبد الله، المدني	260
هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي، أبو القاسم	185
هبة الله بن سلامة بن نصر بن عليّ النحوي البغدادي، أبو القاسم	64
هشام بن عبد الله بن هشام،الأزدي المالكي القرطبي، أبو الوليد	66
هشام بن عبد الملك، أبو الوليد، (الخليفة الأموي)	327
هند بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، أم سلمة	185
يحي بن زياد الفرّاء، أبو زكريا	65،205

يحي بن شرف بن مري بن حسن النّووي الدمشقي الشافعي، محي الدين، أبو زكريا	72
يحي بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن خلدون الحضري المغربي، أبو زكريا	22
يحي بن معين بن عون الغطفاني البغدادي، أبو زكريا	106
يحي بن نجاح بن الفلاس الأموي القرطبي، أبو الحسين	82
يعقوب بن أبي القاسم الزغبي التونسي، أبو يوسف	39
يعمر السعدي بن الحارث بن سعد بن هذيم	114
يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري القرطبي، أبو عمرو	71
يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي، الشهير بابن الزيّات، أبو يعقوب	81

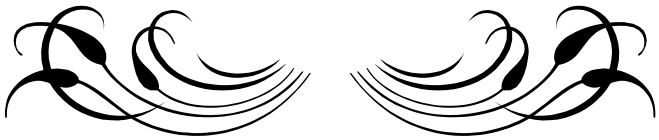

خامسا : فهرس المصادر والمراجع

- آداب اللغة العربية لجورجي زيدان
- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة : محمّد عبد الحيّ اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، تعليق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية 1384هـ-1964م.
- أحكام القرآن : ابن العربي المالكي، تحقيق : عليّ محمّد البجاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان (د-ت-ط).
- أخبار مكة : محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله(تـ275هـ)، تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر-بيروت ط(2) 1414هـ.
- أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (تـ538هـ)، تحقيق : عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت-لبنان (د-ت-ط).
- الأسماء والصفات : البيهقي(تـ458هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت (د-ت-ط).
- أصول الدين : عبد القاهر البغدادي (تـ428هـ)، دار الآفاق الجديدة-بيروت ط(1) 1401هـ.
- أصول السرخسي : أبي بكر محمّد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (تـ490هـ)، حقّق أصوله : أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة بيروت-لبنان (د-ت-ط).
- أصول الفقه الإسلامي : د.وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر-بيروت لبنان، دار الفكر-دمشق سورية، إصدار 1416هـ-1996م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمّد الأمين الشنقيطي، طبعة دار الإفتاء-الرياض 1383هـ.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين-بيروت لبنان ط(7) : 1986م.
- الإبانة عن أصول الديانة : أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري، (تـ324هـ)، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : بشير محمّد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق-سوريا، ط(3): 1416 هـ-1996م.
- إبن القيّم وآراؤه الكلامية : محمّد عبد الرحيم الزيني قاسم، رسالة ماجستير، تحت إشراف : د. محمد عاطف العراقي، كلّية الآداب-جامعة القاهرة-قسم الفلسفة) :1400 هـ-1980م.
- الإتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطي، (تـ911هـ)، وبهامشه : إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الثقافية، بيروت-لبنان 1973م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : أبي حاتم محمّد بن حبان البستي، ترتيب: الأمير علاء الدين عليّ بن بلبان الفارسي، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة ط(1) 1408هـ-1988م -أو ط(2) 1414هـ-1993م.
- الإحكام في أصول الأحكام : سيف الدين عليّ بن أبي عليّ بن محمّد الآمدي، أبو الحسين، تحقيق : سيد الجميلي، دار الكتاب العربي-بيروت ط(1) 1404هـ.

- إحياء علوم الدين : أبي حامد الغزالي، (تـ505هـ)؛ وبذيله : كتاب المغني عم حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (تـ806هـ)، دار المعرفة، بيروت-لبنان 1402 هـ-1982م.
- الإذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار : شرف الدين النووي، دار إحياء التراث العربي-بيروت ط(4) 1375هـ-1955م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الإعتقاد : عبد الملك الجويني، (تـ478هـ)، علّق عليه وخرّج آياته وأحاديثه : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط(1) 1416هـ-1995م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول : الشوكاني، دار المعرفة-بيرةت (د-ت-ط).
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البرّ (تـ463هـ)، تحقيق : عليّ محمّد البجاوي، دار الجيل-بيروت ط(1) 1412هـ.
- الإسلام يتحدّى : وحيد الدين خان، ترجمه إلى العربية : ظفر الإسلام خان، مراجعة : د. عبد الصبور شاهين، الطبعة السادسة، المختار الإسلامي 1976م-القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني، تحقيق : عليّ محمّد البجاوي، دار الجيل-بيروت ط(1) 1412هـ-1992م.
- إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث : ابن قيتيبة، تحقيق : عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي ط(1) 1403هـ-1983م.
- الإعتقاد على مذاهب السلف أهل السنة والجماعة : البيهقي (تـ458هـ)، ضبطه ورتّب أبوابه وصحّحه : جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1404-1984م.
- إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين : ابن القيم الجوزية، مراجعة : طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل-بيروت 1973م.
- الإقتصاد في الإعتقاد : أبو حامد الغزالي (تـ505هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ-1983م.
- الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد : جمال الدين بوقلي حسن، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر 1985م.
- الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها : عبد الرحمان آدم، مكتبة الرشد - الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع ط(1) 1418هـ-1998م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : إسماعيا باشا البغداداي، تصحيح : محمّد شرف الدين بالتقابا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية -بيروت لبنان.
- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : محمّد بن طالب القيسي، تحقيق : أحمد حسن فرحات، مطابع جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية-الرياض ط(1) 1396هـ-1976م.
- الإيمان : أبو عبيد القاسم بن سلّام (تـ224هـ)، تحقيق : الألباني، دار الأرقم ط(2) 1405هـ.

- الإيمان : ابن تيمية (تـ728هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ-1983م.
- ابن باديس حياته وآثاره : د. عمّار طالبي، الجزائر 1388هـ-1960م.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : فخر الدين الرازي (تـ606هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت (د-ت-ط).
- بدائع الفوائد : ابن القيّم (تـ751هـ)، تصحيح : محمود غانم غيث، مكتبة القاهرة ط(2) 1392هـ.
- البداية والنهاية : ابن كثير، تحقيق : د.أحمد أبو ملحم، د.عليّ نجيب عطوري، د.فؤاد السيد، أ.مهدي ناصر الدين، أ.عليّ عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط(4) 1408هـ-1988م.
- البدر الطالع : الشوكاني (تـ1250هـ)، دار المعرفة-بيروت ط(1) 1348هـ.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان : ابن أبي مريم، تحقيق : محمّد بن أبي شنب، الجزائر 1326هـ-1908م.
- بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون، تقديم وتحقيق وتعليق : د. عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية-الجزائر 1400هـ-1980م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي، دار المعرفة-بيروت (د-ت-ط).
- البيان والتحصيل والشرح والتعليل في مسائل المستخرجة : أبي الوليد بن رشد القرطبي (تـ520هـ)، وضمنه (المستخرجة من الأسمعة) المعروفة بالعتبية لمحمّد العتبي القرطبي، (تـ255هـ)، تحقيق : أ. محمّد العرايشي وأ. أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي ط(1) 1406هـ-1986م. ط(2) 1408هـ-1988م.
- تأويل مختلف الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمّد الدينوري (تـ276هـ)، تحقيق : محمّد زهري النجار، دار الجيل-بيروت 1393هـ-1972م.
- تأويل مشكل القرآن : عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمّد، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية-مصر (د-ت-ط).
- تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري (تـ393هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار ط(2) 1402هـ.
- التاج المكلّل من مآثر الطراز الآخر والأوّل : صدّيق حسن القنّوجي الحسيني البخاري، أبو الطيّب (تـ1307هـ)، تصحيح وتعليق : عبد الحكيم شرف الدين، دار إقرأ-بيروت ط(2) 1404هـ-1983م.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : شمس الدين الذهبي(748هـ)، تحقيق : د.عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط(1) 1414هـ-1994م.
- تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري : د.سعد الله أبو القاسم، المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر، ط(2) 1985م.
- تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالى دار الثقافة، بيروت -لبنان، ط(6) 1403-1983م.
- تاريخ الطبري : محمّد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية -بيروت ط(1) 1407هـ.
- التاريخ الكبير : محمّد بن إسماعيل البخاري (تـ256هـ)، تحقيق : السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

- تاريخ بغداد : أحمد بن عليّ، أبو بكر الخطيب البغدادي (تـ463هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت (د-ت-ط).
- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان) : محمّد بن عبد الله التنسي، تحقيق وتعليق : محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، والمكتبة الوطنية الجزائرية 1405هـ-1985م.
- التحصيل من المحصول : محمّد بن أبي بكر الأرموي، دراسة وتحقيق :د.عبد الرحمان عليّ أبو زيد، مؤسسة الرسالة-بيروت 1308هـ-1988م.
- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية : محمد بن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق : د.محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر ط(2) 1981م.
- تذكرة الحفّاظ : شمس الدين الذهبي (تـ748هـ)، تصحيح : عبد الرحمان المعلمي، دار إحياء التراث العربي-بيروت ط(4) 1377هـ-1958م.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : القرطبي، تحقيق وتعليق : يوسف عليّ بديوي، دار ابن كثير-دمشق، لبنان، ط(1) 1419هـ-1999م.
- تعريف الخلف برجال السلف : محمّد بن أبي القاسم الدّيسي بن إبراهيم الغول الحفناوي، أبو القاسم، المكتبة العتيقة، ط(2) 1405هـ-1985م.
- التعريفات : عليّ بن محمّد الجرجاني (تـ816هـ)، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت ط(1) 1405هـ.
- تفسير ابن كثير : عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (تـ774هـ)، طبعة جديدة ومدقّقة بإشراف لجنة من العلماء في دار الكتب المصرية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان- (د-ت-ط).
- تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل في التفسير والتأويل : أبو الحسين البغوي (تـ516هـ)، تحقيق : خالد عبد الرحمان العكّ ومروان سوار، ط(2) 1407هـ-1987م، دار المعرفة-بيروت.
- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) : محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، منشورات محمد عليّ بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان ط(2) 1418هـ-1997م.
- تفسير القرطبي المسمّى (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي، دار إحياء التراث العربي-بيروت (د-ت-ط).
- التفسير القيّم : ابن القيم الجوزية (تـ751هـ)، حقّقه : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان 1398هـ-1978م.
- التفسير الكبير المسمّى مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي (تـ606هـ) الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي (د.ت.ط).
- تفسير بن كثير (تفسير القرآن العظيم) : للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (تـ774هـ)، طبعة جديدة مدققة على جميع النسخ الخطية في دار الكتب المصرية، أشرف على طبعها وتصحيحها : لجنة من العلماء ، دار الأندلسللطباعة والنشر والتوزيع (د.ت.ط).

- التفسير والمفسرون : د.محمّد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ط(2) 1396هـ-1976م.
- تقريب التهذيب : شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني الشافعي، (تـ773هـ)، اعتنى به : عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط(1): 1416 هـ-1996م.
- تقريب الوصول إلى علم الأصول : محمّد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي، أبو القاسم (تـ741هـ)، دراسة وتحقيق : د. محمّد عليّ فركوس، دار التراث الإسلامي-الجزائر ط(1) 1410هـ-1990م.
- التكملة لكتاب الصلة : محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، أبو عبد الله، تحقيق : د.عبد السلام الهرّاس، دار الفكر-بيروت 1995م.
- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل : القاضي أبي بكر محمّد بن الطيّب الباقلاّني، (تـ403هـ)، تحقيق : عماد الدين أحمدحيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط(3) : 1414هـ-1993م.
- التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والمسانيد : ابن عبد البرّ (تـ463هـ) تحقيق : جماعة من العلماء، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية
- تنزيه القرآن عن المطاعن : القاضي عبد الجبّار بن أحمد، دار النهضة الحديثة-بيروت (د.ت.ط).
- تهافت التهافت : أبو الوليد محمد بن رشد، تحقيق : د. سليمان دنيا، مطابع دار المعارف-مصر ط(2) 1969م.
- تهافت الفلاسفة : أبو حامد الغزالي، تحقيق : د. سليمان دنيا، دار المعارف-مصر ط(4) 1385هـ-1966م.
- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت ط(1) 1404هـ-1984م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال :يوسف بن الزكي عبد الرحمان، أبو الحجاج المزّي (تـ742هـ)، تحقيق : بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ-1983م.
- التوقيف على التعاريف : عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر-بيروت دمشق 1410هـ.
- الثقات : محمّد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي(تـ 354هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان ط(1) 1408هـ-1988م.
- الجامع (ملحق بشرح ابن الحاجب الفرعي) : عبد الرحمان الثعالبي، مخطوط بـ(م.و.ج) برقم (581).
- جامع الأمّهات في أحكام العبادات : عبد الرحمان الثعالبي، مخطوط بـ(م.و.ج) برقم (583).
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس : محمد بن أبي نصر الحميدي، أبو عبد الله(تـ488هـ)، تحقيق وتقديم ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني ط(2) 1403هـ-1981م.
- الجرح والتعديل لعبد الرحمان بن محمّد بن أبي حاتم. دار إحياء التراث العربي-بيروت 1982م.

- الجزائر في مرآة التاريخ لعبد الله شريط، ومحمد الميلي -مكتبة البعث قسنطينة ط(1) -1965م.
- جليس الزائر وأنيس السائر : محمّد بن سعيد قدّورة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية برقم (2600).
- جمع الفوائد جامع الفوائد ومجمع الفوائد : محمّد بن سليمان المغربي (تـ1094هـ)، تحقيق وتخريج : سليمان بن دريع، أبو عليّ، مكتبة ابن كثير، دار ابن حزم ط(1) 1418هـ-1998م.
- جمهرة أنساب العرب : عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، أبو عليّ (تـ456هـ)، راجع النسخة وضبط أعلامها :لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ-1983م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن : عبد الرحمان الثعالبي، تحقيق : الدكتور عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر 1985م.
- جوهرة التوحيد : الشيخ إبراهيم اللقاني (تـ1041هـ)، مع حاشيتها (تحفة المريد) : شرح الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري (تـ1277هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : ابن القيّم الجوزية، دار الكتب العلمية -بيروت لبنان، ط(1) 1403 هـ-1983م.
- حاشية التفتازاني ، تصحيح : شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية-مصر 1394هـ-1974م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي-مصر ط(1) 1387هـ-1967م.
- الحلل السندسية في الأخبار التنوسية : محمّد بن محمّد الأندلسي، الوزير السراج (تـ1149هـ)، تقديم وتحقيق : محمّد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي 1984م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم الأصبهاني، (تـ430هـ)، الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط(3) : 1400 هـ-1980م.
- دائرة المعارف (قاموس عام لكلّ فنّ ومطلب) : المعلّم بطرس البستاني، مطبعة المعارف-بيروت 1982م.
- دائرة المعارف الإسلامية : نقلها إلى العربية : محمّد ثابث الفندي، إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس. (د-ت-ط).
- درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية تحقيق : د.رشاد محمد سالم مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1402هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ابن حجر العسقلاني (تـ853هـ)، تحقيق : محمّد جاد الحقّ، دار الكتب الحديثة-مصر ط(2) 1385هـ.
- دلائل النبوة : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : عبد الرحمان محمد عثمان، المكتبة السلفية-المدينة المنورة، دار النصر للطباعة ط(1) 1389هـ-1969م.
- الديباج المذهّب في أعيان علماء المذهب : ابراهيم بن عليّ بن فرحون، تحقيق : د. محمّد الأحمدي أبو النور، مطبعة النصر للطباعة (د.ت.ط).

- ذمّ التأويل : ابن قدامة المقدسي (تـ620هـ)، تحقيق : بدر البدر، الدار السلفية-الكويت 1406هـ
- رحلة ابن حمادوش، المسمّاة (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال) : عبد الرزّاق بن حمادوش الجزائري، تقديم وتحقيق وتعليق : د. سعد الله أبو القاسم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية-وحدة الطبع المتعددة، ورشة زبانة- الجزائر 1983م.
- الردّ على المنطقيين : ابن تيمية، مطبعة المعارف-لاهور الهند ط(2) 1396هـ.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنّة والآثار وأقوال العلماء : ابن القيّم الجوزية، (تـ751هـ)، حقّقه وقدّم له وعلّق حواشيه : محمّد اسكندر يلدا، دار الكتب العلمية -بيروت لبنان، ط(1) 1402هـ-1982م.
- رياض الصالحين وتحفة المتقين : عبد الرحمان الثعالبي-مخطوط بـ (م.و.ج) برقم (883).
- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي (تـ597هـ)، المكتب الإسلامي-بيروت ط(4) 1407هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : محمّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-الرياض ط(1) 1412هـ-1991م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيّيء في الأمّة : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت ط(5) 1405هـ-1985م.
- سنن أبي داود : للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني(275هـ)، راجعه وضبط أحاديثه : محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث العربي (د.ت.ط).
- سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة (تـ : 275هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي 1395هـ-1975م.
- سنن البيهقي الكبرى : أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى، أبو بكر البيهقي (458هـ)، تحقيق : عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز-مكة المكرمة 1414هـ-1994م.
- سنن الترمذي : محمّد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي السلمي (تـ279هـ)، تحقيق : أحمد محمّد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- سنن الدارقطني : عليّ بن عمر، أبو الحسن الدارقطني البغدادي (تـ385هـ)، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة-بيروت 1386هـ-1966م.
- سنن الدارمي : الدارمي، حقّقه وخرّج أحاديثه وفهرسه : فؤاد أحمد زمرلي وخالد السّبع العلمي -دار الكتاب العربي -بيروت لبنان (ط1) 1417 هـ-1997م.
- السنن الكبرى : أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمان النسائيّ (تـ303هـ)، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيّد كسوري حسن، دار الكتاب العلمية-بيروت ط(1) 1411هـ-1991م.
- سنن النسائيّ : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمان النسائي تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية -حلب 1406 هـ-1986م.
- السيد صدّيق حسن القنّوجي :آراؤه الإعتقادية وموقفه من عقيدة السلف للدكتور أختر جمال لقمان، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(1): 1417 هـ-1996م.

- سير أعلام النبلاء : الذهبي ، أشرف على تحقيق وتخريج الأحاديث : شعيب الأرناؤوط، ولكلّ جزء محقّق خاص، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الرابعة 1406هـ-1983م.أو الطبعة التاسعة 1413هـ.
- الشامل في أصول الدين : إمام الحرمين الجويني، تحقيق : عليّ سامي النشّار وآخرين، منشأة المعارف-الإسكندرية 1969م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمّد بن محمّد مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت.ط).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد، دار التراث العربي-بيروت(طبعة جديدة).
- شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم : أبي قاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (تـ 418 هـ)، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع 1402هـ.
- شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، تحقيق : عبد الكريم عثمان، مطبعة الإستقلال-القاهرة ط(1) 1384هـ.
- شرح السنة : أبو محمد الحسين البغوي الفراء البغوي 35/5 تحقيق : شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي بيروت 1391هـ.
- شرح العقائد النسفية : التفتازاني (تـ793هـ)، تحقيق : أحمد حجازي السقا، مكتبة الكلّيات الأزهرية-القاهرة ط(1) 1407هـ-1987م.
- شرح العقيدة الطحاوية : عليّ بن عليّ بن محمّد بن أبي العزّ الدمشقي، (تـ792هـ)، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وقدّم له :الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- ط(8) : 1416 هـ-1995م.
- شرح العقيدة الواسطية : ابن تيمية (تـ728هـ)، شرح محمّد خليل هرّاس، الجامعة الإسلامية ط(8)، وشرح : د. صالح فوزان الفوزان، مكتبة المعارف-الرياض ط(4) 1407هـ.
- شرح المقاصد : التفتازاني (تـ793هـ)، تحقيق : عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب ط(1) 1409هـ.
- شرح المواقف : عليّ بن محمد الجرجاني، مطبعة السعادة، ط(1) 1315هـ.وكذلك تحقيق : د.أحمد المهدي.
- شرح النووي على صحيح مسلم : يحي بن شرف بن مري النووي، أبو زكريا،، دار التراث العربي-بيروت ط(2) 1392م.
- شرح تنقيح الفصول : القرافي، راجعه : طه عبد الرؤوف سعد، مكتب الكلّيات الأزهرية-القاهرة مصر (د.ت.ط).
- الشريعة : الآجري (تـ360هـ)، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ط(1) 1403هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ابن القيّم الجوزية، دار المعرفة، بيروت-لبنان-(د-ت-ط).

- صحيح البخاري : محمّد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي (تـ256هـ)، تحقيق : مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-اليمامة، بيروت ط(3) 1407هـ-1987م.أو تحقيق : محمّد فؤاد عبد الباقي.دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته : الألباني، المكتب الإسلامي ط(3) 1408هـ-1968م.
- صحيح سنن أبي داود : الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج-الرياض، اختصر أسانيده وعلّق عليه وفهرسه : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ط(1) 1409هـ-1989م.
- صحيح سنن ابن ماجه : محمّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمان الراشد-الرياض ط(1) 1417هـ-1997م.
- صحيح سنن النسائي : محمّد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه فهرسته : زهير الشاويش. ط(1) 1409هـ-1988م.
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري (تـ261هـ)، تحقيق : محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر 1403هـ.
- صفحات من مدينة تاريخ مدينة الجزائر : نور الدين عبد القادر (د-ت-ط).
- صفوة الصفوة : عبد الرحمان بن عليّ بن محمّد، أبو الفرج (تـ597م)، تحقيق : محمود فاخوري، د.محمّد رواس قلعجي، دار المعرفة-بيروت ط(2) 1399هـ-1979م.
- ضعيف سنن الترمذي : الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت ط(1) 1411هـ-1991م، أشرف على استخراجه وطباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين محمّد بن عبد الرحمان السخاوي (تـ902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت-لبنان.
- طبقات الحفاظ : جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، أبو الفضل (تـ911هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى :تاج الدين السبكي، تحقيق : محمود محمّد الطناحي، عبد الفتاح محمّد الحلو، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.
- طبقات الفقهاء : إبراهيم بن عليّ بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق (تـ476هـ)، تحقيق : خليل الميس، دار القلم-بيروت.
- الطبقات الكبرى : محمّد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله البصري الزهري (تـ230هـ)، دار صادر-بروت (د-ت-ط).
- طبقات المحدثين : شمس الدين الذهبي، تحقيق : د.همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان -عمان الأردن ط(1) 1404هـ.
- طبقات المفسرين : أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة ط(1) 1997م.
- طبقات المفسّرين : جلال الدين السيوطي، تحقيق : عليّ محمد عمر، الناشر مكتبة وهبة-القاهرة ، مطبعة الحضارة العربية-الفجالة، ط(1) 1396هـ-1976م.

- عالم الملائكة الأبرار : د. عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب-البليدة، طبع : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية -الجزائر 1989م.
- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار : أحمد أبو راس الجزائري، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية برقم (1220).
- عصمة الأنبياء : فخر الدين الرازي، تصحيح وتنقيح : جماعة من العلماء، دارالكتب العلمية -بيروت ط(1) 1401 هـ.
- عقائد السلف : للأمّام أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي.اعتناء: د. عليّ سامي النشار، عمار جمعي الطالبي، مكتبة الآثار السلفية، منشأة المعارف بالإسكندرية- جلال حزي وشركاه 1971م.
- العقيدة النظامية : إمام الحرمين الجويني (تـ478هـ)، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ط(1) 1398هـ-1978م.
- العلم والبحث العلمي : دراسة في مناهج العلوم : حسين عبد الحميد رشوان، المكتب الجامعي-الإسكندرية (د-ت-ط).
- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة : عبد الرحمان الثعالبي، المطبعة الحميدية المصرية 1317هـ .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء : موفّق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (تـ668هـ)، تحقيق : نزّار رضا، دار مكتبة الحياة-بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، (تـ852هـ)، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً ، وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه ونبّه على أرقامها في كلّ حديث : محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه وأشرف على طبعه : محبّ الدين الخطيب، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان، (د-ت-ط).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن عليّ الشوكاني، دار الفكر-بيروت ط(3) 1393هـ-1973م.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث : شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ-1983م.
- الفردوس : الديلمي، تحقيق وتقديم وتخريج : أحمد الزمرلي، ومحمّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي -بيروت ط(1) 1407هـ-1987م.
- الفرق بين الفرق : عبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي، (تـ429هـ)، تعليق : إبراهيم رمضان، دار المعرفة-بيروت-لبنان، ط(2) : 1417 هـ-1997م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل : ابن حزم الظاهري (تـ456هـ)، تحقيق : د. محمّد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمان عميرة، دار الجيل-بيروت 1405هـ.
- فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة : لثلاثة من أئمّة المعتزلة : أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، تحقيق : فؤاد سيّد، الدار التونسية 1393هـ-1974م.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلت : عبد الحيّ بن شمس الآفاق عبد الكبير بن أبي المفاخر محمّد الحسني الإدريسي الكتّاني الفاسي، المطبعة الجديدة بالطالعة عدد 11 1347م.
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح المغرب الأقصى، القسم الثاني 1921-1953 ؛ اعتنى بتأليفه : يـ.س.علواش، وعبد الله الرجراجي. مطبوعات إفريقية الشمالية الفنية-الرباط 1958م.
- فهرس مخطوطات خزانة القرويين.
- الفهرست : محمّد بن إسحاق بن النديم، أبو الفرج، دار المعرفة-بيروت 1398هـ-1978م.
- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : أبو حامد الغزالي، تحقيق : سليمان دنيا، طبعة عيسى البابي الحلبي-مصر 1381هـ.
- القاموس المحيط : مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر-بيروت-لبنان-(د-ت-ط).
- قبائل المغرب : د. عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية بالرباط-المغرب 1388هـ-1968م.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : محمّد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية-بيروت، دار إحياء السنة النبوية ط(1) 1399هـ-1979م.
- القواعد الصغرى : لعزّ الدين بن عبد السلام، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمد معوض، دار الجيل-بيروت ط(2) 1414هـ-1994م.
- القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط : مجهول المؤلف، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية برقم (3185).
- كبرى اليقينيات الكونية : د. محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر، تصوير 1405 هـ-1985م عن ط(8): 1982م.
- كتاب الإيمان : ابن تيمية تحقيق : د. محمد خليل هراس دار الطباعة المحمدية - القاهرة.
- كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته : أبو عبيد القاسم بن سلام تحقيق : الألباني، دار مصر للطباعة، نشر وتوزيع : دار الأرقم -الكويت.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّوجلّ : ابن خزيمة (تـ311هـ)، تحقيق : د. عبد العزيز الشهوان، دار الرشد-الرياض ط(1) 1408هـ.
- كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى-صلّى الله عليه وسلّم : القاضي عياض أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (تـ544هـ)، قدّم له وخرّج أحاديثه : كمال بسيوني زغلول المصري مؤسسة الكتب الثقافية-ط (2) : 1416هـ-1996م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : مصطفى بن عبد الله القسنطيني الرومي الحنفي، الشهير بالملا كاتب الحلبي، والمعروف بـ(حاجي خليفة)، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان 1413هـ-1992م.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (تـ538هـ)، ومعه: حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن عليّ السيد زين الدين أبي الحسن الحسيني الجرجاني؛ وكتاب(الإنصاف فيما

تضمّنه الكشّاف من الإعتزال) للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي؛ وبآخره (تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات لمحبّ الدين أفندي.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط(1) : 1397 هـ-1977م.

- الكلّيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : أبي البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي ، (تـ1094هـ)، قابله على نسخة خطيّة وأعدّه للطبع ووضع فهارسه د.عدنان درويش، و محمّد المصري، مؤسسة الرسالة ط(2) : 1413هـ-1993م.
- لسان العرب : ابن منظور الإفريقي (تـ711هـ) دار صادر-بيروت.
- لسان الميزان : أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني الشافعي، أبو الفضل (تـ852هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت 1406هـ-1986م ط(3)، تحقيق : دائرة المعرف النظامية-الهند.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : السفاريني (تـ1188هـ) طبعة المدني-القاهرة (د.ت.ط).
- لوامع البيّنات شرح أسماء الله تعالى والصفات : فخر الدين الرازي، راجعه وقدّم له وعلّق عليه : طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي ط(1) 1404هـ-1984م.
- مجلة الموفقات تصدر عن : المعهد الوطني العالي لأصول الدين- الخروبة، جامعة الجزائر عدد (2)، (3).
- مجلة معهد الدراسات الشرقية بكلية الآداب الجزائرية ج(7) سنة 1936م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : عليّ بن أبي بكر الهيثمي (تـ807هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت 1407هـ.
- مجموع الرسائل الكبرى : ابن تيمية، مطبعة عليّ صبيح-مصر 1386هـ-1966م.
- مجموع الفتاوى : لابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن قاسم-مطابع الرياض ط(1) 1381هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط(1) 1413هـ-1993م.
- المحصول من علم الأصول : فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط(1) 1408هـ-1988م.
- محصّل أفكار المتقدمين والمتأخّرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين : فخر الدين الرازي، وبذيله : تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي، تقديم : طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكلّيات الأزهرية-القاهرة (د-ت-ط).
- المحيط بالتكليف : أبو الحسن عبد الجبّار أحمد، تحقيق : عمر سيد عزمي، المؤسسة العامة للتأليف والنشر.
- مختار الصحاح : محمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه -مصر.
- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيّم (تـ751هـ)، اختصار : محمّد بن الموصلي، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1405هـ.
- مخطوطات المؤلفين لجزائريين بالمكتبة الوطنية الجزائرية-فهرس فانيان- دراسة تحليلية : عبد القادر أوقاسي، وهي رسالة نال بها درجة الماجستير، أشار فيها إلى أماكن وجود الكتب في الدول.

- مدارج السالكين بين إيّاك نعبد وإيّاك نستعين : ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1403هـ.
- مراتب الإجماع : أبي محمّد عليّ بن أحمد بن حزم، دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان-ط(2)-(د-ت-ط).
- المراسيل : أبو داود السجستاني، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت ط(1) 1408هـ.
- المستدرك على الصحيحين : محمّد بن عبد الله، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (تـ405هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1411هـ-1990م
- مسند : أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (تـ241هـ)، مؤسسة قرطبة-مصر (د-ت-ط).
- مسند البزّار : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزّار، أبو بكر (تـ292هـ)، تحقيق : محفوظ الرحمان زين الله، مؤسسة علوم القرآن-مكتبة العلوم والحكم-بيروت-المدينة ط(1) 1409هـ.
- مسند الحميدي : عبد الله بن الزبير، أبو بكر الحميدي (تـ219هـ)، تحقيق : حبيب الرحمان الأعظمي، دار الكتب العلمية-بيروت، مكتبة المتنبّي-القاهرة (د-ت-ط).
- مسند الطيالسي : سليمان بن داود، أبو داود الفارسي البصري الطيالسي (تـ204هـ)، دار المعرفة-بيروت (د-ت-ط).
- مشكاة المصابيح : التبريزي (تـ741هـ)، تحقيق : الألباني، المكتب الإسلامي ط(3) 1405هـ.
- مصنّف بن أبي شيبة : عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر (تـ235هـ)، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد -الرياض ط(1) 1409هـ.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى منتصف القرن العشرين : عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط(1) 1971م.
- المعجم الأوسط : سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني(تـ360هـ)، تحقيق : د.محمود الطحان، مكتبة المعارف-الرياض ط(1) : 1415هـ-1995م.
- معجم البلدان : ياقوت الحموي (تـ626هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر 1399هـ-1979م.
- معجم الصحابة : عبد الباقي بن قانع، أبو الحسين (تـ351)، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة ط(1) 1418هـ.
- المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (تـ360هـ)، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم-الموصل ط(2) 1404هـ-1983م.
- معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة، اعتنى به وجمعه وأخرجه : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط(1) : 1414هـ -1993م. أو دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة : جمعه ورتّبه : يوسف الياس سركيس، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ-1928م.

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : عمر رضا كحّالة، دار العلم للملايين-بيروت 1388هـ-1968م.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم : الراغب الأصفهاني، تحقيق : نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، طبع على مطبعة التقدم العربي 1392هـ-1972م.
- معرفة الثقات : أحمد بن عبد الله بن صالح، أبو الحسن العجلي (تـ261هـ)، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوري، مكتبة الدار-المدينة المنوّرة ط(1) 1985م.
- المعيار المعرب : أحمد بن يحي الونشريسي، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف د. محمّد حجّي، دار الغرب الإسلامي-بيروت 1401هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : أبي محمّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، (تـ761هـ)، تحقيق : محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية -صيدا-بيروت 1992م.
- المغني في أبواب العدل والتوحيد : القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق : د.عبد الحليم محمود وسليمان دنيا، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- المغني في الضعفاء : شمس الدين الذهبي، تحقيق : نور الدين عتر
- مفتاح دار السعادة : ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية-بيروت (د-ت-ط).
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين : الأشعري. تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت 1416هـ-1995م.
- المقتنى في سرد الكنى : شمس الدين الذهبي (تـ748هـ)، تحقيق : محمّد صالح عبد العزيز المراد، مطابع الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة 1408هـ.
- الملل والنحل : محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني،أبو الفتح (تـ479هـ)، تعليق : أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، ط(1) : 1415 هـ-1994م.
- مناهج الأدلة في عقائد الملّة : ابن رشد (تـ595هـ)، تحقيق : محمود قاسم، مكتبة الأنجلو-المصرية بالقاهرة ط(3).
- المناهج الأصولية في الإجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي : د. محمد فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة-بيروت ط(3) 1418هـ-1997م.
- مناهل العرفان : محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق : مكتي البحوث والدراسات، دار الفكر-بيروت ط(1) 1996م.
- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال : أبو حامد الغزالي، حقّقه وقدّم له : جميل صليبا، وكامل عياد، دار الأندلس للطباعة والنشر ط(11) 1983م.
- منهاج السنة النبوية : ابن تيمية (تـ728هـ)، تحقيق : د. محمّد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض ط(1) 1406هـ.
- منهج الإستدلال على العقيدة عند مصطفى صبري : عمّار جيدل رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، بإشراف : د. عليّ معبد فرغلي، المعهد الوطني العالي لأصول الدين-الجزائر 1411هـ-1997م.
- منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد عند أهل السنة والجماعة : عثمان بن عليّ حسن، مكتبة الرشد-الرياض ط(3) 1415هـ-1995م.
- منهج الإمام الشوكاني في العقيدة : الدكتور عبد الله نومسوك، مؤسسة الرسالة، ط(2) : 1414 هـ-1994م.

- منهج البحث العلمي عند العرب : جلال محمد عبد الحميد موسى، دار الكتاب اللبناني-بيروت ط(1) 1972م.
- المواقف في علم الكلام : عضد الدين عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، عالم الكتب-بيروت، (د-ت-ط).
- موطأ مالك : مالك بن أنس، أبو عبد الله الأصبحي (ت-179هـ)، تحقيق : محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي -مصر.
- ميزان الإعتدال في نقد الرجال : شمس الدين الذهبي، تحقيق : الشيخ عليّ محمّد عوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت ط(1) 1995م.
- النبوّات : أحمد عبد الحليم بن تيمية، الطبعة السلفية-القاهرة 1386هـ.أو دار الكتب العلمية-بيروت 1402هـ.
- النجاة : ابن سينا، مطبعة السعادة-مصر ط(1) 1331هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمّد المقري التلمساني، تحقيق : د. إحسان عبّاس، دار صادر-بيروت 1388هـ-1968م.
- نهاية الإقدام في علم الكلام : عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح : ألفرد جيوم (دون معلومات أخرى).
- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير(ت-606هـ) تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة (د-ت-ط).
- نيل الأوطار : الشوكاني، دار الجيل-بيروت 1973م.
- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج : أحمد بابا التنبكتي، (ت-1036هـ)، إشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه : طلاّب من كلّية الدعوة الإسلامية، منشورات كلّية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، ط(1) : 1398 هـ-1989م.
- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين : إسماعيل باشا البغدادي،دار الكتب العلمية -بيروت 1413هـ-1992م.
- الوصول إلى مسائل الأصول : أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق : عبد المجيد التركي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر 1399هـ-1979م، ج(2) فقط.
- وفيات الأعيان : ابن خلكان (ت-681هـ)، تحقيق : د. إحسان عباس، دار صادر-بيروت.
- الوفيات للقسنطي : أحمد بن حسن بن عليّ بن الخطيب، أبو العباس (ت-809هـ)، تحقيق : عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة-بيروت ط(2) 1978م.
- Geschichte der arabischen litterature von prof. dr. carl brochelmann. zweiter supplementband. leiden. e.j. brill 1939.

سادسا: فهرس الموضوعات

الـــمـــوضـــــــــــــوع	صفحة
الأهداء	3
شكر وتقدير	4
المقدمة	5
الباب الأول الثعالبي: تفسيره ومنهجه في العقيدة	18
الفصل الأوّل: الثعالبي وترجمته	19
المبحث الأوّل : عصر الثعالبي والتعريف به	20
. المطلب الأول: عصر الثعالبي	20
1 ـ الحالة السياسية	20
2 ـ الحالة الثقافية	23
3 ـ الحالة الدينية والاجتماعية	24
. المطلب الثاني: ترجمته وحياته الشخصية	29
1 ـ الاسم.	29
2 ـ النسب	30
3 ـ المولد.	31
4 ـ أولاده وأحفاده	32
المبحث الثاني: حياته العلمية	33
. المطلب الأول: الرحلة في طلب العلم	33
1 ـ رحلته.	33
2 ـ شيوخه	35
. المطلب الثاني: مؤلفاته وتلاميذه ومكانته، ووفاته	39
1 ـ تلاميذه	39
2 ـ مؤلفاته	42
3 ـ المناصب التي تولاها	49
4 ـ وفاته ومدفنه ورثاؤه.	50
5 ـ ثناء العلماء عليه ومدحهم له.	52

الـــمـــوضـــــــــــــوع	صفحة
الفصل الثاني: تفسيره ومنهجه في عرض العقيدة	55
المبحث الأول: تفسير "الجواهر الحسان" المصادر والمنهج	56
. المطلب الأول: وصف عام تفسير الثعالبي	56
1 ـ ميزات الكتاب وتاريخ تأليفه.	57

2 ـ أمانته العلمية.	58
3 ـ إعجاب العلماء بهذا المختصر.	59
• المطلب الثاني: المصادر التي اعتمد عليها في التفسير	60
1 ـ القرآن وعلومه.	61
2 ـ كتب التراجم والسير.	65
3 ـ كتب الفقه وأصوله.	68
4 ـ كتب الحديث وعلومه.	70
5 ـ كتب الزهد (التصوف).	78
6 ـ كتب العقيدة.	85
7 ـ كتب اللغة وفروعها.	86
▫ المبحث الثاني: منهجه في عرض العقيدة	92
• المطلب الأول: المنهج ومصادره الرئيسة في العقيدة	92
ـ معنى المنهج في اللغة والاصطلاح.	92
ـ معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح.	93
ـ عقيدة الثعالبي ومصادره الرئيسة في العقيدة.	96
• المطلب الثاني: طريقته في عرض مسائل العقيدة	113
1 ـ جمع الآراء وعرضها.	113
2 ـ المقابلة بين الآراء.	114
3 ـ التعليق على الآراء.	116
4 ـ الفرق المنحرفة والردّ عليها.	119

الموضوع	صفحة
الباب الثاني الإلهيات والنبوات	128
الفصل الأول: الاستدلال على وجود الله ووحدانيته	129
▫ المبحث الأول: أدلة الثعالبي في الاستدلال على وجود الله ووحدانيته	130
• المطلب الأول: دليل الخلق وبعض نماذجه	130
1 ـ دليل الحدوث.	130
2 ـ دليل الأفعال.	131
3 ـ دليل الآفاق.	132
4 ـ دليل الأنفس	134

• المطلب الثاني: نماذج من الأدلة العقلية	136
1 ـ دليل الفطرة	136
2 ـ قياس الغائب على الشاهد	149
3 ـ دليل التمانع	151
▫ المبحث الثاني: الشرك والعبادات الوثنية	159
• المطلب الأول: معنى الشرك، وأسبابه، وأنواعه	159
1 ـ معنى الشرك لغة وشرعا.	159
2 ـ أنواعه.	159
3 ـ أسبابه.	160
• المطلب الثاني: إبطال الشرك	160
1 ـ إبطال عبادة الأصنام والأوثان.	160
2 ـ إبطال عبادة الملائكة والجن	164
3 ـ إبطال تأليه عيسى عليه السلام وغيره	166
4 ـ إبطال عبادة الكواكب.	167

الـــمـــوضـــــــــــــوع	صفحة
الفصل الثاني: الصفات الإلهية والأسماء	170
▫ المبحث الأول: صفات الله تعالى	171
• المطلب الأول: أهمية مسألة الصفات وطريقة عرضها	171
1 ـ آراء الفرق والمذاهب في المسألة.	171
2 ـ موقف الثعالبي منها.	174
• المطلب الثاني: الصفات الخبرية	185
1 ـ موقف السلف والخلف من المسألة	185
2 ـ موقف الثعالبي منها.	187
3 ـ نماذج لموقفه من آيات الصفات.	193
▫ المبحث الثاني: أسماء الله الحسنى	206
• المطلب الأول: الأسماء ومصادر التعريف بها.	206
1 ـ بيان لتقرير القرآن والسنة لأسماء الله الحسنى	206
2 ـ عرض لنماذج من تفسير الثعالبي حول أسماء الله الحسنى	208
• المطلب الثاني: الأسماء والتوقيف	222
1 ـ اسم الله الأعظم.	222

2 ـ أسماء الله غير محدودة في عدد معين.	225
3 ـ هل الاسم عين المسمى أو غيره؟	230
الفصل الثالث: النـــبـــــوات	233
المبحث الأول: النبي ومهمته	234
• المطلب الأول: النبوة وأهميتها	234
1 ـ تعريف النبوة، والنبي، والرسول، لغة واصطلاحا.	234
2 ـ أهمية النبوة والرسالة.	237
• المطلب الثاني: الإيمان بالأنبياء والرسل	239
1 ـ الإيمان بالأنبياء والرسل	239
2 ـ المفاضلة بين الأنبياء والرسل.	241
3 ـ مهمة الأنبياء والرسل.	245

الـــمـــوضـــــــــــــوع	صفحة
المبحث الثاني: صفات الأنبياء ووظائفهم والإيمان بنبوة محمد ﷺ والملائكة	247
• المطلب الأول: الصفات والوظائف	247
1 ـ أهم صفاتهم.	247
2 ـ بعض وظائفهم.	260
• المطلب الثاني: الإيمان بنبوة محمد ﷺ والملائكة	264
1 ـ الإيمان بنبوة محمد ﷺ	264
2 ـ الوحي وصوره.	280
3 ـ الإيمان بالملائكة.	290
الباب الثالث السمعيات الصرف	307
الفصل الأول: الأسماء والأحكام والقضاء والقدر	308
المبحث الأول: الإيمان ومتعلّقاته	309
• المطلب الأول: الإيمان: حقيقته، زيادته ونقصانه، الاستثناء فيه	310
1 ـ حقيقة الإيمان	310
2 ـ زيادته ونقصانه	314

3 ـ الاستثناء فيه.	315
• المطلب الثاني: مرتكبُ الكبيرة، والتوبةُ	318
1 ـ حكم مرتكب الكبيرة.	318
2 ـ التوبة.	323

الـــمـــوضـــــــــــــوع	صفحة
المبحث الثاني: القضاء والقدر	326
• المطلب الأول: خلق أفعال العباد، والهدي والإضلال، والحسن والقبح، والتعليل	326
1 ـ معنى القضاء والقدر.	327
2 ـ مسألة خلق أفعال العباد.	331
3 ـ الهدي والإضلال.	335
4 ـ الحسن والقبح.	338
5 ـ الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى	343
• المطلب الثاني: التكليف بما لا يطاق ومسائل أخرى	347
1 ـ اللطف والأصلح	347
2 ـ مصير أولاد المشركين	350
3 ـ التكليف بما لا يطاق	355
4 ـ النسخ	358
5 ـ الرزق	366
الفصل الثاني: الإيمان بالمعاد	370
• تمهيد	371
المبحث الأول: الروح، والقبر، والبعث.	372
• المطلب الأول: حقيقة الروح ومستقر الأرواح	372
1 ـ حقيقة الروح.	372
2 ـ مستقر الأرواح	381
• المطلب الثاني: القبر والبعث	389

1 ـ القبر	389
2 ـ البعث	391

الـــمـــوضـــــــــــــوع	صفحة
المبحث الثاني: الساعة وأشراطها	408
• المطلب الأول: أشراط الساعة والنفخ في الصور والقيامة والشفاعة والميزان	408
1 ـ أشراط الساعة	408
2 ـ النفخ في الصور	419
3 ـ القيامة	422
4 ـ الشفاعة	426
5 ـ الميزان	433
• المطلب الثاني: الحوض والصراط والجنة والنار	438
1 ـ الحوض	438
2 ـ الصراط	442
3 ـ الجنة	446
4 ـ النار	463
الـخـاتـمـة	470
الـفـهـارس	471
1 ـ فهرس الآيات القرآنية.	472
2 ـ فهرس الأحاديث النبوية.	501
3 ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.	509
4 ـ فهرس الفرق والمذاهب.	510
5 ـ فهرس المصادر والمراجع	521
6 ـ فهرس الموضوعات.	538

